مكتبة ٣٤٠

مين جين لي
MIN JIN LEE

باتشينكو

ملحمة الانعتاق من الفؤاد والجسد

PACHINKO

رواية

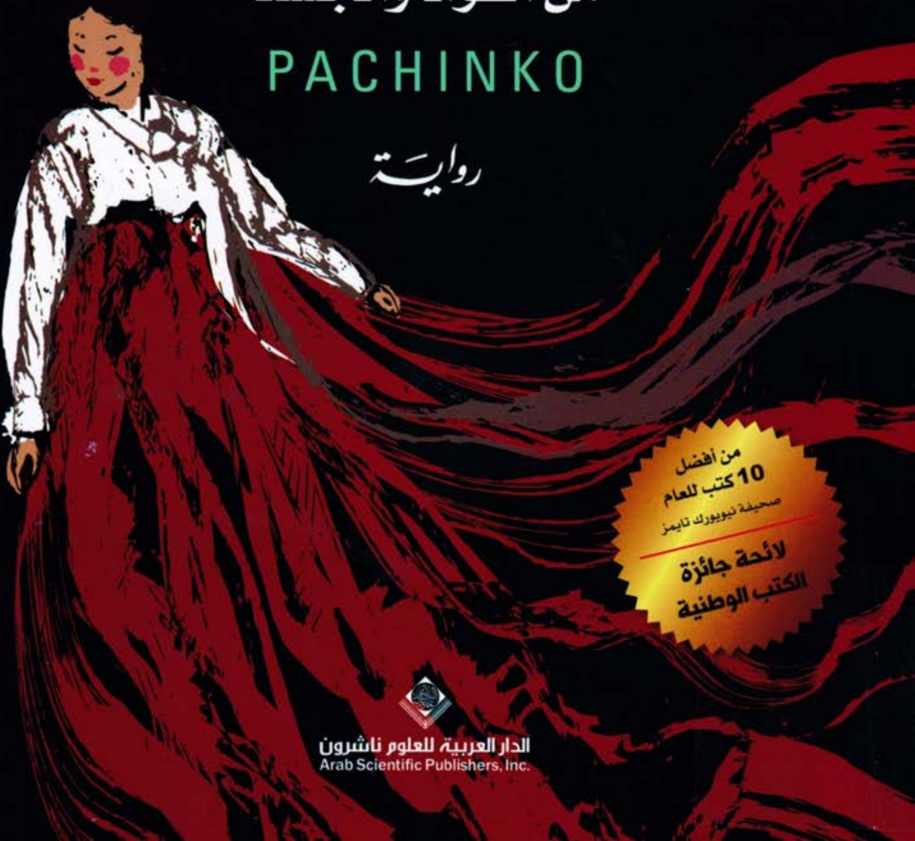

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

باتشينكو

PACHINKO

ملحمة الانعتاق من الفؤاد والجسد

مكتبة | 340

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي
PACHINKO
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر
Grand Central Publishing, Hachette Book Group
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.
Copyright © 2017 by Min Jin Lee
All rights reserved
Arabic Copyright © 2018 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى: تموز/يوليو 2018 م - 1439 هـ

ردمك 978-614-01-2576-6

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL
عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (1-961+)
الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (1-961+)

تصميم الغلاف: **علي القهوجي**

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي **الدار العربية للعلوم ناشرون** ش.م.ل

مكتبة ٢٠١٨١٢٢٤

مين جين لي
MIN JIN LEE

باتشينكو
PACHINKO

ملحمة الانعتاق من الفؤاد والجسد

رواية

ترجمة
نهى حسن

مكتبة | 340

مراجعة وتحرير
مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

الكتاب الأول

غويانغ/مسقط الرأس

1933-1910

الوطن كلمة ذات معنى، وقعها في النفس أشد من سحر الساحر، وتأثيرها في الروح أعظم من شعوذة أمهر المشعوذين.

– تشارلز ديكنز

مكتبة

telegram @ktabpdf

1

يونغدو، بوسان، كوريا

لقد خذلنا التاريخ، لكن لا يهم.

في العقد الأول من هذا القرن، قرر صياد عجوز وزوجته أن يستضيفا نزلاء في منزلهما رغبة منهما في تحسين دخلهما. كلاهما نشأ وترعرع في قرية الصيادين يونغدو؛ وهي جزيرة يبلغ عرضها خمسة أميال قبالة ميناء بوسان. لقد رزق الزوجان ثلاثة أطفال، لم يبقَ منهم على قيد الحياة إلا هوني، وهو بكرهما والأضعف بنية بين شقيقيه. ولد هوني بشفة أرنبية وقدم ملتوية، ولكن عندما شب عن الطوق غدا متين البنيان عريض المنكبين أسمر البشرة ولكنه لم يحظ بنصيب من الطول. إلا أن أجمل ما حافظ عليه من طفولته هو وجهه البشوش وطبعه السمح. لقد اعتاد هوني عندما يقابل الغرباء أن يغطي شفته بيده، وعندها يبدو شديد الشبه بأبيه الوسيم، فكلاهما كان ذا عينين نجلاوين لامعتين، وقد زينت جبهتيهما العريضتين حواجب قوسية كثيفة. في الحقيقة، لم يكن هوني طليق اللسان عذب الحديث كوالده، الأمر الذي حمل البعض على الاعتقاد خطأ أنه يعاني من علة عقلية.

في العام 1910 احتلت اليابان كوريا، وكان هوني قد بلغ السابعة والعشرين من العمر، وكي لا يرضخ والداه للضغوط الاجتماعية في ظل ارتفاع بدل إيجار منزلهما، قررا زيادة عدد النزلاء الذين يستضيفونهم في منزلهما، لذلك انتقلا ليناما في غرفة الجلوس بالقرب من المطبخ.

لقد أقام العجوزان في هذا المنزل منذ ثلاثة عقود، وعندما أخذ سقف المنزل يرشح ماء، استبدله الرجل – وعلى نفقته – بسقف من الصلصال، ومع الوقت أخذ المطبخ يتمدد إلى فناء المنزل كي تستطيع الجدران استيعاب العدد المتزايد للقدور التي تدلت من مسامير دقت على طول الجدار.

لقد رغب والدا هوني وأصرا أن يتعلم ابنهما في مدرسة القرية اللغتين الكورية واليابانية والحساب، ليتمكن من القيام بحسابات النزل، وكي لا يغشه أحد في السوق، وعندما أتقن المهارات الأساسية أخرجاه من المدرسة.

عندما كان هوني مراهقاً عمل بطاقة تعادل طاقة رجلين قويين سليمي الجسم، وبرع في الأعمال اليدوية، وحمل الأوزان الثقيلة، إلا أنه لم يستطيع الركض أو المشي بسرعة. ولعل هوني قد ورث عن أبيه كل خصاله الحسنة، فالجميع يعرفون أنهما لا يعاقران الشراب، وقد أحسن الوالدان تنشئة ولدهما الوحيد الباقي على قيد الحياة لأنهما كانا يعرفان أن لا سند له بعدهما.

كان هوني بمثابة القلب الذي يتشاركه والداه، والذي يعيشان على أمل رؤيته يحقق مكانة في المجتمع، بعد أن فقدا ولديهما الآخرين، فقد فتكت الحصبة بأحدهما، بينما قضى الآخر نحبه بنطحة عرضية من أحد الثيران. لذا، لم يكن هوني يبتعد عن والديه إلا للذهاب إلى المدرسة أو السوق، وبالرغم من حبهما له إلا أنهما لم يرغبا بتدليله كي لا يفسداه، ومع تقدمه بالعمر عمل على إدارة هذا النزل.

في ربيع العام 1911، وبعد مضي أسبوعين على إتمام هوني الثامنة والعشرين من العمر، طلبت الخاطبة ذات الوجنتين الورديتين رؤية والدة هوني.

عندما أتت الخاطبة استقبلتها أم هوني في المطبخ، وأخذتا تتحدثان همساً، فالوقت لا يزال باكراً، والنزلاء نيام، فقد عادوا من الصيد فجراً، وتناولوا فطورهم، وأووا إلى فراشهم. لقد تابعت أم هوني عملها وهي تتحدث إلى الخاطبة بعد أن قدمت لها واجب الضيافة المتمثل بكوب من شاي الشعير.

خمّنت أم هوني سبب زيارة الخاطبة، ولكنها لم تكن تعرف ما يجب عليها قوله، فلم يسبق لهوني أن أبدى رغبة بالزواج، فضلاً عن أنه من المستبعد أن توافق إحدى العائلات المرموقة على ارتباط إحدى بناتها بشاب يعاني من تشوهات خلقية، حتى أنها وزوجها لم يشاهدا هوني يتودد إلى إحدى الفتيات، لأن معظمهن تجنبن الاحتكاك به، كما أنه وبدوره كان فطناً بما فيه الكفاية لكي لا يضع نفسه في مواقف حرجة.

كانت الخاطبة ذات الوجنتين الورديتين والعينين السوداوين الداكنتين امرأة

ذكية. لعقت شفتيها، وجالت بعينيها في أرجاء المنزل، وتفحصت جسد ربة البيت من رأسها حتى أخمص قدميها التي لم تغفل عن نظرات الخاطبة لكنها فضّلت الاعتصام بحبل الصمت، فتابعت عملها، ولم تلتفت إليها ولم تنبس ببنت شفة. أياً يكن الأمر، لم يكن من السهل على الخاطبة سبر أغوار الأم الهادئة التي اعتادت العمل منذ انبلاج الفجر حتى الغسق.

بادرت الخاطبة بالحديث فقالت: «بالرغم من العيوب الخلقية المتمثلة بالشفة الأرنبية والقدم العرجاء إلا أن هوني مثال الشاب النشيط العامل والمثقف ليباركه الله». قبل أن تنتقل للحديث عن أولادها الصالحين، وبناتها اللواتي زوجتهن باكراً، وانتقلن للإقامة في أماكن بعيدة، وطوال الوقت أصغت أم هوني للخاطبة، إلا أنها لم تكف عن العمل في تقطيع الفجل إلى مكعبات كبيرة بيضاء شبه متساوية الحجم قبل أن تنقلها إلى الوعاء، وهي تحاول ضبط أعصابها كي لا يظهر توترها.

قبل أن تدخل الخاطبة البيت، جالت حوله مُقيّمة حالة قاطنيه المادية، فقدرت مما رأته ومما تداولته ألسن سكان الحيّ أن وضع العائلة كان مستقراً.

فقد رأت في حديقة المطبخ، شتلات فجل ذيل الحصان الريانة بعد أن سقتها أمطار الربيع، وكانت جاهزة لتقتلع من الأرض، ورأت أيضاً الأسماك المعلقة لتجففها شمس الربيع. وفي الفناء الخلفي، رأت في الحظيرة ثلاثة خنازير، وأحصت سبع دجاجات وديكاً، لقد كان وضع العائلة المادي المستقر جلياً من خلال المحاصيل والحيوانات والدواجن التي رأتها بأم عينها في المنزل.

في المطبخ، اصطفت جوالات الأرزّ على الأرفف، وتدلت جدائل الثوم الأبيض والفلفل الأحمر من عوارض المطبخ الخشبية المنخفضة الارتفاع، أما البطاطا فكانت مكدسة في سلة ضخمة إلى جانب حوض الغسيل، ولم تغب عن بالها رائحة الدخن والشوفان المبخرين التي فاحت في أرجاء المنزل.

بعد كل ما رأته تيقنت الخاطبة أن ما تمتلكه العائلة يتيح لهوني الحصول على عروس جميلة وصحيحة البدن، فما كان منها إلا أن مضت قدماً، راضية بالوضع المريح للنزل في بلد يزداد فقراً بانتظام.

كانت الفتاة من الجانب الآخر للجزيرة، خلف الغابات الكثيفة، وكان والدها

مزارعاً مستأجراً، واحداً ممن فقدوا عقود إيجارهم نتيجة لمسح الأراضي الذي قامت به حكومة الاحتلال مؤخراً. لم يكن لدى الأرمل المنكوب بأربع فتيات من دون صبي ما يأكله باستثناء ما يجمعه من الغابات، وما يتبقى لديه من سمك لم يتمكن من بيعه، أو من صدقات المناسبات من جيران يماثلونه فقراً.

لقد توسل الوالد المحترم الخاطبة لتجد أزواجاً لبناته العازبات، حيث كان من الأفضل للعازبات أن يتزوجن من أي شخص من أن يلتمسن الطعام. فعندما يقبض الجوع على حياة الرجال والنساء تصبح العفة مكلفة جداً. كانت يانغجين أصغر أخواتها الأربع، وكان إيجاد زوج لها أسهل من أخواتها، لأنها كانت صغيرة، سهلة العريكة، والجوع جعلها مطواعة، وبالتالي ستندمج بسهولة في أسرة زوجها، وستتطبع بطبائعهم وتتقبل عاداتهم بيسر وسهولة.

تتصف يانغجين ابنة الخمسة عشر عاماً باللطف والرقة، قالت الخاطبة: «من الطبيعي ألا تتوقعون مهراً وبالمقابل لن يتوقع الأب كثيراً من الهدايا، ربما تفي بالغرض بضع دجاجات بياضة وملابس قطنية لأخواتها، بالإضافة إلى ستة أو سبعة أكياس من الدخن لتؤمن لهم الطعام خلال موسم الشتاء».

عندما لم تسمع احتجاجاً على مقدار الهدايا، تجرأت وقالت: «وربما خروف أو خنزير صغير، فالعائلة لا تملك ما تقيم به أودها، ومهر العرائس قد انخفض كثيراً. لن تكون الفتاة بحاجة لأية مجوهرات». ضحكت الخاطبة قليلاً.

بحركة سريعة من رسغها الثخين، رشت والدة هوني ملح البحر على الفجل. لم يكن أمام الخاطبة من سبيل لمعرفة شدة تركيز أم هوني ومقدار تفكيرها بما طلبته. لطالما فكرت الأم أنها مستعدة لبذل الغالي والنفيس من أجل تأمين أي متطلبات تتيح لهوني الزواج، ولكنها اليوم بدت وكأنها أُخذت على حين غرّة، فهي لم تحلم بأكثر أحلامها وردية أن ترى خاطبة في منزلها تعرض عليها عروساً لابنها الذي يعاني من تشوه خلقي، لذلك بذلت قصارى جهدها، كي لا تفضح نظراتها وحركاتها ما كان يجيش في صدرها من فرح وغبطة، وهي التي تعلم مقدار فطنة وحنكة الخاطبة.

«ما من شيء أكثر بهجة من أن تحمل المرأة حفيداً لها» قالت الخاطبة

بمناورتها النهائية، بينما كانت تدقق النظر في الوجه البني المجعد لحارس النزل: «لدي حفيدة، ولكن ليس لديّ حفيد، الفتاة تبكي كثيراً، أتذكر كم كنت أشعر بالسعادة عندما أحمل بكري الصغير؛ لقد كان ببياض سلة كعك الأرز يوم رأس السنة، وطرياً كالعجين ما يغري أياً كان على قضمه، ولكن أصبح الآن مغفلاً بين المغفلين». لسبب لا تعلمه رأت أنه يجب عليها الشكوى بعد كل المديح والتبجح.

أخيراً، ابتسمت والدة هوني. فالصورة كانت تقريباً شديدة الإشراق بالنسبة إليها، فمن هي المرأة التي لا تتوق إلى حمل حفيد لها، علماً أنها لم تكن تظن أن هذا الأمر قابل للتحقق قبل زيارة الخاطبة، ولكنها حافظت على رباطة جأشها، وصرت أسنانها، لتهدئ نفسها، وحملت وعاء الفجل المقطع، وأخذت تقلب محتوياته.

«الفتاة حسنة التربية، مطيعة لوالدها وأخواتها، فاتحة البشرة، وجهها نقي خالٍ من البثور، أما ذراعاها وكفاها فقويتان، ولكن بالنظر لما مرت به أسرتها فهي تحتاج لاكتساب بعض الوزن». ابتسمت الخاطبة، وهي تنظر إلى سلة البطاطا وكأنها تلمّح إلى أن الفتاة تستطيع هنا أن تأكل بقدر ما تشاء.

في تلك الأثناء، وضعت أم هوني الوعاء جانباً، ونظرت إلى ضيفتها. قائلة: «سأعرض الأمر على زوجي وابني، ولكنني أستطيع أن أخبرك بشكل قاطع أن لا مال لدينا لخروف أو خنزير، ولكن ربما نستطيع إرسال بعض الملابس الصوفية والقطنية بالإضافة إلى أشياء أخرى من أجل الشتاء، ولكن لن أحسم لك الأمر، فلا بد لي من استشارتهما».

كان اللقاء الأول بين العروسين يوم زفافهما، ولم تبدِ يانغجين امتعاضاً من وجه هوني، فقد رأت ثلاثة أشخاص في قريتها يعانون من مشكلة الشفة الأرنبية، حتى أنها رأت أبقاراً وخنازير تعاني من المشكلة نفسها، كما أن فتاة جارة لها كانت تعاني من نمو شيء بين أنفها وشفتها المشرومة يشبه الفراولة، وكان الأطفال ينادونها بـ«فراولة»، اسم لم تنزعج منه الفتاة. عندما أخبرها والدها أن زوجها سيعاني مما تعاني منه فراولة بالإضافة إلى العرج لم تبكِ، فأكبر فيها تماسكها وشدد على أنها فتاة رزينة.

أقيم زفاف هوني ويانغجين من دون صخب، حتى أن عائلة العريس لم ترسل كعك ماغورت إلى الجيران، بالرغم من أنهم تيقنوا أنهم سيوصمون بالبخل جراء ذلك، الهدوء الذي رافق الزفاف صدم النزلاء الذين تفاجأوا بالعروس صباح اليوم التالي لزفافها وهي تُحضر الفطور.

لم يمر وقت طويل قبل أن تحمل يانغجين، التي خشيت أن يأتي طفلها مشوهاً كوالده، وهذا ما حصل عندما رزقت بمولود ذكر كانت شفته أرنبية إلا أن ساقيه كانتا سليمتين.

لم يستأ الجدان عندما أرتهما القابلة حفيدهما. وعندما سأل هوني زوجته: «هل أنت منزعجة، من حالة الطفل؟». أجابته «لا». وكانت صادقة في ما قالته. وعندما تركت بمفردها مع وليدها مررت إصبعها على شفته وقبلته، لقد شعرت بمشاعر الأمومة، وأدركت أنه لم يسبق لها أن أحبت أحداً بقدر ما تحبه. لكن القدر اغتال فرحتها به عندما مات بعمر سبعة أسابيع بسبب إصابته بالحمى، أما مولودهما الثاني الذي رزقا به فكان جميل الوجه ولكنه توفي بدوره، قبل أن يبلغ مئة يوم من العمر بسبب إسهال حاد أصابه، وعزت أخواتها العازبات سبب الإسهال لضعف تدفق حليبها، واقترحن عليها زيارة الطبيب العراف.

لم يوافق هوني ولا والداه على الطبيب العراف، لكن عندما حملت للمرة الثالثة، زارت الطبيب العراف من دون أن تعلم زوجها ووالديه، ولكنها خلال حملها شعرت بالكآبة خشية فقدان مولودها هذا أيضاً، وهذا ما حصل بسبب الحصبة.

عندها تدخلت أم هوني وزارت معالجاً بالأعشاب، الذي وصف لها شاياً مخمراً، قدمته الحماة إلى كنتها، التي شربته حتى آخر قطرة، لم تكبد عائلة زوجها أي تكاليف. وبعد كل ولادة كان هوني يقصد السوق ويشتري لزوجته أفضل أنواع الأعشاب لإعداد حساء يشفي رحمها، وبعد كل موت طفل لهما بعد وقت قصير من أيام ولادته كان يحضر لها من السوق كعكة الأرز الطرية الحلوة المذاق ويقدمها لها قائلاً: «يجب أن تأكلي، لتستعيدي قوتك ونشاطك».

بعد ثلاث سنوات من زواج هوني، وافت المنية والده، ولم يمضِ شهر

حتى توفيت أمه، لقد حزنت يانغجين لوفاتهما فقد أحسنا معاملتها، وحرصا على إطعامها وكسوتها ولم يضربها أحد منهما أو يلومها على موت أطفالها.

بعد ثلاثة ذكور متوفين، رزق هوني ويانغجين بمولودة أنثى أسمياها سونجا، نمت الطفلة وتمتعت بصحة جيدة، وظل والداها قلقين عليها حتى بلغت الثالثة، عندها أصبحا ينامان قريري العينين متأكدين من أنها لن تختنق أثناء النوم. صنع هوني لابنته دمى من أكواز الذرة، وتخلّى عن تدخين التبغ ليشتري لها الحلويّات؛ ولم يكن الثلاثة يتناولون وجبة طعام إلا معاً بالرغم من أن النزلاء أرادوا هوني أن يتناول الطعام معهم. أحب هوني طفلته بالطريقة التي أحبّه فيها والداه، لكنه وجد نفسه عاجزاً عن رفض أي من طلباتها.

كانت سونجا فتاة ضاحكة ومشرقة شأنها شأن كل الفتيات اللواتي في سنها، لكن والديها رأياها فائقة الجمال، ويمكننا القول إن آباء قلائل أحبوا بناتهم بالقدر الذي أحب فيه هوني سونجا، الذي كان يرى في ابتسامتها تحية دائمة له.

في الشتاء، وبعد ثلاث عشرة سنة على مولد سونجا مات هوني بعد أن أصيب بالسل. ولم تجد الأرملة وابنتها في مراسم الدفن عزاء لهما. وفي صباح اليوم التالي نهضت الأرملة الشابة، وبدأت العمل.

مكتبة

2

نوفمبر 1932

الشتاء الذي تلى اجتياح اليابان لمنشوريا كان صعباً، فالرياح الباردة اللاذعة تسللت إلى النزل الصغير، فحشت يانغجين وسونجا القطن في ملابسهما التماساً للدفء. وعندما كان النزلاء يجتمعون لتناول الطعام، كانوا يكررون ما سمعوه في السوق أو قرأوه في الصحف. لقد اجتاح الجوع المساكين في الصين وروسيا كما اجتاحهم في أميركا، وحتى اليابانيون عانوا ولم ينجُ في ذلك الشتاء سوى من كان قوي الجسد سليم التفكير. وكانت التقارير التي تتحدث عن الأطفال الذين يخلدون للنوم من دون أن يستيقظوا والفتيات اللواتي يبعن أجسادهن من أجل صحنٍ من الشعيرية، والمسنين الذين يسرقون لكي يأكل الأطفال، كانت تلك التقارير التي تحمل مثل هذه الأخبار مؤلمة ومخزية.

بعد ذكر هذا، كان النزلاء يتوقعون وصول وجباتهم على الوقت. بالمقابل كان المنزل القديم يتداعى ويحتاج إلى إصلاح، وبالرغم من ذلك فكان يتوجب عليهم دفع إيجار كل شهر إلى مندوب المالك الذي كان يلح في طلبه، ولكن الأيام الصعبة جعلت من يانغجين شديدة العريكة، فتعلمت تدبر أمر المال، والتعامل مع الموردين، والأكثر أهمية قول لا لما لا يناسبها. لقد استخدمت يانغجين شقيقتين يتيمتين وأصبحت ربة عمل. ففي السابعة والثلاثين من العمر أصبحت أرملة تدير نزلاً، ولم تعد تلك المراهقة الحافية القدمين التي وصلت إلى المنزل وهي تحمل مجموعة من الملابس الداخلية النظيفة الملفوفة بقطعة مربعة من القماش.

توجب على يانغجين الاهتمام بسونجا وكسب المال؛ وكانتا محظوظتين بما فيه الكفاية لامتلاكهما هذا العمل بالرغم من أنهما لم تملكا العقار. في بداية كل شهر، يدفع كل نزيل ثلاثة وعشرين يناً بدل إقامة وطعام، وشيئاً فشيئاً لم يعد

البدل كافياً لشراء الحبوب والفحم للتدفئة، وكان من المستحيل زيادة البدلات، لأنه لم يكن بوسع الرجال جني مزيد من المال، وبالمقابل توجب على يانغجين تزويدهم بالمقدار نفسه من الطعام. لذا، كانت تصنع من العظام حساء سميك القوام، وتدمس الخضار لتعد منها أطباقاً جانبية، وتحاول تدبر أمرها من خلال ما تمتلك من شعير ودخن عندما ينضب ما لديها من مال مع اقتراب الشهر من نهايته، وكان النزلاء يجلبون معهم ما لم يتمكنوا من بيعه من أسماك. لذا، حين يكون هنالك دلو زائد من السلاطعين أو سمك الأسقمري، فلطالما عمدت إلى تجفيفه بعد أن تغطيه بالتوابل، ليقينها أنها يوماً ما ستكون بحاجة إليه لدعم الوجبات شحيحة المكونات.

على مدى العامين الماضيين، تناوب ستة من النزلاء على النوم في غرفة ضيوف واحدة: الأخوة شانغ من جيولادو الذين كانوا يذهبون إلى الصيد ليلاً وينامون نهاراً، وشابين من ديجو وأرمل من بوسان كانوا يعملون في سوق السمك وهؤلاء كانوا يخلدون باكراً إلى النوم بمجرد أن يغادر الصيادون الإخوة الثلاثة. كان الرجال ينامون جنباً إلى جنب في الغرفة الصغيرة، لكن أياً منهم لم يبدِ تذمراً، لأن هذا النزل كان أفضل مما كانوا معتادين عليه في منازلهم الخاصة. فقد كان فراشهم نظيفاً على الدوام، وكان الطعام مشبعاً. فقد اهتمت الفتيات بغسل ملابسهم وقام الحارس برتي المهترئ منها لتبقى صالحة لموسم آخر، وبما أن هؤلاء الرجال كانوا عاجزين عن تحمل مصاريف الزواج وتكوين أسرة، فقد كانت الحياة في النزل أفضل ما يمكنهم الحصول عليه. صحيح أن الرجل عندما يأوي إلى زوجته ستمنحه راحة جسدية، ولكن هذه الراحة قد ينجم عنها أطفال وهؤلاء يحتاجون إلى طعام وكساء ومنزل، وهم عاجزون عن تأمينها، والراحة التي قد ينعم بها قد تنقلب جحيماً عندما تأخذ الزوجة بالتذمر من زوجها الفقير، لذلك أدرك هؤلاء الرجال حدود بساطهم ولم يمدوا أرجلهم خارجه.

كانت قلة المداخيل المترافقة مع ارتفاع الأسعار مربكة، بالرغم من ذلك لم يتأخر النزلاء عن دفع ما هو متوجب عليهم أبداً، حتى أن بعضهم ممن يعملون في السوق كانوا يدفعون عيناً من البضاعة غير المباعة، وكانت يانغجين تقبل بأخذ إناء

من الزيت مقابل عدة ينات، متذكرة ما أوصتها به حماتها بضرورة حسن معاملة النزلاء: فأماكن الإقامة متاحة بكثرة للرجال وهم يمتلكون خيارات أكثر من النساء. في نهاية كل موسم، إن كان هنالك بعض النقود المتبقية، كانت تضعها يانغجين في جرة خزفية، وتخبئها خلف لوح في الخزانة حيث وضع زوجها الخاتمين الذهبيين اللذين كانا لأمه.

خلال الوجبات، كانت يانغجين وابنتها تقدمان الطعام بهدوء بينما يتحدث النزلاء باندفاع في السياسة. كان الأخوة شانغ أميين، ولكنهم كانوا يصغون لما يتم تداوله من أخبار على الرصيف البحري وكم أحبوا تحليل الأخبار على طاولة الطعام في النزل.

في منتصف شهر نوفمبر، نشط صيد الأسماك وقد بدا أفضل من المتوقع. للتو استيقظ الإخوة شانغ، ولا بد أن نزلاء النوبة المسائية على وشك الوصول للخلود إلى النوم، بينما كان الإخوة الصيادون يتناولون وجبتهم قبل أن يغادروا، كعادتهم كانوا على ثقة أن اليابان لن تحتل الصين.

فقد قال أوسطهم: «قد يحتل الأوغاد قسماً صغيراً منها، ولكن من المستحيل أن يحتلوها بالكامل!».

بدوره قال الأخ الأصغر فاتسو، وهو يضرب كأس الشاي الساخن خاصته بالطاولة: «لا يستطيع أولئك الأقزام أن يحتلوا إمبراطورية عظيمة كالصين. إن الصين هي أخونا الأكبر! واليابان مجرد بذرة فاسدة، ستقضي الصين على هؤلاء السفهاء! سترون ذلك!».

كان الرجال المساكين يهزأون من محتلهم القوي بين جدران النزل المهترئة، شاعرين بالأمان فالشرطة اليابانية، لن تكترث بالصيادين ذوي التفكير الضحل. لقد تباهى الإخوة بنقاط القوة التي تملكها الصين؛ كانت قلوبهم تتوق لوجود أمة أخرى قوية خصوصاً بعد أن خذلهم حكامهم، فقد مضى على احتلال كوريا عشرين عاماً، ولم يسبق سوى للأخ الأكبر أن عاش في كوريا حرة من نير الحكم الياباني.

صرخ فاتسو بحنان: «أجوموني! أجوموني!».

«نعم؟» كانت يانغجين تعلم أنه يريد مزيداً من الطعام، فبالرغم من أنه نحيل

إلا أنه يأكل أكثر من أخويه.

«زبدية أخرى من حسائك الشهي؟».

«حسناً، حسناً لك ما أردت».

أحضرت يانغجين زبدية من المطبخ. فارتشف فاتسو الحساء بسرعة، وبعدها غادر الرجال طلباً للرزق.

بعد قليل، وصل نزلاء الفترة المسائية، اغتسلوا وتناولوا عشاءهم بسرعة، ثم دخنوا من غلايينهم قبل أن يخلدوا للنوم، فنظفت النساء الطاولات، وتناولن العشاء البسيط بهدوء لأن الرجال نيام، وبعد أن رتبت ونظفت سونجا والفتاتان المطبخ والمغسلة، تفقدت يانغجين الفحم، وحضرت نفسها للخلود إلى النوم، ولكن ما سمعته من الإخوة الثلاثة، لم يفارق ذهنها. تذكرت هوني الذي كان يستمع لأخبار الرجال ويومئ برأسه، قبل أن يتابع مهامه، وكان يقول: «حسناً، لا يهمني إن استسلمت الصين أو انتقمت لنفسها، يجب نزع الأعشاب الضارة من حديقة الخضار، ويجب صنع الصنادل إن كنتم تريدون انتعالها، ويجب عليّ إبقاء عينيّ ساهرتين لإبعاد اللصوص الذين يسعون وراء سرقة الدجاجات».

كانت حاشية معطف بايك أيزاك الصوفي المبللة متجمدة، ولكنه في النهاية وجد النزل، فقد استنزفت الرحلة الطويلة من بيونغ يانغ قواه، وبالمقارنة بالشمال المثلج كانت بوسان دافئة، فالشتاء في الجنوب أكثر اعتدالاً، ولكن الهواء المثلج القادم من البحر كان يتغلغل في رئتيه الواهنتين وينخر عظامه. حين غادر أيزاك أرضه، كان واثقاً من امتلاكه القوة التي تتيح له القيام برحلته، ولكنه الآن خائر القوى، وأدرك أن عليه الاستراحة. من محطة القطار في بوسان، استقل القارب الصغير الذي حمله إلى يونغدو، وحالما نزل من القارب، رافقه رجل الفحم من المنطقة إلى باب النزل. أطلق أيزاك زفيراً وطرق الباب، كان على وشك الانهيار، ولكنه اعتقد أن قسطاً من النوم سيجدد نشاطه، وسيستيقظ في صباح الغد على أفضل حال.

وما إن استلقت يانغجين للنوم حتى طرقت الخادمة الأصغر سناً باب الغرفة التي تنام فيها النساء.

قالت الخادمة وهي تلتقط أنفاسها: «أجوموني، يوجد سيد يريد التحدث إلى مالك النزل بشأن شقيقه الذي أتى إلى هنا قبل سنوات، ويريد المبيت هنا الليلة».

عبست يانغجين. من يسأل هوني؟ سيكون قد مر على وفاته ثلاث سنوات في الشهر القادم.

كانت ابنتها سونجا نائمة على الأرض وغطيطها يملأ المكان، وشعرها الأسود اللامع منتشر على الوسادة، وقد تركت إلى جانبها مكاناً لتنام فيه الفتاتان متى أنهتا عملهما.

«ألم تخبريه أن صاحب النزل قد توفي؟».

«نعم، وبدا متفاجئاً. قال السيد أن شقيقه قد كتب لصاحب النزل ولكن لم يصله الرد».

نهضت يانغجين وأحضرت ثوب الهانبكوك القطني الذي خلعته منذ لحظات، وقد حرصت أن تطويه بشكل أنيق بالقرب من وسادتها. ارتدت الصدارية المبطنة فوق تنورتها وسترتها، ورفعت شعرها على شكل كعكة بحركات سريعة وماهرة.

بعد أن رأته، أدركت لماذا لم تطرده الخادمة، فقد كان يافعاً ووسيماً وطويلاً وأنيقاً: عينان صغيرتان ودودتان، أنف حاد وعنق طويل. كان جبين الرجل شاحباً وذو حاجبين غير محددين، ولم يبدُ أبداً مثل النزلاء الشيّب الذين يصرخون طلباً للطعام أو يهزأون بالخادمات لأنهن غير متزوجات. ارتدى الشاب معطفاً سميكاً أعلى بذلة غربية الطراز، وكان حذاؤه الجلدي وحقيبته الجلدية وقبعته موضوعة كيفما اتفق عند المدخل. من مظهره، بدا واضحاً أنه يملك ما يكفي من المال لغرفة في نزل للموسرين وفي قلب المدينة، لقد كانت نُزل بوسان التي يمكن للكوريين أن يقيموا فيها ممتلئة تقريباً، ولكن مقابل ما يكفي من المال، كان يمكنه العثور على مكان ما. قد يظنه المرء يابانياً غنياً بسبب ملابسه. حدقت الخادمة إلى الشاب فاغرة فمها، وهي تأمل أن يُسمح له بالبقاء.

انحنت يانغجين دون أن تعرف ما عليها أن تقول له. لا بد أن شقيقه قد أرسل رسالة، ولكنها كانت أمية، وكانت بين فترة وأخرى تطلب من المدرس في البلدة أن يقرأ بريدها، ولكنها لم تفعل ذلك هذا الشتاء لعدم توفر الوقت.

انحنى: «أجوموني، آمل أنني لم أوقظك. كان الظلام قد خيم حين نزلت من العبّارة. لم أعلم بوفاة زوجك قبل اليوم، رجاء تقبلي تعازي الحارة. أنا أيزاك. أتيت من بيونغ يانغ. شقيقي بايك يوسب أقام هنا منذ عدة سنوات».

كانت لهجته الشمالية معتدلة، وبدا من كلماته أنه مثقف: «آمل أن أقيم هنا لعدة أسابيع قبل أن أذهب إلى أوساكا».

نظرت يانغجين إلى الأسفل إلى قدميها الحافيتين. كانت غرفة النزلاء ممتلئة بالفعل، ورجل كهذا يتوقع الحصول على مكان خاص للنوم، سيكون من الصعب إيجاد قارب لأخذه إلى البر الرئيسي في مثل هذا الوقت من الليل.

سحب أيزاك منديلاً أبيض من بنطاله، وغطى فمه لكي يسعل.

«كان شقيقي هنا قبل عشر سنوات تقريباً. أتساءل إن كنت تتذكرينه. كان يحترم زوجك كثيراً».

أومأت يانغجين برأسها. انطبع بايك يوسب الأكبر في ذاكرتها لأنه لم يكن صياداً أو عامل سوق. كان اسمه الأول يوسب؛ سُمي كناية بشخصٍ من الإنجيل. كان والداه مسيحيين ومؤسسين لكنيسة في الشمال.

«ولكن شقيقك لم يكن يشبهك كثيراً. كان قصيراً، ويضع نظارة معدنية مستديرة. كان متجهاً إلى اليابان؛ أقام هنا لعدة أسابيع قبل أن يغادر».

ابتهج أيزاك، لم ير شقيقه لأكثر من عقد من الزمن «نعم، نعم، إنه يعيش في أوساكا مع زوجته. إنه من كتب رسالة لزوجك. أصر على أن أقيم هنا. كتب عن حساء السمك الذي تعدينه وقال إنه أفضل من حساء المنزل».

ابتسمت يانغجين، كيف لها أن تقاوم ذلك؟

«قال أخي إن زوجك يكد في العمل». لم يذكر أيزاك القدم المشوهة أو الشفة الأرنبية، مع أن يوسب ذكر هذه الأشياء في رسائله بالتأكيد. رغب أيزاك بلقاء هذا الرجل الذي تجاوز هذه المصاعب.

سألت يانغجين: «هل تناولت العشاء؟».

«أنا على ما يرام، شكراً لك».

«يمكننا أن نقدم لك بعض الطعام».

«هل تعتقدين أنه بإمكاني أن أستريح هنا؟ أدرك أنكِ لم تتوقعي قدومي، ولكنني على سفر منذ يومين».

«لا نملك غرفة شاغرة يا سيدي، فالمكان ليس كبيراً كما ترى...» تنهد أيزاك، ثم ابتسم للأرملة. فالمشكلة مشكلته وليس مشكلتها، ولم يرد أن تشعر بالسوء. نظر إلى حقيبته، كانت بجانب الباب.

«بالطبع، عليّ أن أعود إلى بوسان وأجد مكاناً أبقى فيه. ولكن قبل أن أُغادر، هل تعلمين إن كان هنالك نزل هنا لديه غرفة شاغرة؟». سوّى وقفته، لم يرد أن يبدو محبطاً.

قالت يانغجين: «لن تجد مكاناً هنا، ولا نملك غرفة شاغرة». إن وَضعته مع الباقين فقد ينزعج من رائحة الرجال، فلا يمكن التخلص من رائحة الأسماك العالقة بثيابهم مهما غُسلت.

أغمض أيزاك عينيه وأومأ برأسه. واستدار ليغادر.

«هنالك بعض المساحة حيث ينام جميع النزلاء، كما ترى ليس لديّ سوى غرفة، ينام ثلاثة نزلاء خلال النهار وثلاثة خلال الليل، والمساحة الباقية ضيقة، وبالكاد تكفي لرجل واحد، لا أظنك سترتاح فيها، ألقِ نظرة إن أردت».

بامتنان قال أيزاك: «سيكون ذلك جيداً، يمكنني أن أدفع لك بدل الإيجار لشهر مقدماً».

«قد يكون المكان أكثر ازدحاماً من الأماكن التي اعتدت عليها، عندما أقام شقيقك لم يكن المكان مزدحماً كما هو الآن، لا أعلم إن..».

«لا، لا. أنا فقط بحاجة إلى مساحة تكفي لكي أستلقي فيها».

«الوقت متأخر، والرياح عاتية اليوم». شعرت يانغجين بالخزي بسبب حالة نزلها، لم تشعر بذلك من قبل. قررت في نفسها أنها ستعيد له المال إن قرر المغادرة في الصباح.

أعلمته ببدل الإيجار الشهري الذي يتوجب عليه دفعه مقدماً. إن غادر قبل نهاية الشهر، ستعيد له الباقي. تقاضت منه ثلاثة وعشرين يناً، شأنه شأن الصيادين، عدّ أيزاك الينات وأعطاها إياها بكلتا يديه.

وضعت الخادمة حقيبته أمام الغرفة، وذهبت لتجلب ملاءة نظيفة من الخزانة. سيحتاج إلى الماء الساخن من المطبخ كي يغتسل. أخفضت الخادمة عينيها ولكنها شعرت بالفضول اتجاهه.

ذهبت يانغجين مع الخادمة، لكي تُعد الفراش. بعدها، حملت الخادمة حوضاً مملوءاً بالمياه الساخنة ومنشفة نظيفة. نام الشابان من ديجو إلى جانبي بعضهما، ونام الأرمل واضعاً يديه فوق رأسه، وضعتا فراش أيزاك بمحاذاة فراش الأرمل.

سيتذمر الرجال قليلاً في الصباح بخصوص اضطرارهم لمشاركة الغرفة مع نزيل آخر، ولكن سيتفهمون أنه لم يكن بوسع يانغجين أن تخذله.

3

عند الفجر، عاد الأخوة شانغ من الصيد، ولاحظ فاتسو على الفور وجود نزيل جديد بقي نائماً في الغرفة.

ابتسم ابتسامة عريضة ليانغجين: «أنا مسرور لرؤيتي امرأة كادحة مثلك تحقق هذا النجاح. وصلت الأخبار عن طبخك الشهي للأغنياء. في المرة القادمة، قد تستقبلين ضيوفاً يابانيين! آمل أن تكوني قد تقاضيت منه ثلاثة أضعاف ما ندفعه نحن الفقراء».

هزت سونجا رأسها، ولكنه لم ينتبه لذلك. لمس فاتسو ربطة العنق المتدلية بالقرب من بذلة أيزاك. «حسناً هذا ما يرتديه أعضاء طبقة اليانغبان الأثرياء حول عنقهم لكي يبدوا مهمين؟ تبدو مثل حبل مشنقة. لم يسبق لي أن رأيت شيئاً مثلها عن قرب! واااو – ناعمة!» فرك الأخ الأصغر ربطة العنق على خده. «أظنها مصنوعة من الحرير. حبل مشنقة مصنوع من الحرير الطبيعي!» ضحك بصوت عالٍ، ولكن أيزاك لم يتحرك.

قال غومبو بصرامة: «لا تلمس هذا يا فاتسو». كانت البثور تغطي وجه الشقيق الأكبر، وحين يغضب، يتحول لون بشرته إلى الأحمر، لقد تحمل مسؤولية شقيقيه منذ أن توفي والداه.

ترك فاتسو ربطة العنق، فهو لم يكن يعصى أمراً لغومبو. بعد ذلك، استحم الإخوة وتناولوا الطعام وناموا، ولم يستفق الضيف الجديد، فقد كان نومه عميقاً يقطعه بين الحين والآخر بسعلة مكتومة.

ذهبت يانغجين إلى المطبخ لتطلب من الخادمتين الاهتمام بالنزيل الجديد في حال استيقاظه. كان عليهما أن تعدا وجبة ساخنة من أجله. جلست سونجا القرفصاء في الزاوية، وأخذت تقشر البطاطا الحلوة، ولم ترفع ناظريها عندما دخلت أمها المطبخ ولا عندما خرجت. طوال الأسبوع الماضي، اقتصرت محادثتهما على ما

هو ضروري. ولم تكتشف الخادمتان ما حصل لتصبح سونجا هادئة هكذا.

في وقت متأخر من الظهيرة، استيقظ الإخوة شانغ، وتناولوا الطعام مجدداً، وذهبوا إلى القرية لشراء التبغ قبل توجههم إلى المركب. لم يعد نزلاء المساء من العمل بعد. لذا، عم السكون جنبات النزل لبعض الوقت. تسللت رياح البحر من الجدران المتشققة، ومن زوايا النوافذ، ما تسبب بحصول تيار هوائي في الرواق القصير الواصل بين الغرف.

جلست يانغجين واضعة ساقاً فوق أخرى في إحدى البقع الساخنة من الأرضية الدافئة في الغرفة المظللة التي تنام فيها النساء، بدت منهمكة في إصلاح أحد السراويل، واحد من أصل ستة قطع ملابس مهترئة للنزلاء، لم تُغسل ملابس الرجال دائماً، وبما أن الرجال كانوا فقراء، وبالكاد يسد ما يدفعونه ثمن الطعام الذي يأكلونه، فقد وجدوا حرجاً في طلب خدمات أخرى من يانغجين وابنتها والخادمتين، وهذا ما نظرت إليه يانغجين بعين الرضى، فصحيح أن النزلاء فقراء مادياً، لكنهم أغنياء بأخلاقهم محترمون في تصرفاتهم، وهذا جل ما تتمناه أرملة تعيش من دون حماية رجل من نزلائها الرجال.

لطالما قال فاتسو متذمراً عندما عرضت عليه غسلها: «ستتسخ مرة أخرى». بالرغم من أن شقيقيه كانا يفضلان أن تكون نظيفة. بعد الغسيل، كانت يانغجين ترقع قدر ما استطاعت، ومرة على الأقل كل عام، كانت تبدل ياقات القمصان والسترات التي لم يعد من الممكن تنظيفها أو إصلاحها. رفعت يانغجين رأسها تلقائياً كلما سعل النزيل الجديد. حاولت أن تركز على خياطتها المرتبة بدلاً من التركيز على ابنتها التي كانت تنظف أرضية المنزل. كانت الأرضية تُكنس مرتين في اليوم، ثم تمسح بخرقة جافة.

انفتح الباب الأمامي للمنزل ببطء، وانشغلت الأم وابنتها عن عمليهما. أتى جون، رجل الفحم، ليجمع ماله.

نهضت يانغجين عن كرسيها وحيته، وانحنت سونجا بلا مبالاة، ثم تابعت عملها.

سألته يانغجين: «كيف حال زوجتك؟». كانت زوجة رجل الفحم مصابة

بالمعدة التشنجية، وكانت طريحة الفراش معظم الوقت.

ردّ جون بفخر: «لقد استيقظت باكراً اليوم وتوجهت إلى السوق، لا يمكن لأحد إيقاف تلك المرأة عن جني المال. تعلمين كيف هي».

«يا لك من رجل محظوظ». أخرجت يانغجين محفظتها لتدفع له ثمن ما تحتاج إليه من فحم لأسبوع.

قهقه بسرور: «أجوموني، لو كان جميع زبائني مثلك لما جعت يوماً. إنك تدفعين دوماً في الوقت المحدد!».

ابتسمت يانغجين له. لم يمر أسبوع من دون أن يبدي تذمره من أحد الزبائن الذي لم يدفع له في الوقت المحدد، ولكنها كانت تتفهم ظروف المتأخرين عن الدفع، فمعظم الناس بالكاد يستطيعون تأمين ثمن الحد الأدنى من الطعام الذي يقيم أودهم، وبما أن الشتاء هذا العام كان شديد البرودة، كان رجل الفحم نبيلاً، فهو عندما يذهب لقبض مستحقاته ويعتذر منه أحدهم يكتفي بتناول وجبة خفيفة لديه ويشرب كوباً من الشاي ويتابع طريقه، وبهذه الطريقة بدا ضمنياً أنه يتعاطف مع المتأخرين ويقايض الفحم بالطعام، فالسنوات العجاف تحتاج إلى طرق مبتكرة للعمل وتحيل ثمن ما يبيعه البقاء على قيد الحياة. أضف إلى ذلك، أن نبل أخلاقه لم يكن فقط يستند لقيمه الرفيعة بل إلى حقيقة أن زوجته كانت أفضل بائعة لأعشاب البحر في السوق، وكانت تجني قدراً لا بأس به من المال.

«في نهاية الشارع، ذاك النذل لي – سيكي لا يدفع ما يدين به لي..».

«الظروف صعبة والجميع يرزحون تحت جبال من الأحمال».

«أنتِ محقة، الظروف في غاية الصعوبة، يبدو أنك تحسنين تدبر أمرك، فبفضل مهاراتك بالطهي وبما أن صيتك شائع في كيونغسانغدو، يبقى نزلك مليئاً بالنزلاء. هل الوزير مقيم لديك الآن؟ هل أعددت له فراشاً؟ أخبرته أن طبق السمك الذي تعدينه هو الأفضل في بوسان». شم جون الهواء، متسائلاً إن كان يمكنه تناول شيء ما قبل الذهاب إلى المنزل التالي، ولكنه لم يشتم رائحة شيء مغرٍ.

نظرت يانغجين إلى ابنتها، فتوقفت سونجا عن تنظيف الأرض، وذهبت إلى المطبخ لتعد وجبة لرجل الفحم.

«ولكن هل علمت أن الشاب سمع بطبخك مسبقاً من شقيقه الذي أقام هنا قبل عشر سنوات؟ آه... إن المعدة تملك ذاكرة أقوى من القلب!».

بدت يانغجين محتارة: «الوزير؟».

«الشاب القادم من الشمال، التقيت به الليلة الماضية، كان هائماً على غير هدى يبحث عن نزلك. بايك أيزاك. أرشدته إلى النزل، وكنت لأرافقه لو لم يكن لديّ طلبية متأخرة لتشو- سيكي. أخيراً، تدبر أمل المال وقرر أن يدفع لي بعد شهر من التهرب..».

«أوه..».

«أياً يكن الأمر، أخبرته عن مشاكل زوجتي المعدية وعن كدها في العمل، وهل تعلمين، قال إنه سيصلي لها في تلك اللحظة. أخفض رأسه وأغمض عينيه! لا أعلم إن كنت أؤمن بالتمتمة التي يقولها الناس، ولكني لا أظن أنها قد تؤذي أحداً. شاب وسيم حقاً، أليس كذلك؟ هل غادر؟ يجب أن ألقي التحية عليه».

جلبت سونجا له صينية خشبية عليها كوب من شاي الشعير الساخن وإبريق شاي ووعاء من البطاطا الحلوة المسلوقة ووضعتها أمامه. جلس رجل الفحم على الوسادة الأرضية، والتهم البطاطا الحلوة. مضغ بحذر وعاود الحديث.

«حسناً، سألت زوجتي هذا الصباح عن حالها، فقالت إنها تشعر بالتحسن، وغادرت إلى عملها! ربما الصلاة مفيدة في نهاية المطاف. ها!..».

«هل هو كاثوليكي؟». لم تقصد يانغجين أن تقاطعه كثيراً، ولكن لم يكن هنالك من طريقة أخرى للاستفسار من جون، الذي يمكنه التحدث من دون انقطاع لساعات. لطالما قال زوجها أن جون يملك من الكلمات أكثر مما يحتاج إليه أي رجل.

«كاهن؟».

«لا، لا. إنه ليس كاهناً. إن هؤلاء مختلفون. بايك بروتستانتي. الزواج مسموح به عندهم. إنه ذاهب إلى أوساكا، حيث يعيش شقيقه. لا أذكر أنني التقيت به».

استمر بالمضغ بهدوء وارتشف رشفة صغيرة من كوبه.

قبل أن تملك يانغجين أي فرصة للتحدث، قال جون: «هيروهيتو- سيكي

احتل بلادنا، سرق أفضل الأراضي، والأرز، والسمك والآن يسرق شبابنا». تنهد وتناول قطعة أخرى من البطاطا. «حسناً، لا ألوم الشباب الذاهبين إلى اليابان. لا يمكنهم جني المال هنا، لقد تأخر الوقت بالنسبة إلي، ولكن لو كان لدي ابن...» - توقف جون، لأنه لم يُرزق أولاداً، وكان يحزنه التفكير بالأمر - «كنت لأرسله إلى هاواي. يعمل ابن أخ زوجتي في مصنع سكر هناك. إنه شاب ذكي والعمل شاق، ولكن ماذا في ذلك؟ على الأقل لا يعمل لدى الأوغاد اليابانيين. ذات يوم ذهبت إلى الرصيف البحري، حاول أولاد العاهرة أن يمنعوني من ذلك..».

عبست يانغجين لأنه شتم. بما أن النزل كان صغيراً جداً، كان من الممكن أن تسمع سونجا والفتاتان في المطبخ كل شيء، ولم يكن لديها أدنى شك في أنهن يصخن السمع.

ابتسم جون ودفع كوبه الفارغ نحوها بكلتا يديه. «لقد أضعنا بلادنا، أعلم هذا. هؤلاء الأرستقراطيون الملاعين أولاد الساقطات هم من باعونا. ليس عند أي من اليانغبان كرامة ولا ناموس».

علمت يانغجين وسونجا أن الفتاتين في المطبخ كانتا تقهقهان بسبب ألفاظ رجل الفحم، والتي لم تتغير أسبوعاً بعد أسبوع.

«قد أكون فلاحاً، ولكني رجل كادح ونزيه، ولن أدع يابانياً ما يأخذ أرضي».

أخرج منديلاً نظيفاً أبيض من معطفه المغطى بغبار الفحم ومسح أنفه الرطب.

«الأوغاد. عليّ أن أسلم طلبيتي التالية».

طلبت منه الأرملة الانتظار ريثما تذهب إلى المطبخ. عند الباب الأمامي، أعطت يانغجين جون حزمة ملفوفة من البطاطا الطازجة. وقعت واحدة من الرزمة وتدحرجت على الأرض. أمسكها ووضعها في إحدى جيوب معطفه العميقة.

«إياك أن تضيع الأمور القيمة».

قالت يانغجين: «إنها لزوجتك، أبلغها سلامي من فضلك».

«شكراً لك». أسرع جون في انتعال حذائه، وغادر المنزل.

بقيت يانغجين عند الباب تشاهده وهو يبتعد، وشيعته بنظراتها حتى دخل المنزل التالي.

بدا المنزل أكثر عزلة من دون أصوات الرجال المجلجلة. زحفت سونجا على ركبتيها وهي تكمل تنظيف الرواق الواصل ما بين الغرفة الأمامية وبقية المنزل. كانت قوية البنيان وصلبة كأنها من خشب متين وليس من لحم ودم - مثل والدتها - مع قوة كبيرة في يديها البارعتين. كان جسدها القصير مكتنزاً، لقد بدت بوجهها الناعم جذابة أكثر من كونها جميلة. يمكن ملاحظة سونجا على الفور في أي مكان بسبب طاقتها الكبيرة وذوقها الرفيع. لم يكف النزلاء عن محاولة التودد إليها، لكن أياً منهم لم ينجح في مسعاه. كانت عيناها الداكنتان تلمعان مثل أحجار النهر اللامعة المصفوفة على سطح أبيض مصقول، وحين تضحك لا يمكنك أن تفعل شيئاً سوى الضحك معها. لقد أخذت بلب والدها هوني منذ ولادتها، وحتى كطفلة صغيرة، شعرت سونجا أنه من واجبها أن تجعله سعيداً. وما إن تعلمت المشي، حتى سارت خلفه طوال الوقت مثل حيوان أليف، وبالرغم من حبها لأمها إلا أن وفاة والدها حوّلتها من فتاة سعيدة إلى شابة قلقة.

لم يكن يستطيع أي من الأخوة شانغ تكبد مصاريف الزواج، ولكن الأخ غومبو، الأكبر سناً، ذكر في أكثر من مناسبة أن فتاة مثل سونجا تصلح لأن تكون زوجة جيدة لرجل يريد الازدهار في العالم. أعجب فاتسو بها، ولكنه حضر نفسه ليعجب بها كزوجة أخ، بالرغم من أنها لم تكن قد تجاوزت السادسة عشرة، أي بعمر أخيه. لو استطاع أي من الإخوة الزواج ستكون الأولوية للأكبر غومبو. لم يكن أي من هذا مهماً بعد الآن، لأن سونجا فقدت مؤخراً كل آفاقها. كانت حاملاً، ولم يكن الرجل الذي حملت منه قادراً على الزواج منها. اعترفت سونجا بذلك لأمها قبل أسبوع، ولكن بالطبع، لم يعلم بالأمر أحد سواهما.

صرخت الخادمة: «أجوموني، أجوموني!» من مقدمة المنزل حيث نام النزلاء، فأسرعت يانغجين إلى الغرفة. تركت سونجا خرقتها لتلحق بها.

«هنالك دمٌ على الوسادة! وهو مبلل بالعرق!».

تنشقت بوكي، الشقيقة الكبرى من بين الخادمتين، الهواء بعمق لكي تهدئ من روعها. ليس من عادتها أن ترفع صوتها، ولكنها لم تقصد أن تخيف الآخرين، ولكنها لم تعلم إن كان النزيل ميتاً أم أنه يُحتضر، وخافت جداً من الاقتراب منه.

سكتن للحظات، ولكن يانغجين طلبت من الخادمة أن تغادر الغرفة وتنتظر بالقرب من الباب الأمامي.

قالت سونجا: «أعتقد أنه مصاب بمرض السل».

أومأت يانغجين برأسها. ذكّرها منظر النزيل بالأسابيع الأخيرة لزوجها.

قالت يانغجين لبوكي: «أحضري الصيدلي». ثم غيّرت رأيها: «لا لا انتظري، قد احتاج إليك».

استلقى أيزاك نائماً على الوسادة، يتعرق ويختلج، غير واعٍ لوجود النساء اللواتي يحدقن إليه. كانت دوكي، الفتاة الأصغر سناً، قد وصلت لتوها من المطبخ، ولهثت بصوت عالٍ، لتسكتها أختها على الفور. بدا شاحباً بوضوح، ولكن حتى في ضوء النهار بدا وجهه الوسيم رمادياً، كانت وسادته مبللة ببقع حمراء حيث سعل.

تمتمت يانغجين وهي قلقة ومذعورة: «مممممم – علينا أن ننقله على الفور. قد يصاب الآخرون بالعدوى. دوكي، أخرجي كل شيء من غرفة التخزين الآن. أسرعي». ستضعه في غرفة التخزين، حيث نام زوجها عندما كان مريضاً، ولكن الأمر كان ليبدو أسهل بكثير لو أمكنه المشي إلى القسم الخلفي من المنزل بدلاً من محاولتها نقله بمفردها.

جرت يانغجين زاوية الفراش محاولة أن توقظه.

«أيها القس أيزاك، سيدي، سيدي!» لمست يانغجين ذراعه من الأعلى.

أخيراً، حين فتح عينيه. لم يستطع تذكر أين كان. في حلمه، كان في منزله، يستريح بالقرب من شجرة التفاح؛ كانت الأشجار مليئة بالأزهار البيضاء. حين استيقظ، تعرف إلى صاحبة النزل.

«هل كل شيء على ما يرام؟».

سألته يانغجين، متأكدة أنه كان يعرف الإجابة: «هل أنت مصاب بالسل؟».

هز رأسه.

«لا، كنت مصاباً به قبل عامين. ولكني شفيت». لمس أيزاك جبينه وقد شعر بالعرق الذي يسيل على جبينه.

رفع رأسه وشعر أنه ثقيل. قال: «آه، لقد فهمت». بعد أن رأى البقع الحمراء

على الوسادة: «أنا آسف جداً. لم أكن لآتي إلى هنا لو علمت أنني قد أؤذيكم. سأغادر، لا أريد أن أعرضكم للخطر». أغمض أيزاك عينيه، وشعر بالوهن. خلال حياته، أصيب أيزاك بالعديد من الأمراض، كان السل أحد آخر الأمراض التي أصيب بها. لم يرد والداه ولا أطباؤه أن يذهب إلى أوساكا؛ لكن شقيقه يوسب ظن أن ذلك سيكون أفضل بالنسبة إليه، بما أن أوساكا كانت أكثر دفئاً من بيونغ يانغ ولأن يوسب علم أن أيزاك لم يرد أن يبدو غير منتج، كما نظر إليه الناس معظم حياته.

قال أيزاك وعيناه مغمضتان: «عليّ أن أعود إلى المنزل».

قالت يانغجين: «ستموت في القطار، ستسوء حالتك بدلاً من أن تتحسن، هل يمكنك الجلوس؟».

دفع أيزاك بنفسه إلى الأعلى، واتكأ على الجدار البارد. شعر بالتعب خلال الرحلة، ولكنه شعر الآن وكأن دباً كان يدفعه. التقط أنفاسه واستدار نحو الجدار كي يسعل. فتناثر الدم على الجدار.

قالت يانغجين: «ستبقى هنا حتى تتحسن».

تبادلت وسونجا النظرات، فهما لم تصابا بالعدوى حين أصيب هوني بهذا المرض، ولكن يجب بطريقة ما حماية الفتاتين الأخريين اللتين لم تكونا هنا وقتها بالإضافة إلى النزلاء.

نظرت يانغجين إلى وجهه: «هل يمكنك أن تمشي قليلاً إلى الغرفة الخلفية؟ علينا أن نعزلك عن الآخرين».

طلبت يانغجين منه الاستلقاء على ملاءة وسحبته ببطء، دافعة إياه نحو غرفة التخزين، بالطريقة ذاتها التي دفعت بها زوجها قبل ثلاث سنوات.

تمتم أيزاك: «لم أرد أن أعرضكم للخطر».

شتم الشاب نفسه بصمت بسبب رغبته برؤية العالم خارج مكان ولادته وبسبب كذبه على نفسه بأنه بصحة جيدة بما يكفي ليذهب إلى أوساكا في حين شعر أنه لا يمكن الشفاء أبداً من هذا المرض.

إن أصيب أي من الأشخاص بالعدوى فسيكون هو المسؤول عن موتهم، وفكّر إن كان الموت قدره فليمت بسرعة كي لا يلحق الأذى بالآخرين.

4

يونيو 1932

في بداية الصيف، قبل أقل من ستة أشهر على وصول القس الشاب إلى النزل ومرضه، التقت سونجا بسمسار السمك الجديد كوه هانسو.

كان هنالك شيء مميز في ذلك الصباح الذي ذهبت فيه سونجا إلى السوق لكي تشتري حاجيات النزل. منذ أن كانت طفلة محمولة على ظهر أمها، كانت تذهب إلى السوق المفتوح في نامبو دونغ؛ ثم لاحقاً، كفتاة صغيرة، كانت تمسك يد والدها وهي تتنزه هناك، حيث تستغرق الرحلة ساعة بسبب رجله العرجاء. كانت الرحلة معه أكثر متعة مما كانت عليه مع والدتها، لأن كل سكان القرية كانوا يحيون والدها بود واحترام، وفي زحمة أسئلة الجيران اللطيفة والودودة عن العائلة والنزل والنزلاء ما كان أحد لينتبه لكلمات هوني المتلعثمة وخطواته الغريبة. لم يكن هوني يقول الكثير، ولكن بالرغم من كلماته المقتضبة بدا واضحاً للفتاة الصغيرة أن الجميع يرغبون برضاه.

بعد موت هوني، أصبحت سونجا مسؤولة عن التسوق للنزل، لم تختلف طريقة تسوقها عن طريقة والديها: أولاً، المنتجات الطازجة، ثم عظام الحساء من عند الجزار، ثم بضعة أغراض من سوق الباعة أجوما حيث تبحث بين أحواض مملوءة بالتوابل، وصفوف لماعة من سمك القطلاس، أو سمبوس البحر الريانة الطازجة، لقد كانت البضائع ترتب بشكل جذاب على الأقمشة التركوازية والحمراء المفروشة على الأرض.

كانت سونجا تشتري الأعشاب البحرية من زوجة رجل الفحم، التي تبيع أجود الأنواع. لاحظت بائعة أجوما أن سمسار الأسماك الجديد كان يحدق إلى فتاة النزل.

«يا له من رجل وقح. كيف يحدق هكذا! إنه بسنّ والدك!» دوّرت أجوما أعشاب البحر عينيها. «إن كان الرجل غنياً، فهذا لا يمنحه الحق في أن يكون وقحاً مع فتاة لطيفة من عائلة محترمة».

نظرت سونجا إلى الأعلى، ورأت الرجل الجديد مرتدياً بذلة غربية ناصعة البياض ومنتعلاً حذاء جلدياً أبيض. كان يقف بالقرب من باقي سماسرة الأسماك، معتمراً قبعة باناما سكرية اللون مثل الممثلين الذين يظهرون على الملصقات الدعائية للأفلام، برز كوه هانسو مثل عصفور أنيق ذي ريش أبيض حليبي بين باقي الرجال الذين كانوا يرتدون ملابس داكنة. لم يبعد ناظريه عنها، وبالكاد انتبه للرجال الذين يتحدثون من حوله. لقد تحكم السماسرة بالسوق، وبكل عمليات البيع والشراء بالجملة للأسماك المُصادة، لم يكونوا فقط يملكون القدرة على التحكم بالأسعار، بل كانوا أيضاً يعاقبون كل قبطان أو صياد عبر رفضهم شراء ما اصطاده، وكانوا على علاقة وطيدة مع المسؤولين اليابانيين الذين كانوا يتحكمون بالأرصفة البحرية. أذعن الجميع للسماسرة، وشعر قليلون بالراحة حولهم. نادراً ما كان السماسرة يختلطون بأحد من خارج مجموعتهم، ولطالما تحدث النزلاء في النزل عنهم على أنهم متطفلون متغطرسون، فقد كانوا يجنون كل أرباح صيد السمك دون تلويث أيديهم البيضاء الناعمة برائحته. بغض النظر، كان على الصيادين أن يحافظوا على علاقة جيدة مع هؤلاء الناس الذين كانوا يملكون أموالاً جاهزة للشراء.

«هؤلاء الرجال الأثرياء لا ينظرون إلى فتاة، ولكن يبدو هذا الرجل مختلفاً. إنه من جيجو ولكنه يعيش في أوساكا. سمعت أنه يتكلم اليابانية بطلاقة. قال زوجي إنه أذكى منهم مجتمعين ولكنه ماكر. آه! لا يزال ينظر إليك!» تحوّل لون أجوما الأعشاب البحرية إلى الأحمر، وصولاً إلى رقبتها.

هزت سونجا رأسها، لم ترد أن تنظر إليه. فعندما يغازلها النزلاء كانت تتجاهلهم وتتابع عملها، ولن تتصرف بغير ذلك الآن. كانت بائعة الأجوما تميل إلى المبالغة على أية حال.

«هل يمكنني الحصول على أعشاب البحر التي تحبها أمي؟». تظاهرت سونجا

باهتمامها بأكوام الأعشاب البحرية المستطيلة، المطوية مثل القماش، والتي كانت مصنفة وفقاً للسعر والنوع.

تداركت نفسها أجوما وغضت الطرف، ثم غلفت قسماً كبيراً من الأعشاب البحرية من أجل سونجا. عدت الفتاة العملات النقدية، ثم تناولت الحزمة بكلتا يديها.

«كم عدد النزلاء الذين يقيمون عند والدتك الآن؟».

«ستة، إنها مشغولة جداً» نظرت شزراً، واستطاعت رؤية الرجل الذي كان يتحدث مع سمسار آخر الآن، ولكنه لا يزال يحدق إليها.

«بالطبع هي كذلك! سونجا، إن حياة المرأة عبارة عن عمل ومعاناة لا ينتهيان. توجد المعاناة، ثم المزيد من المعاناة، من الأفضل توقع ذلك. أنت تتحولين لامرأة الآن، لذا على أحدٍ ما أن يخبرك هذا. بالنسبة إلى أي امرأة، فإن الرجل الذي ستتزوجينه سيحدد نوعية حياتك بشكل كامل؛ الرجل الجيد يعني حياة كريمة، والرجل السيئ يعني حياة تعيسة. ولكن أياً يكن الأمر، توقعي المعاناة، وتابعي عملك بجد. لا أحد يعتني بامرأة فقيرة، نحن من نعتني بأنفسنا».

ربّتت السيدة جون على معدتها المنتفخة دوماً، واستدارت نحو الزبون التالي، مفسحة المجال أمام سونجا لتعود إلى المنزل.

على العشاء، ذكر الإخوة شانغ كوه هانسو، الذي اشترى لتوه كل ما اصطادوه.

قال غومبو: «إنه سمسار لا بأس به، إنني أفضّل السماسرة الأذكياء الذين لا يستغلون البسطاء، كوه هانسو لا يساوم بل يعرض سعراً وعادة ما يكون عادلاً، لا أظنه يسعى وراء استغلالنا كالآخرين».

عندها قال فاتسو إن سمسار الثلج أخبره أن سمسار السمك القادم من جيجو ثري جداً، وهو يأتي لثلاث ليالٍ إلى بوسان ويعيش بين سيوول وأوساكا ويدعوه الجميع بالرئيس.

بدا الأمر وكأن كوه هانسو في كل مكان. فقد كانت تراه كلما ذهبت إلى السوق، ولم يكن يخفي اهتمامه بها، بالرغم من أنها حاولت غض الطرف عندما يحدق إليها إلا أنها شعرت بحرارة في وجهها كلما كان موجوداً.

بعد أسبوع تحدث إليها، بعد أن أنهت تسوقها، وكانت في طريقها إلى العبارة.

«أيتها الآنسة، ما الذي ستطبخينه على العشاء الليلة في النزل؟».

كانا وحيدين، لكنهما لم يكونا بعيدين عن ضجة السوق.

نظرت إليه، ثم سارت بعيداً بخفة من دون أن تجيب. كان قلبها ينبض بسرعة من الخوف، وأملت ألا يلحق بها. أثناء رحلة العبارة، حاولت أن تتذكر صوته؛ كان صوته صوت شخص قوي يحاول أن يكون رقيقاً. وكانت لهجته لهجة جيجو، حيث تطول بعض المقاطع الصوتية؛ كانت طريقته في التكلم تختلف عن طريقة أهل بوسان. لفظ كلمة «عشاء» بطريقة مضحكة، وتطلب الأمر منها بعض الوقت لتكتشف ما الذي كان يقوله.

في اليوم التالي، لحق بها هانسو في طريقها إلى المنزل وسألها: «لم أنت غير متزوجة؟ عمرك مناسب».

أسرعت سونجا بخطواتها وتركته مجدداً. لم يتبعها. لم يتوقف هانسو عن محاولته التكلم إليها مع أنها لم ترد عليه.

دوماً كان يطرح عليها سؤالاً واحداً- إن كانت سونجا على بُعد مسافة تتيح لها بالسماع- ولم يكن يكرره، كان يقول شيئاً فتسرع من دون أن تنبس ببنت شفة.

لم يتراجع هانسو بسبب عدم ردها. لقد أحب مظهرها؛ شعر لامع مجدل، ثديان ناهدان تحت بلوزة بيضاء منشاة، ووشاح مربوط بأناقة، وخطوات سريعة واثقة من نفسها. من خلال يديها لاحظ أنها فتاة كادحة لم تكن فتاة ثرية شاحبة اليدين. أما جسدها فكان ناعماً ومكتنزاً، وأثار زنداها البضان اللذان يغطيهما كمان طويلان فضوله. لقد كان هناك شيء مميز في هذه الفتاة، فقد رأى فيها عزيمة لم يكن يراها من خلال خبرته في بنات الأغنياء والفقراء، لقد كانت مميزة. وكان واثقاً أنهما سيلتقيان في نهاية المطاف.

إنه الأسبوع الثاني من يونيو، أنهت سونجا تسوقها، وكانت في طريق عودتها تحمل سلةً في كل يد. صادفت ثلاثة طلاب يابانيين يدرسون في الثانوية متجهين إلى المرفأ كي يصطادوا الأسماك، وكان الجو حاراً كثيراً لذلك تغيبوا عن المدرسة. حين لاحظوا سونجا، التي كانت ذاهبة باتجاه عبارة يونغدو، أحاطوا بها مقهقهين،

وأخذ أطولهم إحدى البطيخات من سلتها، وأخذ يرميها إلى رفيقيه من فوق رأسها

بهدوء خاطبته سونجا بالكورية: «أعدها». وتمنت ألا يركبوا معها العبارة. تحصل مثل هذه الحوادث على البر الرئيسي في كثير من الأحيان، ولكن كان هنالك عدد أقل من اليابانيين في يونغدو. علمت سونجا أنه عليها الابتعاد عن المشاكل على الفور، افترضت سونجا أن الطلاب أصغر سناً، وحاولت أن تبدو أكثر سلطة.

قالوا باليابانية: «ماذا؟ ما الذي قالته؟ نحن لا نفهمك أيتها العاهرة النتنة».

نظرت سونجا حولها، ولكن لم يبدُ أن أحداً رأى ما يحصل، وكان رجل العبارة مشغولاً بالتحدث إلى رجلين آخرين، وكان الباعة منهمكين مع زبائنهم.

فكررت بنبرة أكثر جدية: «أعدها الآن». ومدت يدها اليمنى. كانت سلتها معلقة عند ثنية مرفقها وصعب عليها إبقاؤها ثابتة. نظرت مباشرة إلى الفتى النحيل، الذي كان أطول منها.

ضحكوا واستمروا بالتمتمة باليابانية، ولم تفهم سونجا ما كانوا يقولون. تبادل اثنان منهم رمي البطيخة بينما أخذ الثالث البحث في السلة التي تحملها بيدها اليسرى، والتي أصبحت خائفة الآن من أن تنزلها.

كان الطلاب بعمرها أو أصغر سناً، ولكنهم كانوا بصحة جيدة ومفعمين بالطاقة بخلاف ما يشي مظهرهم.

سحب الطالب الثالث، الأقصر، العظام من أسفل السلة.

«اليوبو يأكلون الكلاب، والآن يسرقون أكل الكلاب! هل تحب الفتيات مثلك أكل العظام؟ أيتها العاهرة الغبية».

لوحت سونجا بيدها في الهواء، محاولة أن تستعيد عظام الحساء. الكلمة الوحيدة التي فهمتها بالتأكيد هي «يوبو» والتي تعني عادة «عزيزي» ولكنها كلمة مهينة يصف اليابانيون بها الكوريين.

رفع الفتى القصير العظمة ثم شمها. وكشر. «مقرف! كيف يمكن لهؤلاء اليوبو أن يأكلوا هذا الهراء؟».

صرخت سونجا ولم تتمكن من كتم دموعها: «إنها باهظة الثمن! أعدها!».

«ماذا؟ أنا لا أفهمك أيتها الكورية الغبية. لمَ لا تتحدثين اليابانية؟ من المفترض أن كل أتباع الإمبراطور الأوفياء يتحدثون اليابانية! ألست تابعة وفية؟».

تجاهل الطويل البقية. كان يقيس حجم نهد سونجا.

«هذه اليوبو تملك نهدين كبيرين حقاً، الفتيات اليابانيات رقيقات، ولسن مثل مربي الدواجن هؤلاء».

خافت سونجا، وقررت ترك ما اشترته والمشي، ولكن الطلاب حاصروها ولم يدعوها تمر.

«لنعصر هذه البطيخات» أمسك الطويل بنهدها الأيسر بيده اليمنى. «لطيف ولَدِن. هل تريدون قضمة؟» فتح فمه بالقرب من نهديها.

أمسك القصير بسلتها الخفيفة بقوة لكي لا تتمكن من التحرك، ثم عصر حلمتها اليمنى بسبابته وإبهامه.

اقترح الثالث: «لنأخذها إلى مكان ما ونرى ما يوجد تحت هذه التنورة الطويلة. انسوا صيد السمك! ربما تكون هي صيدنا الثمين».

دفع الطويل حوضه نحوها: «ستلتذين بما سأطعمك إياه؟».

قالت: «اتركوني. سأصرخ». ولكن شعرت بضيق في حلقها. ثم رأت الرجل الذي كان واقفاً خلف الفتى الطويل.

أمسك هانسو بالشعر القصير الموجود خلف رأس الفتى بيده، وثبت فمه بيده الأخرى. وقال للآخرين: «اقتربا»، ولصالحهما، لم ينبس صديقهما الذي كانت عيناه متوسعتين من شدة الذعر.

قال بلكنة يابانية مثالية: «إن أزعجتم هذه الآنسة مرة أخرى أو رأيت وجوهكم البشعة مرة أخرى هنا، سآمر بقتلكم، سآمر بقتلكم أنتم وعائلاتكم على يد أفضل القتلة اليابانيين الذين أعرفهم. إياكم وأن تظنوا أنكم أفضل من هؤلاء الناس».

ابتسم هانسو وهو يهينهم. «يمكنني أن أقتلكم الآن، ولكنكم أتفه من ألوث يديّ، وعندما أقرر ذلك فإنكم ستعذبون قبل أن تقتلوا وتقطعوا. سأكتفي اليوم بتحذيركم، بسبب كرم أخلاقي، ولأنني لا أريد أن أفعل شيئاً كهذا أمام هذه الآنسة».

بقي الطالبان صامتين، وهما يشاهدان عيني صديقهما تجحظان، زاد الرجل

الذي يرتدي بذلة عاجية وينتعل حذاء جلدياً أبيض من شده لشعر الفتى. لم يصرخ الفتى لأنه أدرك عدم جدوى ذلك بالنظر إلى قوة الرجل الغاشمة، فقد بدا جلياً أنه الطرف المسيطر بما لا يقبل النقاش.

تحدث الرجل مثل اليابانيين تماماً، ولكن الفتية خمنوا أنه موري بسبب تصرفاته. لم يعلموا من كان، ولكنهم لم يشكوا بجدية تهديداته.

قال هانسو للطلاب: «اعتذروا أيها السفلة».

انحنيا أمامها: «نحن نعتذر كثيراً».

حدقت إليهما، ولم تعلم ما عليها أن تفعل.

انحنيا مجدداً، وأرخى هانسو قبضته قليلاً.

التفت هانسو نحو سونجا وابتسم.

«لقد اعتذروا باليابانية بالطبع. هل تريدين أن يعتذروا بالكورية؟ يمكنني أن آمرهم بذلك. يمكنني أن آمرهم بكتابة رسالة لك إن أردت».

هزت سونجا رأسها. كان الفتى الطويل يبكي الآن. «هل تريدين أن أرميهم في البحر؟».

كان يمازحها، ولكنها لم تتمكن من الابتسام. استطاعت سونجا أن تهز رأسها مجدداً. كان يمكن للطلاب أن يجروها إلى مكان ما، وألا يراهم أحد. تساءلت لماذا لم يخف كوه من أهالي الطلاب؟ يمكن لطالب ياباني أن يوقع أي رجل كوري في المشاكل من دون شك. لماذا لم يكن قلقاً؟ بدأت سونجا بالبكاء.

قال هانسو لها بصوت منخفض: «لا بأس». وترك الطالب الطويل. أعاد الطلاب البطيخة والعظام إلى السلة. وقالوا وهم ينحنون: «نحن نعتذر كثيراً».

خاطبهم هانسو باليابانية: «لا تعودوا إلى هنا مجدداً، هل تفهمون أيها السفهاء؟» وكان يبتسم لكي لا تفهم سونجا ما كان يقوله.

انحنى الفتية مجدداً. وبال الطويل قليلاً في ملابسه. بعدها أطلق الثلاثة سيقانهم للريح واتجهوا نحو البلدة.

وضعت سونجا السلتين على الأرض وبكت. ربت هانسو على كتفها بلطف.

«أنت تعيشين في يونغدو؟». أومأت برأسها.

«أمك صاحبة النزل».

«نعم سيدي».

«سأرافقك إلى المنزل». هزت رأسها.

«لقد تسببت لك بما يكفي من الإزعاج، يمكنني العودة وحدي». لم تكن سونجا قادرة على رفع رأسها.

«أصغي إليّ، عليك أن تكوني حذرة حين تسافرين وحدك وألا تخرجي في الليل. إن ذهبت إلى السوق لوحدك عليك البقاء على الطرق الرئيسية. دوماً في مجال رؤية العامة. إنهم يبحثون عن الفتيات الآن».

لم تفهم.

«الحكومة الاستعمارية. تبعث عن الفتيات لتأخذهن إلى الصين من أجل الجنود. لا تتبعي أحداً، قد يكون الشخص المستخدم كورياً على الأرجح، رجلاً أم امرأة، إن قال لك إن هناك عملاً جيداً في الصين أو اليابان كوني حذرة، ولا أعني أن تحذري من هؤلاء الفتية الأغبياء فقط، فالحذر واجب من الجميع هل تفهمينني؟».

لم تكن سونجا تبحث عن عمل، ولم تفهم لماذا يخبرها بكل هذا، لم يتحدث أي شخصٍ معها عن العمل بعيداً عن المنزل. وأياً يكن الأمر لا يمكنها ترك أمها، ولكنه محق، من الممكن دوماً أن يُعتدى على عذرية الأنثى. يُقال إن النساء النبيلات يخبئن سكاكين فضية في ملابسهن ليحمين أنفسهن أو للانتحار في حال اعتدى أحدهم على عذريتهن.

أعطاها هانسو منديلاً، فمسحت وجهها.

«عليك أن تعودي إلى المنزل، ستقلق أمك».

رافقها هانسو إلى العبارة. وضعت سونجا سلتيها على أرض العبارة وجلست. كان هنالك راكبان غيرها في هذه العبارة.

انحنت سونجا. كان كوه هانسو يراقبها مجدداً، ولكن كان وجهه هذه المرة مختلفاً عن المرات السابقة؛ بدا قلقاً عليها. بعد أن ابتعدت العبارة، أدركت كم هي ممتنة له.

5

في الوقت الذي ساعدها فيه كوه هانسو على ركوب العبارة، أتيحت لها فرصة النظر إليه عن كثب، وأمكنها شم رائحة كريم النعنع الموجود على شعره المرتب. كان هانسو عريض المنكبين قوي الجذع وبالرغم من أن ساقيه لم تكونا طويلتين، إلا أنه لم يكن قصيراً. ربما كان هانسو بعمر أمها، التي كانت في السادسة والثلاثين. وكانت بذلته الغربية أنيقة ومعتنى بها جيداً؛ لم تفح منه رائحة العمل أو البحر، على عكس أولئك النزلاء.

عندما ذهبت للتسوق في اليوم التالي، رأته واقفاً أمام مكاتب السماسرة مع رهط من رجال الأعمال، وانتظرت حتى رآها، فانحنت له. فأومأ برأسه قليلاً، ثم عاد إلى عمله، فذهبت لتتسوق، وفي طريقها إلى العبارة، لحق بها.

سألها: «هل لديك بعض الوقت؟».

وسّعت عينيها. ما الذي عناه؟

«للتحدث».

كانت سونجا محاطة بالرجال طوال حياتها. لذا، لم تخف يوماً منهم ولم يربكها وجودهم، ولكن معه، لم تكن تملك الكلمات التي تحتاج إليها. حتى إنه صعب عليها الوقوف إلى جانبه. ازدردت لعابها، وقررت مخاطبته كما تخاطب النزلاء؛ كانت بعمر السادسة عشرة، ولم تكن طفلة خائفة.

«شكراً لمساعدك إياي بالأمس».

«لا داعٍ للشكر».

«كان عليّ أن أقول هذا من قبل. شكراً لك».

«أريد أن أتحدث إليك في مكان آخر».

«أين؟». أدركت لحظتها أنه كان عليها أن تسأل لماذا.

«سآتي إلى الشاطئ خلف نزلكم، قرب الصخور السوداء الكبيرة حيث يكون

المد منخفضاً. حيث تغسلين بالقرب من الخليج». أرادها أن تعرف أنه يعلم عنها القليل. «هل يمكنك أن تأتي لوحدك؟».

نظرت سونجا إلى سلتي التسوق، لم تعلم ما يجدر بها أن تقول، فهي أرادت التكلم معه أكثر، إلا أن أمها لن تسمح لها بذلك أبداً.

«هل يمكنك الخروج صباح الغد في مثل هذا الوقت؟».

«لا أدري».

«هل تناسبك الظهيرة أكثر؟».

وجدت نفسها تقول: «ربما بعد أن يغادر الرجال» وبدا صوتها مرتجفاً.

كان ينتظرها بالقرب من الصخور السوداء، وهو يقرأ صحيفة. كان البحر أكثر زرقة مما كانت تذكر، وبدت الغيوم الطويلة والخفيفة أكثر شحوباً، لقد بدا كل شيءٍ أكثر حيوية بوجوده.

كانت زوايا صحيفته ترفرف مع النسيم، وكان يمسك بها بقوة، ولكن حين رآها تدنو، طوى الصحيفة ووضعها تحت إبطه. لم يمش نحوها بل تركها تأتي إليه. تابعت سيرها بثبات، كان هنالك حزمة ملفوفة كبيرة من الملابس المتسخة متوازنة فوق رأسها.

قالت: «سيدي». لم ترد أن تبدو خائفة. لم تنحنِ، لذا وضعت يديها حول الحزمة كي ترفعها، ولكن هانسو مدّ يديه بسرعة ليرفع الحمل عن رأسها، وسوّت ظهرها وهو يضع الغسيل على الصخور الجافة.

«شكراً لك سيدي».

«عليكِ أن تدعيني أوبا. ليس لديك شقيق وليس لديّ شقيقة. يمكنك أن تكوني شقيقتي».

لم تقل شيئاً.

«هذا لطيف». تفحصت عينا هانسو مجموعة الأمواج المنخفضة وسط البحر واستقرتا على الأفق. «إنه يوم جميل، ولكنه لا يشبه أيام جيجو، ولكن الشعور الذي يتركه مشابه. أنا وأنتِ قادمان من جزر. يوماً ما ستفهمين أن الناس القادمين من جزر مختلفة يمتلكون قدراً من الحرية».

أعجبها صوته، كان صوتاً ذكورياً فيه مسحة من الحزن تنم عن الحكمة.

«ستمضين حياتك كلها هنا على الأغلب».

قالت: «نعم، إنها مسقط رأسي».

قال بقلق: «مسقط الرأس. كان والدي مزارع برتقال في جيجو. عندما كنت في الثانية عشرة انتقلت ووالدي إلى أوساكا؛ لا أعتبر جيجو مسقط رأسي. توفيت أمي عندما كنت صغيراً جداً». لم يخبرها أنها كانت تبدو مثل أحد أفراد عائلة أمه، بسبب عينيها وجبينها العريض.

«هذه كمية كبيرة من الغسيل. كنت أغسل ملابسي وملابس والدي، لقد بغضت الغسيل، من حسنات أن يكون المرء ثرياً أنه لا يضطر لغسل ثيابه وإعداد وجباته».

لقد غسلت سونجا الملابس منذ أن تعلمت المشي تقريباً، ولم تتأفف من القيام بذلك على الإطلاق، فقد كان الغسيل أكثر سهولة من الكوي بالنسبة إليها.

«ما الذي تفكرين به حين تغسلين؟».

كان هانسو يعلم كل ما عليه معرفته عن الفتاة، ولكنه لم يكن يعلم شيئاً عن أفكارها. كانت هذه طريقته في طرح الأسئلة حين يريد أن يسبر غور عقل أحدهم. معظم الناس يعبرون عن أفكارهم من خلال الكلمات ومن ثم يؤكدونها عبر الأفعال، والصادقون أكثر من الكاذبين، فقلة من الناس يتقنون الكذب. أكثر ما يخيب أمله عندما يكتشف أن شخصاً ظنه مختلفاً عن الآخرين لكنه لم يكن كذلك. لقد فضّل هانسو النساء الذكيات على الغبيات والعاملات بجد على الكسولات اللواتي لا يعرفن القيام بشيء سوى الاستلقاء دون أن يقمن بعمل يذكر.

«عندما كنت صغيراً، امتلك كل من والدي وأنا بذلة واحدة. لذا، عندما كنت أغسل ملابسنا كنت أحرص على أن تجف خلال الليل، وكنا نرتديهما في الصباح وهما لا تزالا رطبتين. ذات مرة – أعتقد أنني كنت في العاشرة أو الحادية عشرة – وضعت الملابس المبللة بالقرب من الفرن لكي أُسرّع عملية التجفيف، وذهبت لأطبخ عشاءنا. كنا سنتناول عصيدة الشعير، وكان عليّ أن أحركها في قدر رقيقة القعر، وإلا فإن القعر سيحترق على الفور، وبينما كنت أحركها، شممت رائحة

رهيبة، واتضح لاحقاً أنني أحرقت كمّ سترة والدي الأمر الذي ترك فيها ثقباً كبيراً. استرسل حينها في توبيخي». ضحك هانسو على ذكرى عقاب والده. «رأس مثل قرعة فارغة! ابنٌ لا فائدة منه!». كان والده، الذي أنفق كل ما جناه على الشراب، لا يلوم نفسه على عدم قدرته على دعم نفسه وابنه وكان قاسياً عليه، لقد تحمل هانسو عبء تأمين معيشته ومعيشة والده من خلال السرقة ونهب المؤن والصيد.

لم تتخيل سونجا أن شخصاً مثل هانسو يعرف كيفية غسل الثياب، فقد كانت ملابسه غاية في الأناقة والترتيب، فقد رأته عدة مرات يرتدي بذلات بيضاء وينتعل أحذية بيضاء، لم يسبق لها أن رأت من يرتدي بذلات أكثر أناقة أو أكثر نصاعة.

كان لديها الكثير لتقوله.

«حين أغسل الملابس، أفكر أنه يجب عليّ غسلها بشغف لأنني بذلك أجعلها أفضل، فأنا أحبذ أن أتقن ما أقوم به».

ابتسم لها: «أردت أن أكون معك وقتاً طويلاً». مجدداً، أرادت أن تسأله عن السبب، ولكن لم يكن الأمر مهماً بشكل ما. وأردف: «وجهك جميل وتبدين صادقة ونقية».

سبق أن قالت لها نساء السوق الكلام نفسه، لم تكن سونجا تحسن المساومة في السوق، بل إنها لم تحاول ذلك. ولكن، هذا الصباح لم تخبر والدتها أنها ستلتقي كوه هانسو. لم تخبرها حتى بشأن الطلاب اليابانيين الذين تحرشوا بها. في الليلة السابقة، أخبرت دوكي، أثناء قيامهما بغسل الأطباق أنها ستغسل الملابس لوحدها، وكانت دوكي مسرورة للتخلص من تلك المهمة.

سألها: «هل لديك حبيب؟» احمرّت وجنتاها وأجابت: «لا».

ابتسم هانسو. «أنت في السابعة عشرة تقريباً، وأنا في الرابعة والثلاثين من عمري. عمري هو ضعف عمرك تماماً، سأكون شقيقك الأكبر وصديقك. هانسو أوبا. هل ترغبين بذلك؟».

حدقت سونجا إلى عينيه السوداوين، وهي تفكر أنها لم يسبق لها أن تمنت شيئاً أكثر من هذا، سوى عندما تمنت أن يشفى والدها من المرض، لقد كانت تحبه جداً، ولم يمر يوم لم تفكر فيه، أو تسمع صدى صوته يتردد في جنبات رأسها.

«متى تغسلين الملابس؟».

«كل ثلاثة أيام».

«في مثل هذا الوقت؟».

أومأت برأسها. أخذت سونجا نفساً عميقاً. لطالما أحبت هذا الشاطئ - الامتداد اللانهائي من المياه الخضراء الباهتة والزرقاء، الحصى الصغيرة البيضاء التي تحيط بالصخور السوداء التي تفصل بين المياه والشاطئ الصخري. جعلها السكون هنا تشعر بالأمان والاطمئنان. في العادة، لا يأتي أحد إلى هنا تقريباً، ولكنها الآن لم تعد تنظر إلى هذا المكان بالطريقة التي نظرت فيها إليه في ما مضى.

حمل هانسو حصاة ملساء بالقرب من رجلها؛ سوداء مع خطوط رمادية. أخرج من جيبه قطعة من الطبشور الأبيض التي كان يستخدمها من أجل الكتابة على حاويات السمك التي تباع بالجملة، ورسم حرف X على أسفل الحصاة. جلس القرفصاء، وبحث بين الصخور التي أحاطت بهما ووجد شقاً جافاً في صخرة ذات حجم متوسط، بارتفاع مقعد.

«إن أتيت إلى هنا ولم تكوني قد أتيت بعد، سأضطر للعودة إلى العمل، سأترك هذه الحصاة في شق هذه الصخرة لكي تعلمي أنني أتيت. إن كنتِ هنا ولم أكن موجوداً، أريد منك أن تضعي هذه الحصاة في مكان آخر، لكي أعلم أنك أتيت لرؤيتي».

ربت على ذراعها وابتسم.

«سونجا، عليّ الذهاب الآن. أعدك أن نلتقي لاحقاً؟».

شيعته بنظرها حتى اختفى، عندها جلست القرفصاء، وفتحت الصرة لتبدأ بالغسيل. أخرجت قميصاً متسخاً، وبللته بالمياه الباردة.

بعد ثلاثة أيام، رأته. لم يتطلب الأمر شيئاً لتقنع الشقيقتين أنها ستغسل الملابس وحدها. مجدداً، كان ينتظرها بالقرب من الصخور، يقرأ الصحيفة. كان يعتمر قبعة ذات ألوان فاتحة مع ربطة سوداء. بدا أنيقاً. تصرف وكأن اللقاء بها قرب الصخور أمر طبيعي، بالرغم من أن سونجا خافت أن يراهما أحد. شعرت بالذنب لأنها لم تخبر أمها أو بوكي أو دوكي عنه. جلس هانسو وسونجا على

إحدى الصخور وتحدثا لنصف ساعة تقريباً، وسألها أسئلة غريبة: «ما الذي تفكرين به حين يعم الهدوء ولا تفعلين شيئاً؟».

لم يكن هناك وقت لا تفعل فيه شيئاً. فأعمال النزل كثيرة، بالكاد يمكن لسونجا أن تتذكر آخر مرة كانت فيها أمها جالسة دون عمل. بعد أن أخبرته أنها مشغولة طوال الوقت، أدركت أنها كانت مخطئة. كان هناك بعض الأوقات التي شعرت خلالها أن العمل لم يكن شيئاً، لأنه كان أمراً تجيد القيام به دون الانتباه كثيراً. يمكنها أن تقشر البطاطا أو تمسح الأرضيات دون تفكير، ولكن في الآونة الأخيرة، عندما كانت تشعر بالسكينة والهدوء كانت تفكر فيه، ولكن كيف لها أن تقول هذا؟ قبل أن يضطر للمغادرة، سألها إن رأت فيه صديقاً جيداً، فأكدت له أنه كذلك، لأنه ساعدها حين كانت في ورطة. ابتسم لجوابها ومسد شعرها. كانا يلقيان كل بضعة أيام عند الخليج، وأصبحت سونجا أكثر فعالية في غسل الملابس وأعمال المنزل، بحيث لا يلحظ أحد قضاءها الوقت على الشاطئ أو في السوق.

قبل أن تغادر المنزل إلى السوق أو الشاطئ، كانت تتفقد صورتها منعكسة على غطاء الوعاء المعدني المصقول، مرتبة الجديلة المحكمة التي جدلتها في الصباح، لم يكن لدى سونجا أية فكرة عن كيفية الظهور جميلة أو مغرية أمام أي رجل، وتحديداً أمام رجل مهم مثل كوه هانسو، لذا حاولت أن تبدو نظيفة ومرتبة على الأقل.

كلما ازداد عدد لقاءاتهما، ازداد وضوح صورته في ذهنها. ملأت قصصه رأسها بأناس وأماكن لم تتخيلها من قبل. كان يعيش في أوساكا؛ مدينة مرفأية في اليابان حيث قال إنه يمكن للمرء الحصول على كل ما يرغب به إن امتلك المال، وحيث كانت الكهرباء تصل إلى كل المنازل تقريباً، وتزودها بالنور وتتيح تشغيل السخانات التي تبقيها دافئة في الشتاء. قال إن طوكيو كانت أكثر ازدحاماً بكثير من سيوول – مع المزيد من الناس والمتاجر والمطاعم والمسارح. أخبرها أنه ذهب إلى منشوريا وبيونغ يانغ، ووصف لها كل هذه الأماكن، وأخبرها أنها يوماً ما ستذهب معه إلى هذه الأماكن، ولكنها لم تفهم كيف يمكن لذلك أن يحصل. لم تحتجّ، لأنها أحبت فكرة السفر معه، فكرة أن تكون معه لوقت أطول من الدقائق

القليلة التي كانا يمضيانها عند الخليج. جلب لها من سفرياته حلويات ملونة جميلة وبسكويتاً حلواً. كان يفتح الحلويات ويضعها في فمها مثل أم تُطعم طفلها. لم تتذوق في عمرها مثل هذه المأكولات الجميلة واللذيذة؛ حلويات قاسية زهرية اللون مستوردة من أمريكا، بسكويت الزبدة من إنكلترا. كانت تحرص سونجا على رمي الغلاف خارج المنزل، لأنها لم ترد أن تعلم أمها بأمرها.

أبهجتها أحاديثه وتجاربه التي كانت أكثر تميزاً من مغامرات الصيادين أو العمال الذين كانوا يأتون من أماكن بعيدة، ولكن كان هنالك أمر أكثر حداثة وقوة بكثير مما توقعت في علاقتهما. قبل أن تلتقي سونجا به، لم يكن لديها أحد تخبره عن حياتها؛ عادات النزلاء المضحكة، وأحاديثها مع الشقيقتين اللتين عملتا لدى والدتها، وذكرياتها عن والدها وأسئلتها الداخلية. الآن، ها هي تجد شخصاً لتسأله عن كيفية سير الأمور خارج يونغدو وبوسان. تحمس هانسو لسماع يومياتها؛ حتى إنه رغب أن يعلم عما تحلم به. في بعض الأحيان، حين لم تكن تعلم كيفية التعامل مع أمر ما أو أحد ما، كان يخبرها ما يمكنها القيام به؛ كانت أفكاره ممتازة عن كيفية حل المشاكل. ولكنها بالرغم من كل ما تقدم لم يتحدثا عن والدة سونجا.

كان من الغريب رؤيته في السوق وهو يعمل، لأنه كان شخصاً مختلفاً عن الشخص الذي كان عليه معها – كان صديقها، وشقيقها الكبير، الشخص الذي ينزل حزمة الملابس عن رأسها حين تصل إليه. كان يقول: «كم تقومين بذلك برشاقة» معجباً بعنقها الثابتة والقوية. لمس مرة مؤخر عنقها بيديه القويتين، فانتفضت من لمسته، تفاجأت مما شعرت به.

طوال الوقت رغبت برؤيته وتاقت إليه، فمن غيره كان يتكلم معها ويطرح عليها الأسئلة؟ ولطالما تساءلت ما الذي كان يفعله في المساء حين تكون في المنزل تعتني بالنزلاء وتلمّع طاولات الطعام المنخفضة أو تنام إلى جانب أمها؟ بدا لها أن من المستحيل أن تسأله مثل هذه الأسئلة لذلك فقد احتفظت بها لنفسها.

طوال ثلاثة أشهر حافظا على طريقة لقائهما ووتيرتها، وبدوا معاً أكثر تآلفاً. حين حلّ الخريف، كان الجو منعشاً وبارداً بالقرب من البحر، ولكن بالكاد شعرت سونجا بالهواء البارد.

في بداية سبتمبر، هطل المطر لخمسة أيام متواصلة، وأخيراً، حين تحسن الطقس، طلبت يانغجين من سونجا أن تجمع الفطر من غابة تيجونغدي في الصباح التالي. أحبت سونجا جمع الفطر، وكانت ستلتقي بهانسو عند الشاطئ، وشعرت بالغبطة لأنها ستخبره أنها ستقوم بشيء مختلف عن المهام الاعتيادية. كان يسافر ويرى الأشياء الجديدة كل فترة؛ وكانت هذه المرة الأولى التي ستقوم فيها بشيءٍ مختلف عن روتينها المعتاد.

بسبب حماستها، تحدثت على الفور عن مخططها لقطف الفطر في صباح اليوم التالي، ولم يقل هانسو شيئاً للحظات بل أخذ يحدق إليها ويفكر.

«إن شقيقك هانسو يجيد العثور على الفطر والجذور البرية. أعلم كيفية التمييز بين تلك الصالحة للأكل وتلك السامة. عندما كنت فتى، قضيت ساعات وأنا أبحث عن الجذور والفطر. في الربيع، كنت أبحث عن الخثشار وأجففه، وكنت أصطاد الأرانب من أجل العشاء بواسطة مقلاع. ذات يوم اصطدت عصفورين من نوع الذيال قبل الغسق – يومها تناولنا اللحم للمرة الأولى منذ فترة طويلة، وابتهج والدي وسر بما قمت به!». رقّت تعابير وجهه.

قال: «يمكنني مرافقتك. كم لديك من الوقت من أجل إحضار الفطر؟».

«تريد مرافقتي؟».

كان من اللطيف التحدث إليه مرتين في الأسبوع لمدة نصف ساعة، ولكنها لم تتخيل كيف ستشعر عندما تمضي معه يوماً كاملاً. ما الذي سيحصل لو رآهما أحد ما معاً؟ شعرت سونجا بسخونة في وجهها. ما الذي يتوجب عليها القيام به؟ فهي أخبرته عن الأمر ولن تستطيع منعه من مرافقتها.

«سألتقي بك هنا. عليّ أن أغادر إلى السوق». ابتسم لها هانسو بطريقة مختلفة هذه المرة، بدا مثل فتى صغير، وكانت البهجة تشع من وجهه. «سنجد كثيراً من الفطر، أنا متأكد من ذلك».

سارا سوية على طول ساحل الجزيرة، حيث لن يراهما أحد، بدا الساحل أكثر روعة مما كان عليه يوماً. بينما اقتربا من الغابة الموجودة في الجانب الآخر من الجزيرة، بدت أشجار الصنوبر والقيقب والتنوب وكأنها ترحب بهما، كانت مزينة

بتدرجات اللون الذهبي والأحمر وكأنها كانت ترتدي حلة العيد، أخبرها هانسو المزيد عن العيش في أوساكا. وقال إنه لا يجب تشويه سمعة اليابانيين. في هذه اللحظة، كانوا يضربون الكوريين وبالطبع لم يحب أحد الخسارة. لقد اعتقد أنه يجب على الكوريين الكف عن الاقتتال، وعندها سيتمكنون من احتلال اليابان وعندها يمكنهم رد الصاع صاعين لليابانيين. «الناس كريهون أينما ذهبت. إنهم سيئون. هل تريدين رؤية رجل سيئ حقاً؟ اجعلي من رجل عادي رجلاً ناجحاً بشكل أبعد مما يتصور. ولنراقب هل سيبقى ناجحاً عندما يصبح بإمكانه القيام بكل ما كان يرغب فيه».

أومأت سونجا برأسها وهي تستمع إليه، محاولة أن تتذكر كل كلمة يقولها، لكي تكوّن صورة أوضح عنه، ولتستوعب كل ما يخبرها به. كانت تحتفظ بقصصه مثل قطع الزجاج التي تجدها على الشاطئ والحصى ذات اللون الوردي التي كانت تجمعها حين كانت صغيرة. لقد أذهلتها كلماته لأنه كان يمسك بيدها ويريها أشياء جديدة لا تُنسى.

بالطبع، كثيرة هي المواضيع والأفكار التي لم تفهمها، وأحياناً صعب أن تفهمها كلها من دون أن تختبرها. ولكنها كانت تحشي ذهنها بالطريقة التي تحشي فيها أمعاء الخنزير بالسجق. بذلت قصارى جهدها لتفهم ما يقوله لأنها لم ترد أن يظنها جاهلة، لم تكن سونجا تعرف الأحرف في اللغة الكورية أو اليابانية، فقد اكتفى والدها بتعليمها الجمع والطرح لكي تعد النقود، ولم تكن ووالدتها قادرتين حتى على كتابة اسميهما.

جلب هانسو منديلاً كبيراً لكي يجمع الفطر أيضاً. جعلها سروره الواضح حيال رحلتيهما تشعر بتحسن، ولكن سونجا لا تزال قلقة من أن يراهما أحد. فما من أحد يعلم عن صداقتهما، فالصداقة بين الرجال والنساء لم تكن مقبولة، ولكن في الوقت نفسه لم يكونا حبيبين، فهو لم يذكر أنه يرغب بالزواج منها، وإن رغب في ذلك، كان يفترض به التحدث بهذا الأمر إلى أمها، ولكن حتى الآن هو لم يفعل ذلك. في الحقيقة، بعد أن سألها منذ ثلاثة أشهر إن كان لديها حبيب لم يتطرق للأمر مجدداً. حاولت ألا تفكر بحياته مع النساء، فلم يكن من الصعب

عليه الحصول على فتاة، ولم يكن اهتمامه بها منطقياً.

بدا الطريق إلى الغابة قصيراً، وحين دخلاها، كانت أكثر عزلة حتى من الخليج، ولكن على عكس انفتاح الصخور المنخفضة واتساع مياه البحر الزرقاء المخضرة، كانت الأشجار الكثيفة تخيم عليهما، وكان الأمر مثل دخول منزل عملاق كبير ومليء بالنباتات. عندما سمعت زقزقة الطيور، نظرت إلى الأعلى لتعرف من أي نوع كانت. لاحظت وجه هانسو: كانت عيناه مغرورقتين بالدمع. «أوبا، هل أنت على ما يرام؟».

أومأ برأسه، لقد تحدث طوال مسيرهما عن السفر والعمل، ولكن حين رأى هانسو منظر أوراق الأشجار الملونة وجذوعها سكت تماماً. وضع يده اليمنى على ظهرها، ولمس نهاية جديلتها، ومسّد ظهرها ورفع يده بحذر.

لم يزر هانسو الغابة منذ كان فتى صغيراً؛ ذاك الوقت الذي سبق تحوله إلى مراهق قوي يمكنه الاحتيال والسرقة من أذكى أطفال الشوارع في أوساكا. قبل أن ينتقل إلى اليابان، شكلت جبال جيجو ذات الغابات الكثيفة ملاذاً له؛ كان يعرف كل شجرة على بركان هالاسان. تذكر الغزلان الصغيرة ذات الأرجل الرشيقة وخطواتها الأنيقة. واستعاد رائحة أزهار البرتقال القوية، بالرغم من أنه لم يكن أي من ذلك في غابات يونغدو.

قال: «هيا بنا» تقدم وتبعته سونجا. بعد أقل من عشر خطوات، توقف ليلتقط الفطر بلطف من الأرض. قال: «هذه أول حبة» لم يعد هناك أثر للدموع.

بالفعل كان هانسو خبيراً في إيجاد الفطر، ووجد عدداً كبيراً من الأعشاب القابلة للأكل من أجلها، وحتى أنه وضّح لها كيفية طهوها.

«حين تكونين جائعة، ستتعلمين ما يمكنك وما لا يمكنك أكله» ضحك. «لا أحب أن أكون جائعاً. إذن، أين المكان؟ من أي طريق؟».

«إنه على بعد عدة دقائق من هنا؛ إنه المكان الذي اعتادت أمي أن تبحث فيه بعد هطول المطر الكثيف حين كانت طفلة. إنها في هذا الجانب من الجزيرة».

«سلتك ليست كبيرة بما يكفي. كان عليك أن تجلبي اثنتين لتجمعي كثيراً من الفطر، وتجففيه، ليكفيك طوال الشتاء! قد يتوجب عليك العودة غداً».

ابتسمت سونجا له. «ولكن أوبا، لم تر المكان حتى!».

حين وصلا إلى بقعة الفطر الخاصة بأمها، كانت الأرض مكسوة بالفطر البني الذي كان والدها يعشقه.

ابتسم بسرور كبير. «ألم أخبرك؟ كان علينا أن نجلب شيئاً لنعد الطعام. دعينا نخطط لتناول الغداء هنا في المرة المقبلة. هذا سهل جداً!» بدأ على الفور بجمع الفطر على شكل حفنات ورماه في السلة الموجودة على الأرض بينهما. حين امتلأت، وضع المزيد في منديله، وحين امتلأ، فكت مئزرها وجمعت فيه مزيداً من الفطر.

قالت: لا أعرف كيف سأحمل كل هذا، إنني طماعة».

«أنت لست طماعة بما يكفي».

سار هانسو نحوها. كان يمكنها أن تشمّ رائحة الصابون ورائحة مستحضرات شعره. كان حليقاً ووسيماً. أحبت كم كانت ملابسه بيضاء. لما كان هذا الأمر مهماً؟ ليس في وسع الرجال في النزل أن يكونوا نظيفين. كان عملهم يوسّخ كل أغراضهم، ولم يكن ممكناً التخلص من رائحة السمك العالقة في ملابسهم مهما غسلتها. علمها والدها ألا تحكم على الناس من هذه النواحي السطحية: ما يلبسه الرجل ويملكه لا يتعلق بقلبه وشخصيته. تنشقت الهواء ملء رئتيها، فاختلطت رائحته برائحة هواء الغابة المنعش.

مدّ هانسو يده إلى تحت بلوزتها القصيرة التقليدية، ولم تمنعه. فك الوشاح الطويل الذي كان يحيط ببلوزتها وفتحها. بدأت سونجا بالبكاء بهدوء، سحبها نحوه وضمها، مصدراً أصوات مهدئة منخفضة، وسمحت له بأن يطمئنها بينما كان يفعل ما يشاء.

وضعها على الأرض برقة.

«أوبا هنا. لا بأس. لا بأس».

طوال الوقت، وضع يده أسفل مؤخرتها، ومع أنه حاول أن يحميها من الأغصان وأوراق الشجر، إلا أن أرضية الغابة سببت لها الرضوض على مؤخرتها وساقيها. حين ابتعدا عن بعضهما، استخدم منديله ليمسح الدماء.

«جسدك جميل ولدن مثل فاكهة ناضجة».

لم تستطع سونجا قول شيء. ألقمته ثديها كطفل، بينما كان يحرثها، وأدركت أنه يقوم بما شاهدت الأحصنة والخنازير تقوم به، صدمتها شدة الألم ولكن كانت متأكدة أنه يخف مع الوقت.

حين نهضا عن الأرض المغطاة بأوراق الأشجار الصفراء والحمراء، ساعدها على تسوية ملابسها الداخلية، وألبسها ملابسها.

«أنت فتاتي العزيزة».

هذا ما قاله لها حين فعلا ذلك مجدداً.

6

ذهب هانسو إلى اليابان بداعي العمل، وأخبرها أن هناك مفاجأة ستنتظرها عندما يعود. ظنت سونجا أنه سيتحدث معها عن الزواج، فقد كانت تنتمي إليه، وأرادت أن تكون زوجته. لم ترد أن تترك والدتها، ولكن إن عرض عليها مرافقته إلى أوساكا فلن تمانع. في النهارات، كانت تتساءل ما الذي يفعله في تلك اللحظات. حين تخيلت حياته بعيداً عنها، شعرت أنها كانت جزءاً من أمر آخر، شيء خارج يونغدو، خارج بوسان، والآن حتى خارج كوريا. كيف يُعقل أنها عاشت دون معرفة أي شخص غير أبيها وأمها؟ ولكن كان ذلك كل ما تعلم. لم يكن من الخطأ أن تتزوج الفتاة وتنجب أطفالاً، وحين لم تحض، سُرت لأنها ستنجب له ابناً.

عدت الأيام حتى يعود، ولو كان هنالك ساعة في المنزل، لكانت عدت الساعات والدقائق. صبيحة يوم عودته، أسرعت إلى السوق. سارت بالقرب من مكاتب السماسرة حتى رآها، وبطريقته السرية، رتب لقاءً عند الخليج في الصباح التالي.

حالما غادر النزلاء إلى العمل، جمعت سونجا الملابس المتسخة، وركضت إلى الشاطئ، غير قادرة على الانتظار أكثر من ذلك. حين رأت حبيبها ينتظرها بالقرب من الصخور، مرتدياً معطفاً أنيقاً فوق بذلته، شعرت بالفخر لأن رجلاً مثله اختارها.

على عكس الأيام الأخرى التي كانت فيها تقترب منه بخطوات حذرة وأنيقة، أسرعت إليه فاقدة الصبر وممسكة صرة الملابس بيدها.

«أوبا! لقد عدت!».

«أخبرتك... أنا أعود دوماً». ضمها برقة.

«أنا مسرورة جداً لرؤيتك».

«كيف حال فتاتي؟».

توهجت في حضوره.

«آمل ألا تغادر في وقت قريب جداً».

قال: «أغمضي عينيك». ففعلت.

فتح يدها اليمنى ووضع قرصاً سميكاً على كفها. شعرت ببرودة المعدن.

قالت بعد أن فتحت عينيها: «إنها تشبه التي معك». لقد امتلك هانسو ساعة جيب ذهبية ثقيلة إنكليزية الصنع. لكن ساعتها كانت مصنوعة من الفضة مع طلاء ذهبي بحسب قوله. علمها قبل فترة الفرق بين العقرب الطويل والقصير وكيفية قراءة الوقت. كانت ساعته تتدلى من سلسلة ذهبية متينة مع قضيب يدخل في عروة سترته. «تضغطين هذا» ضغط هانسو على التاج، فانفتحت الساعة لتكشف عن قرص أبيض أنيق وأرقام مائلة.

«إنها أجمل شيء رأته عيناي على الإطلاق. شكراً لك أوبا. شكراً جزيلاً. أين وجدتها؟» لم تستطع تخيل المتجر الذي يبيع مثل هذه الأشياء.

«إن كنت تملكين المال، ليس هنالك ما لا يمكنك الحصول عليه. طلبتها لك من لندن. الآن يمكننا أن نعرف تماماً موعد لقائنا».

لم تتخيل أنها قد تكون أكثر سعادة مما هي عليه الآن. داعب هانسو وجهها وجذبها نحوه.

«أريد أن أراكِ».

نظرت إلى الأسفل وفتحت بلوزتها. في الليلة السابقة، استحمت بالمياه الساخنة، وفركت كل بقعة من جسمها حتى أصبح جلدها وردي اللون.

أخذ الساعة من يدها، وأدخل معلاقها في رباط ملابسها.

«سأطلب سلسلة مناسبة ودبوس لها حين أذهب إلى أوساكا».

أنزل بلوزتها ليرى ثديها الذي لم تمانع أن تلقمه إياه، ولم يلبث أن أبعد تنورتها الطويلة.

تلاشت صدمتها من إلحاحه على تلبية حاجاته منذ المرة الأولى التي مارسا فيها الجنس، لقد عاشرها لمرات ومرات ولم تعد تشعر بالألم الذي أحست به في البداية، أكثر ما أعجبها في ممارستهما تلك اللمسات الرقيقة وتوق جسده الجامح

إليها، وأحبت كيف تتغير تعابير وجهه من قاسية إلى بريئة في تلك اللحظات.

حين انتهى الأمر، أغلقت بلوزتها. في غضون لحظات، سيعود إلى العمل وستبدأ بغسل الملابس.

«أنا حامل بطفلك».

فتح عينيه وسألها: «هل أنت متأكدة؟».

«نعم أعتقد ذلك».

«حسناً». وابتسم

ابتسمت أيضاً، شعرت بالفخر لما فعلاه سوية. «سونجا...».

«أوبا؟» تفحصت تعابيره الجدية.

«لديّ زوجة وأطفال في أوساكا».

فتحت سونجا فمها، وأغلقته بعدها. لم تستطع تخيله مع أحد غيرها.

قال عابساً: «سأهتم بك جيداً، ولكن لا يمكنني الزواج بك. إن زواجي مسجّل في اليابان. وهنالك التزامات في العمل. سأفعل ما في وسعي لنبقى معاً، كنت أخطط لإيجاد منزل جيد لك».

«منزل؟».

«بالقرب من والدتك. أو إن أردت في بوسان. سيحل الشتاء قريباً، ولا يمكننا أن نستمر باللقاء في الخارج». ضحك. وفرك زندها فأجفلت.

«هل لهذا السبب ذهبت إلى أوساكا؟ لكي ترى –».

قال هانسو: «أنا متزوج منذ كنت فتى، ولدي ثلاث بنات». لم تكن بناته ذكيات بل بسيطات ومحببات، إحداهن جميلة بما يكفي لتحظى بزوج، أما الأخريان فكانتا نحيلتين أكثر مما يجب، مثل أمهما دائمة التوتر، الأمر الذي جعلها هشة ومنزعجة طوال الوقت.

«ربما أنت حامل بصبي!» لم يستطع إلا أن يبتسم لتلك الفكرة. «كيف تشعرين؟ هل تشتهين تناول شيء ما محدد؟» أخرج محفظته، وسحب حزمة من المال. «يجب أن تشتري كل ما ترغبين به، وعليك ارتداء ملابس أفضل وأسمك اتقاء للبرد لأجلك ولأجل الجنين».

حدقت إلى المال، لكنها لم تمد يدها نحوه. فقد كانت ذراعاها مسبلتين إلى جانبها. بدا هانسو شديد الحماس مما سمعه.

«هل تشعرين باختلاف؟» وضع يده على بطنها، وضحك من الفرح.

لقد مر وقت طويل على آخر مرة حملت فيها زوجة هانسو والتي تكبره بسنتين، فضلاً عن أنهما نادراً ما يمارسان الجنس.

قبل عام، عندما كان يملك سلسلة من العشيقات، لم تفت أي منهن موعد حيضها، لذا لم يخطر في باله أن تحمل سونجا. خطط هانسو لشراء منزل صغير لسونجا قبل الشتاء، ولكنه الآن سيجد مكاناً أكبر. كانت الفتاة شابة وخصبة بالطبع. لذا، أدرك أنهما قد ينجبان مزيداً من الأطفال، وشعر بسعادة لفكرة أن يكون لديه امرأة وأطفال في كوريا. صحيح أنه لم يعد شاباً، ولكن رغبته في النساء لم تتراجع مع تقدمه في السن. حين كان بعيداً، استمنى وهو يفكر بها. لم يؤمن هانسو أن الرجل مصمم من أجل ممارسة الجنس مع امرأة واحدة؛ لم يكن متآلفاً مع فكرة الزواج كمؤسسة والإخلاص لامرأة واحدة، ولكنه لم يسبق له أن نبذ امرأة حملت له طفلاً. لقد ظن أن الرجل قد يحتاج إلى عدة نساء، ولكنه اكتشف أنه يفضل هذه الفتاة بشكل خاص. لقد أحب لدانة جسدها وامتلاء صدرها وردفيها، وبعث وجهها الرقيق الاطمئنان في نفسه، وأصبح يعتمد على براءتها وحبها. بعد أن أصبح هانسو معها، شعر بطعم الحياة ولذتها مجدداً، وهذا أمر لا خلاف عليه، فعندما يكون الرجل مع فتاة أصغر منه يشعر وكأنه شاب من جديد. وضع المال في يد سونجا، ولكنها تركته يسقط وينتشر على الشاطئ، فانحنى هانسو وجمعه.

رفع صوته قليلاً: «ما الذي تفعلينه؟».

أشاحت سونجا بنظرها بعيداً عنه، لقد قال شيئاً ولكنها لم تسمعه. بدا الأمر وكأن عقلها لم يعد يفهم كلماته ويعطي لها معنى. الآن لم تعنِ لها كلماته شيئاً كانت مجرد أصوات، وضجيج. لم يكن ما قاله طبيعياً بالنسبة إليها ولا منطقياً فهو يتحدث عن زوجة وثلاث بنات في اليابان. منذ أن التقت به اعتقدت أنه مباشر وصريح، وهذا ما بدا عليه قبل اليوم، فقد وفى بكل الوعود التي قطعها، حتى إنه قال إنه سيكون هنالك مفاجأة، واشترى ساعة من أجلها، ولكنها لم تعد تريد أن

يعرف المفاجأة التي كانت تخبئها له. لم ترَ فيه قبلاً شيئاً يجعلها تشك أنه جيبي – رجل ينتقل سراً من امرأة إلى أخرى. هل كان يمارس الجنس مع زوجته أيضاً؟ ما الذي كانت تعرفه عن الرجال على أية حال؟

أرادت سونجا أن تعرف أي شيء وربما كل شيء عن زوجته وطباعها هل كانت جميلة؟ هل كانت طيبة؟ لم تستطع سونجا أن تنظر إلى وجهه مجدداً. نظرت إلى تنورتها القطنية البيضاء، التي بقيت حاشيتها رمادية اللون مهما حاولت أن تنظفها.

«سونجا، متى يمكنني الذهاب للتحدث إلى والدتك؟ هل علينا التحدث إليها الآن؟ هل تعلم بوجود الجنين؟».

شعرت وكأنها تلقت صفعة على وجهها عند ذكر والدتها.

«والدتي؟».

«نعم، هل أخبرتها؟».

«لا. لا، لم أخبرها». حاولت ألا تفكر بوالدتها. «سأشتري لك النزل ولن تضطري ووالدتك لاستقبال النزلاء بعد الآن، يمكنك فقط الاعتناء بالطفل، يمكننا أن ننجب المزيد من الأولاد، ويمكنك الحصول على بيت أكبر بكثير إن أردت». بدت صرة الملابس بالقرب من رجليها متوهجة بسبب أشعة الشمس.

كانت فتاةً قروية حمقاء، سمحت لرجل أن يعتليها في الغابة، حين رغب بها في الهواء الطلق على الشاطئ، سمحت له أن يستغل جسدها ليلبي رغباته، ولكنها آمنت أنه أحبها مثلما أحبته. إن لم يتزوجها، ستكون ساقطة عادية وسترافقها هذه الوصمة طوال حياتها، سيكون ولدها ابن زنا، وسيكون من دون اسم، وستتلطخ سمعة نزل والدتها بسببها. هنالك جنين في بطنها، ولن يحصل هذا الطفل على والد حقيقي مثلها. قالت: «لن أراك مجدداً».

ابتسم هانسو غير مصدق: «ماذا؟». وضع ذراعيه حول كتفيها، فأبعدته عنها.

«إن اقتربت مني يوماً ما، سأنتحر. ربما تصرفتُ مثل ساقطة...» لم تعد سونجا قادرة على الكلام بعدها. ارتسمت صورة والدها في مخيلتها بوضوح شديد: عيناه الجميلتان، وشفته الأرنبية، وظهره المنحني وساقه العرجاء. تذكرته وهو ينحت لها

من الأغصان وعرانيس الذرة ألعاباً بعد أن ينهي يوم عمله الشاق، وتذكرت قطع الحلوى التي كان يشتريها لها عندما يجد في جيبه قطعة نقود نحاسية، في تلك اللحظة، ارتاحت لأنه متوفى ولم يرَ الكائن القذر الذي أصبحت عليه. لقد علّمها وشدد عليها أن تكون محترمة لكنها لم تفعل، لقد خانت أمها وأباه، اللذين كرّسا نفسيهما للعمل بجد وللاعتناء بها، فقد كانت بمثابة جوهرة حياتهما والكنز الذي حظيا به في هذه الحياة.

ارتبك هانسو: «سونجا، طفلتي العزيزة، ما الذي يزعجك؟ لم يتغير شيء. سأعتني بك وبالطفل. لدي ما يكفي من الوقت والمال لتكوين عائلة ثانية والاعتناء بها كوني على ثقة أنني سأحترم التزاماتي، إني أحبك جداً، لم يسبق لي أن أحببت أحداً بمقدار حبي لكِ. لا أقول هذا لأطمئنك، صدقيني لو الأمر ممكن ما كنت لأتوانى عن الزواج بك، سيحظى طفلنا بكثير من الحب، ولكن لا يمكنني أن أتنكر لزوجتي وبناتي الثلاث ونسيانهن».

«لم يسبق لك أن أخبرتني عنهن. أظن أنني...».

هز هانسو رأسه. لم تعارضه الفتاة من قبل؛ لم يسمع أي كلمة مناقضة تخرج من فمها.

تابعت: «لن أراك مجدداً».

حاول أن يضمها ولكنها صرخت. «ابتعد عني أيها الفاجر الداعر! لا أريد أي صلة بك».

توقف هانسو ونظر إليها، احتاج ليعيد تقييم الفتاة الواقفة أمامه. لم تعبر من قبل عن النار الثائرة الموجودة في جسدها بالكلمات، وعلم الآن أنها قد تكون مختلفة.

«أنت لا تحبني بل في الحقيقة أنت حتى لا تهتم لأمري». شعرت سونجا بالوضوح فجأة. توقعت أن يعاملها بالطريقة التي كان والداها يعاملانها بها. لقد أيقنت أن والديها كانا يفضلان أن تعمل بمهنة وضيعة وشريفة على أن تكون عشيقة رجلٍ غني.

«وماذا ستفعل لو كان الطفل بنتاً؟ أو كان مثل أبي؟ بشفة أرنبية وقدم ملوية؟».

غضّن هانسو جبينه: «ألهذا السبب لم تتزوجي؟».

لم تدفعها أمها يوماً للزواج مع أن العديد من الفتيات اللواتي كن في قريتها تزوجن قبلها بكثير. ولم يتقدم أحد لطلب يدها من أمها، والنزلاء الذين غازلوها لم يكونوا شركاء محتملين جديين. تساءلت سونجا، ربما هذا كان السبب. الآن هي حامل، وربما ستلد طفلاً مشوها كأبيها. كل عام، كانت تنظف قبور إخوتها؛ أخبرتها والدتها أن بعضهم ولدوا بشفة أرنبية. يتوقع هانسو منها أن تنجب له ولداً وسيماً صحيح الجسم، ولكن ماذا لو لم يلبِ الطفل تطلعاته؟ هل سينبذهما؟

«هل كنت تحاولين دفعي للزواج بك لأنك لم تستطيعي الزواج برجل عادي؟».

حتى هانسو أدرك قساوة كلماته. حملت سونجا حزمة الملابس وركضت إلى المنزل.

7

حتى الصيدلاني تشو أولع بالقس القادم من بيونغ يانغ، وبدا عليه السرور لرؤية حاله تتحسن، لقد واظب على عيادة أيزاك كل أسبوع، وعبّر أكثر من مرة عن بالغ سروره لما آلت إليه صحة القس.

قال الصيدلاني من مكانه بالقرب من فراش أيزاك في غرفة التخزين: «لقد شفيت تقريباً، ولكن لا تبارح الفراش الآن». حرك التيار الهوائي القادم من الثقوب المحيطة بالنافذة شعر تشو الأبيض، فوضع اللحاف السميك فوق كتفي أيزاك.

«هل أنت دافئ بما يكفي؟».

«نعم. أنا مدين لك ولأجوموني».

عبس تشو: «لا تزال نحيلاً جداً، أريد أن أراك بديناً، لا أريد أن أرى في المرة القادمة وجنتيك غائرتين. ألا يعجبك الطعام هنا؟». ما إن سمعت يانغجين هذه الكلمات، حتى شعرت وكأنها أهينت في الصميم.

احتج أيزاك: «الوجبات رائعة. إنني آكل أكثر بكثير مما أدفع، الطعام هنا أفضل من ذاك الذي في المنزل». ابتسم أيزاك ليانغجين وسونجا، اللتين كانت تقفان في الرواق.

انحنى تشو نحو صدر أيزاك، حيث وضع سماعته. كان صوت التنفس قوياً ومنتظماً، مثل الأسبوع الماضي. بدا القس في صحة ممتازة.

«اسعل».

أصغى تشو بانتباه لصوت صدر القس. «ما من شك أنك تحسنت، ولكن بما أنك كنت عليل الجسد طوال عمرك، وسبق لك أن أصبت بالسل، يجب علينا توخي الحذر».

«نعم. ولكني أشعر بأنني قوي الآن. سيدي، أرغب بالكتابة لكنيستي في أوساكا لكي أعلمهم بموعد سفري. هذا إن رأيت أنني أستطيع السفر. أرغمني

أخي على أن أحصل على إذنك أولاً» أغمض أيزاك عينيه وكأنه يصلي.

قبل أن تغادر بيونغ يانغ، هل اعتقد أطباؤك أنه يمكنك السفر إلى أوساكا لوحدك؟».

«قيل لي يمكنني السفر، إلا أن الطبيب وأمي لم يشجعاني على مغادرة المنزل. كنت في أفضل حال حين غادرت. ولكن بعدما مرضت أدركت أنه كان عليّ سماع نصيحتهما دون شك. كل ما في الأمر هو أن الكنيسة في أوساكا رغبت بقدومي».

«قال لك الطبيب ألا تغادر، ولكنك غادرت؟» ضحك تشو. «لا يمكن سجن الشبان حسبما أظن. إن كنت راغباً يمكنك المغادرة الآن. ولكن كيف ستتدبر أمرك إن مرضت على الطريق أو حين تصل إلى هناك؟» هز تشو رأسه وتنهد. «ما الذي يمكنني قوله؟ لا يمكنني ردعك، ولكن أعتقد أنه عليك الانتظار».

«كم من الوقت؟».

«أسبوعان على الأقل. ربما ثلاثة».

نظر أيزاك إلى يانغجين وسونجا، وشعر بالحرج.

«أنا أشعر بالسوء لأنني أثقلت كاهلكما وعرضتكما للخطر. حمداً للرب أن أحداً لم يلتقط العدوى. أنا متأسف على كل شيء».

هزت يانغجين رأسها. كان القس ضيفاً نموذجياً؛ حتى إن النزلاء الآخرين حسنوا من سلوكهم اقتداءً بأدب الشاب وأخلاقه، فهو لم يتأخر يوماً عن دفع بدل الإقامة، وشعرت بالراحة لأن صحته قد تحسنت إلى هذا الحد.

أزال تشو سماعته. وقال: «ولكني لست ملحّاً على عودتك إلى المنزل. الطقس هنا أفضل من أجل رئتيك مقارنة بالشمال، والطقس في أوساكا سيكون مشابهاً للطقس هنا. فصل الشتاء ليس قاسياً في اليابان».

أومأ أيزاك برأسه. كان الطقس من أهم العوامل التي أدت إلى موافقة والديه على ذهابه إلى أوساكا.

«حسناً، هل يمكنني أن أكتب للكنيسة في أوساكا؟ ولأخي؟».

سأل تشو: «هل ستأخذ القارب إلى شيمونوسيكي ومن ثم القطار؟» وغير تعابير وجهه. تتطلب الرحلة يوماً أو يومين على الأكثر مع التأخير.

أومأ أيزاك برأسه، مرتاحاً لأن الصيدلي كان يشير إلى أن ذلك ممكن.

«هل تخرج من المنزل؟».

«إلى الفناء فقط. قلت لي أن تلك لم تكن فكرة سديدة».

«حسناً يمكنك ذلك الآن. عليك الذهاب في نزهة أو نزهتين يومياً كل واحدة أطول من سابقتها. تحتاج أن تقوي ساقيك، أنت شاب، ولكنك كنت طريح الفراش طوال الأشهر الثلاثة الماضية». استدار الصيدلاني نحو يانغجين. «راقبي إن كان بإمكانه قطع المسافة إلى السوق. لا يجب أن يذهب وحيداً. قد يقع». ربت تشو على كتف أيزاك قبل أن يغادر مع وعد بالعودة في الأسبوع القادم.

في الصباح التالي، أنهى أيزاك دراسة الإنجيل وصلواته، ثم تناول فطوره في الغرفة الأمامية وحده. فالنزلاء قد غادروا، وشعر بقوة كافية لكي يذهب إلى أوساكا، وأراد أن يباشر بتحضيرات سفره، قبل التوجه إلى اليابان، أراد أن يزور قس كنيسة في بوسان، ولكن لم تسنح له الفرصة لذلك. لم يتواصل معه خوفاً من أن يزوره ويصاب بالعدوى. شعر أيزاك بتحسن في ساقيه، فهما لم تعودا ضعيفتين كما كانتا، وبما أنه قضى معظم حياته داخل المنزل، تعلم كيفية الحفاظ على رشاقته بطرق مبتكرة.

أتت يانغجين من أجل أن تنظف صينية الفطور، وأحضرت له شاي الشعير فشكرها.

قال مبتسماً: «أعتقد أنني أرغب في الذهاب في نزهة. يمكنني الذهاب وحيداً».

لم تستطع يانغجين أن تبقي تعابيرها جامدة، لا يمكنها أن تسجنه مثل ديك ثمين في قن الدجاج، ولكن ما الذي سيحصل لو وقع؟ كانت المنطقة المجاورة لمنزلها مقفرة، إن سار بالقرب من الشاطئ وتعرض لحادث فلن يراه أحد.

«لا يجدر بك الذهاب وحدك، سيدي». كان النزلاء في العمل أو في البلدة يقومون بأشياء لا تريد معرفتها. لم يكن هنالك أحد لمرافقته حالياً.

عض أيزاك شفتيه. إن لم يقوَ ساقيه، فسيتأخر سفره.

«سيكون هذا عبئاً كبيراً» توقف. «أنت تملكين كثيراً من العمل، ولكن ربما يمكنك أخذي لوقتٍ قصير فقط». كان أمراً شائناً أن يدعو رجل امرأة للسير معه

على الشاطئ، ولكن أيزاك شعر أنه سيجن إن لم يتنزه في الخارج الآن. «إذا كنت لا تستطيعين القدوم، أتفهم ذلك. سأذهب في نزهة قصيرة جداً بالقرب من الماء. لدقائق معدودة».

عاش كفتى حياة شخصٍ غير صالح ولكن صاحب امتيازات. كان المدرسون والخدام أعز أصدقائه. فعندما يكون الطقس جيداً ولا يجد في نفسه القدرة على المشي، كان الخدام أو شقيقه الأكبر يحملونه على ظهورهم. إن كان يريد الطبيب أن يحصل الفتى على الهواء النقي، كان البستاني النحيل جداً يضعه في عربة وينزهه في البستان، سامحاً له بقطف التفاح من الأغصان المنخفضة. كاد أيزاك يشمّ عطر التفاح الحلو ويحس بثقل التفاحة الحمراء في يديه ويتذوق لذة أول قضمة، وعصيرها يتسرب على معصمه. لقد اشتاق إلى المنزل، وتذكر الأيام التي كان يُحتجز فيها في غرفته متوسلاً أن يُوافق له على رؤية نور الشمس.

كانت يانغجين تجثو على ركبتيها، ويداها الصغيرتان الخشنتان مثنيتان على حضنها وهي لا تعرف ما عليها قوله. لم يكن من الملائم أن تسير المرأة مع رجل ليس من أفراد عائلتها. كانت أكبر منه سناً، لذا لم تخف من القيل والقال، ولكن لم يسبق لها أن مشت مع رجل سوى والدها أو زوجها.

نظر إلى وجهها القلق. شعر بالسوء لطلبه المزيد منها.

«لقد فعلتِ الكثير بالفعل، وها أنا أطلب المزيد».

سوّت يانغجين ظهرها. لم يسبق لها أن ذهبت في نزهة استجمامية على الشاطئ مع زوجها. لقد عانى هوني خلال حياته القصيرة من كثير من الألم في ظهره بسبب رجله العرجاء، لم يكن يعبر عن ألمه، وكان يحتفظ بطاقته من أجل العمل الواجب عليه تأديته. كم أراد أن يركض مثل فتى طبيعي، وأن يستنشق عميقاً الهواء البحري ويطارد النوارس؛ الأشياء التي قام بها كل طفل تقريباً في يونغدو وهو يكبر.

قال: «هنالك جانبٌ أناني جداً مني، أنا متأسف». قرر أيزاك أن ينتظر حتى يتمكن أحد النزلاء من أخذه.

نهضت يانغجين. وقالت: «ستحتاج إلى معطفك، سأجلبه».

رائحة أعشاب البحر القوية، وزبد الأمواج الرغوي على الشاطئ الصخري، وخلاء المشهد الأزرق الرمادي من كل شيء عدا العصافير البيضاء التي تحوم فوقهما - جعلت مشاعره جياشة بعد أن احتجز لمدة طويلة في غرفة التخزين الصغيرة. دفأت شمس الصباح رأس أيزاك المكشوف. لم يثمل من قبل بشرب النبيذ، ولكنه تخيل أن هذا هو شعور المزارعين حين يرقصون خلال تشوسيوك بعد تجرعهم كثيراً من الكؤوس. على الشاطئ حمل أيزاك حذاءه بيده، وسار بثبات، لم يشعر بأي أثر للمرض في جسده الطويل والنحيل. صحيح أنه لم يشعر أنه قوي، ولكنه شعر أنه أفضل حالاً من ذي قبل.

قال من دون أن ينظر إليها: «شكراً لك». توهج وجهه الشاحب في نور الصباح. وأغمض عينيه وتنفس بعمق.

نظرت يانغجين إلى الشاب المبتسم. اعتقدت أنه كان فيه براءة، نوع من الطفولة التي لا يمكن حجبها، وأرادت أن تحميه.

«لقد كنت طيبة للغاية».

ردت على هذا بتلويحة من يدها، لم تعلم ما عليه فعله بهذا الامتنان. كانت يانغجين بائسة، لم تكن تملك الوقت لترف مثل هذه النزهة، والخروج من المنزل جعل الثقل الكبير الذي في قلبها يتجسد؛ كان يضغط عليها من الداخل.

«هل يمكنني أن أطرح عليك سؤالاً؟».

«همم؟».

«هل ابنتك على ما يرام؟».

لم تجب يانغجين. شعرت وهما يسيران إلى الطرف الآخر من الشاطئ وكأنها في مكان آخر، مع أنها لا تعرف أين. لم يكن هذا المكان مثل الشاطئ الموجود خلف بيتها، على بعد خطوات قليلة من فنائها. كان وجودها مع القس الشاب مربكاً، ولكن السؤال الذي طرحه زاد من ارتباكها. ما الذي لاحظه ودفعه للسؤال عن سونجا؟ قريباً، سيكون بطنها المنتفخ واضحاً، ولكنها لم تبدُ مختلفة كثيراً الآن. ماذا سيكون رأي القس بهذا؟ هل كان ذلك مهماً؟

قالت: «إنها حامل». لم تجد حرجاً في إخباره.

«لا بد أن الأمر صعب بالنسبة إليها بينما زوجها بعيد».

«إنها غير متزوجة».

لم يكن مستغرباً أن يظن أن والد الطفل يعمل في اليابان في منجم أو مصنع.

«هل الرجل...؟».

«لم تقل شيئاً». أخبرتها سونجا أن الرجل كان متزوجاً بالفعل ولديه أطفال. لم تعلم يانغجين أي شيء آخر. ولكنها لم تخبر القس؛ كان ذلك مخزياً.

بدت المرأة بائسة. كان النزلاء يجلبون الصحف لأيزاك لكي يقرأها أمامهم بصوت عال، ومؤخراً، كانت كل قصة يقرأها حزينة. شعر بحسٍّ من الانكسار لدى الناس. فقد مرّ عقدان وكوريا ترزح تحت نير الاحتلال، ولم ير أحد نهاية لذلك. بدا الأمر وكأن الجميع قد استسلموا.

«تحصل هذه الأمور في كل العائلات».

«لا أعلم ما الذي سيحصل لها. لقد دمرت حياتها، ربما كان زواجها في الماضي صعباً، لكنه الآن...».

لم يفهم.

«بسبب حالة زوجي. لا يريد الناس هذا الشيء في سلالتهم».

«أفهم ما ترمين إليه».

«من الصعب أن تكون المرأة من دون رجل، ولكن إن حملت طفلاً دون زوج، لن يوافق الجيران على ذلك أبداً. وما سيكون مصير طفل لا يملك اسماً ولا ينسب لأب؟ لا يمكن تسجيله تحت اسم عائلتنا». لم يسبق لها أن تحدثت إلى غريب بمثل هذه الراحة. أكملت يانغجين سيرها، وأخذت تسير بتؤدة.

منذ أن سمعت بالخبر، حاولت أن تفكر بأي طريقة لجعل الأمر أسهل، ولكنها لم تستطع أن تجد شيئاً. لا يمكن لشقيقاتها غير المتزوجات أن يساعدنها، فوالدها متوفى منذ وقت طويل، ولم تكن تملك أشقاء.

ما أخبرته به فاجأه لكن ليس إلى حد كبير، فقد سمع بقصص مشابهة في كنيسته، ففي أثناء الاعتراف يسمع القس كثيراً من الأمور.

«وهل يتهرب الرجل من تحمل مسؤوليته؟».

«لا أعلم. لا تتحدث عنه، ولم أتطرق لهذا الأمر مع شخص سواك، أعلم أن عملك يفترض به تقديم النصيحة والمشورة للناس، ولكننا لسنا مسيحيين. أنا أعتذر».

«لقد أنقذت حياتي، كنت لأموت لو لم تؤوني وتعتني بي، لقد فعلت ما هو أكثر بكثير مما تفعله صاحبة نزل لضيفها».

«توفي زوجي بالسل، وأنت رجل شاب، يفترض بك أن تشفى وتعيش حياة مديدة».

تابعا السير، ولم تبدُ يانغجين راغبة بالعودة. حدقت إلى المياه الخضراء الفاتحة، وشعرت برغبة في الجلوس؛ كانت فجأة متعبة.

«هل يمكنني التحدث إليها؟».

«ألست مصدوماً؟».

«بالطبع لا. تبدو سونجا كفتاة مسؤولة، لا بد أن هنالك سبباً لهذا. أجوموني، لا بد أن الأمر يبدو مروعاً الآن، ولكن الطفل نعمة من الرب».

لم يكن هنالك تغير في تعابير يانغجين الحزينة. «أجوموني، هل تؤمنين بالرب؟».

هزت رأسها نافية. «قال زوجي إن المسيحيين ليسوا أناساً سيئين، وقد ناضل بعض منهم في سبيل الاستقلال. أصحيح ما أخبرني إياه؟».

«نعم، قاتل أساتذتي في المدرسة الدينية في بيونغ يانغ من أجل الاستقلال، حتى أن شقيقي الأكبر قضى نحبه عام 1919 وهو يناضل في سبيل الاستقلال».

«هل أنت سياسي أيضاً؟» بدت قلقة؛ أخبرها هوني أن عليهم أن يتجنبوا إيواء الناشطين لأنهم خطيرون. «مثل شقيقك؟».

«كان شقيقي صموئيل وطنياً، وقادني إلى المسيح، كان شقيقي رجلاً رائعاً شجاعاً وطيباً».

أومأت يانغجين برأسها. أراد هوني الاستقلال لكوريا، ولكنه اعتقد أن الرجل عليه الاعتناء بعائلته أولاً.

«لم يرد زوجي أن نتبع أحداً؛ لا المسيح ولا بوذا ولا الإمبراطور ولا حتى

القادة الكوريين».

«أتفهم ذلك».

«كثيرة هي الأشياء المريعة التي تحصل هنا».

«يتحكم الرب بكل شيء، ولكننا لا نفهم السبب. أحياناً لا يعجبنا قدره. إن الأمر محبط».

هزت يانغجين كتفيها.

قال أيزاك: «نحن نعلم أن الرب يجعل كل الأمور تتضافر في صالح من يحب الرب، لأولئك الذين يدعوهم وفقاً لهدفه» وهو يستشهد بمقطع مفضل من الإنجيل، ولكن كان يمكنه أن يلاحظ عدم تأثر يانغجين، وفكر بأنها وابنتها لم تؤمنا بالله لأنهما لم تكونا تعرفانه.

«أنا أشعر بالأسف لأنك تعانين. أنا لست والداً، ولكن أعتقد أن الآباء يتألمون بسبب أولادهم».

كانت صاحبة النزل غارقة في الحزن.

قالت: «أنا مسرورة لأنك استطعت التنزه قليلاً اليوم».

رد عليها: «أنا أتفهم إن كنت غير مؤمنة».

«هل تراقب عائلتك جيسا؟».

ابتسم أيزاك: «لا». لم يكن أي فردٍ من عائلته يراقب طقوس الميتين. وكذلك حال البروتستانتيين الذي عرفهم.

«لم يعتقد زوجي أنها كانت ضرورية، هذا ما أخبرني، ولكنني كنت أحضر مع ذلك مأكولاته المفضلة وأحضر مذبحاً له. أقوم بذلك من أجل والديه ووالدي. كان والداه يعتقدان بذلك، لقد عاملاني بشكل جيد. إنني أتحدث مع الأموات بالرغم من أنني لا أؤمن بالأشباح، ولكنني أشعر بالتحسن حين أتحدث إليهم. ربما هذا ما هو الرب عليه. الرب الطيب لن يدع أطفالي يموتون، لا يمكنني أن أؤمن به. لم يرتكب أطفالي أي خطأ».

نظر إليها بعناية: «أوافقك الرأي. لم يرتكبوا خطأ، ولكن لو قام الرب بكل ما نريد وبكل ما هو جيد لما خلق الكون. كان سيصبح دمية بين أيدينا، لن يكون

رباً. الأمر أعمق مما نتخيل».

لم تقل يانغجين شيئاً، ولكنها شعرت بالهدوء بشكل غريب.

«إن أرادت سونجا التكلم إليك، ربما ستساعدها. لا أعلم كيف، ولكن ربما سيحصل ذلك».

«سأطلب منها غداً التحدث إليّ». استدارت يانغجين وسار أيزاك بالقرب منها.

8

بعد أن فرغ أيزاك من كتابة الرسالة لأخيه، نهض عن الطاولة المنخفضة، وفتح النافذة الضيقة في الغرفة الأمامية. وتنشق ملء رئتيه الهواء النقي، ولم يؤلمه صدره. خلال حياته، تحدث الجميع ممن كانوا حوله عن حتمية موته المبكر. لقد عانى منذ طفولته وطيلة شبابه من أمراض في صدره وقلبه ومعدته. بناءً على ذلك، لم تعلق آمالاً عراضاً على مستقبله. حين تخرج أيزاك من المدرسة الدينية، كان متفاجئاً أنه عاش حتى هذا اليوم. الأمر الغريب هو أن كل هذا الكلام عن موته المحتوم لم يثبط عزيمته. أصبح معتاداً تقريباً على الموت؛ عززت هشاشته قناعته بأنه عليه أن يفعل شيئاً ذا قيمة طالما لديه وقت لذلك.

شقيقه الأكبر صموئيل، بكر والديه، لم يصب بالمرض قط، ولكنه مات شاباً، بعد أن اعتقلته شرطة الاحتلال، وزجت به في السجن حيث ضرب حتى فارقته الروح. حينها قرر أيزاك أنه سيعيش حياةً أكثر شجاعة. أمضى شبابه في المنزل مع عائلته وأساتذته، وكان بأفضل صحة اختبرها حين داوم في المدرسة الدينية بينما كان يعمل مساعداً للقس في كنيسة مدينته، وآمن أيزاك أن شقيقه الميت كان يرعاه الآن، بطريقة مماثلة لما كان يفعل حين كان أيزاك فتى صغيراً.

الأخ يوسب، الأوسط من عائلة بايك، لم يكن متديناً مثل صموئيل أو أيزاك، ولم يكن يحب المدرسة أبداً، غادر عند أول فرصة إلى اليابان باحثاً عن حياة مختلفة، علّم نفسه أن يصبح ميكانيكياً، ويعمل الآن كرئيس للعمال في معمل في أوساكا. أرسل طلباً لكيونغي، ابنة عائلة صديقة لطيفة، وتزوجا في اليابان، ولم ينجبا أطفالاً. كانت فكرة يوسب أن يأتي أيزاك إلى أوساكا، ووجد له عملاً في الكنيسة. شعر أيزاك أن يوسب سيتفهم قراره بالزواج من سونجا، فيوسب شخص منفتح الذهن ذو طبيعة كريمة. كتب أيزاك العنوان على الظرف وارتدى معطفه.

حمل صينية الشاي، ووضعها على منضدة المطبخ. قيل له عدة مرات أنه

يجب عليه ألا يعيد الصينية إلى المطبخ، لأنه لا يسمح للرجال بالدخول إليه، ولكن أيزاك أراد أن يفعل شيئاً من أجل النساء اللواتي كن يعملن طوال الوقت. كانت سونجا تقشر الفجل بالقرب من الفرن مرتدية الهانبوك الأبيض القطني تحت سترة داكنة مبطنة. بدت أصغر من سنها، واعتقد أنها تبدو جميلة حين تركز على ما تقوم به. لم يستطع أن يفرق إذا ما كانت حاملاً وهي ترتدي الشيما التي تغطي جسدها بأكمله. كان من الصعب تخيل التغيرات في جسد المرأة، فهو لم يسبق له أن كان مع امرأة من قبل.

أسرعت سونجا لتأخذ الصينية. «دعني آخذها منك لو سمحت».

أعطاها الصينية، وفتح فمه ليقول شيئاً، ولكنه لم يعرف كيف.

نظرت إليه: «هل أنت بحاجة إلى شيء ما سيدي؟».

«كنت آمل أن أذهب اليوم إلى البلدة، لأرى أحداً». أومأت سونجا برأسها وكأنها تفهم ما قاله.

«السيد جون، رجل الفحم، موجود في نهاية الشارع وسيتوجه إلى البلدة. أتريد أن أطلب منه مرافقتك؟».

ابتسم أيزاك. كان يخطط لأن يطلب منها مرافقته، لكن الشجاعة فارقته فجأة.

«نعم، إن كان جدول السيد جون يسمح بذلك. شكراً لك».

أسرعت سونجا إلى الخارج لتبحث عنه.

شيدت الكنيسة من أساسات مدرسة مهجورة خشبية. كانت تقع خلف مكتب البريد. أرشده رجل الفحم إليها ووعده أن يعيده إلى النزل لاحقاً.

«عليّ أن أؤدي بعض المهام. ثم سأرسل بريدك».

«هل تعرف القس شين؟ أتريد التعرف إليه؟».

ضحك جون: «ذهبت إلى الكنيسة مرة واحدة. يكفي ذلك».

لم يحب جون الذهاب إلى أماكن تطلب المال، ولم يحب الرهبان الذين يجمعون الصدقات كذلك. بالنسبة إليه الدين ذريعة للرجال المثقفين كي لا يقوموا بعمل حقيقي. لم يبدُ القس الشاب من بيونغ يانغ كسولاً، ولم يطلب من جون شيئاً. لذا، أعجب به وأحب فكرة أن يصلي أحد ما لأجله.

«شكراً لك لأنك رافقتني».

«لا داعٍ للشكر. لا تغضب لأنني لا أريد أن أكون مسيحياً، كما ترى أيها القس بايك، أنا لستُ رجلاً جيداً، ولكني لست سيئاً أيضاً».

«سيد جون، أنت رجل جيد جداً. أنت من قادني إلى النزل في الليلة التي تهت فيها، كنت مصاباً بدوار شديد ليلتها، وبالكاد استطعت نطق اسمي، لم تفعل شيئاً سوى مساعدتي».

ابتسم رجل الفحم. لم يعتد أن يشيد أحد به.

ضحك مجدداً: «حسناً، إن كنت تعتقد ذلك. سأنتظرك في الجهة المقابلة من الشارع عند كشك الزلابية بالقرب من مكتب البريد. سألقاك هنالك بعد أن أنتهي من مهامي».

كانت خادمة الكنيسة الصماء والبكماء تتمايل وهي تمسح أرضية الكنيسة مرتدية معطفاً رجالياً مرقعاً فضفاضاً. عندما أحست باهتزاز خطوات أيزاك، تركت ما تقوم به واستدارت، ممسكة بعصا الممسحة وبدت متفاجئة برؤية الزائر، قالت شيئاً ما ولكن لم يفهم أيزاك ما الذي قالته.

ابتسم لها: «مرحباً، أنا هنا لرؤية القس شين».

هرولت الخادمة إلى الجهة الخلفية من الكنيسة، وعلى الفور خرج القس شين من مكتبه. كان في بدايات الخمسين من عمره، وغطت نظارة عينيه البنيتين الغائرتين. لا يزال شعره القصير أسود، وكان قميصه الأبيض وسرواله الرمادي مكويين. بدا كل ما فيه منظماً.

«أهلاً بك». ابتسم القس شين للشاب الوسيم ذي البذلة الغربية. «كيف يمكنني مساعدتك؟».

«اسمي أيزاك بايك، راسلك أساتذتي في المدرسة الدينية على ما أظن».

«القس بايك! أخيراً وصلت! ظننت أنك ستصل قبل أشهر. سررت بلقائك. تعال، مكتبي في الخلف. إن الجو أكثر دفئاً هنالك». طلب من الخادمة أن تحضر لهما الشاي.

«كم قضيت من الوقت في بوسان؟ لقد تساءلنا عن موعد قدومك. أنت متجه

إلى الكنيسة الشقيقة في أوساكا؟».

لم يكن هنالك فرصة للإجابة عن أسئلته. كان القس الأكبر سناً يتكلم بسرعة من دون التوقف لسماع رد أيزاك. درس القس شين في المدرسة الدينية في بيونغ يانغ منذ أن أسست تقريباً، وكان مسروراً لرؤية متخرج جديد، وكان أساتذة أيزاك في المدرسة الدينية أصدقاءً له.

«أين تقيم؟ سنعد لك مكاناً هنا. أين هي أغراضك؟». شعر شين بالبهجة. لقد مضى وقت طويل على المرة الأخيرة التي استقبلوا بها قساً شاباً. غادر الكثيرون من المبشرين الغربيين البلاد بسبب حملة الحكومة اليابانية لفرض النظام، وقلّ عدد الشبان الذين ينضمون إلى الكهنوت. شعر شين مؤخراً بالوحدة. «أرجو أن تبقى قليلاً».

ابتسم أيزاك.

«أعتذر لأنني لم أتصل بك مسبقاً. نويت القدوم، ولكني كنت مريضاً للغاية، وكنت مقيماً في نزل في يونغدو. كانت كل من أرملة كيم هوني وابنتها تعتنيان بي. هل تعرفهما؟».

هز القس شين رأسه.

«لا، لا أعرف كثيراً من الناس على جزيرة يونغدو. سآتي لرؤيتك هناك قريباً. تبدو بصحة جيدة. صحيح أنك تبدو نحيلاً بعض الشيء، ولكن يبدو أن الجميع لا يأكلون ما يكفي مؤخراً. هل أكلت؟ لدينا بعض الطعام».

«لقد أكلت، شكراً لك».

حين حضر الشاي، أمسك الرجلان بأيدي بعضهما وصليا، حامدين الرب على وصول أيزاك بأمان.

«أنت تتحضر للذهاب إلى أوساكا قريباً؟».

«نعم».

«جيد، جيد».

تحدث القس الكبير مطولاً عن المشاكل التي تواجهها الكنائس. فقد ازداد عدد الناس الذين يخشون حضور القداس هنا وفي اليابان لأن الحكومة لا ترضى

بذلك، وهذا ما حمل المبشرين الكنديين على المغادرة.

بالرغم من أن أيزاك كان يعلم بهذه التطورات المؤسفة، إلا أنه شعر بالجاهزية لمواجهة العواقب. فقد سبق لأساتذته أن ناقشوا موضوع السلطة وعلاقتها بالكنيسة. كان أيزاك صامتاً.

سأل شين: «هل أنت على ما يرام؟».

«سيدي، أتساءل إن كان يمكننا التكلم. التكلم عن سفر هوشع».

«أوه بالطبع». بدا القس شين مرتبكاً.

سأل أيزاك: «يقدّر الرب أن يتزوج النبي هوشع ببنت هوى ويربي أطفالاً ليسوا أطفاله. أعتقد أن الرب فعل ذلك ليعلم الرسول شعور المرء حين يتزوج شخصاً يخونه باستمرار. أليس هذا صحيحاً؟».

قال القس شين بصوت جهوري: «نعم، من بين أمور أخرى. ويطيع النبي هوشع الله». كان قد وعظ حول هذا الأمر من قبل.

«يستمر الرب برعايتنا حتى حين نخطئ، يستمر بحبنا، بطريقة أو بأخرى، تحاكي طبيعة حبه لنا زواجاً دائماً، أو طريقة حب أب أو أم لطفل غير شرعي. طُلب من هوشع أن يكون مثل الرب حين اضطر لحب شخص من الصعب حبه. من الصعب أن نكون محبوبين حين نخطئ؛ الخطيئة إثم عند الرب». نظر شين متفحصاً وجه أيزاك ليرى إن وصلته الفكرة.

أومأ أيزاك برأسه. «هل تعتقد أنه من المهم بالنسبة إلينا أن نشعر مثل الرب؟».

«نعم بالطبع. حين تحب أحداً ما، لا تستطيع سوى أن تشاركه ألمه. إن كنا نحب الرب، ولا نخشاه فقط أو نريد أشياء منه، فعلينا أن ندرك مشاعره؛ لا بد أنه في عذاب بسبب خطايانا. علينا أن نفهم هذا العذاب. فالرب يتعذب معنا، ويعاني مثلنا، إن معرفة هذا تشعرنا بالمواساة. أن نعرف أننا لسنا وحيدين حقاً في معاناتنا».

«سيدي، صاحبة النزل وابنتها أنقذتا حياتي. وصلت إلى منزلهما وأنا مصاب بالسل، واعتنتا بي طوال أشهر ثلاثة».

أومأ القس شين برأسه متفهماً.

«ما فعلتاه أمر رائع».

«سيدي، الفتاة حامل بطفل، ووالد الطفل هجرها. إنها غير متزوجة وسيكون الطفل بلا اسم».

بدا شين قلقاً.

«أعتقد أنه عليّ طلب يدها للزواج، إن وافقت، سآخذها إلى اليابان كزوجة لي. إن وافقت، سأطلب منك أن تزوجنا قبل مغادرتنا. سيشرفني لو...».

غطى القس شين فمه بيده اليمنى. كان المسيحيون يفعلون مثل هذه الأمور - يضحون بممتلكاتهم وبحياتهم حتى - ولكن يجب اتخاذ مثل هذه القرارات لأسباب مقنعة وبحذر. قال القديسان بطرس وبولس: «امْتَحِنُوا كُلَّ شَيْءٍ. تَمَسَّكُوا بِالْحَسَنِ».

«هل كتبت لوالديك حول هذا؟».

«لا، ولكنني أعتقد أنهما سيتفهمان الأمر. رفضت الزواج من قبل، ولم يتوقعا مني أن أفعل ذلك، ربما سيكونان مسرورين».

«لماذا رفضت الزواج من قبل؟».

«لقد كنت ضعيفاً منذ ولادتي. لقد تحسنت على مدى الأعوام القليلة الماضية، ولكني مرضت مجدداً خلال رحلتي إلى هنا. لم يتوقع أحد أن أبلغ الخامسة والعشرين، وها أنا بعمر السادسة والعشرين الآن». ابتسم أيزاك. «إن تزوجت وأنجبت أطفالاً، فقد أجعل من زوجتي أرملة ومن أطفالي يتامى».

«نعم، فهمت».

«وفقاً لوضعي الصحي فإنه يفترض بي أن أكون ميتاً الآن، ولكنني لا أزال على قيد الحياة».

«أنا مسرور جداً لذلك. حمداً للرب». ابتسم شين للشاب، لم يعلم كيف عليه أن يحميه من رغبته بالقيام بمثل هذه التضحية الكبيرة. كان مرتاباً أكثر من أي شيء آخر. لولا الرسائل التي كتبها له أصدقاؤه في بيونغ يانغ والتي مدحوا فيها ذكاء أيزاك وكفاءته، لاعتقد شين أن أيزاك رجل متدين وإنما متهور.

«ما رأي الشابة بهذه الفكرة؟».

«لا أدري. لم أتحدث إليها، بالأمس أخبرتني أمها بحالها، وقبل صلواتي

المسائية ليلة أمس، خطر لي أن أمنح ابن المرأة اسمي. ما هي قيمة اسمي بالنسبة إليّ؟ أنعم الرب عليّ بأني قد ولدت ذكراً يمكنه أن يضع أحفاده في سجل العائلة. إن نُبذت المرأة من قبل نذل ما، فذلك ليس خطأها، وبالتأكيد، حتى لو كان الرجل شخصاً سيئاً، لكن الطفل بريء. ما هو ذنبه كي يعاني؟ سيكون منبوذاً».

لم يكن شين قادراً على موافقته الرأي.

«إن سمح الرب لي بالعيش، سأحاول أن أكون زوجاً جيداً لسونجا وأباً صالحاً لهذا الطفل».

«سونجا؟».

«نعم إنها ابنة صاحبة النزل».

«إن إيمانك قوي يا بني، ونواياك حسنة، ولكن...».

«يجب أن لا ينبذ أي طفل؛ ذكر في الإنجيل أن النساء والرجال صلوا بصبر لإنجاب طفل. حين يتضح أن أحداً ما عاقر أو عقيم يصبح منبوذاً، أليس كذلك؟ إن لم أتزوج وأنجب أطفالاً، سأكون مثل رجل عقيم». لم يفكر أيزاك بهذا الأمر من قبل، وشعر بغرابة وبإيجابية بسبب هذه الرغبة في الحصول على زوجة وعائلة.

ابتسم شين للقس الشاب. بعد أن فقد أولاده الأربعة وزوجته بسبب الكوليرا قبل خمس سنوات، وجد شين أنه غير قادر على قول الكثير حيال الفقدان. كل ما يقوله المرء يبدو عفوياً وسخيفاً. لم يفهم من قبل المعاناة بهذه الطريقة حقاً حتى فقدهم. أصبح ما تعلمه عن الرب وعلم اللاهوت أكثر وضوحاً وخصوصية بالنسبة إليه بعد أن خسر عائلته بهذا الشكل الشنيع. لم يضعف إيمانه، ولكن تبدل طبعه بشكلٍ ملحوظ إلى الأبد. كان الأمر وكأن غرفةً دافئة أصبحت باردة فجأة، مع أنها كانت الغرفة ذاتها. كان شين معجباً بهذا المثالي الجالس أمامه، كانت عيناه اليافعتان تشعان بالإيمان، ولكن كشخصٍ أكبر من أيزاك سناً، أراد منه أن يعتني بنفسه.

«بدأت صباح البارحة بدراسة هوشع، وبعدها ببضع ساعات، أخبرتني أجوموني النزل أن ابنتها حامل. أدركت بحلول المساء أن الرب يتحدث معي، لم يحصل لي هذا من قبل، لم أشعر بهذا النوع من الوضوح من قبل». شعر أيزاك

أنه في مكان آمن ليعترف بهذا. «هل حصل هذا لك من قبل؟» تفقد عيني القس الكبير ليرى هل من شك فيهما.

قال شين: «نعم، حصل لي، ولكن ليس بهذا الوضوح. أسمع صوت الرب حين أقرأ الإنجيل، لذلك نعم، أعتقد أنني أتفهم شعورك، ولكن هنالك مصادفات أيضاً، علينا أن نكون منفتحين على تلك الحقيقة. من الخطير الاعتقاد أن كل شيء هو إشارة من الرب، ربما الرب يتحدث إلينا طوال الوقت، ولكننا لا نعرف كيفية الإصغاء». كان من المحرج الاعتراف بعدم اليقين هذا، ولكنه ظن أنه أمر ضروري.

قال أيزاك: «حين كنت أشبُّ عن الطوق، أذكر ثلاث فتياتٍ على الأقل هُجرن بعد أن أصبحن حوامل. كانت إحداهن خادمة في منزلنا، لقد انتحرت الفتاتان الأخريان. غادرت الفتاة منزلنا إلى عائلتها في وونسان وأخبرت الجميع أن زوجها قد توفي. أمي التي لم تكذب يوماً هي من طلبت منها قول هذا».

قال شين: «تحصل هذه الأمور بتواتر أكبر هذه الأيام، وتحديداً في الأوقات الصعبة».

«أنقذت أجوموني النزل حياتي. قد تكون حياتي مهمة بالنسبة إلى هذه العائلة، لطالما أردت أن أفعل شيئاً مهماً قبل موتي».

أومأ شين برأسه. سمع من أصدقائه في المدرسة الدينية أن صموئيل بايك كان قائداً في حركة الاستقلال.

«قد لا تؤثر حياتي على عدد كبير من الأشخاص مثل شقيقي صموئيل، ولكنها قد تكون شديدة التأثير على بعض الأشخاص، ربما يمكنني مساعدة هذه الفتاة وجنينها. وسيساعدانني، لأنني سأملك حينها عائلة، وهذه نعمة كبيرة كيفما تنظر إلى الأمر».

لم يكن تغير رأي الشاب ممكناً، استنشق القس بعمق وقال: «قبل أن تفعل أي شيء، أرغب بلقائها هي وأمها».

«سأطلب منهما القدوم. طبعاً إن وافقت سونجا على الزواج بي. إنها لا تعرفني جيداً».

هز شين كتفيه: «لا يهم ذلك حقاً، لم أر زوجتي حتى يوم الزفاف. أتفهم

اندفاعك للمساعدة، ولكن الزواج عهد جدي تقطعه أمام الرب. أنت تعلم ذلك. أرجو أن تجلبهما حين تستطيع».

وضع القس الأكبر سناً يديه على كتفي أيزاك وصلى عليه قبل أن يغادر.

حين عاد أيزاك إلى النزل، كان الإخوة شانغ ممددين على الأرض المدفّأة. تناولوا عشاءهم، وكانت النساء ينظفن آخر الأطباق.

غمز الأخ الأكبر غومبو: «ها، كان القس يتنزه في البلدة؟ لا بد أن صحتك جيدة الآن بما يكفي لتحتسي شراباً معنا؟».

إن إقناع أيزاك باحتساء مشروب معهم كان دعابةً ألقاها الأخوة لأشهر.

سأل أيزاك: «كيف كان الصيد؟».

أجاب فاتسو، الأخ الأصغر، على هذا السؤال بخيبة: «لم نجد حوريات».

قال فاتسو: «هذا مؤسف».

سألت يانغجين: «أيها القس، هل ترغب بتناول العشاء الآن؟».

«نعم شكراً لك». خروجه أشعره بالجوع، وقد فرح لأنه شعر بالرغبة في الطعام من جديد.

لم يكن لدى الإخوة شانغ رغبة بالجلوس بشكل منتصب، ولكنهم ابتعدوا ليتركوا له مكاناً. ربت غومبو على ظهر أيزاك وكأنه صديق قديم.

شعر أيزاك وكأنه رجل حقيقي بين النزلاء، وخصوصاً الإخوة شانغ الطيبين، وليس كأنه طالب مريض قضى معظم حياته في الداخل مع الكتب.

جلبت سونجا طاولة منخفضة للعشاء من أجله، سطحها الصغير مغطى بالأطباق الجانبية، وطبق ساخن مليء بالحساء، وقسم مدور كبير من الميليه المبخر وأرز الشعير.

أخفض أيزاك رأسه وصلى، وبقي الآخرون صامتين، حتى رفع رأسه مجدداً.

تذمر فاتسو: «حسناً، يحصل القس الوسيم على أرز أكثر مني. لست متفاجئاً» حاول التظاهر بالغضب أمام سونجا، ولكنها لم تكترث به.

رفع أيزاك الصحن أمام فاتسو: «هل أكلت؟ هنالك الكثير هنا...».

أعاد الأخ الأوسط بين أخوة شانغ، العاقل بينهم، ذراع القس الممدودة إلى

مكانها.

«تناول فاتسو ثلاثة أوعية من الميليه ووعاءين من الحساء. لم يفوّت أية وجبة. إن لم نضمن حصوله على ما يكفي من الطعام، قد يقضم ذراعي! إنه خنزير».

وكز فاتسو شقيقه في أضلاعه.

«الرجل القوي يملك شهية قوية. أنت تغار مني لأن الحوريات تفضلنني عليك، يوماً ما سأتزوج فتاة جميلة من السوق، وأجعلها تعمل بدلاً مني طوال الحياة، وعندها يتوجب عليك إصلاح شباك الصيد وحدك».

ضحك غومبو والشقيق الأوسط، ولكن فاتسو تجاهلهما.

سأل سونجا: «ربما عليّ تناول وعاء آخر من الأرز. هل تبقى أي منه في المطبخ؟».

تدخل غومبو: «ألن تترك القليل للنساء؟ هل هنالك طعام يكفي للنساء؟».

وضع أيزاك ملعقته على الطاولة. أكدت يانغجين: «نعم، لا يزال هناك كثير من الطعام في المطبخ. لا تقلقوا أرجوكم. إن كان فاتسو يريد المزيد من الطعام، يمكننا أن نجلب له القليل».

بدا فاتسو خجولاً.

«أنا لست جائعاً. علينا أن ندخن الغليون». بحث في جيبيه عن التبغ.

قال فاتسو: «حسناً أيها القس أيزاك، هل ستغادرنا قريباً إلى أوساكا؟ أم ستنضم إلينا على القارب وتبحث عن الحوريات؟ تبدو قوياً بما يكفي لكي تسحب الشبك الآن». أشعل الغليون وأعطاه لأخيه الأكبر قبل أن يدخنه بنفسه. «لما قد تترك هذه الأرض الجميلة من أجل مدينة باردة؟».

ضحك أيزاك: «إنني أنتظر الرد من أخي. وحالما أشعر بتحسن يتيح لي السفر، سأذهب إلى كنيستي في أوساكا».

لوّح فاتسو لسونجا بيده، والتي كانت متجهة إلى المطبخ. «فكر بحوريات البحر في يونغدو. لن تجدهن في اليابان».

«إن عرضك مغرٍ، ربما عليّ أن أجد حورية تذهب معي إلى أوساكا».

رفع أيزاك حاجبيه.

«هل يلقي القس دعابة؟» ضرب فاتسو الأرض ببهجة. وأخذ أيزاك رشفة من الشاي خاصته.

«ربما سيكون من الأفضل أن أحصل على زوجة من أجل حياتي الجديدة في أوساكا».

صرخ غومبو: «اترك الشاي. لنسكب لهذا العريس كأساً من الشراب الحقيقي!».

ضحك الإخوة بصوت عالٍ وشاركهم القس الضحك.

في المنزل الصغير، كانت النساء يسمعن كل ما يقوله الرجال. عند سماع فكرة زواج القس، توهج عنق دوكي باللون الخمري، فقد رغبت في أن تتزوج وتمنت أن تكون هي سعيدة الحظ، فرمقتها شقيقتها بنظرة تدل على أنها مجنونة. بعدما أفرغت سونجا صينيات العشاء في المطبخ، أقعت أمام المغسلة النحاسية الكبيرة وبدأت بغسل الأطباق.

9

بعد أن أنهت سونجا تنظيف المطبخ، تمنت لأمها ليلة هانئة وتوجهت إلى غرفة النوم المؤقتة التي تتشاركها مع أمها والخادمتين. عادةً، تخلد سونجا إلى الفراش في الوقت ذاته مثل الأخريات، ولكن خلال الشهر الماضي، بدت تعبة بخلاف سابق أيامها، ولم تعد تستطيع انتظارهن حتى ينهين أعمالهن. لم يكن الاستيقاظ أسهل بكثير، ففي الصباح كانت تشعر وكأن يدين قويتين تدفعان بكتفيها نحو الأرض وتمنعانها من النهوض. خلعت سونجا ملابسها على الفور، وانسلت تحت اللحاف السميك. كانت الأرض دافئة، عندما أراحت رأسها الثقيل على الوسادة.

لم يعد هانسو إلى بوسان. في الصباح الذي تركته فيه على الشاطئ، طلبت من أمها أن تتسوق بالنيابة عنها، مدعيةً أنها تشعر بالدوار ولا يمكنها الابتعاد عن المرحاض الخارجي. استنكفت عن الذهاب إلى السوق طيلة أسبوع. أخيراً، عندما عادت سونجا إلى سابق عهدها بالتسوق من أجل النزل، لم ترَ هانسو في السوق. لقد بحثت عنه كل صباح، لكنها لم تجد له أثراً.

أدفأت الحرارة القادمة من أندول الأرضية الفراش تحتها؛ كانت تشعر بالبرد طوال اليوم. أخيراً، أغمضت عينيها، وأراحت يديها فوق الانتفاخ الطفيف في بطنها. لم يكن في استطاعتها أن تشعر بالطفل بعد، ولكنها أحست بالتغير الذي يطرأ على جسدها. حاسة شمها القوية كانت الأكثر تأثراً بحملها، فكلما سارت أمام أكشاك الأسماك شعرت بالغثيان، وأكثر ما أزعجها رائحة السلاطعين والقريدس، وأخذت أطرافها تتورم، فهذه الفتاة الشابة، لم يكن لديها أدنى فكرة عن الحمل، والتحولات الجسدية التي ترافقه، وبالتالي كان ما يجري في رحمها من نمو لكائن جديد بمثابة سر غامض لا تعرف عن كنهه شيئاً. وتساءلت في سرها: كيف سيكون هذا الجنين عندما يكتمل ويولد. لقد تاقت سونجا أن تتحدث إلى هانسو عن كل

ما تفكر فيه، ولكن أين هو الآن؟

منذ أن اعترفت سونجا لأمها بحملها، لم تتحدث أي منهما مجدداً عن الموضوع، زادت التجاعيد حول فم أمها، وبدت مكفهرة على الدوام، تابعت سونجا عملها أثناء النهار بأمانة، ولكن أثناء الليل، قبل أن تخلد إلى الفراش، كانت تتساءل إن كان يفكر بها وبطفلها.

لو وافقت أن تكون عشيقته، وانتظرت زيارته لها، لكانت قادرة على الحفاظ عليه. كان ليذهب لزيارة زوجته وبناته في اليابان كلما أراد، ولكن بدا هذا الترتيب مستحيلاً بالنسبة إليها، وحتى خلال ضعفها الحالي، بدا ذلك مخيباً للآمال. اشتاقت إليه، ولكن لم تستطع تخيل فكرة مشاركة حبه مع امرأة أخرى.

كانت سونجا غبية، ما الذي جعلها تظن أن رجلاً بعمره ومكانته لا يملك زوجة وأطفالاً؟ إن فكرة زواجه بفتاة ما فلاحة جاهلة كانت منافية للعقل والمنطق. فالرجال الأثرياء يملكون زوجات وعشيقات، وأحياناً يقمن في منزل الزوجية، ولكن لم يكن في وسعها أن تكون عشيقته. كان والدها المعاق يحب أمها، التي تربت في حال أفقر من معظم الناس؛ كان يقدسها. قبل وفاته، كانوا يتناولون العشاء معاً كعائلة على نفس الطاولة المنخفضة بعد أن ينتهي النزلاء من تناول وجباتهم. كان يمكن لوالدها أن يتناول الطعام قبل النساء، ولكنه لم يرد ذلك. عندما يأكلون معاً كان يضمن حصول زوجته على كمية اللحم والسمك نفسها التي حصل عليها. وفي الصيف وبعد يوم عمل طويل، كان يجلب البطيخ الأحمر لأنه المُفضل لدى زوجته، وفي كل شتاء كان يقطف القطن من أجل حشو ستراتهم، وإن لم يكن هنالك ما يكفي لذلك، كان يدعي أن سترته لم تكن تحتاج إلى مزيد من الحشو.

لطالما قالت لها أمها: «والدك ألطف أب في هذه البلاد». وكانت سونجا فخورة بحبه لهما، بفخر يحاكي فخر طفل من عائلة ثرية تمتلئ جوالات أبيه بالأرز والشعير والقطع الذهبية.

مع ذلك، لم تكن تستطيع التوقف عن التفكير بهانسو. كلما كانت تلتقي به عند الخليج، كانت السماء الصافية والمياه الملونة بلون حجر اليشم تختفي من أمام عينيها، تاركةً فقط صورة عنه، متسائلة كيف انتهى وقتهما سوية بهذه السرعة،

وما هي القصة المسلية التي سيرويها لها؟ وما يمكنها أن تفعله لتجعله يبقى معها لدقائق أخرى؟

لذا، حين كان يحشرها بين صخرتين كبيرتين ويفك حزام بلوزتها الطويل، كانت تدعه يفعل ما يشاء مع أن الهواء البارد كان يلسعها. كانت تذوب في فمه وجلده الدافئين، وعندما كان يضع يديه تحت تنورتها الطويلة ويرفع مؤخرتها نحوه، كنت تعي أن هذا ما يريده الرجل من زوجته، كان الجنس ينبه حواسها، وبدأ جسدها ينتظره بفارغ الصبر، واثقة أن هانسو لن يفعل إلا ما هو الأفضل والأكثر متعة لها.

أحياناً كانت تتخيل أنها لو حملت كومة الملابس فوق رأسها وسارت إلى الشاطئ، ستجده بانتظارها عند الصخرة بالقرب من المياه الصافية، وصحيفته المفتوحة ترفرف في الهواء مصدرة الأصوات. كان يرفع الحزمة عن رأسها، ويداعب جديلتها بلطف ويقول: «يا فتاتي، أين كنت؟ هل تعلمين أنني سأنتظرتك حتى الصباح». في الأسبوع الماضي، احتاجت له كثيراً لدرجة أنها اختلقت عذراً في ظهيرة أحد الأيام وركضت إلى الخليج، بالطبع، لم يكن ذهابها ذا جدوى. لم تعد الحصاة الموسومة بالطباشير موجودة في الشق، كانت ثكلى لأنها كانت تريد أن ترسم حرف X وتتركها في شقوق الصخور لتريه أنها عادت من جديد وانتظرته.

لقد اهتم لأمرها؛ فكرت أن مشاعره نحوها كانت صادقة فهو لم يكن كاذباً، وكان في ذلك القليل من العزاء. فتحت سونجا عينيها فجأة حين سمعت الخادمتين تضحكان في المطبخ، ثم صمتتا. لم يكن هنالك أي صوت صادر من أمها. رفعت سونجا جسدها بعيداً عن الباب لتواجه الجدار الداخلي، ووضعت يدها على وجنتها لتقلد لمسته. كلما رآها، كان يلمسها باستمرار، وكأنه لم يستطع أن يكبح نفسه؛ بعد ممارسة الجنس، كانت إصبعه تداعب صفحة وجنتيها وتتنقل من ذقنها الصغير والمستدير إلى ثنية أذنيها وصولاً إلى المساحة المتسعة في جبينها الشاحب. لماذا لم تلمسه من قبل هكذا؟ لماذا لم تبادر إلى لمسه وإن لمرة واحدة، كان هو من يمد يده إليها. في الوقت الراهن إنها تتوق للمس وجهه لتحفظ الخطوط الطويلة لعظامه.

في الصباح، ارتدى أيزاك كنزته الزرقاء الصوفية فوق قميصه الداخلي وقميصه الرسمي وجلس على الأرض في الغرفة الأمامية مستخدماً طاولة طعام منخفضة كمكتب له. بعد أن غادر النزلاء عم الهدوء أرجاء النزل، ما عدا أصوات النساء اللواتي كن يعملن. كان إنجيل أيزاك مفتوحاً على الطاولة؛ لم يبدأ أيزاك بدراسته الصباحية بعد، لأنه لم يستطع التركيز. كانت يانغجين تسوي النار في المجمرة المملوءة بالفحم الساخن في البهو الصغير في الغرفة الأمامية. أراد التكلم إليها، لكنه شعر بالخجل. انتظر أيزاك، حركت يانغجين الفحم باستخدام مذكي خام، مراقبةً الجمر المتوهج.

«هل تشعر بالدفء بما يكفي؟ سأقرب هذه إليك». ركعت يانغجين على ركبتيها، ودفعت بالمجمرة نحوه.

قال أيزاك وهو ينهض: «دعيني أساعدك».

«لا، ابق حيث أنت. ستدفعها فقط». كانت تلك الطريقة التي اعتاد زوجها أن يحرك فيها المجمرة.

بينما اقتربت أكثر، نظر حوله ليرى إن كان بإمكان الآخرين أن يسمعوا. همس أيزاك: «أجوموني، هل تعتقدين أنها ستقبل الزواج؟ إن طلبت منها ذلك؟».

جحظت عينا يانغجين، وأوقعت المذكي، الذي صدر عنه صوت رنين. حملت المذكي المعدني على الفور ووضعته جانباً بعناية، وكأنها تصحح حركتها المسبقة. جلست بالقرب منه، كانت تلك أول مرة تقترب فيها من رجل إلى هذه الدرجة عدا زوجها ووالدها.

سألها: «هل أنت على ما يرام؟».

«لماذا؟ لمَ قد تفعل هذا؟».

«أظن أن حياتي في أوساكا ستكون أفضل إن كنت متزوجاً. كتبت لأخي آنفاً. أعلم أنه وزوجته سيرحبان بها».

«ووالداك؟».

«أراداني أن أتزوج منذ سنوات. لطالما رفضت الأمر».

«لماذا؟».

«لأنني كنت مريضاً طوال الوقت. ولكنني أشعر بتحسن الآن، ومن المستحيل أن نعرف كيف ومتى سأموت. تعلم سونجا هذا بالفعل. لن يشكل أي من هذا مفاجأة».

«ولكنك تعلم أنها...».

«نعم، ومن المرجح أيضاً أن أجعلها أرملة شابة. وتعلمين أن هذا ليس سهلاً، ولكنني سأكون الأب حتى أموت».

لم تقل يانغجين شيئاً، فهي أيضاً أرملة شابة، كان زوجها رجلاً نزيهاً تعامل بإيجابية مع تشوهه وإعاقته. حين توفي، كانت تعلم أنه كان رجلاً مميزاً للغاية. في هذه اللحظة، تمنت لو أنه على قيد الحياة، ليساعدها في اتخاذ القرار.

قال أيزاك حين رأى الصدمة على وجهها: «لم أرد أن أزعجك، فكرت أن ذلك قد يكون ما تريده. من أجل مستقبل الجنين، هل تعتقدين أنها ستوافق؟ ربما ترغب بالبقاء معك هنا، هل سيكون هذا أفضل بالنسبة إليها وإلى الجنين؟».

ردت يانغجين وهي تعرف الحقيقة المرّة: «لا، لا. بالطبع سيكون من الأفضل لهما لو غادرت. سيعيش الطفل هنا حياةً رهيبة، السفر سينقذ حياة ومستقبل ابنتي وجنينها، سأقدر معروفك ما حييت». انحنت كثيراً حتى كاد رأسها يلامس الأرضية، ومسحت عينيها.

«لا تقولي هذا، لقد كنت وابنتك بلسماً لروحي المتألمة، لو لم تساعداني ربما كنت اليوم في عداد الموتى».

«سأتحدث معها على الفور يا سيدي. ستكون ممتنة لك».

صمت أيزاك. أراد أن يعرف الطريقة المناسبة لقول جملته التالية. قال وهو يشعر بالإحراج: «لا، لو سمحت أريد أن أتحدث إليها بنفسي، وأرى إن كانت قادرة على حبي يوماً ما». شعر أيزاك بالإحراج، لأنه مثل أي رجل عادي، خطرت له فكرة أنه يرغب بزوجة تحبه ولا تدين له فقط.

«ما رأيك؟».

«عليك التحدث إليها». كيف يمكن لسونجا ألا تحب رجلاً مثله؟

همس أيزاك: «لن يكون عرضي شيئاً مهماً بالنسبة إليها، فهي شابة، وربما

سأمرض من جديد، ولكنني أعدك أنني سأبذل قصارى جهدي لأكون زوجاً جيداً، سأعتني بوليدها، وأعتبره ابناً لي، وسأغدق عليه الحب». شعر أيزاك بالسعادة وهو يأمل بالعيش لفترة تكفي لتربية طفل.

«تحدث إليها في الغد، وناقشا كل الأمور».

أخبرتها أمها عن نوايا أيزاك، وحضّرت سونجا نفسها لكي تكون زوجته. إن تزوجها أيزاك، فسيرفع عبئاً كبيراً عن كاهلها، وكاهل أمها وأيضاً عن النزل والطفل. سيمنح رجل محترم من عائلة جيدة اسمه للطفل، لم تفهم سونجا دوافعه، وحاولت أمها أن تفسر الأمر، ولكن لم تظن أي منهما أن ما فعلتاه من أجله كان أمراً مميزاً. فهما كانتا لتفعلا الشيء نفسه مع أي نزيل، خصوصاً وأنه لم يتأخر يوماً عن دفع بدل الإقامة. قالت أمها: «لا نجد رجلاً طبيعياً يريد أن يربي طفل رجلٍ آخر إلا إن كان ملاكاً أو أحمق».

لم يبدُ أحمق، ربما كان بحاجة إلى مدبرة منزل، ولكن لم يبدُ ذلك من طباعه. فإنه حالما شعر القس بتحسن، وحتى حين لم يكن في أفضل حال، كان يحمل الصينيات وعليها الصحون الفارغة إلى المطبخ. وفي الصباح، كان يرتب فراشه ويضعه جانباً، وكان يهتم بنفسه أكثر من النزلاء الآخرين، لم تتخيل أبداً أن رجلاً مثقفاً تربى في منزل مليء بالخادمات قد يفعل ما يفعله.

ارتدت سونجا معطفها السميك، وانتعلت صندلاً وانتظرت بالقرب من مدخل النزل. كان الطقس بارداً وضبابياً، بالرغم من أن الربيع سيحل خلال شهرٍ تقريباً، إلا أن الطقس كان شبيهاً بطقس منتصف الشتاء. طلبت أمها من القس أن يلتقي بها في الخارج، فهي لم ترد للخادمتين أن تراهما معاً.

خرج أيزاك على الفور، ممسكاً بقبعته.

«هل أنت على ما يرام؟» وقف أيزاك بحذائها، إلى أين يجب أن يذهبا. لم يسبق له أن خرج مع فتاة، ولم يفكر من قبل بطلب يد أي فتاة للزواج.

«هل ترغبين بالذهاب إلى البلدة؟ يمكننا أن نستقل العبارة». هذا أول ما خطر بباله.

أومأت سونجا برأسها، وغطت رأسها بوشاح قطني سميك لتغطي أذنيها

المكشوفتين. بدت شبيهة ببائعات السمك في السوق.

سارا بصمتٍ نحو عبارة يونغدو، غير عالمين بما قد يفكر فيه الناس عندما يرونهما معاً، كانت العبارة شبه فارغة، لذا جلسا أحدهما إلى جانب الآخر طوال الرحلة، لم يمر وقت طويل قبل أن يسألها بنبرة حاول قدر المستطاع أن تبدو طبيعية: «هل تحدثت والدتك إليك؟».

«نعم».

حاول أن يقرأ رد فعلها من ملامح وجهها. بدت مرعوبة.

قالت: «شكراً لك».

«ما رأيك بذلك؟».

«لا أستطيع أن أُعبّر لك عن مقدار امتناني، إنك بعملك النبيل هذا ترفع عبئاً كبيراً نرزح جميعاً تحت وطأته».

«إن حياتي فارغة. لن يكون لها أي معنى إن لم أستغلها من أجل هدف سامٍ. ألا تعتقدين ذلك؟».

لعبت سونجا بطرف الشيما.

تابع أيزاك: «لدي سؤال». ظلت سونجا تنظر إلى الأرض.

أخذ نفساً: «هل تعتقدين أنه يمكنك أن تحبي الرب؟ إن تمكنت من حب الرب، سأعلم أن كل شيء سيكون على ما يرام. أعتقد أنني أطلب الكثير منك. قد لا يكون ذلك منطقياً الآن. سيتطلب الأمر وقتاً. أتفهم ذلك».

خطر لسونجا هذا الصباح أنه قد يسألها شيئاً من هذا القبيل، وفكرت ملياً بالرب الذي يؤمن به القس، لقد آمنت بعالم الأرواح مع أن والدها لم يؤمن به. بعد وفاته شعرت أنه إلى جانبها، وحين زارت قبره مع والدتها في عيد جيسا، كان من السهل أن تشعر بوجوده المطمئن. إن كان هنالك الكثير من الآلهة والأرواح الميتة، شعرت أنها قادرة على أن تحب هذا الرب، خصوصاً إن كان هو من حَمَلَ أيزاك على أن يكون شخصاً طيباً.

قالت: «نعم، يمكنني ذلك».

رسا القارب، وساعدها أيزاك على النزول. كان البر الرئيسي بارداً جداً،

فوضعت سونجا يديها داخل جيبي سترتها لتدفئهما.

اخترقت الرياح الباردة ملابسهما، وكانت قلقة لأن الطقس السيئ قد يكون مضراً بصحة القس.

وبما أنهما لم يحددا إلى أين يذهبان. أشارت إلى شارع التسوق الرئيسي الذي لم يكن بعيداً جداً عن العبارة. كان ذلك المكان الوحيد الذي ذهبت إليه مع والديها في البر الرئيسي. سارت في ذاك الاتجاه، غير راغبة بأن تبدو أنها التي تقرر، ولكن لم يبدُ مهتماً بالأمر، وتبعها.

«أنا مسرورٌ لأنك ستحاولين حب الرب، فهذا يعني لي الكثير. أعتقد أننا سنحظى بزواج جيد إن تشاركنا هذا الإيمان».

أومأت برأسها مجدداً، لم تفهم تماماً ما قاله، ولكنها كانت مقتنعة بأن لديه ما يمكن أن يقنعها بالموافقة على طلبه.

«ستكون حياتنا غريبة في بداية الأمر، ولكننا سنطلب من الرب أن يباركنا... نحن والطفل».

تخيلت سونجا أن تغدو صلاته مثل عباءة كبيرة تحميهما.

كانت النوارس تحوم حولهما وهي تصيح بصوت عالٍ قبل أن تطير بعيداً. أدركت أن الزواج به كان مشروطاً، ولكن كان من السهل القبول به؛ لم يكن لديه طريقة ليختبر تفانيها. كيف يثبت المرء أنه يحب الرب؟ كيف تثبت المرأة أنها تحب زوجها؟ لن تخونه أبداً؛ ستتفانى في الاعتناء به، وكانت واثقة أنها ستسعده.

توقف أيزاك أمام مطعم ياباني مرتب كان يقدم الشعيرية. رفع حاجبيه: «هل تناولتِ الأودون من قبل؟».

هزت رأسها نافية.

قادها إلى الداخل. كان الزبائن يابانيين، وكانت هي الأنثى الوحيدة في ذلك المكان. رحّب صاحب المطعم بهما باليابانية وقد برز مرتدياً مئزراً نظيفاً، فانحنيا له.

طلب أيزاك طاولة لاثنين باليابانية، واسترخى المالك حين سمع لغته المنطوقة بطلاقة. دردشا بشكل ودي، وعرض المالك عليهما مقعدين عند الطاولة القريبة

من الباب ليكونا بعيدين عن بقية الزبائن. جلس أيزاك مقابل سونجا، وبذلك بات من المستحيل أن يتبادلا النظرات.

لم تستطع سونجا قراءة لائحة الطعام المكتوبة بخط اليد على الجدران المصنوعة من الخشب الرقيق، ولكنها تعرفت إلى بعض الأرقام اليابانية. جلس موظفو المكاتب وأصحاب المتاجر إلى ثلاث طاولات طويلة مغطاة بشراشف النايلون، واحتسوا من طاساتهم المليئة بالشعيرية الساخنة. تجول فتى ياباني حليق الرأس حول الطاولات وهو يسكب الشاي من إبريق نحاسي، وحنى رأسه لها قليلاً.

وجدت نفسها تقول: «لم يسبق لي أن تناولت الطعام في مطعم». بدت متفاجئة بكل ما حولها.

«وأنا لا أتناول الطعام خارج البيت إلا في ما ندر، ولكن هذا المكان يبدو نظيفاً. قال والدي إن النظافة هي العنصر الأهم الذي يجب أخذه بعين الاعتبار عند تناول الطعام في الخارج». ابتسم أيزاك، أراد أن تشعر سونجا براحة أكبر. دفء المكان جعل وجنتيها تصطبغان باللون الوردي، فبدت بريئة بمقدار ما بدت فاتنة، عندها سألها: «هل أنت جائعة؟».

أومأت سونجا برأسها. لم تأكل شيئاً ذلك الصباح. طلب أيزاك طاستين من الأودون.

«إنه مثل كالغوكسو، ولكن المرق مختلف، أظنه سيعجبك. أنا متأكد من أنه يُباع في كل مكان في أوساكا. سيكون كل شيء جديداً بالنسبة إلينا». بدأت فكرة ذهابها معه تعجبه شيئاً فشيئاً.

سمعت سونجا العديد من القصص عن اليابان من هانسو، ولكنها لم تخبر أيزاك بذلك. قال هانسو إن أوساكا مدينة كبيرة، لدرجة أنك قد لا تصادف شخصاً فيها مرتين.

راقبها أيزاك وهو يتحدث إليها، كانت شخصاً يحب الخصوصية. حتى في المنزل، لم تتكلم كثيراً مع الفتاتين أو مع أمها. تساءل، هل كانت دوماً هكذا؟ كان من الصعب تخيلها ساقطة.

حادثها أيزاك بصوت منخفض، فهو لم يرغب أن يسمع الآخرون كلامهما. «سونجا، هل تعتقدين أنك قادرة على رعايتي كزوجة؟». شبك أيزاك يديه وكأنه يصلي.

«نعم». أجابته بسرعة، وبدت صادقة، كانت ترعاه الآن، ولم ترد أن يظن غير ذلك.

شعر أيزاك بالخفة والطهارة داخلياً، وكأن رئتيه المريضتين قد استعادتا عافيتيهما. تنهد وقال: «أتوقع أن الأمر سيكون صعباً، ولكن هل ستحاولين نسيانه؟» لن يكون هنالك أفكار سرية بينهما.

أجفلت سونجا، لم تتوقع مثل هذا السؤال.

«أنا لست مختلفاً عن الرجال الآخرين. أملك كبريائي، وأعلم أن ذلك خطأ على الأغلب ولكني سأحب هذا الطفل، وسأحبك وأكرمك».

«وسأفعل ما في وسعي لأكون زوجة صالحة».

قال: «شكراً لك». أمل أن يكون وسونجا مقربين، مثلما كان والداه.

حين وصلت الشعيرية، أخفض رأسه ليتلو الصلاة، وشبكت سونجا أصابعها، مقلدةً حركاته.

10

بعد أسبوع، استقل كل من يانغجين وسونجا وأيزاك العبارة الصباحية إلى بوسان. ارتدت المرأتان هانبوك مرتبة ونظيفة تحت السترة الشتوية المبطنة؛ أما بذلة ومعطف أيزاك فكانا نظيفين وكان حذاؤه ملمعاً. توقع القس شين حضورهم بعد الفطور. تعرفت خادمة الكنيسة إلى أيزاك حين وصلوا وقادتهم إلى مكتب القس شين.

قال القس الأكبر سناً: «أنتم هنا». ونهض من مكانه على الأرض. كانت لهجته شمالية. «تفضلوا، تفضلوا». انحنت يانغجين وسونجا احتراماً. لم يسبق لهما أن دخلتا كنيسة. كان القس شين رجلاً نحيلاً وكانت ملابسه فضفاضة، وكان طرفا كمي بذلته السوداء القديمة مهترئين، بخلاف الياقة البيضاء المنشاة النظيفة المحيطة بعنقه، لقد عدلت ملابسه المكوية الداكنة انحناء كتفيه.

جلبت الخادمة ثلاث وسادات أرضية للضيوف، ووضعتها بالقرب من المجمرة في الغرفة ذات التدفئة الضعيفة.

وقف الضيوف الثلاثة بغرابة حتى جلس القس شين. جلس أيزاك بالقرب من القس شين، وجلست يانغجين وسونجا قبالته.

بعد ان جلسوا، ران الصمت، حيث انتظروا القس شين كي يبدأ بتلاوة الصلاة. بعد أن انتهى، أخذ وقته وهو يقيم الشابة التي نوى أيزاك الزواج بها. فكّر بها كثيراً منذ زيارة القس الشاب الأخيرة له. وتحضيراً للقاء قرأ القس شين، إنجيل هوشع. كان الشاب الأنيق ذو البذلة الفحمية اللون الصوفية يبدو مختلفاً كثيراً عن الفتاة الممتلئة. كان وجه سونجا مستديراً وعادياً، وأما عيناها فقد بدتا كسيرتين، ربما بسبب تواضعها أو بسبب الخزي الذي كانت تشعر به. لم يكن هنالك شيء في مظهرها العادي يشبه الساقطة التي أجبر النبي هوشع على الزواج بها. كانت في الواقع عادية. لم يكن القس شين يؤمن بقراءة الأوجه لتحديد مصير الشخص كما

كان يفعل والده، ولكن إن أراد أن يحدد قدرها كما لو أن والده ينظر إليها، لم يبد الأمر وكأن حياتها ستكون سهلة، ولكنها لن تكون ملعونة بالسوء أيضاً. نظر إلى بطنها، ولكنه لم يستطع تقدير وضعها من فوق المعطف والشيما.

سأل القس الكبير سونجا: «ما رأيك بالذهاب إلى اليابان مع أيزاك؟».

نظرت سونجا إلى الأعلى، ثم نظرت إلى الأسفل. لم تكن متأكدة مما كان يفعله الكهنة تماماً أو كيف كانوا يمارسون نفوذهم. لم يكن من المرجح أن يقع القس شين والقس أيزاك تحت تأثير اللعنات مثل الشامانات الذكور أو أن يرنموا مثل النساك.

قال شين وهو يميل بجسده نحوها: «أرغب بسماع رأيك. أرجوك قولي شيئاً ما. لا أريد أن تغادري من دون أن أسمع صوتك».

ابتسم أيزاك للمرأتين، لم يدرِ كيف يتصرف أمام نبرة صوت القس الصارمة. أراد أن يؤكد لهما نية القس الطيبة. وضعت يانغجين يدها بلطف على ركبة ابنتها. وقد توقعت نوعاً ما من التحقيق، ولكنها لم تدرك سوى الآن أن القس شين كان يسيئ الظن بهما.

قالت يانغجين: «سونجا، أخبري القس ما رأيك في الزواج من أيزاك».

فتحت سونجا فمها ثم أغلقته. فتحته مجدداً، بدت الرعشة في صوتها.

«أنا ممتنة كثيراً. ممتنة للقس أيزاك من أجل تضحيته المؤلمة. سأحرص على أن أكون زوجة صالحة ترعاه بحب، وسأبذل كل ما في وسعي لأجعل حياته هادئة ومنتجة في اليابان».

عبس أيزاك؛ لقد فهم مغزى كلامها، ولكن في الوقت ذاته، أحزنته وجهة نظر سونجا.

صفق القس الكبير بيديه: «نعم، هذه حقاً تضحية مؤلمة، فأيزاك من خيرة الشباب الصالحين وسليل عائلة ترفل بالفضيلة، ولم يكن من السهل عليه اتخاذ قرار الارتباط بك، بالنظر إلى ظروفك».

رفع أيزاك يده اليمنى بعض الشيء محاولاً الاعتراض، ولكنه آثر الصمت احتراماً للقس الأكبر سناً، وأدرك أن زواجه رهينة قرار القس الأكبر فإن رفض

تزويجهما فما من سبيل آخر أمامهما، لأن رفضه سيضع أمام أساتذته وعائلته جملة من علامات الاستفهام التي لم ولن يرغب بالإجابة عن التساؤلات التي ستثيرها.

سأل القس شين سونجا: «أنت وضعت نفسك في هذا الوضع الحرج أليس كذلك؟».

لم يحتمل أيزاك النظر إلى سونجا ورؤية الألم يرتسم على ملامحها، وكان على وشك المغادرة واصطحاب المرأتين معه حفاظاً على ماء وجهيهما.

«لقد سقطت في الخطيئة، وتلوثت بأدرانها، وأنا ألتمس السماح على ما ألحقت بأمي من عار، وما سأحمّل القس النبيل إياه». اغرورقت عينا سونجا، بدت أصغر سناً حتى مما تبدو عليه عادةً.

أمسكت يانغجين بيد ابنتها، حاولت مواساتها، وما لبثت أن انهارت باكية، ولم تعرف إن كان بكاؤها فعل صواب أم خطأ.

عندها تدخل أيزاك قائلاً: «أيها القس شين، إنها تعاني بالفعل».

«بعد الاعتراف بالخطيئة لا بد من طلب المغفرة، إن طلبتها سيسامحها الرب الغفور». شدد القس شين على كل كلمة قالها بعناية.

«أعتقد أنها تسعى وراء المغفرة». لم يرد أيزاك أن تلتفت سونجا إلى الرب بتلك الطريقة. فأيزاك أرادها أن تسلك درب الرب بفعل حب وإيمان لا خوفاً من عقابه.

أمعن القس شين النظر إلى سونجا.

«أصحيح ما يقوله القس أيزاك يا سونجا؟ أتسعين وراء المغفرة عن خطيئتك؟»

لم يعلم القس شين إن كانت الفتاة تعرف ماهية الخطيئة، وهل فسّر الشاب معنى الخطيئة؟ كيف له أن يتزوج امرأة خاطئة لم تبتعد عن الخطيئة؟ ومع ذلك كان هذا تماماً ما طلبه الرب من هوشع. هل فهم أيزاك ذلك؟

قال شين: «إن أي علاقة جنسية تربط رجلاً بامرأة ينظر الرب إليها على أنها خطيئة. أين الرجل الذي شاركك الخطيئة؟ لماذا يجب أن يتحمل أيزاك وز خطيئتكما؟».

حاولت سونجا أن تمسح دموعها عن وجنتيها المتوردتين بكم سترتها.

من مكانها عند الزاوية، تمكنت الخادمة الصماء من فهم بعض ما كان يُقال عبر قراءة شفاههم. أخرجت منديلاً نظيفاً من جيب معطفها وأعطته لسونجا. أشارت لسونجا كي تمسح وجهها، فابتسمت لها سونجا.

تنهد القس شين. بالرغم من أنه لم يرد إزعاج الفتاة أكثر من ذلك، إلا أنه شعر بأنه مرغم على حماية الكاهن الشاب المخلص.

سأل القس شين: «أين والد طفلك يا سونجا؟».

ردت يانغجين: «إنها لا تعرف أيها القس شين». مع أنها كانت هي الأخرى تتوق لمعرفته.

«إنها متأسفة لحصول كل هذا» التفتت يانغجين نحو ابنتها: «أخبري القس... أخبريه أنك تسعين وراء مغفرة الرب».

لم تكن لا يانغجين ولا سونجا تعرفان ما يعنيه ذلك. هل سيُقام طقسٌ مثلما يحصل حين يعطي المرء الشامان خنزيرة ومالاً ليجعل المحاصيل تنمو؟ لم يسبق لأيزاك أن تحدث عن المغفرة.

سألت سونجا الكاهن الكبير في السن: «هل يمكنك ذلك؟ هل يمكنك أن تسامحني؟». شعر القس شين بالشفقة على الفتاة.

رد: «سونجا، لست أنا من سيسامحك».

قالت: «لم أفهم». وأخيراً، نظرت بشكل مباشر إلى وجه القس شين.

«سونجا، كل ما عليك فعله هو أن تطلبي المغفرة من الرب. دفع المسيح ديوننا، ولكن لا يزال عليك أن تطلبي المغفرة. عديه أنك ستبتعدين عن الخطيئة. توبي يا ابنتي، ولا تخطئي بعد الآن». شعر القس شين أنها تريد التعلم، شعر بشيء ما بداخلها، وتذكر الطفل الذي كان في داخلها والذي لم يفعل شيئاً خاطئاً. ثم تذكر شين جومر، زوجة هوشع، التي لم تتب ثم عادت وخانته مجدداً، فعبس.

رددت سونجا: «أنا آسفة كثيراً، لن أعيد الكرة. لن أكون يوماً مع رجل آخر».

«من المنطقي أنك تريدين الزواج بهذا الشاب. نعم، يريد الزواج بك والاعتناء بالطفل، ولكني لا أعلم إن كان ذلك أمراً سديداً. أنا قلقٌ لأنه ربما يرى الأمر بمثالية أكثر من اللازم. عائلته ليست هنا، وعليّ أن أضمن أنه سيكون على خير ما يرام».

أومأت سونجا رأسها موافقة، كان بكاؤها يهدأ.

ازدردت يانغجين لعابها، لأنها خشيت هذا منذ أن ذكر أيزاك أن عليهم التحدث مع القس شين.

اعترف أيزاك: «أيها القس شين، أعتقد أن سونجا ستكون زوجة صالحة، أرجوك أعلنا زوجين يا سيدي، أرغب بالحصول على بركتك، أنت تتحدث انطلاقاً من قلق عميق وحكيم، ولكني أعتقد أن هذه مشيئة الرب. أعتقد أن هذا الزواج سوف ينفعني مثلما سينفع سونجا والطفل».

زفر القس شين.

سأل سونجا: «هل تعلمين كم هو صعب أن تكوني زوجة قس؟» هزت سونجا رأسها نافية. كان تنفسها طبيعياً أكثر الآن.

سأل أيزاك: «هل أخبرتها؟».

قال أيزاك: «سوف أكون القس الثانوي. لا أظن أنني أتوقع الكثير منها. الرعية ليست كبيرة. إن سونجا تعمل بجد وتتعلم بسرعة». ولكنه لم يفكر ملياً بهذا. كانت زوجة القس في الكنيسة في بيونغ يانغ سيدة رائعة، امرأة كادحة حملت بثمانية أطفال، وعملت مع زوجها من أجل الاعتناء بالأيتام وخدمة الفقراء. حين توفيت، حزن أبناء الرعية وكأنهم فقدوا أمهم الحقيقية.

جلس كل من أيزاك وسونجا ويانغجين بصمت، لم يعلموا ما عليهم القيام به.
«عليك أن تقسمي إنك ستكونين وفية لهذا الرجل. إن لم تكوني كذلك، فستجلبين خزياً أكبر لأمك ووالدك المتوفى مما جلبت بالفعل. عليك أن تطلبي المغفرة من الرب يا ابنتي، وأن تطلبي منه الإيمان والشجاعة وأنت تعدين منزلك الجديد في اليابان. كوني مثالية يا ابنتي، على كل كوري أن يظهر ما عنده هنالك، إنهم يحطون من قدرنا بالفعل، لا يمكنك أن تفسحي لهم المجال في أن يأخذوا صورة سيئة عنا. كوري واحد سيئ يكفي لتدمير الأمر بالنسبة إلى آلاف من الكوريين الآخرين. ومسيحي واحد سيئ يجرح عشرات الآلاف من المسيحيين في كل مكان، وخصوصاً في أمة مليئة بغير المؤمنين. هل تفهمين ما أقوله؟».

قالت: «أريد ذلك، وأريد المغفرة يا سيدي».

جثا القس شين على ركبتيه ووضع يده اليمنى على كتفها. صلى مطولاً لها ولأيزاك. حين انتهى من ذلك، نهض وطلب من الزوجين النهوض وزوّجهما. انتهت المراسم في دقائق.

في الوقت الذي ذهب فيه كل من القس شين مع أيزاك وسونجا إلى مكاتب البلدية ومركز الشرطة المحلية لتسجيل الزواج، شقت يانغجين طريقها إلى شارع التسوق، كانت خطواتها سريعة ومدروسة. أرادت الجري. سمعت كثيراً من الكلمات التي لم تفهمها خلال مراسم الزواج. لم يكن من المنطقي أن تتوقع نتيجة أفضل في ظل هذه الظروف الراهنة، ولكن يانغجين، بالرغم من طبيعتها العملية، تمنت شيئاً ألطف لابنتها الوحيدة. مع أنه كان من المنطقي أن تتزوج على الحال، إلا أنها لم تعلم أن الزواج سيتم اليوم.

حين وصلت يانغجين إلى الباب المنزلق لمتجر الأرز، طرقت على باب المدخل العريض قبل الدخول. كان المتجر خالياً من الزبائن. وكان هنالك هرة مخططة تخر بسعادة بين قدمي بائع الأرز.

رحّب تشو بها: «أجوموني، مرّ وقتٌ طويل». ابتسم بائع الأرز لأرملة هوني. كان هنالك شيبٌ في شعرها أكثر مما كان يذكر.

«أجيوسي، مرحباً، أتمنى أن تكون زوجتك وبناتك على ما يرام».

أومأ برأسه.

«هل يمكنك أن تبيعني بعض الأرز الأبيض؟».

قال: «واااه، لا بد، إذاً، من ضيف مهم يقيم لديك. أنا متأسف، لا يمكنني أن أبيعك أياً مما لديّ. أنت تعلمين أين يذهب كل ذلك».

قالت: «لدي مال سأدفع لك» وضعت حقيبتها على المنضدة بينهما. كانت سونجا هي من طرزت الفراشات الصفراء على القماش الأزرق للحقيبة، كانت هدية عيد ميلاد قبل سنتين. الحقيبة الزرقاء نصف ممتلئة، اعتقدت يانغجين أن ما فيها سيكون كافياً.

تلوّى تشو. لم يرد بيعها الأرز، لأنه لن يبيع ما لديه من أرز إلا بالسعر نفسه الذي يبيعه لليابانيين. وشك أنها تستطيع تحمل الثمن المرتفع.

«عندي كيس صغير فقط، وحين يأتي الزبائن اليابانيون ولا يجدون شيئاً من ذلك الأرز فسيوبخونني، أنت تتفهمين. صدقيني، فأنا أريد أن أبيعك ولكنهم...».

قالت يانغجين محاولة ألا تبكي: «أجيوسي، لقد تزوجت ابنتي اليوم».

«سونجا؟ من؟ من تزوجت؟» كان يمكنه تخيل الفتاة الصغيرة وهي تمسك بيد والدها المعاق. «لم أعلم أنها كانت مخطوبة؟».

«ضيف من الشمال».

«المصاب بالسل؟ لمَ ارتكبت هذه المجازفة، قد يموت في أي ثانية».

قالت متمنية أن ينتهي الحديث هنا: «سيأخذها إلى أوساكا، ستكون حياتها أقل صعوبة من العيش في نزل مع كثير من الرجال».

لم تخبره بالحقيقة، وأدرك تشو أن ما وراء الأكمة ما وراءها، فالفتاة لم تتجاوز السادسة عشرة أو السابعة عشرة، وهي أصغر من ابنته الثانية بسنوات، ولكن بالاستناد إلى ما قاله جون، رجل الفحم، كان القس لبقاً وسليل عائلة ثرية، فما هو الشيء الذي أغراه بسونجا؟ أيعقل أن الفتيات نضبن من أوساكا حتى يختار زوجة مثلها؟

سأل تشو: «هل قدم عرضاً جيداً؟» وعبس بسبب الحقيبة الصغيرة. لا يمكن أن تكون كيم يانغجين قد أعطت رجلاً كهذا أي مهرٍ مناسب، بالكاد يتبقى لصاحبة النزل بضع عملات نحاسية بعد أن تطعم نزلاءها الجائعين والشقيقتين الفقيرتين اللتين لم يكن عليها إيواؤهما.

تزوجت بناته منذ بضع سنوات. في العام الماضي، هرب زوج البنت الأصغر إلى منشوريا لأن الشرطة كانت تلاحقه بسبب تنظيمه للمظاهرات، لذا كان تشو يطعم أولاد هذا الوطني العظيم عبر بيعه لأفضل بضائعه للزبائن اليابانيين الأثرياء الذين كان زوج ابنته شغوفاً بطردهم. لم يكن أمامه من خيار، فإن لم يبع لليابانيين، فإنه سيضطر لإغلاق متجره في الغد، وستتضور عائلته جوعاً.

سأل: «هل أنت بحاجة إلى أرز يكفي لحفل العرس؟» لم يعرف كيف ستستطيع هذه المرأة البائسة دفع ثمن الأرز.

«لا. أنا بحاجة إلى كمية تكفي لإطعام العروسين».

أومأ تشو برأسه للمرأة الضئيلة المتعبة الواقفة أمامه والتي لم تستطع النظر إلى عينيه.

كرر: «لا أملك ما يكفي للبيع».

«أريد فقط ما يكفي لعشاء العريس والعروس - ليتذوقا الأرز الأبيض مجدداً قبل أن يغادرا». اغرورقت عينا يانغجين بالدمع، فغض تشو الطرف، لقد أبغض النظر إلى النساء الباكيات فقد كن يفطرن قلبه، فقد كانت جدته وأمه وزوجته وبناته دائمات البكاء، واعتقد أن النساء يبكين أكثر مما يجب.

عاشت ابنته الكبرى في الجهة الأخرى من البلدة مع رجل يعمل في مطبعة، وعاشت ابنته الصغرى وأطفالها الثلاثة معه ومع زوجته. مع أن بائع الأرز كان يتذمر كثيراً بسبب نفقات ابنته وأحفاده، إلا أنه عمل بجد وفضل أي زبون ياباني يدفع السعر الأعلى لأنه لم يتخيل ألا يتمكن من توفير كل ما تحتاجه عائلته؛ لم يستطع تخيل أن تعيش بناته بعيداً، في أمة كانت معاملة الكوريين فيها ليست أفضل من معاملة حيوانات الحظيرة. لم يستطع تخيل أن يعطي لحمه ودمه لأولاد العاهرة أولئك.

عدت يانغجين أوراق الين النقدية ووضعتها على الصينية الخشبية على المنضدة بالقرب من المعداد.

«كيس صغير لو سمحت. أريدهما أن يشبعا. إن بقي شيء منه سأعد لهما كعكة حلوة».

دفعت يانغجين صينية المال نحوه. لو قال لا، ستضطر للبحث في كل المتاجر التي تبيع الأرز في بوسان لكي تتناول ابنتها الأرز الأبيض على عشاء العرس.

«كعكة؟» تكتف تشو وضحك بصوت عالٍ؛ مضى وقتٌ طويل منذ أن سمع النساء يتكلمن عن الكعكات المصنوعة من الأرز الأبيض؟ لقد ظن أن تلك الأيام ولت إلى غير رجعة. «أعتقد أنك ستجلبين لي قطعة».

مسحت عينيها بينما ذهب بائع الأرز إلى غرفة التخزين ليجد الكمية القليلة التي خبأها لمثل هذه المناسبات.

11

أخيراً، رضخ النزلاء وسمحوا بغسل ملابسهم، وذلك بعد أصبحت الرائحة غير محتملة حتى بالنسبة إليهم، ذهبت كل من بوكي ودوكي وسونجا إلى الخليج حاملات أربع حزم هائلة الحجم. كانت تنانيرهن مرفوعة ومربوطة، وجلسن القرفصاء بالقرب من المياه، وأخرجن ألواح الغسيل خاصتهن. تجمدت أيديهن الصغيرات بسبب المياه المثلجة، لقد جعلت سنوات من العمل جلد أيديهن سميكاً وخشناً، فركت بوكي القمصان المبللة بكل ما لديها من قوة على اللوح الخشبي المخدد، بينما رتبت شقيقتها دوكي ما تبقى من الملابس المتسخة بالقرب منها، أما سونجا فانهمكت بغسل سروال داكن يعود لأحد الأخوة شانغ، كان مبقعاً بدم الأسماك وأحشائها.

سألت دوكي: «هل تشعرين بالاختلاف لأنك متزوجة؟». كانت الشقيقتان أول من عرف بالأخبار بعد تسجيل الزواج مباشرة. كنّ أكثر انذهالاً حتى من النزلاء. «هل دعاك باسم يوبو؟».

نظرت بوكي إلى سونجا لترى رد فعلها سونجا. كانت لتوبخ شقيقتها على وقاحتها لو لم يكن لديها الفضول أيضاً لتعرف.

قالت سونجا: «ليس بعد». حصل الزواج قبل ثلاثة أيام، ولكن بسبب عدم توفر المساحة، كانت سونجا لا تزال تنام في الغرفة ذاتها مع أمها والخادمتين.

قالت دوكي: «أرغب بالزواج».

ضحكت بوكي: «من قد يتزوج بفتيات مثلنا؟».

قالت دوكي دون أن ترمش: «أرغب بالزواج برجل مثل القس أيزاك، وسيم ولطيف. ينظر إليك بطيبة حين يتحدث إليك. حتى النزلاء يحترمونه، بالرغم من عدم معرفته بأي شيء عن البحر. هل لاحظت ذلك؟».

كان هذا صحيحاً. لقد واظب النزلاء على السخرية من أبناء الطبقات العليا

من مرتادي المدارس، لكنهم أحبوا القس أيزاك، ولم يكن من السهل على سونجا أن تفكر أن أيزاك أصبح زوجاً لها.

صفعت بوكي ساعد شقيقتها. «أنت مجنونة. لن يتزوج بك رجل مثله على الإطلاق. أخرجي هذه الأفكار الغبية من رأسك».

«ولكنه تزوج بسونجا...».

قالت بوكي: «إنها مختلفة. أنت وأنا خادمتان». دوّرت دوكي عينيها.

«بماذا يناديكِ إذن؟».

قالت وهي تشعر بحرية أكبر للتكلم: «يناديني بسونجا» قبل هانسو، كانت سونجا تتحدث أكثر مع الشقيقتين.

سألت بوكي: «هل أنت متحمسة للذهاب إلى اليابان؟». كانت مهتمة بالعيش في مدينة أكثر من الزواج، والذي بدا شيئاً مروعاً. لقد عملت كل من جدتها وأمها حتى الموت، ولم تسمع أمها تضحك يوماً.

سألت بوكي: «قال الرجال إن أوساكا مكانٌ أكثر ازدحاماً من بوسان أو سيوول. أين ستعيشين؟».

«لا أدري. في منزل شقيق القس أيزاك على ما أظن». كانت سونجا لا تزال تفكر بهانسو وبأنه قد يكون قريباً. كانت خائفة من اللقاء به أكثر من أي شيء آخر. ولكنها فكرت في أنه سيكون من الأسوأ ألا تراه على الإطلاق.

نظرت بوكي إلى وجه سونجا: «هل أنت خائفة من الذهاب؟ لا يجب أن تكوني كذلك. أعتقد أنك ستحظين بحياة رائعة هنالك. قال الرجال إن الإنارة الكهربائية متوفرة في كل مكان؛ القطارات والسيارات والشوارع وفي جميع المنازل، قالوا إن متاجر أوساكا تحتوي كل ما أنت بحاجة إلى شرائه، ربما ستصبحين ثرية وترسلين في طلبنا، يمكننا أن نفتح نزلاً هنالك!» كانت بوكي مندهشة من المخطط الذي اخترعته للتو من أجلهن.

«لا بد أنهم بحاجة لنزل أيضاً. يمكن لوالدتك أن تطهو، ويمكننا أن ننظف ونغسل...».

«أتظنين أنني أملك أفكاراً جنونية في رأسي؟» صفعت دوكي كتف شقيقتها،

تاركة طبعة يد مبللة على كم سترة شقيقتها.

واجهت سونجا صعوبة في عصر السروال المبلل لأنه كان ثقيلاً للغاية.

سألت سونجا: «هل يمكن لزوجة قس أن تكون ثرية؟».

قالت دوكي: «ربما سيجني الكاهن كثيراً من المالَ! ووالداه ثريان أليس كذلك؟».

سألت سونجا: «كيف لك أن تعلمي ذلك؟». قالت والدتها مسبقاً إن والدي أيزاك كانا يملكان أرضاً، ولكن العديد من ملاك الأراضي يبيعون أراضيهم لليابانيين ليدفعوا الضرائب الجديدة. «لا أعرف إن كنا سنملك كثيراً من المال. لا يهم ذلك».

قالت دوكي: «ملابسه مرتبة، وهو متعلم». بدأت سونجا بغسل سروال آخر.

نظرت دوكي إلى شقيقتها. «هل يمكننا أن نعطيها إياها الآن؟».

أومأت بوكي برأسها، أرادت أن تشغل تفكير سونجا عن المغادرة. بدت الفتاة قلقة وحزينة، لم تبدُ سعيدة كعروس.

قالت بوكي وهي تبتسم: «أنت بمثابة شقيقة صغيرة لنا، ولكن غالباً ما بدوت أكبر سناً لأنك ذكية وصبورة».

أضافت دوكي: «حين تغادرين، من سيدافع عني حين توبخني أمك؟ أنت تعلمين أن شقيقتي لن تفعل شيئاً».

وضعت سونجا السروال الذي كانت تغسله جانباً على الصخور. كانت الشقيقتان معها منذ أن توفي والدها؛ لم تتصور يوماً أنها ستعيش من دونهما.

«أردنا أن نعطيك شيئاً». أخرجت دوكي زوجاً من البط المحفور من خشب الأقاقيا متدلياً من شريط حريري أحمر. كانا بحجم راحتي يد طفل صغير.

قالت بوكي: «قال أجيوسي في السوق إن البط يتزاوج مدى الحياة».

«ربما ستتمكنين من العودة إلى المنزل بعد بضع سنوات وترينا أطفالك. أنا أجيد الاعتناء بالأطفال. ربيت دوكي لوحدي تقريباً. مع أنها قد تبدو شقية أحياناً».

دفعت دوكي فتحات أنفها للأعلى بسبابتها لتقلد وجه خنزير.

قالت دوكي: «مؤخراً، كنت تبدين حزينة كثيراً. إننا نعلم لماذا».

أمسكت سونجا بالبط في يدها، ونظرت إلى الأعلى.

قالت بوكي: «أنت مشتاقة إلى والدك». فقدت الشقيقتان والدهما حين كانتا صغيرتين.

اعتلت وجه بوكي ابتسامة حزينة، وانجذبت عيناها الصغيرتان اللطيفتان، واللتان كانتا تشبهان الشراغيف، للأسفل لتلاقيا وجنتيها البارزتين. كان وجها الشقيقتين متماثلين تقريباً؛ ولكن وجه الصغرى أقصر وأكثر امتلاء.

بكت سونجا وأحاطتها دوكي بذراعيها القويين. قالت سونجا بهدوء: «أبوجي، أبوجي».

قالت بوكي: «كل شيء على ما يرام، كل شيء على ما يرام». ربتت على ظهر سونجا. «أنت في رعاية زوج طيب الآن». حزمت يانغجين أغراض ابنتها بنفسها. طويت قُطع الملابس بعناية، ثم رُتبت على شكل مربع من القماش لتشكل حزمة سهلة الحمل. رُبطت زوايا القماش بترتيب على شكل حلقة. في اليومين الأخيرين، تملك يانغجين هاجس أنها نسيت شيئاً ما، وهذا ما دفعها مراراً إلى فك الحزم الأربع وإعادة تفحص محتوياتها. أرادت أن تضع المزيد من المأكولات الباردة مثل العناب المجفف، ورقائق الفلفل الحار، ومعجون الفلفل الحار، والأنشوفة الكبيرة المجففة، ومعجون الصويا المخمر لتهديها لزوجة أخ أيزاك، ولكن أيزاك أخبرها أنهما لا يستطيعان حمل كثير من الأغراض على العبارة. وقد أكد لها: «يمكننا شراء هذه الأغراض هنالك».

في الصباح الذي ذهب فيه كل من أيزاك ويانغجين وسونجا إلى محطة العبارة في بوسان، لازمت بوكي ودوكي النُزل. كان وداع الشقيقتان صعباً؛ فقد فاضت مشاعرهما، وبكتا ولم تجدا السلوى، فقد خشيتا أن تغادر يانغجين إلى أوساكا وتتركهما في يونغدو.

بدت لهما محطة عبارة بوسان التي كانت قد بنيت من الطوب والخشب، لقد تجمهر المسافرون والمودعون من أفراد عائلاتهم والباعة المتجولون بصخب في هذه المحطة المزدحمة. انتظرت طوابير طويلة من الركاب لكي يبرزوا أوراقهم أمام مسؤولي الشرطة قبل الركوب على متن عبارة بوسان إلى شي – مونوسيكي. بينما انتظر أيزاك دوره للتكلم مع الشرطة، جلست المرأتان على مقعد قريب، وهما

على أهبة الاستعداد للنهوض في حال احتاج شيئاً ما. كانت العبارة الكبيرة راسية بالفعل وتنتظر انتهاء عمليات تفتيش الركاب. اختلطت رائحة البحر الطحلبية مع رائحة وقود العبارة، ومنذ الصباح شعرت سونجا بالغثيان، وبدت شاحبة ومتعبة. تقيأت في وقت مسبق ولم يعد في معدتها شيء.

أمسكت يانغجين بأصغر حزمة وضمتها إلى صدرها. تساءلت متى سوف ترى ابنتها مجدداً؟ بدا عالمها محطماً. لم يعد ما هو الأفضل بالنسبة إلى سونجا وطفلها يبدو مهماً بعد الآن. لماذا كان عليهما المغادرة؟ لن تتمكن يانغجين من حمل حفيدها. لماذا لا تستطيع الذهاب معهما؟ لا بد من عمل لها في أوساكا. ولكن يانغجين أدركت أنه يتوجب عليها البقاء. فقد توجب عليها الاعتناء بقبور أقربائها وزوجها، ولا يمكنها ترك النزل، فضلاً عن أن لا مكان لديها لتقيم فيه في أوساكا؟

انحنت سونجا قليلاً، وأنّت من الألم. «هل أنتِ على ما يرام؟».

أومأت سونجا برأسها.

قالت يانغجين: «رأيت الساعة الذهبية». ثنت سونجا ذراعيها وضمت نفسها. «هل هي من ذلك الرجل؟».

أجابتها سونجا: «نعم». ولم تنظر إلى أمها. «أيُّ نوعٍ من الرجال قادر على شراء شيءٍ كهذا؟».

لم ترد سونجا. تبقى بضع رجالٍ في الطابور أمام أيزاك.

«أين الرجل الذي أعطاك الساعة؟».

«إنه يعيش في أوساكا».

«ماذا؟ هل هو من هنالك؟».

«إنه من جيجو، ولكنه يعيش في أوساكا. لا أعلم إن كان هناك الآن».

«هل تخططين للقائه؟».

«لا».

«لا يمكنك رؤية هذا الرجل يا سونجا. لقد نبذك. إنه ليس جيداً».

«إنه متزوج».

أخذت يانغجين نفساً.

كان يمكن لسونجا أن تسمع نفسها تتحدث مع أمها، ولكنها شعرت أن شخصاً آخر يفعل ذلك.

«لم أعلم أنه كان متزوجاً، لم يقل لي».

جلست يانغجين ساكنة وقد فغرت فاها.

«تحرش بي في السوق ثلاثة طلاب يابانيين، أبعدهم عني، وبعدها توطدت علاقتنا».

أخيراً، بدا من الطبيعي التكلم عنه، لقد فكرت فيه طوال الوقت، ولكن لم يكن هناك من أحد تتكلم معه عنه.

«أراد الاعتناء بي وبطفلي، ولكنه لم يستطع الزواج بي. قال إن لديه زوجة وثلاث بنات في اليابان». أمسكت يانغجين يد ابنتها.

«لا يمكنك رؤيته» – أشارت يانغجين إلى أيزاك – «هذا الرجل أنقذ حياتك، أنقذ طفلك. أنت من أفراد عائلته. حتى أنا لم يعد لي حق برؤيتك مجدداً. هل تعلمين كيف تشعر الأم حيال ذلك؟ ستصبحين أماً قريباً. آمل أن تنجبي ابناً يعيش معك ولا يغادرك حين يتزوج».

أومأت سونجا برأسها.

«ما الذي ستفعلينه بالساعة؟».

«سأبيعها حين أصل إلى أوساكا».

هذا ما كانت تريد يانغجين سماعه وأرضاها.

«احتفظي بالمال للطوارئ. إن سألك زوجك من أين حصلت عليه، أخبريه أنني أنا من أعطيتك إياه».

مدت يانغجين يدها إلى ما خبأته في صدرها تحت بلوزتها.

«كانا لجدتك والدة أبيك». أعطتها يانغجين خاتمين ذهبيين أعطتها إياهما حماتها قبل أن تموت.

«حاولي ألا تبيعي الخاتمين إلا عند الضرورة القصوى، فيجب عليك أن تمتلكي ما يساعدك متى احتجت إلى المال، فالفاقة مذلة، أعلم أنك فتاة مقتصدة، ولكن الأطفال يحتاجون إلى معين لا ينضب من المال. سيكون هنالك بعض

الأمور التي لا يمكنك توقع الحصول عليها، مثل زيارات الطبيب. إن كان المولود صبياً ستحتاجين إلى المال لتعليمه، إن لم يعطك القس المال للمنزل، اجني بعضه، ووفري جزءاً منه للطوارئ، أنفقي ما أنت بحاجة إلى إنفاقه، ولكن ارمي بضع قطع نقدية معدنية في علبة وانسي أمرها. دائماً يجب أن تملك المرأة القليل لها، اهتمي جيداً بزوجك، وإلا فستهتم به امرأة أخرى. عاملي عائلة زوجك باحترام، أطيعيهم، إن ارتكبت خطأً ما سيلعنون عائلتنا. فكري بوالدك الطيب، الذي لم يكف يوماً عن بذل ما في وسعه لأجلنا». حاولت يانغجين أن تفكر بشيءٍ ما لتقوله لها. لكن الأفكار فرت من رأسها والكلمات التصقت بحلقها.

وضعت سونجا الخاتمين في الكيس القماشي تحت بلوزتها حيث احتفظت بالساعة والمال.

«أوموني، أنا آسفة».

«أعلم، أعلم». أغلقت يانغجين فمها، ومسدت شعر سونجا. «أنت كل ما أملك. الآن، لا أملك شيئاً».

«سأطلب من القس أيزاك أن يكتب لك حين نصل».

«نعم، نعم. وإن احتجت شيئاً، اطلبي من أيزاك أن يكتب لي رسالة باللغة الكورية العامية، وسأطلب من أحد في البلدة أن يقرأها لي». تنهدت يانغجين. «يا ليتنا لم نكن أميتين».

«إننا نعرف الأرقام، ويمكننا أن نقوم بالحساب. علمنا والدي». ابتسمت يانغجين. «نعم. علمنا والدك».

قالت يانغجين: «الزوجة تنتمي إلى زوجها». كان هذا ما قاله لها والدها حين تزوجت هوني. قال لها: «لا تعودي إلى المنزل مجدداً»، ولكن لم تقل يانغجين هذا لابنتها. «اجعلي زوجك وطفلك يشعران بالسعادة. هذه مهمتك. يجب ألا يعانيا».

عاد أيزاك، بدا هادئاً. رُفضت أوراق عشرات الناس إما لأنها كانت ناقصة وإما لأن بدل العبارة لم يكن بحوزتهم، ولكن أوراق أيزاك وسونجا كانت مكتملة والبدل كافٍ. والآن يمكنهما التوجه إلى العبارة، على أمل الوصول سالمين إلى أوساكا حيث لا يعلمان ما يخبئ لهما المستقبل من خيره وشره.

12

أوساكا، أبريل 1933

عندما تعب يوسب من الوقوف، تمشى في محطة قطار أوساكا مثل رجل في زنزانة. لو أتى مع صديق، لدردشا، ولكنه كان وحيداً. كان يوسب متحدثاً بطبيعته، وبالرغم من كون لغته اليابانية جيدة، إلا أن لكنته لم تفشل يوماً في كشفه. يمكنه بسبب مظهره فقط أن يقترب من أي ياباني ويحصل على ابتسامة مهذبة، ولكن ما أن يقول شيئاً حتى يفقد الياباني اهتمامه به. كان كورياً في النهاية، ولسوء الحظ، مهما تكن شخصيته جذابة، فيكفي أن تكون كورياً حتى توصف بأنك دنيء وسليل جنس ماكر. كثيرون هم اليابانيون الذين يتصفون بالعدالة والمحافظة على القيم والمبادئ، ولكنهم متحفظون في الانفتاح بسهولة على الأجانب. عليك أن تحذر من الأذكياء خصوصا، الكوريون مفتعلو مشاكل بطبيعتهم. سمع يوسب كل تلك الأقاويل بعد أن أمضى أكثر من عقد من الزمن في اليابان. لم يكن يسهب في التفكير بهذه الأمور؛ بدا ذلك مثيراً للشفقة بالنسبة إليه. لاحظ الحارس الذي يقوم بدورية في محطة أوساكا ضجر يوسب، ولكن انتظار وصول القطار بقلق لم يكن جريمة.

لم تعلم الشرطة أن يوسب كان كورياً، لأن سلوكه وهندامه لم يكشفاه. ادعى معظم اليابانيين أنهم قادرون على التمييز ما بين كوري وياباني، ولكن علم كل كوريّ أن ذلك هراء، يمكنك خداع أي أحد. لقد ارتدى يوسب ملابس الشارع التي ارتداها الرجال العاملون البسطاء في أوساكا – سروال عادي، قميص بقصة غربية، معطف صوفي ثقيل لا يُظهر ملابسه. قبل وقتٍ طويل، كان يخبئ الملابس الفاخرة التي جلبها من بيونغ يانغ؛ البذلات باهظة الثمن التي طلبها له والداه من خياطٍ كان يصنع ملابس المبشرين الكنديين وعائلاتهم. على مدى الأعوام الستة

الماضية، عمل يوسب رئيساً للعمال في مصنع بسكويت، حيث يراقب ثلاثين فتاة ورجلين. توجب عليه أن يكون مهندماً ليجد وظيفة؛ هذا كل ما تطلبه الأمر. لم يكن بحاجة إلى ارتداء ملابس أفخر من رئيسه سيمامورا سان، الذي وضّح ببساطة أنه قادر على استبدال يوسب خلال ليلة. كل يوم، كانت القطارات القادمة من شيمونوسيكي والقوارب القادمة من جيجو تجلب مزيداً من الكوريين الجائعين إلى أوساكا، ويمكن لسيمامورا أن ينتقي واحداً من تلك الحثالة.

سر يوسب لأن شقيقه الأصغر سيصل يوم الأحد، يوم عطلته الوحيد. لو لم تكن كيونغي تحضر وليمة في المنزل لأتت معه. كانا في غاية الشوق لرؤية الفتاة التي تزوجها أيزاك. كانت ظروفها صادمة، ولكن ما قرر أيزاك القيام به لم يكن مفاجئاً على الإطلاق. لم يتفاجأ أي من أفراد عائلته بأفعاله الإيثارية. حين كان طفلاً، لطالما تبرع بوجباته وأغراضه للفقراء متى أتيحت له الفرصة لذلك. أمضى الفتى طفولته في سريره مريضاً يقرأ الكتب. كانت الوجبات ترسل إلى غرفته على صينية خشبية، وعندما تعاد الصينية إلى المطبخ تكون خالية تماماً من أي حبة أرز ومع ذلك ظل نحيلاً مثل عود تناول الطعام. بالطبع، لم تغادر الخادمات غرفته يوماً دون قسم كبير من وجباته، وإذ كان يعطيهن إياها عن طيب خاطر. اعتقد يوسب أن التبرع بالأرز والسمك أمرٌ مقبولاً، ولكن بدا هذا الزواج متجاوزاً للحدود المقبولة. الموافقة على تربية طفل رجل آخر! لقد طلبت كيونغي من زوجها أن يعدها بأن يحتفظ برأيه لنفسه حتى تتسنى لهما فرصة التعرف إليها. كانت هي مثل أيزاك، ذات قلب عطوف أكثر من اللازم.

حين وصل قطار شيمونوسيكي إلى المحطة، تناثر الحشد المنتظر بشكل دقيق ومنظم، وأسرع الحمّالون لمساعدة ركاب الدرجة الأولى؛ بدا كل من تبقى وكأنه يعلم أين عليه الذهاب. برز أيزاك بين الناس لطوله، فقد كان يعتمر قبعة رمادية على رأسه الجميل، وكانت نظارته ذات نقش ظهر السلحفاة تستند على أرنبة أنفه المستقيم. بحث أيزاك بين الحشد، وحين رأى يوسب، لوّح بيده اليمنى النحيلة عالياً في الهواء.

أسرع يوسب نحوه، لقد أصبح الفتى شاباً بالغاً. كان أيزاك أنحل حتى من

آخر مرة رآه فيها؛ وكان جلده الشاحب أكثر شحوباً، وظهرت خطوط واضحة حول عينيه اللطيفتين المبتسمتين. لقد امتلك أيزاك وجه أخيهما صموئيل؛ كان غامضاً. وبدت البذلة التي خاطها له خياط العائلة فضفاضة على جسده، لقد كبر الفتى الخجول والمريض الذي تركه يوسب قبل أحد عشر عاماً ليصبح رجلاً نبيلاً طويلاً، لقد ترك مرضه الأخير أثره على جسده المتعب أصلاً. كيف سمح له والداه بالقدوم إلى أوساكا؟ لماذا أصرّ يوسب على ذلك؟

احتضن يوسب أخاه وجذبه نحوه. هنا، كان الشخص الوحيد الذي لمسه يوسب هو زوجته، وكان من اللطيف أن يجده بالقرب منه هكذا، وأن يشعر بشعر وجه أخيه وهو يخز أذنيه. تأمل يوسب، لقد نبتت لأخيه الأصغر لحية.

«لقد كبرت كثيراً!».

ضحكا لأن ذلك كان صحيحاً، ولأن وقتاً طويلاً قد مرّ منذ أن كانا معاً آخر مرة.

قال أيزاك: «أخي، أخي».

«أيزاك، أنت هنا. أنا في غاية السرور».

ظهرت البهجة على أيزاك، كانت عيناه مثبتتين على وجه أخيه الأكبر.

«ولكنك أصبحت أكثر طولاً مني. هذا يقلل من احترامي!» انحنى أيزاك كاعتذار ساخر.

وقفت سونجا إلى جانبهما تحمل حزمها. اطمأنت حين رأت محبة الشقيقين كل منهما للآخر ودفء مشاعرهما. كان يوسب أخ أيزاك مضحكاً، ذكرها مزاحه قليلاً بالنزيل فاتسو. حين علم فاتسو أنها تزوجت أيزاك، تظاهر بالإغماء، وأصدر صوت ارتطام على الأرض في الغرفة الأمامية. بعد لحظات، أخرج محفظته وأعطاها ينين – أكثر من راتب يومين – وأخبرها أن تشتري شيئاً شهياً لتتناوله مع زوجها حين تصل إلى أوساكا. «حين تلتهمين كعك الأرز الشهي في اليابان، تذكريني، وحيداً وحزيناً في يونغدو، ومشتاقاً إليك، تخيلي قلب فاتسو ممزقاً مثل فم سمكة باس البحر التي التقطت وهي صغيرة كثيراً». تظاهر بالبكاء، فاركاً عينيه بيديه الريانتين ومصدراً صوت بوو – هوو. طلب منه شقيقاه السكوت، وأعطاها

كل منهما ينين أيضاً هدية زواج.

قال يوسب: «لقد تزوجت!»، ونظر بانتباه إلى الفتاة الصغيرة الواقفة إلى جانب أيزاك.

انحنت سونجا لشقيق زوجها.

قال يوسب: «أنا مسرورٌ للقائك مجدداً. كنت مجرد فتاة صغيرة؛ كنت تتبعين والدك في كل مكان، ربما كنت في الخامسة أو السادسة؟ لا أعتقد أنك تستطيعين تذكري».

هزت سونجا رأسها لأنها حاولت ولكنها لم تستطع تذكره.

«أذكر والدك جيداً، حزنت لخبر وفاته، لقد كان رجلاً حكيماً للغاية، لطالما استمتعت بالتحدث إليه، فهو لم يكن يقول الكثير، ولكن كان كل ما قاله مدروساً جيداً. وكانت أمك تصنع أشهى الوجبات».

أخفضت سونجا عينيها.

«شكراً لك لسماحك لي بالقدوم إلى هنا يا شقيقي الكبير. تشكر أمي كرمك جزيل الشكر».

«أنقذت وأمك حياة أيزاك. إنني ممتن لك يا سونجا. إن عائلتنا ممتنة لعائلتك».

أخذ يوسب الحقائب الثقيلة من أيزاك، وأخذ أيزاك حزم سونجا الأخف وزناً. لاحظ يوسب أن بطنها بارزة، ولكن لم يكن حملها واضحاً تماماً. نظر بعيداً باتجاه مخارج المحطة. لم تبد الفتاة أو تتحدث مثل ساقطة ريفية ما. بدت بسيطة وعادية لدرجة أن يوسب تساءل إن كانت ضحية اغتصاب، فمثل هذه الأمور شائعة، وعادة ما تلام الفتاة لأنها أغرت الرجل.

سأل أيزاك: «أين هي أختي؟» ونظر حوله باحثاً عن كيونغي.

في المنزل، إنها تطهو عشاءكم. يفضل أن تكونا جائعين. لا بد أن الجيران يشعرون بالغيرة من الروائح الصادرة من المطبخ!».

ابتسم أيزاك؛ كان يحب زوجة شقيقه.

ضمت سونجا سترتها بالقرب جسدها، منتبهة لتحديق المارة بملابسها

التقليدية. لم يكن هنالك أحدٌ آخر في المحطة يرتدي هانبوك سواها.

قال أيزاك لسونجا: «زوجة شقيقي طاهية ماهرة» مسروراً بفكرة رؤية كيونغي مجدداً.

لاحظ يوسب تحديق الناس إلى الفتاة. وأدرك على الفور أنها ستحتاج إلى الملابس.

«لنذهب إلى المنزل!» أرشدهما يوسب إلى خارج المحطة بلحظات. كان الطريق المقابل لمحطة أوساكا مزدحماً بالسيارات؛ فحشود السابلة كانت تدخل وتخرج عبر البوابات. سارت سونجا خلف الشقيقين، اللذين سارا بحذر عبر الحشد. بينما كانا يسيران نحو العربة، استدارت للحظة لترى محطة القطار. لم يكن المبنى الغربي يشبه أي شيءٍ رأته من قبل؛ عملاق من الحجر والإسمنت. كانت محطة شيمونوسيكي، التي ظنت أنها كبيرة، ضئيلةً أمام هذا المبنى الهائل.

أسرع الرجلان الخطى، وحاولت اللحاق بهما. كانت العربة تقترب. في ذهنها، أتت إلى أوساكا من قبل. في ذهنها، ركبت عبارة شيمونوسيكي، وقطار أوساكا، وحتى العربة التي يمكنها أن تسبق فتى يركض أو يقود دراجة. بينما مرت السيارات بالقرب منهم، فكرت بأنها تبدو مثل ثيران معدنية على عجلات، كان هذا ما يقوله هانسو عنها. كانت فتاة قروية، ولكنها سمعت بهذه الأشياء، إلا أنها لم تكن قادرة على الاعتراف أنها كانت تعرف بوجود جامعي البطاقات وضباط الهجرة والحمالين والعربات والمصابيح الكهربائية وأفران الكيروسين والهواتف، لذا بقيت هادئة في العربة وكأنها بذرةٌ تنمو من تربة جديدة، صامدة ومنفتحة لكي تجمع الضوء. كان عليها أن تتطاول بنفسها وتعلو قليلاً لكي ترى العالم معه، وهي الآن ترى العالم من دونه.

قاد يوسب سونجا إلى المقعد الفارغ الوحيد في القسم الخلفي من العربة وتركها هنالك. أخذت الحزم مجدداً من أيزاك ووضعتها في حضنها. جلس الشقيقان متقاربين وتبادلا أخبار العائلة. لم تكترث سونجا بحديث الرجلين. كما فعلت سابقاً، أمسكت حزمها وضمتها إلى صدرها وبطنها لتتنشق رائحة المنزل العالقة على القماش الذي يغطي ممتلكاتها.

كانت شوارع وسط أوساكا مصفوفةً بصفوف من المباني الأجرية المنخفضة والمتاجر ذات المظهر الأنيق. بدا اليابانيون المستقرون في بوسان يشبهون اليابانيين هنا، ولكن كان هنالك أنواع أكثر بكثير منهم. في المحطة، كان هنالك شابان يرتديان بذلتين غربيتين فاخرتين جعلت ملابس أيزاك تبدو قديمة ورجعية، وكان هنالك نساء جميلات يرتدين الكيمونو الباذخة والتي كانت لتجعل دوكي تفقد الوعي بسبب ألوانها المميزة وتطريزها، ورأت فقراء وكانوا يابانيين، لم يسبق لها أن رأت يابانيين فقراء في بوسان، ورأت رجالاً مقززين يبصقون في الشوارع. بدت رحلة العربة قصيرة بالنسبة إليها.

ترجلوا في إيكاينو، الحي الذي عاش فيه الكوريون. وحين وصلوا إلى منزل يوسب، بدا مختلفاً كثيراً عن المنازل التي مروا بها خلال رحلة العربة من المحطة. كانت رائحة الحيوانات أقوى من رائحة الطعام الذي يطهى أو حتى من روائح حدائق المنازل. أرادت سونجا أن تغطي أنفها وفمها، ولكنها منعت نفسها من ذلك.

كان إيكاينو حياً عشوائياً، أكواخه متداعية وغير أنيقة المظهر، القاسم المشترك بين كل الأكواخ طريقة البناء غير المتقنة والمواد الرديئة المستخدمة في البناء. وبين الحين والآخر رأت نوافذ ملمعة وأفنية نظيفة، ولاحظت أن الأوراق كانت تحجب النوافذ من الداخل، ولاحظت أيضاً استخدام الحشوات الخشبية لسد الشقوق. كان المعدن المستخدم على الأسقف صدئاً. بدا لها أن الأكواخ شيدها المقيمون بأنفسهم مستخدمين أرخص المواد، ولم تكن الأكواخ أكثر متانة من الخيم. وبما أن الفصل ربيعي كان الطقس دافئاً، والأطفال يلعبون مرتدين أثمالاً بالية، ولا يعيرون بالًا للرجل الثمل النائم في الزقاق، رأت سونجا فتى صغيراً يقضي حاجته بالقرب من الناصية إلى جانب منزل يوسب.

عاش يوسب وكيونغي في كوخ أشبه بالصندوق ذي سقف منحنٍ قليلاً. كان إطاره الخشبي مغطى بالمعدن المموج. وكان الباب عبارة عن لوح خشبي مغطى بالمعدن.

قال يوسب ضاحكاً: «يليق هذا المكان بالخنازير والكوريين. إنه لا يشبه

المنزل، أليس كذلك؟».

قال أيزاك: لا، ولكنه سيفي بغرض الإقامة فيه، أنا أعتذر عن الإزعاج الذي سنسببه لكما».

لم تصدق سونجا كم كان وضع يوسب وزوجته سيئاً. لم يكن من الممكن أن يعيش رئيس عمال في مصنع في حي فقير كهذا.

«لا يقبل اليابانيون أن يؤجرونا منازل جيدة، لقد اشترينا هذا المنزل قبل ثمان سنوات. أعتقد أننا الكوريان الوحيدان اللذان يملكان منزلاً في هذا الحي، ولكن يجب أن لا يعلم أحد بذلك».

سأل أيزاك: «لماذا؟».

«من غير المناسب أن يعلم الآخرون أنك مالك، إن ملاّك الأراضي هنا أوغاد؛ هذا ما يتذمر الجميع بسببه. اشتريت المنزل بالمال الذي أعطاني إياه أبي حين انتقلت إلى هنا، لو أتيت اليوم لما كنت أستطيع شراءه».

صدر صئيل الخنازير من المنزل المجاور الذي غُطيت نوافذه بالأوراق.

«تربي جارتنا الخنازير التي تشاركها نفس المكان، معها ومع أطفالها».

«كم طفل؟».

«أربعة أطفال وثلاثة خنازير».

همس أيزاك: «وكلها هنالك؟».

أومأ يوسب برأسه، ورفع حاجبيه.

قال أيزاك: «لا يمكن أن يكون العيش هنا مكلفاً كثيراً». خطط أن يستأجر منزلاً له ولسونجا وللطفل.

«ينفق المستأجرون أكثر من نصف رواتبهم بدل إيجار. إن أسعار المأكولات أغلى بكثير مما هي عليه في الوطن».

كان هانسو يملك كثيراً من الأملاك في أوساكا. تساءلت: كيف تمكن من ذلك؟

انفتح الباب الذي يؤدي إلى المطبخ، ونظرت كيونغي إلى الخارج. وضعت الدلو الذي كانت تحمله على عتبة الباب.

صرخت كيونغي: «لماذا تقفون في الخارج؟ ادخلوا، ادخلوا! يا ويلي!» أسرعت نحو أيزاك واحتضنت وجهه بين يديها. «يا ويلي، أنا مسرورة جداً. أنت هنا! حمداً للرب!».

قال أيزاك: «آمين»، وترك كيونغي تربت عليه، والتي لم تره منذ أن كان طفلاً.

قالت لأيزاك ممازحة: «لم أرك من أن غادرت الوطن! ادخلوا إلى المنزل الآن!». واستدارت ناحية سونجا.

قالت كيونغي: «أنت لا تعلمين كم أتوق لأخت. كنت أشعر بالوحدة هنا كثيراً، وأردت التكلم مع فتاة! كنت قلقة من ألا تتمكنا من اللحاق بالقطار. كيف حالك؟ هل أنت متعبة؟ لا بد أنك جائعة».

أمسكت كيونغي يد سونجا بيدها، وتبع الرجلان المرأتين. لم تتوقع سونجا هذا الترحيب الحار. كيونغي جميلة الوجه، عيناها ذواتا شكل ولون مثل بذور البرسيمون وفمها جميل. بدت أجمل وأبهى من سونجا بكثير، والتي كانت أصغر بأكثر من عشر سنوات. لقد رفعت شعرها الداكن والناعم بدبوس خشبي، وائتزرت مئزراً قطنياً فوق فستانها الغربي الأزرق اللون. بدت مثل فتاة مدرسية ناعمة أكثر من كونها ربة منزل في الحادية والثلاثين من العمر.

مدت كيونغي يدها نحو إبريق الشاي النحاسي الموضوع على سخان الكيروسين. سألت زوجها: «هل جلبت لهما شيئاً للشرب أو الأكل في المحطة؟» صبت الشاي في أربعة أكواب فخارية. ضحك: «لقد طلبت مني أن اعود بأسرع ما يمكنني فكيف أشتري لهما شيئاً!».

«يا لك من شقيق رائع! لا بأس. سروري يمنعني من التذمر. لقد جلبتهما إلى المنزل». وقفت كيونغي بالقرب من سونجا ومسدت شعرها.

لم تكن سونجا بوجهها العادي وعينيها الصغيرتين وملامحها المنمنمة قبيحة، بل يمكن وصفها بالجذابة، ولكن جاذبيتها لم تكن واضحة للقاصي والداني، فوجهها وعنقها منتفخان وكاحلاها متورمان. بدا التوتر جلياً على سونجا، وشعرت كيونغي بالأسف اتجاهها وأرادت أن تُعلمها أنه ما من داع للتوتر. كانت الجديلتان المتدليتان على ظهر سونجا مربوطتين بشرائط من القنب العادي، وبطنها مرتفع

وهذا ما جعل سونجا تخمن أنها حامل.

مررت كيونغي الشاي لها، وانحنت سونجا وهي تأخذ الكوب بيدين مرتجفتين.

«هل تشعرين بالبرد؟ فثيابك ليست سميكة بما يكفي». وضعت كيونغي وسادة أرضية بالقرب من الطاولة المنخفضة، وطلبت من الفتاة الجلوس عليها، ووضعت لحافاً أخضر فوق حضن سونجا، عندها احتست سونجا من شاي الشعير الساخن.

لم يكن منظر المنزل الخارجي يشي بالراحة التي تكتنف قاطنيه. علّمت كيونغي، التي تربت في منزل مليء بالخدم، نفسها الحفاظ على منزل نظيف ومريح لها ولزوجها. كان منزلهما متوسط الحجم ولم يكن يقيم في غرفه الثلاث أحد غيرهما، وكان ذلك استثنائياً في هذه المقاطعة الكورية المزدحمة التي قد يعيش فيها عشرة أشخاص في منزل صغير؛ ولكن، مقارنة بالمنازل الكبيرة التي تربت فيها هي وزوجها، بدا هذا المنزل صغيراً للغاية، وغير مناسب حتى لخادم مسن. اشترى الزوجان المنزل من أرملة يابانية فقيرة جداً، انتقلت إلى سيوول مع ابنها حين وصلت كيونغي لتنضم إلى يوسب في أوساكا. كان هنالك العديد من أنواع الكوريين الذين عاشوا في إيكاينو، والذين تعلموا أن يكونوا حذرين من الخداع والإجرام المحيط بهم.

قال يوسب: «إياك وأن تقرض أحداً المال»، ونظر مباشرة إلى أيزاك الذي بدا مرتبكاً بسبب هذه الأمر.

عندها سألت كيونغي: «ألا يمكننا أن نتناقش بهذه الأمور بعد أن يتناولا الطعام؟».

قال يوسب متوجهاً بكلامه إلى أيزاك وسونجا: «أخبراني إن كنتما تملكان مالاً إضافياً أو أشياء ثمينة. سنخبئها. لدي حساب في البنك. كل من يعيش هنا بحاجة إلى المال والملابس والإيجار والطعام؛ لا يمكننا القيام بكثير من الأمور لحل مشاكلهم. سوف نعطي الكنيسة – مثلما تربينا – ولكن على الكنيسة أن توزع تلك الأشياء. أنتما لا تفهمان كيف تسير الأمور هنا. تجنبا الاختلاط مع الجيران قدر المستطاع، وإياكما إن تُدخلا أحداً إلى المنزل».

«أتوقع منك أن تحترم هذه القواعد يا أيزاك. أنت شخص كريم، ولكن قد يكون هذا خطراً بالنسبة إلينا. إن اعتقد الناس أننا نملك كثيراً من المال فإن منزلنا سيسرق. نحن لا نملك كثيراً يا أيزاك، علينا أن نكون حذرين للغاية أيضاً. حالما تبدأ بالعطاء، لن يتوقف الأمر. بعض الناس هنا يشربون الكحول ويقامرون، وتكون الأمهات يائسات للغاية حين ينفد المال من بين أيديهن. لا ألومهن، ولكن علينا أن نعتني بوالدينا وبوالدي كيونغي أولاً».

قالت كيونغي: «إنه يقول كل ذلك لأننا واقعون في مأزق».

سأل أيزاك: «ما الذي تعنينه؟».

«وهبت الطعام لجيراننا حين وصلت إلى هنا، وبعدها بقليل بدأوا بطلبه كل يوم، وكنت أعطيهم عشاءنا، ولم يتفهموا حين أصبح عليّ أن أقلل كمية الطعام من أجل غداء أخيك في اليوم التالي؛ في أحد الأيام، اقتحموا منزلنا وأخذوا آخر كيس بطاطا لدينا. قالوا إنهم لم يفعلوا ذلك، بل شخص من معارفهم...».

قال أيزاك محاولاً أن يفهم: «كانوا جائعين». بدا يوسب غاضباً.

«نحن جائعون أيضاً، لقد سرقونا، عليك أن تتوخى الحذر. كونهم كوريين لا يعني أنهم أصدقاؤنا، توخَّ الحذر من الكوريين، فالسيئون منهم يعلمون أنهم يستطيعون البلطجة على أبناء جلدتهم، وأن الشرطة لن تكبد نفسها عناء الدفاع عن أحد من أبناء السلالة الوضيعة، لقد اقتُحم منزلنا مرتين، وفقدت كيونغي مجوهراتها». حدق يوسب مجدداً إلى أيزاك بعينين محذرتين.

«والنساء في المنزل طوال اليوم. لا أحتفظ بالمال أو بالأشياء القيمة في المنزل».

لم تقل كيونغي شيئاً آخر. لم يخطر ببالها أن إعطاء بضع وجبات سيؤدي إلى سرقة خاتم زواجها ودبوس الشعر والأساور الثمينة التي كانت لأمها. بعد أن تم اقتحام المنزل للمرة الثانية، غضب منها يوسب لأيام.

قالت مبتسمة: «سأقلي السمك الآن. لماذا لا نتحدث ونحن نأكل؟» واتجهت نحو المطبخ الصغير بالقرب من الباب الخلفي.

سألت سونجا: «أختاه، هل يمكنني مساعدتك؟». أومأت كيونغي برأسها

وربتت على ظهرها.

همست: «لا تخافي من الجيران، إنهم أناس طيبون. من حق زوجي – أعني شقيق زوجك – أن يكون حذراً. إنه يعلم أكثر عن هذه الأمور، لا يريد منا الاختلاط بالناس المقيمين بالجوار، لذا لن أفعل. كنت أشعر بكثير من الوحدة. أنا مسرورة جداً لأنك هنا. وسيكون هنالك طفل صغير!».

لمعت عينا كيونغي: «سيكون هنالك طفل في المنزل، وسأصبح خالة. يا لها من نعمة».

كانت الحسرة واضحة على وجه كيونغي الجميل، ولكن معاناتها وحرمانها جعلاها شخصاً أفضل بطريقة ما. خلال كل هذه الأعوام، لم ينجبا طفلاً، وأخبر أيزاك سونجا أن ذلك كان كل ما يتوقان إليه.

لم يكن في المطبخ سوى موقد، وحوضي غسيل، ومنضدة عمل تُستخدم كلوح تقطيع – كانت المساحة عبارة عن جزء صغير من مساحة المطبخ في يونغدو. وبالكاد كانت المساحة تكفي لتقفا جنباً إلى جنب. رفعت سونجا كميها وغسلت يديها بماء الخرطوم في المغسلة قرب الباب. كان يجب تتبيل الخضار المسلوقة وقلي السمك.

«سونجا...» لمست كيونغي ساعدها قليلاً. «سنكون أختين إلى الأبد».

أومأت الشابة برأسها ممتنة، لقد ترسخ الإخلاص في قلبها بالفعل. لقد أثار منظر الطعام شهيتها للمرة الأولى منذ أيام.

حملت كيونغي غطاء طنجرة... أرز أبيض!!.

«فقط اليوم. من أجل ليلتكما الأولى. هذا منزلكما الآن».

13

بعد العشاء، سار الزوجان إلى الحمام العمومي، حيث كان الرجال والنساء يستحمون بشكل منفصل. معظم المستحمين من اليابانيين، ورفضوا الاعتراف بوجود كيونغي وسونجا، وقد توقعتا هذا. شعرت سونجا بالبهجة بعد أن غسلت وسخ الرحلة الطويلة واسترخت. ارتدوا ملابس داخلية نظيفة تحت ملابسهم اليومية وساروا إلى المنزل نظيفين وجاهزين للنوم. بدا يوسب متفائلاً؛ نعم، ستكون الحياة في أوساكا صعبة، ولكن سوف تتغير الأمور نحو الأفضل. يمكن لليابانيين أن يظنوا ما يريدونه عنهم، ولكن لن يكون أي من ذلك مهماً إن نجوا ونجحوا. أصبحوا أربعة أشخاص الآن، قالت كيونغي، وقريباً سيصبحون خمسة - كانوا أقوى لأنهم كانوا معاً. قالت: «أليس كذلك؟».

شبكت كيونغي ذراعيها بذراعي سونجا. سارتا متحاذيتين خلف زوجيهما.

حذر يوسب شقيقه: «لا تنخرط في السياسة أو أي من ذلك الهراء. أبقِ رأسك للأسفل واعمل. لا تقبل أي أوراق دعائية، إن وجدت الشرطة تلك الأشياء معك، فسيلقى القبض عليك وسترمى في السجن. رأيت كل ذلك».

كان أيزاك صغيراً ومريضاً ليتمكن من المشاركة بحركة الاستقلال 1 مارس، ولكن كان العديد من مؤسسيها الأوائل من خريجي مدرسته الدينية في بيونغ يانغ. خرج العديد من معلمي المدرسة الدينية في مسيرة عام 1919.

همس أيزاك مع أنه لم يوجد أحد حولهم على الطريق: «هل هنالك كثير من الناشطين هنا؟».

«نعم، أعتقد ذلك. ولكنهم أكثر في طوكيو، وبعضهم لجأ إلى منشوريا. أياً يكن الأمر، حين يقبض على هؤلاء سيعدمون. أما من يكون محظوظاً فيُرحّل مع أن ذلك نادراً ما يحصل، من الأفضل لك ألا تفعل أي من تلك الأشياء تحت سقفي. لم أدعُك إلى أوساكا لتفعل ذلك. لديك عملٌ في الكنيسة».

حدق أيزاك إلى يوسب الذي بدأ برفع صوته.

قال يوسب بصرامة: «لن تعطي الناشطين دقيقة من وقتك. أليس ذلك؟ أنت لم تعد وحيداً. عليك أن تفكر بزوجتك وطفلك».

في بيونغ يانغ، حين شعر أيزاك بقوة كافية لقطع الرحلة إلى أوساكا، فكر بالتواصل مع الوطنيين الذين يقاتلون ضد الاستعمار. كانت الأمور سيئة في الوطن؛ كما أن والديه كانا يبيعان أراضيهما من أجل دفع الضرائب الخاصة بعمليات مسح الأراضي الجديدة. وها هو يوسب يرسل إليهما المال الآن. آمن أيزاك أن مقاومة القمع كانت من خصال المسيح. ولكن خلال بضعة أشهر، تغير كل شيء بالنسبة إليه. بدا له أن تلك القيم غدت ثانوية تجاه وضعه الجديد الذي وصل إليه الآن. إذ عليه الآن التفكير بأمن الآخرين.

أقلق صمت أيزاك يوسب.

قال يوسب: «ستضايقك الشرطة العسكرية حتى تعترف أو تموت، وصحتك يا أيزاك، عليك أن تحذر من الإصابة بالمرض مجدداً. رأيت رجالاً هنا يلقى القبض عليهم، الوضع هنا بخلاف ما هو عليه في الوطن، فالقضاة والشرطة يابانيون، والقوانين ملتبسة وخاصة تلك التي تتعلق بالكوريين، لا يمكنك أن تثق دوماً بالكوريين ضمن مجموعات الاستقلال هذه. إنهم جواسيس يعملون لصالح الطرفين. هناك مجموعات جواسيس تناقش حتى في الشعر، وهنالك جواسيس أيضاً في الكنائس. في النهاية، يتم قطف كل ناشط مثل الفاكهة الناضجة من نفس الشجرة الغبية. سيرغمونك على توقيع اعتراف. هل تفهم؟» أبطأ يوسب مشيته.

من الخلف، لمست كيونغي كم زوجها.

«يوبو، لا تفرط بالقلق، فأيزاك يمتلك ما يكفي من الوعي حتى لا يورط نفسه بمثل هذه الأمور، دعنا لا نفسد عليهما ليلتهما الأولى».

أومأ يوسب برأسه، ولكنه لم يكن قادراً على السيطرة على قلقه، وشعر أن تنبيه أخيه - حتى لو بدا هيستيرياً - أمر ضروري من أجل أن يبدد بعضاً من قلقه. تذكر يوسب كم كانت الحياة جيدة قبل قدوم اليابانيين - كان بعمر العاشرة حين استعمرت البلاد؛ ومع ذلك، لم يستطع القيام بما قام به أخوهم صموئيل بشجاعة

كبيرة – القتال والموت شهيداً.

«أمك وأبوك سيقتلانني إن مرضت مجدداً أو إن تورطت في مشكلة، كن في غاية المسؤولية وحافظ على نفسك، وحافظ عليّ، أنا واثق أنك لا تريد لوالديك أن يقتلاني».

وضع أيزاك ذراعه اليسرى حول كتف شقيقه وضمه.

قال أيزاك مبتسماً: «أعتقد أنك ازددت قصراً».

قال يوسب بهدوء: «هل فهمتني؟».

«كن على ثقة أنني أفهم وأعي كل كلمة قلتها، لك مني وعد أن لا يمسسني مكروه، خفف عن كاهلك، ولا تقلق، فكثرة القلق تجعل الشيب يغزو مفرقك، وربما مع تفاقم قلقك لن يقتصر الأمر على الشيب بل سينتهي بك المطاف برأس أصلع».

ضحك يوسب. كان هذا ما هو بحاجة إليه؛ أن يكون شقيقه الأصغر بالقرب منه. شعر بالراحة لوجود أحد يعرفه حتى وإن سبب له بعض القلق. صحيح أن زوجته صالحة ولا تقدر بثمن، ولكن وجود شخص من لحمك ودمك ترعرعت وإياه منذ الصغر أمر مختلف. لقد ذعر، من فكرة أن تسلبه السياسة وعالمها المظلم أخاه، وهذا ما حمله على إلقاء محاضرته هذه على أخيه الأثير في ليلته الأولى في أوساكا.

قال أيزاك: «حمام ياباني حقيقي. إنه رائع. إنه أحد الأشياء الرائعة في هذا البلد. أليس كذلك؟».

أومأ يوسب برأسه، وهو يرجو الرب أن يحفظ أخاه من كل سوء. لم يدم سروره لوصول شقيقه كثيراً؛ فهو لم يدرك أن وصوله سيعني قلقه بشأن شخصٍ آخر بهذه الطريقة.

في طريق عودتهم إلى المنزل، أخبرت كيونغي أيزاك وسونجا عن متاجر الشعيرية الشهيرة بالقرب من محطة القطار، ووعدتهما بأن تأخذهما إليها. حين وصلوا إلى المنزل، أشعلت كيونغي الأنوار، وتذكرت سونجا أنها ستعيش في هذا المكان. كان الشارع في الخارج هادئاً ومظلماً، وكان الكوخ الصغير متألقاً بدفءٍ

نقي وبهيج. ذهب أيزاك وسونجا إلى غرفتهما، وتمنت كيونغي لهما ليلة هانئة، وأغلقت الباب خلفهما.

كانت الغرفة عديمة النوافذ، وكبيرة كفاية لتسع فراشاً وصندوقاً يستعمل بمثابة خزانة، غطى الورق النظيف أسفل الجدران، وكانت حصيرة التاتامي نظيفة وممسوحة يدوياً؛ لقد حشت كيونغي اللحاف بقطن جديد. في الغرفة مدفأة كيروسين، على ما يبدو أنها أفضل من تلك الموجودة في الغرفة الرئيسية، حيث كان كل من كيونغي ويوسب ينامان، وكانت تطلق صوت همهمة ثابت ومهدئ.

سينام أيزاك وسونجا على الفراش نفسه. قبل أن تغادر سونجا المنزل، تحدثت أمها إليها عن الجنس، وكأن كل شيء كان جديداً بالنسبة إليها؛ وضحت لها ما كان يتوقعه الزوج منها؛ وقالت إن العلاقات مسموحة حين تكون المرأة حامل. «افعلي ما في وسعك لترضي زوجك. الرجال بحاجة لممارسة الجنس.

تدلى مصباح كهربائي وحيد من السقف، وأضفى نوراً شاحباً على الغرفة. نظرت سونجا إليه، ونظر أيزاك إلى الأعلى أيضاً.

قال: «لا بد أنك متعبة».

«أنا على ما يرام».

جلست سونجا القرفصاء لتفتح الفراش المطوي واللحاف على الأرض. كيف ستشعر حين تنام بالقرب من أيزاك، الذي أصبح الآن زوجها؟ أعدت الفراش على الفور، ولكنهما لا يزالان يرتديان ملابس الخروج. أخرجت سونجا ملابسها الليلية من حزمة ملابسها – ثوب نوم قطني أبيض صنعته أمها من ثوبين قديمين. كيف ستغير ملابسها؟ ركعت بالقرب من الفراش، والثوب في يديها.

سألها: «هل تريدين أن أطفئ النور؟».

«نعم».

سحب أيزاك السلك، وأصدر المفتاح صوت طقطقة عالياً. كانت الغرفة مغمورة بالوهج الخفيف القادم من الغرفة المجاورة، التي كانت مفصولة عنها بباب ورقي. وكان الشارع خلف الجهة الأخرى من الجدار الرقيق، حيث المشاة يتحدثون بصوتٍ عالٍ، وكانت الخنازير تخن بين الحين والآخر. شعرت وكأن

الشارع كان في الداخل وليس في الخارج. خلع أيزاك ملابسه، وأبقى ملابسه الداخلية لينام بها؛ ملابس خاصة رأتها سونجا آنفاً، بما أنها غسلتها لأشهر خلت. لقد سبق لها أن رأته يتقيأ ويصاب بالإسهال، ويسعل دماً؛ جوانب من المرض لم يكن على أية زوجة شابة أن تراها مبكراً هكذا علاقة. بطريقةٍ ما، عاشا سويةً لوقت أطول وأكثر حميمية من معظم الناس المتزوجين، ورأى كل منهما الآخر في ظروف صعبة جداً. قال في نفسه، عليهما أن يبتعدا عن التوتر أمام بعضهما. ومع ذلك شعر أيزاك بعدم الارتياح. لم يسبق له أن نام إلى جانب امرأة، مع أنه يعرف ما يجب أن يحصل، إلا أنه لم يعرف كيف يبدأ.

خلعت سونجا ملابسها النهارية - في الحمام العام وتحت الأنوار الكهربائية، لاحظت وجود خط طولي غامق يصل من عانتها إلى قاعدة ثدييها المستديرين المتدليين - وارتدت ثوب النوم.

انسل أيزاك وسونجا مثل الأطفال المنتعشين بعد الحمام بسرعة تحت اللحاف الأزرق والأبيض، وقد فاحت منهما رائحة الصابون.

أرادت سونجا أن تقول له شيئاً، ولكنها لم تعرف ما هو. بدآ علاقتهما بمرضه وبقيامها بأمر مخزٍ وبإنقاذه لها. ربما يمكنهما في منزلهما الجديد أن يبدآ مجدداً. شعرت سونجا بالتفاؤل وهي مستلقية في هذه الغرفة التي أعدّتها كيونغي من أجلهما. خطر في بالها أنها كانت تحاول أن تعيد هانسو عبر تذكرها له، ولكن لم يكن هذا منطقياً. أرادت أن تكرس نفسها لأيزاك وللطفل. لفعل ذلك، عليها أن تنسى هانسو.

«عائلتك طيبة للغاية».

«أتمنى لو تستطيعين أن تلتقي بوالديّ أيضاً. إن والدي مثل شقيقي؛ نزيه وطيب القلب، أما أمي فحكيمة؛ تبدو متحفظة، ولكنها ستحميك على حساب حياتها. إنها تعتقد أن كيونغي محقة في كل شيء ودائماً ما تكون معها». ضحك بهدوء.

أومأت سونجا برأسها، متسائلة كيف كان حال أمها.

أمال أيزاك برأسه ليقترب من وسادتها، فحبست أنفاسها. تساءلت، هل يمكن

أن يملك رغبة اتجاهها؟ كيف كان هذا ممكناً؟

لاحظ أيزاك أنه حين تكون سونجا قلقة، كانت تقطب حاجبيها، وكأنها تحاول أن ترى بشكلٍ أفضل. أحب وجوده إلى جانبها، كانت قوية ومتزنة، ولم تكن عاجزة، وكان هذا جذاباً لأنه بالرغم من عدم كونه عاجزاً أيضاً، إلا أنه علم أنه لم يكن عاقلاً طوال الوقت. سوف تكون كفاءتها جيدة من أجل ما سماه أبوه مرة بـ «طبيعته غير العملية». كانت رحلتهما من بوسان لتكون صعبة بالنسبة إلى أي أحد، فما بالك بالنسبة إلى امرأة حامل، ولكنها لم تتذمر أو تقل شيئاً خاطئاً. كلما كان ينسى أن يأكل أو يشرب، أو يرتدي معطفه، كانت تذكره دون ذرة من التوبيخ. علم أيزاك كيفية التكلم مع الناس، وطرح الأسئلة، والانتباه للقلق في نبرة صوت المرء؛ أما هي فبدت وكأنها تعرف كيفية النجاة، وهذا ما لم يعرف دوماً كيف يقوم به. شعر بحاجة إليها، حاجة الرجل إلى زوجته.

قال: «أشعر اليوم أنني أفضل حالاً، فلا أثر لضيق الصدر».

«ربما هذا بسبب الاستحمام، والعشاء الشهي، لا أذكر آخر مرة أكلت فيها كل هذا. تناولنا الأرز الأبيض مرتين هذا الشهر. أشعر وكأنني ثرية».

ضحك أيزاك: «أتمنى لو أستطيع أن أجلب لك الأرز الأبيض كل يوم». خلال خدمة أيزاك للرب، لم يكن عليه أن يهتم بما يأكل، أو بمكان نومه أو بملابسه، ولكنه أصبح الآن متزوجاً، فكّر بأنه عليه الاهتمام بحاجاتها.

«لا، لا. لم أقصد هذا. كنت فقط متفاجئة من ذلك. ليس من الضروري أن نتناول الأشياء الفاخرة». وبخت سونجا نفسها، لم ترد أن يعتقد أنها فتاة مدللة.

قال: «أحب الأرز الأبيض أيضاً». مع أنه لم يفكر كثيراً بما كان يأكله. أراد أن يلمس كتفها ليطمئنها ولم يكن ليتردد لو كانا يرتديان ملابسهما، ولكن الاستلقاء بالقرب منها وارتداء القليل من الملابس جعله يبقي يديه إلى جانبيه.

أرادت أن تتابع الحديث معه. كان من الأسهل أن تهمس في الظلام؛ فقد شعرت بالإحراج للتكلم على العبّارة أو على متن القطار حين لم يملكا الوقت لمحادثات أطول.

«شقيقك مثير جداً للاهتمام؛ ذكرت أمي أنه كان يروي القصص المضحكة

ولطالما أضحك والدي...».

«لم أختر أن يكون لدي أخٌ مفضل، ولكنه لطالما كان شقيقي الأقرب إليّ. حين كنا نشب عن الطوق، وبخ كثيراً لأنه لم يحب الذهاب إلى المدرسة، فقد واجه صعوبة بالقراءة والكتابة، إلا أن ذاكرته قوية، وأجاد التعاطي مع الناس، لم يكن ينسى ما يسمعه، ويتعلم اللغات بسرعة، وهو يتحدث قليلاً من الإنكليزية والصينية والروسية. وبرع في إصلاح الآلات وحظي بمحبة كل من في بلدتنا، ولم يرغب أي كان بمغادرته إلى اليابان، تمنى والدي أن يراه طبيباً، ولكن أمنيته ما كانت لتتحقق لأن شقيقي لم يكن يطيق صبراً على الجلوس والدراسة، ولطالما عاقبه المدرسون لأنه لا يبذل جهداً في الدراسة، وبدوره تمنى لو أنه المريض وليس أنا لكي يبقى في المنزل. بسبب مرضي أتى المدرسون إلى المنزل لتدريسي، وحين يتغيب عن المدرسة ليذهب إلى صيد السمك والسباحة مع رفاقه كان يطلب مني أن أهتم بواجباته المدرسية البيتية. أعتقد أنه أتى إلى أوساكا، هرباً من الشجار مع والدي، فقد سعى وراء المال والثراء، وأيقن أنه لن يصبح طبيباً مهما طال الزمن، ولم ير أملاً في جني المال في كوريا سيما وأن النزهاء كانوا يوماً بعد يوم يفقدون أملاكهم».

لم يتحدث أي منهما بعدها، وأنصتا لصخب الشارع – امرأة تصرخ على أولادها كي يدخلوا المنزل، مجموعة من الرجال الثملين يغنون بنشاز «أريرانغ، أريرانغ، أريرايو – بعد قليل من الوقت، استطاعا سماع غطيط يوسب وأنفاس كيونغي المنتظمة والرقيقة وكأنهما مستلقيان إلى جانبهما.

وضع أيزاك يده اليمنى على بطنها، ولكنه لم يشعر بأية حركة. لم تتحدث يوماً عن الطفل، ولكن أيزاك سأل بين الحين والآخر عما كان يحصل للطفل.

قال: «الطفل نعمة من الرب».

«أعتقد أنه كذلك».

قال: «بطنك دافئ».

كان الجلد على كفيها خشناً، ولكن جلد بطنها كان ناعماً ومشدوداً مثل القماش الفخم. كان مع زوجته، وكان عليه أن يكون أكثر ثقة بنفسه، ولكنه لم

يكن كذلك. شعر بالاهتياج، لطالما حصل هذا منذ كان فتى صغيراً، ولكن الأمر بدا مختلفاً الآن وهو مستلقٍ بالقرب من امرأة. بالطبع، تخيل كيف ستكون هذه الليلة من قبل، ولكن ما لم يتوقعه كان الدفء، وقرب نفسها، وخوفه من أن لا يعجبها تصرفه عندما وضع يده على ثديها – جميل الشكل والقوام – أحس بتغير في تواتر أنفاسها.

حاولت سونجا أن تسترخي؛ لم يلمسها هانسو بهذه العناية والرقة من قبل. حين كانت تلتقي به عند الخليج، كان الجنس يبدأ على الفور، دون أن تعلم ما كان يعني... الإيلاج الغريب، تغير وجهه بتعابير الراحة والامتنان، ثم الحاجة لغسل رجليها بمياه البحر الباردة. كان يلمس خط فكها وعنقها بيديه، وأحب لمس شعرها، وأراد منها ذات مرة أن تفلت جدائل شعرها ففعلت ذلك، وهذا ما سبب تأخرها في العودة إلى المنزل، كان الطفل في داخل جسدها يستريح وينمو، ولم يتمكن من تحسس ذلك لأنه اختفى.

فتحت سونجا عينيها؛ كانت عينا أيزاك مفتوحتين أيضاً، وكان يبتسم لها، وتسارعت أنفاسها عندما داعب حلمتيها.

قال: «يوبو».

كان زوجها، وسوف تحبه.

14

في وقتٍ مبكر من صباح اليوم التالي، استخدم أيزاك الخريطة التي رسمها شقيقه يوسب على قطعة من ورق اللحام لكي يجد كنيسة هانغكوك، وهي منزل ذو إطار خشبي مائل في الشوارع الخلفية لإيكاينو، على بُعد خطوات قليلة من سوق شوتينغاي. العلامة المميزة الوحيدة فيها هي صليب أبيض متواضع مرسوم على بابها الخشبي بني اللون.

قاد سيكستون هو- وهو شاب صيني رباه القس يو- أيزاك إلى مكتب الكنيسة. كان القس يو يقدم المشورة لأخ وأخت. انتظر هو وأيزاك بالقرب من باب المكتب. كانت الشابة اليافعة تتحدث بصوت منخفض، وكان يو يومئ برأسه متعاطفاً.

سأل أيزاك هو بهدوء: «ربما من الأفضل أن أعود لاحقاً؟».

«لا سيدي».

تفحص هو، بتمعن ذلك الكاهن الجديد وقد بدا له أنه شخص محافظ، لم يبدُ القس أيزاك قوياً للغاية. لقد انبهر هو بوسامة أيزاك، ولكنه اعتقد أن رجلاً في ريعان الشباب يجب أن يمتلك بنية جسدية أقوى وأمتن. فالقس يو كان في ما مضى رجلاً أضخم بكثير، ويجري لمسافات طويلة ويلعب كرة القدم بمهارة. ولكن عندما تقدم به العمر، أخذ جسمه يتضاءل، وعانى من إعتام عدسة العين.

«كل صباح يسأل القس يو عن أي أخبار بشأنك. لم نعلم متى ستأتي. لو علمنا أنك ستصل البارحة، لكنت ذهبت وانتظرتك في المحطة». لم يتجاوز هو العشرين عاماً؛ كان يجيد اليابانية والكورية ويملك تكلف رجلٍ أكبر في السن.

ارتدى هو قميصاً طويلاً أبيض فضفاضاً مع ياقة منشاة، وقد جمعه تحت بنطال صوفي بني اللون، أما كنزته الصوفية ذات اللون الأزرق الداكن المحاكة من الصوف السميك فقد كانت مرقعة في عدة أماكن، لقد ارتدى الملابس التي

خلّفها المبشرون الكنديون وراءهم والذين لم يملكوا الكثير أيضاً.

استدار أيزاك كي يسعل.

«بنيّ، من هذا الذي معك؟» التفت يو نحو مصدر الصوت، ورفع نظارته ذات الإطار المدبب ليقربها من وجه، بالرغم من أن ذلك بالكاد حسّن من رؤيته. خلف اللون الرمادي الحليبي الذي يعكر عينيه، بقيت تعابيره هادئة وساكنة، وصوته حاداً، ولم يستطع التعرف إلى الأشكال الموجودة قرب الباب، ولكنه علم أن أحدها لا يعود لهو؛ اليتيم المنشوري الذي تركه ضابط ياباني عند باب الكنيسة، وكان متأكداً أن صوت الرجل الذي كان يتحدث إليه غير مألوف.

قال هو: «إنه القس أيزاك».

استدار الشقيقان الجالسان على الأرض بالقرب من القس وانحنيا.

شعر يو بنفاد الصبر لكي ينهي اللقاء مع الأخ والأخت، اللذين لم يتوصلا إلى حل.

«تعال صوبي يا أيزاك. من الصعب عليّ أن أصل إليك، أخيراً وصلت، حمداً للرب على سلامتك». وضع يو يده اليمنى بخفة على رأس أيزاك. «لتحل بركة الرب عليك يا بنيّ».

قال أيزاك: «أعتذر لأنني جعلتك تنتظر، وصلت إلى أوساكا الليلة الماضية».

كان بؤبؤا القس الأكبر سناً محاطين باللون الفضي. لم يكن كفيفاً، لكنه بالكاد يرى، بغض النظر عن رؤيته المتلاشية، بدا الكاهن - الذي كان يجلس منتصباً - مفعماً بالحيوية.

«اقترب يا بني».

اقترب أيزاك، وأمسك الرجل الأكبر سناً يدي أيزاك أولاً، ثم احتضن وجهه بين كفيه.

نظر الأخ والأخت دون أن يقولا شيئاً، وجثى هو بالقرب من عارضة الباب على ركبتيه منتظراً تعليمات يو التالية.

قال يو: «لقد أرسلت لي كنعمة كما ترى».

«شكراً لسماحك لي بالقدوم».

«سُررت لوصولك أخيراً. هل جلبت زوجتك؟ قرأ هو لي رسالتك».

«إنها في المنزل اليوم. ستأتي إلى الكنيسة يوم الأحد».

أومأ الرجل الكبير برأسه: «نعم، نعم. سيسر المصلون كثيراً لقدومك. آه، عليك أن تلتقي بهذه العائلة!».

انحنى الأخوان مجدداً لأيزاك. لاحظا أن القس بدا أسعد مما كان عليه يوماً.

قال يو لأيزاك: «لقد أتيا لرؤيتنا من أجل مسألة عائلية». ثم استدار نحو الشقيقين.

لم تخفِ الأخت انزعاجها. كانا من قرية ريفية في جيجو، وكانا أقل رسمية بكثير من الشباب القادمين من المدن. كانت الفتاة ذات البشرة الداكنة والشعر السميك الأسود تبدو صحية وجميلة للغاية وبريئة في آن واحد، وارتدت قميصاً أبيض ذا كمين طويلين مزرراً حتى الياقة وسروال مومبي نيلي اللون.

«هذا هو القس المساعد الجديد، أيزاك. هل لنا أن نطلب مشورته أيضاً؟» من نبرة القس يو أيقن الشقيقان أن عليهما الإذعان لاقتراحه.

ابتسم أيزاك لهما. كانت الأخت بعمر العشرين أو ما شابه، والأخ أصغر منها بقليل.

كانت المسألة معقدة، ولكنها لم تكن غير شائعة، فهما يتجادلان حول المال. الأخت تقبل هدايا مالية من مدير ياباني في مصنع الغزل والنسيج الذي تعمل فيه، وكان المدير أكبر من والديهما وكان متزوجاً وله خمسة أولاد، وكان يأخذ الأخت إلى المطاعم ويعطيها الحلي والمال. أرسلت الفتاة كل المال إلى والديها اللذين يعيشان مع عم فقير في قريتهما. شعر الأخ أنه من غير الصائب أن تأخذ شيئاً غير راتبها، لكن الأخت لم توافقه الرأي.

سأل الأخ أيزاك بصراحة: «ما الذي يريده منها؟ يجب أن توقفوها عن ذلك. هذه خطيئة».

أخفض يو رأسه، وبدا أنه تعب من نقاشاتهما التي لم تفضِ إلى نتيجة.

كانت الأخت غاضبة من وجودها في هذا المكان ومن اضطرارها إلى سماع اتهاماته.

قالت الأخت: «أخذ اليابانيون مزرعة عمي، لا يمكننا أن نعمل في الوطن لعدم توافر الوظائف، ولا أرى ضيراً في تناول العشاء مع رجل ياباني لقاء بعض المال الإضافي. سآخذ ضعف ما يعطيني لو استطعت. إنه لا يعطيني الكثير».

قال الأخ الذي بدا مشمئزاً: «إنه يتوقع شيئاً ما، وهو بخيل».

«لن أدع يوشيكاوا سان يلمسني يوماً. أنا أجلس وأبتسم وأستمع إليه وهو يتحدث عن عائلته وعن عمله».

لم تذكر أنها كانت تسكب له الشراب، وتضع أحمر الشفاه الذي اشتراه لها، والذي كانت تمسحه قبل العودة إلى المنزل.

عندها صرخ الأخ: «إنه يدفع لك كي تغازليه، هكذا تتصرف بائعة الهوى، النساء الصالحات لا يذهبن إلى المطاعم مع الرجال المتزوجين! قال والدي إنني مسؤول عنها بينما نعمل في اليابان، وعليّ أن أعتني بشقيقتي. هل يهم إن كانت أكبر سناً؟ إنها فتاة وأنا رجل؛ لا يمكنني أن أدع هذا يستمر. لن أسمح بذلك!».

كان الأخ أصغر بأربع سنوات من أخته التي تبلغ من العمر تسعة عشر عاماً، وكانا يعيشان مع قريبة بعيدة في منزل مزدحم في إيكاينو. لم تزعجهما قريبتهما الكبيرة في السن طالما كانا يدفعان ما يترتب عليهما من الإيجار، وبما أنها لم تكن من رواد الكنيسة فإن القس يو لم يعرفها.

«أبي وأمي يتضوران جوعاً في الوطن. لا يمكن لعمي أن يطعم زوجته وأولاده. سأبيع يدي لو استطعت. يريد الرب مني أن أكرّم والديّ، إن الاهتمام بهما ليس خطيئة. إن كان عليّ أن أفقد شرفي..»، بدأت الفتاة بالبكاء. «أليس ممكناً أن الرب قد أرسل يوشيكاوا سان لنا حلاً للمشكلة؟» نظرت إلى القس يو، الذي أمسك بيدي الفتاة وحنى رأسه وكأنه يصلي.

لم يكن من الغريب سماع هذه النوع من التبريرات؛ التوق لتحويل الأفعال السيئة إلى أفعال جيدة. لم يرد أحد أن يسمع أن الرب لم يعمل بتلك الطريقة؛ لا يريد الرب أبداً أن تبيع شابة جسدها لتتبع إحدى الوصايا. لا يمكن غسل الخطايا بالنتائج الجيدة.

تنهد يو: «آيغو. لا بد أنه من الصعب أن تحملي ثقل هذا العالم على كتفيك

الصغيرتين، هل يعلم والداك مصدر هذا المال؟».

«إنهما يعتقدان أنه من راتبي، ولكن ما يعرفانه بالتأكيد أن ما أرسله لهما يقيهما العوز ويتيح لهما دفع الإيجار وتأمين مصروفهما. يجب أن يذهب أخي إلى المدرسة؛ أخبرتني أمي أنني مسؤولة عن إنهائه الدراسة، إنه يهددني بترك دراسته لكي يتمكن من العمل، ولكن مثل هذا القرار الأحمق ستترتب عليه نتائج وخيمة على المدى البعيد، سنعمل حينها في هذه الوظائف السيئة طوال الوقت. دون أن نتعلم القراءة والكتابة باللغة اليابانية».

بدا الذهول جلياً على أيزاك، لقد فكرت بهذا ملياً. فهو أكبر منها بست سنوات، ولم يفكر بمثل هذه الأمور. لم يعط والديه سيناً واحداً من أتعابه، بما أنه لم يكسب المال من قبل. حين عمل لوقت قصير مساعد قس في الكنيسة في الوطن، لم يتقاضَ راتباً، لأن الكنيسة لم تملك الكثير من أجل كبار رجال الدين، وكانت احتياجات المؤمنين كثيرة. لم يكن متأكداً مما سيجنيه هنا، فحين تلقى اتصالاً من أجل العمل في هذه الكنيسة، لم يناقش الشروط؛ افترض أن تعويضه سيكون كافياً لدعمه... والآن، لدعم عائلته. مع وجود المال دوماً في جيب أيزاك وتوفره على الفور حين كان يطلبه من والديه أو من شقيقه، لم يتكبد عناء معرفة مصاريفه أو ما كان يجنيه. شعر أيزاك وكأنه أحمق أناني أمام هذين الشخصين اليافعين.

قال الأخ بهدوء: «أيها القس يو، نريد منك أن تقرر، إنها لا تصغي إلي، لا يمكنني أن أتحكم بمكان وجودها بعد العمل. إن استمرت بلقاء هذا الحمار، سيفعل شيئاً مروعاً، ولن يهتم أحد بما سيحصل لها. ستصغي إليك. عليها أن تفعل ذلك».

أبقت الأخت رأسها منكساً. لم ترد أن يظن القس يو أنها سيئة. لطالما كانت صباحات الأحد مميزة جداً بالنسبة إليها، فهي لا تشعر بالراحة في أي مكان إلا في الكنيسة، وهي لم تقم بأي فعل مشين مع يوشيكاوا سان، ولكنها متأكدة أن زوجته لا تعلم بخصوص هذه اللقاءات، وعديدة هي المرات التي حاول فيها إمساك يدها، صحيح أنه لم يبدُ سيئ النية ولكنه في الوقت عينه لم يبدُ بريئاً.

قبل فترة، طلب منها أن ترافقه إلى شلال أونسن في كيوتو، لكنها رفضت متعللة بضرورة اهتمامها بأخيها.

استهل يو: «علينا أن ندعم عائلتنا، هذا صحيح». بدت معالم الراحة على الأخت. «ولكن علينا أن نكون حذرين بشأن الفضيلة، فهي أهم من المال. جسدك معبد مقدس تعيش فيه الروح القدس. إن قلق شقيقك طبيعي. عدا إيماننا والتكلم بعملية، إن كنت ستتزوجين، فإن طهارتك وسمعتك أمران مهمان أيضاً. حكم العالم قاسٍ على أخطاء الفتاة وعلى ما يُقال بشأنها. إنه أمر خاطئ، ولكن هذه الطريقة التي يعمل فيها هذا العالم المليء بالخطايا».

قالت الأخت: «ولكن لا يمكنه أن يترك المدرسة يا سيدي. وعدت أمي...».

ردّ يو: «إنه يافع، يمكنه الذهاب إلى المدرسة في وقت لاحق». مع أنه علم أن ذلك غير مرجح.

رفع الأخ رأسه حين سمع ذلك، لم يتوقع هذا الاقتراح. كان يكره المدرسة – اعتقد المدرسون اليابانيون أنه غبي، وكان الأولاد يزعجونه يومياً بسبب ملابسه ولهجته – خطط الأخ أن يجني ما استطاع من المال لكي تترك أخته العمل أو تعمل في مكانٍ آخر ولكي يرسل المال لوالديه في جيجو.

أجهشت الشابة بالبكاء.

ازدرد يو لعابه وقال بهدوء: «أنت محقة، من الأفضل أن يذهب شقيقك إلى المدرسة، حتى وإن كان ذلك لعام أو اثنين كي يتعلم القراءة والكتابة. ليس هنالك خيار أفضل من التعلم، بالطبع؛ يحتاج بلدنا إلى جيل جديد من الناس المثقفين ليقودنا».

هدأت الأخت، وهي تفكر في أن القس قد ينحاز إليها. لم يكن الأمر وكأنها أرادت الاستمرار برؤية يوشيكاوا؛ الرجل المسن السخيف الذي كانت رائحة الكافور تفوح منه، ولكنها اعتقدت أن لوجودها هنا في أوساكا هدف سامٍ، وأنه كان هنالك مستقبل نبيل ينتظرهما إن عملت بجد وذهب أخوها إلى المدرسة.

أصغى أيزاك ليو بإعجاب، ملاحظاً أن القس المسن كان مستشاراً ممتازاً، متعاطفاً وحازماً في آن واحد.

«لا يريد يوشيكاوا سان في الوقت الحالي سوى رفقتك، ولكن قد يريد أشياء أخرى لاحقاً، وستجدين نفسك مدينة له. ستشعرين بالتزام به، قد تخشين فقدان عملك، وعندها يكون الأوان قد فات، قد تعتقدين أنك تستغلينه، هل علينا أن نستغل الآخرين لأننا قد تعرضنا للاستغلال، يا ابنتي؟».

أوما أيزاك رأسه موافقاً، شعر بالارتياح بسبب تعاطف القس وحكمته. لم يكن ليعرف ما عليه قوله.

سأل يو: «أيزاك، هل يمكنك أن تبارك هذين الشابين؟» فبدأ أيزاك بالصلاة لهما.

غادر الأخ والأخت دون جدال، ومن دون شك، سيعودان للصلاة يوم الأحد. عاد المساعد الذي كان غائباً، جالباً معه ثلاث زبديات كبيرة من شعيرية القمح وحساء الفاصولياء السوداء. صلى الرجال الثلاثة قبل تناولهم الطعام. جلسوا على الأرض متربعين، وكان غداؤهم الساخن على طاولة طعام منخفضة صنعها هو من الصناديق المرمية. الغرفة باردة، وزاد من برودتها غياب الوسادات الارضية. كان أيزاك متفاجئاً لملاحظته هذا؛ لطالما اعتقد أنه ليس من الناس الذين يهتمون بهذه الجماليات، ولكن لم يكن الجلوس على الأرض الإسمنتية مريحاً.

قال يو: «كل يا بني، هو طباخ ماهر. لولاه لكنت سأجوع». وبدأ بتناول الطعام.

سأل هو القس يو: «هل تعتقد أن الأخت ستتوقف عن رؤيته؟».

أجابه يو: «إن حملت الفتاة، سينبذها يوشيكاوا، ولن يتمكن أخاها من الذهاب إلى المدرسة على أية حال. المدير مجرد رجل مسن أحمق رومنسي يريد رفقة فتاة أصغر ليشعر وكأنه واقع في الغرام. قريباً سيرغب بمشاركتها الفراش، وفي النهاية سيفقد الاهتمام بها. ليس من الصعب كثيراً فهم الرجل والنساء. عليها أن تتوقف عن رؤية المدير، وعلى أخيها أن يجد عملاً. عليها أن تغير مكان عملها على الفور. سيجنيان سوية ما يكفي من المال للعيش وليرسلا منه لوالديهما».

صدم أيزاك من تغير نبرة القس؛ بدا له بارداً، بل حتى متغطرساً.

أومأ هو برأسه وأكل الشعيرية بهدوء وكأنه كان يفكر ملياً بالأمر.

التفت يو نحو أيزاك. «لقد رأيت مثل هذه الأمور مرات عديدة. تعتقد الفتيات

أنهن يملكن الأفضلية لأن هذا النوع من الرجال يبدو كثير الإذعان، بينما في الواقع، ينتهي مثل هذا الأمر بدفع الفتيات لثمن كبير مقابل أخطائهن. يغفر الرب أخطاء المرء، ولكن العالم لا يغفر».

تمتم أيزاك: «نعم».

«هل استقرت زوجتك؟ هل يتسع منزل أخيك لكما أيضاً؟».

«نعم. عند أخي مساحة كافية. إن زوجتي حامل».

قال يو مبتهجاً: «بهذه السرعة! كم هذا رائع».

قال هو متحمساً: «هذا مذهل» وبدا بذلك يافعاً للمرة الأولى. كان جزؤه المفضل من القداس مشاهدة الأولاد يركضون في القسم الخلفي من الكنيسة. فقبل أن يأتي إلى اليابان عاش في ميتم كبير، وكان يحبّ سماع أصوات الأولاد.

«أين يعيش شقيقك؟».

«على بعد بضع دقائق من هنا فقط. سمعت أنه من الصعب الحصول على مسكن جيد».

ضحك يو: «لا أحد يؤجر الكوريين. ستحصل كقسٍّ على فرصة لرؤية طريقة عيش الكوريين هنا، لا يمكنك تخيل الأمر: اثنا عشر شخصاً في غرفة تتسع لشخصين، الرجال والعائلات يتناوبون على النوم. الخنازير والدجاج في داخل المنازل. لا مياه ولا تدفئة. يعتقد اليابانيون أن الكوريين وسخين، ولكنهم لا يملكون خياراً سوى العيش في ظروف سيئة. رأيت الأرستقراطيين من سيوول تتدهور أحوالهم ليصبحوا لا شيء. دون مالٍ للذهاب إلى الحمام العام، يرتدون الأسمال، ويسيرون حفاة، غير قادرين على الحصول على عمل كحمّالين في الأسواق. ليس هنالك مكانٌ لهم. حتى الذين يملكون عملاً ومالاً فإنهم لا يستطيعون الحصول على مكان للعيش. يستخدم بعضهم البيوت المهجورة بشكلٍ غير شرعي».

«ألم تؤمن الشركات اليابانية للرجال الذين جلبتهم إلى هنا سكناً؟».

قال يو دون عواطف: «هنالك مخيمات متصلة بالمناجم أو المصانع الكبيرة في أماكن مثل هوكايدو، ولكنها غير مخصصة للعائلات. المخيمات ليست أفضل

بكثير؛ الظروف فيها يُرثى لها». مجدداً، بدت نبرة يو مجردة من المشاعر، وهذا ما فاجأ أيزاك. حين كان الأخوان هنا، بدا يو مهتماً بمشكلتهما.

سأله أيزاك: «أين تعيش أنت؟».

«أنا أعيش في المكتب. في تلك الزاوية». أشار يو إلى بقعة بالقرب من الموقد. «وينام هو في تلك الزاوية».

«ليس هنالك فرش أو أسرّة...».

«إنها في الخزانة. يعدّ هو الفرش كل ليلة ويزيلها في الصباح. يمكننا أن نفسح مجالاً لك ولعائلتك إن احتجت للبقاء هنا. سيكون ذلك جزءاً من تعويضك».

«شكراً لك سيدي. ولكنني أعتقد أننا على ما يرام الآن».

أومأ هو برأسه، بالرغم من أنه كان سيحب لو أقام معهم طفل؛ كان مبنى الكنيسة مفتوحاً للريح العاتية.

«وماذا عن وجباتك؟».

«يطهو هو لنا وجباتنا على الموقد في القسم الخلفي من المنزل. هنالك مغسلة مع مياه جارية؛ المرحاض في القسم الخلفي؛ وضعه المبشرون هنالك والحمد لله».

سأل أيزاك يو: «أليس لديك عائلة؟».

أجابه يو: «توفيت زوجتي بعد سنتين من وصولنا. كان هذا قبل خمسة عشر عاماً. لم ننجب أولاداً. ولكن هو بمنزلة ابني. إنه نعمتي، وأتيت أنت الآن لتكون نعمة لكلينا».

توردت وجنتا هو، مسروراً بذكره في الحديث. سأل يو: «كيف تعاملك مع المال؟».

قال أيزاك: «أردت التكلم معك» متسائلاً إن كان يمكنه مناقشة هذا الأمر أمام هو، ولكنه أدرك أن حضور هو واجب لأنه يعمل كعيني القس.

رفع يو رأسه وتحدث بحزم، مثل تاجر عنيد: «ستكون أتعابك خمسة عشر يناً في الشهر. هذا لا يكفي لعيش الرجل. أنا وهو لا نقبض المال. فقط مصاريف العيش. إضافةً لذلك، لا يمكنني حتى أن أضمن حصولك على خمسة عشر يناً كل

شهر. ترسل لنا الكنائس الكندية بعض الدعم، ولكنه غير ثابت، لا يعطي مصلونا الكثير. هل ستكون على ما يرام؟».

لم يعلم أيزاك ما عليه أن يقول، لم يملك فكرة عن مقدار مساهمته للعيش لدى شقيقه. لم يتصور اضطراره ليطلب مساعدة أخيه في دعم زوجته وطفله.

«هل يمكن لعائلتك أن تساعد؟» كان ذلك في حسبان يو حين فكر بتوظيف أيزاك. تملك عائلة الفتى قطعة أرض في بيونغ يانغ؛ ذكرت مراجعه الوظيفية هناك أن عائلته تملك المال، لذا لن يكون راتب أيزاك مهماً على الأرجح. أخبروه أنه لم يطلب راتباً حتى حين عمل قساً ثانوياً. كان أيزاك مريضاً ولم يكن موظفاً مرغوباً. كان يعتمد يو على دعم عائلة أيزاك المالي للكنيسة.

«أنا... لا أستطيع أن أطلب المساعدة من أخي يا سيدي».

«أوه؟ هكذا إذاً؟».

«ولا يمكن لوالديّ أن يساعدا الآن».

«فهمت».

شعر هو بالأسف لحال القس الشاب، الذي بدا مصدوماً وقد شعر بالعار في الوقت نفسه.

«كان والدانا يبيعان قطعاً كبيرة من أراضيهما ليدفعا الضرائب، والظروف متزعزعة الآن. كان شقيقي يرسل إليهما المال لكي يعيشا. أعتقد أنه يدعم أيضاً عائلة زوجته».

أومأ يو برأسه. لم يكن هذا متوقعاً، مع أنه كان منطقياً بالطبع. لم تكن عائلته مختلفة عن الآخرين الذين تم تقييمهم بشكل فاضح من قبل الحكومة الاستعمارية. كان يعتمد على قدرة أيزاك على تكبد مصاريفه. كان يو، بسبب بصره الضعيف للغاية، بحاجة لقس متعدد اللغات ليساعده في كتابة الخطب وفي التعامل مع المسائل الإدارية مع المسؤولين المحليين.

قال أيزاك: «ليس هنالك ما يكفي من المساهمات على ما أظن...».

«لا» هز يو رأسه بقوة. كان هنالك خمسة وسبعون إلى ثمانين حاضراً في صباحات الأحد، ولكن في الواقع كان هنالك خمسة أو ستة أشخاص من المصلين

المرتاحين مادياً، والذين كانوا يشكلون حصة الأسد من المساهمات. أما الباقون فبالكاد قادرون على دفع ثمن وجبتين في اليوم.

رفع هو الزبديات الفارغة عن الطاولة.

قال هو: «لم يتوقف الله عن إعطائنا ما نحتاج يا سيدي».

قال يو: «نعم يا بني، أحسنت القول» وابتسم للشاب متمنياً لو استطاع أن يوفر له التعليم. كان الشاب ذكياً بالفطرة وموهوباً، لكان أصبح عالماً جيداً، أو حتى قساً.

قال يو: «ستتدبر وسيلة، لا بد أن هذا مخيبٌ جداً لآمالك». بدت نبرته مثل تلك التي تحدث فيها مع الأخت سابقاً.

قال أيزاك: «أنا ممتنٌ لوجود هذا العمل سيدي. سأتحدث مع عائلتي حول الراتب. إن هو محق، بالطبع؛ سيقدم لنا الله نعمه».

غنى القس يو بصوت التينور الغني خاصته: «كل ما احتجته قدمته لي يداك؛ إيماني بك عظيم، يا إلهي، في داخلي! أرسلك الله لكنيستنا نعمة. سيهتم بنا جميعاً بالتأكيد وبكل حاجاتنا المادية».

telegram @ktabpdf

15

أتى الصيف بسرعة. بدت شمس أوساكا أكثر حرارة من شمس الوطن، وقللت الرطوبة الرهيبة من حركة سونجا الثقيلة. ولكن أيام عملها كانت سهلة، فقبل ولادة الطفل، لم تكن وكيونغي تهتمان سوى بنفسيهما وبزوجيهما، اللذين لم يكونا يأتيان إلى المنزل حتى وقت متأخر من المساء. أمضى أيزاك طوال نهاراته ولياليه في الكنيسة يخدم حاجات جماعة متنامية من المصلين، وأدار يوسب مصنع البسكويت خلال النهار، وأصلح الآلات في مصانع إكاينو في المساء للحصول على دخل إضافي. كانت المهمات اليومية مثل الطبخ والغسيل والتنظيف لأربعة أشخاص أقل إرهاقاً من الاهتمام بنزل، لقد شعرت سونجا أنها تعيش حياة فخمة مقارنة بحياتها القديمة في بوسان.

أحبت تمضية اليوم مع كيونغي، التي اعتبرتها بمثابة أخت لها، بعد شهرين، وجدتا نفسيهما تستمتعان بصداقة متينة، تلك الصداقة التي كانت بمثابة نعمة لم تتوقعها المرأتان ولم تطلباها. لم تعد كيونغي وحيدة في المنزل طوال اليوم، وكان يوسب ممتناً لأن أيزاك جعل من فتاة النزل زوجة له وحملها إليهم.

لقد يعد يوسب وكيونغي يفكران في أمر حمل سونجا، ولم يعودا إلى التفكير في أنها اعتدي عليها، وأن أيزاك أنقذها مما لا ذنب له فيه، فهو بطبيعته يميل إلى الخير والتستر على فتاة بريئة ينسجم مع قناعاته وطبيعته. لم يسألها أحد عن التفاصيل، وبدورها لم تتطرق إلى هذ الأمر من قريب ولا بعيد.

لم يرزق يوسب وكيونغي أطفالا، لكن كيونغي لم تفقد الأمل والإيمان، فوفقاً للإنجيل أنجبت سارة بعد أن بلغت من العمر عتياً، ولم تعتقد كيونغي أن الله قد نسيها. كامرأة تقية أمضت وقت فراغها في مدّ يد العون للأمهات الفقيرات في الكنيسة، وكانت ربة منزل مقتصدة، قادرة على توفير كل سين إضافي كان يأتمنها عليه زوجها، وهي من فكرت بشراء المنزل في إكاينو بواسطة المال الذي قدمه

والد يوسب ومهرها، وعندما راودت الشكوك يوسب. قالت: «لما علينا أن ندفع الإيجار لصاحب الأرض دون أن يتبقى لنا شيء في نهاية الشهر؟». وبعد تخلصهما من أعباء بدلات الإيجار الشهرية ومن خلال التزامها بميزانية متقشفة تمكنا من ارسال المال لوالديها ووالديه، فقد كانت العائلتان بأمس الحاجة لدعمهما بعدما فقدتا كل الأراضي الصالحة للزراعة التي يمتلكانها.

حلمت كيونغي بإدارة عملها الخاص في بيع الكيمشي والمخلل في السوق المغطى قرب محطة تسوروهاشي، وحين انتقلت سونجا للعيش معهما، وجدت من يصغي إلى خططها ويشاركها أحلامها. لم يوافق يوسب أن تعمل لتجني المال، فقد أحب العودة إلى المنزل ليجد عشاء ينتظره بالإضافة إلى زوجة جميلة ومرتاحة. اعتقد أن هذا سببٌ مثالي لكي يعمل الرجل بجد. أعدت كيونغي وسونجا يومياً ثلاث وجبات: فطور تقليدي ساخن مع الحساء؛ غداء ثقيل ليأخذه الرجلان إلى العمل؛ وعشاء ساخن. دون براد أو طقس بيونغ يانغ البارد، كان على كيونغي أن تطهو بشكل مستمر لتتجنب رمي الطعام.

كان الطقس حاراً على غير عادته بالنسبة إلى بداية الصيف، ولم تكن فكرة إعداد الحساء على موقد حجري في القسم الخلفي من المنزل فكرة جذابة لأي ربة منزل، ولكن كيونغي لم تأبه بذلك. كانت تستمتع في الذهاب إلى السوق وبالتفكير بخيارات وجباتهم. وبخلاف معظم النساء الكوريات في إكاينو، كانت تتحدث اليابانية بشكل جيد، وكانت قادرة على التفاوض مع التجار والحصول على ما تريده.

حين دخلت كيونغي وسونجا متجر الجزارة، انتفض تاناكا سان، صاحب المتجر الطويل اليافع، وصرخ: «إيراسشاي!» للترحيب بهما.

كان الجزار ومساعده كوجي مسرورين لرؤية الكورية الجميلة وزوجة شقيق زوجها. في الواقع، فهما لم تكونا من الزبائن المهمين، فقد كانتا تنفقان القليل من المال، ولكنهما كانتا تأتيان بانتظام، وكان تاناكا يعلم ما علمه إياه والده نقلاً عن جده أن الدفعات اليومية التراكمية أهم بكثير من عمليات الشراء الكبيرة غير المتكررة. كانت ربات المنزل أساس العمل، ولم تكن النساء الكوريات مصدراً

للضجيج مثل النساء المحليات، ما جعلهن زبونات مفضلات.

رمق الرجال كيونغي بنظرات الوله، متجاهلين سونجا، التي أصبحت معتادة على تجاهل الرجال وجودها عندما تكون برفقة كيونغي. في معظم الأماكن استقبلت كيونغي بالترحيب الحار، وكانت بتنورتها الطويلة وبلوزتها البيضاء تبدو أنيقة وجميلة وذكية في الوقت نفسه، وظن الناس بسبب أناقتها وجمالها الطاغي أنها إما مدرسة وإما زوجة تاجر متواضعة. وقبل أن تتكلم كان الجميع يظنونها يابانية، ولكن عند تكلمها كان الرجال اليابانيون الولهون يعاملونها بغاية اللطف والطيبة والاحترام. للمرة الأولى في حياتها، أدركت سونجا أن رزانتها غير مقبولة وملابسها غير مناسبة. شعرت بالراحة في أوساكا. كانت ملابسها التقليدية التي تليق بها علامة مميزة تدل على اختلافها، وبالرغم من وجود كثير من الكوريين الأقدم والأفقر في الحي والذين كانوا يرتدون أيضاً مثل هذه الملابس، إلا أنه لم يُنظر إليها بهذه الدرجة من الازدراء من قبل، في حين لم تقصد أبداً أن تجذب الانتباه إلى نفسها. داخل حدود إيكاينو المستقرة، لن يتم التحديق بالمرء لارتدائه هانبوك أبيض، ولكن خارج الحي وفي مناطق أبعد عن محطة القطار، كان هناك خوف من الكوريين مجهول الأسباب، فضلت سونجا ارتداء الملابس الغربية أو مومبي، ولكن سيكون من المنطقي أن تنفق المال على قماش جديد لخياطة أشياء جديدة الآن. وعدتها كيونغي أن تصنع لها الملابس الجديدة بعد وضعها الطفل.

انحنت كيونغي بأدب للرجلين، وانسحبت سونجا إلى زاوية المتجر.

سأل تاناكا سان: «كيف يمكننا أن نساعدك اليوم، بوكو سان؟».

حتى بعد مضي شهرين، لا تزال سونجا تتفاجأ حين تسمع كنية زوجها تُلفظ بشكلها الياباني. كان من العادة أن يحمل الكوريون اسمين أو ثلاثة أسماء على الأقل بسبب متطلبات الحكومة الاستعمارية، ولكن في الوطن، لم تكن تستخدم التسومي الياباني كثيراً – جونكو كانيدا – المكتوب على أوراق التعريف خاصتها، لأن سونجا لم تذهب إلى المدرسة ولم يكن لها شأن بالأمور الرسمية. ولدت سونجا تحت اسم كيم، ولكن في اليابان، كانت النساء تنادى باسم كنية زوجها، كانت سونجا بايك، والذي يُترجم إلى سونجا بوكو، وعلى أوراق التعريف

خاصتها، كان التسومي خاصتها الآن جونكو باندو. حين كان على الكوريين أن يختاروا كنية يابانية، اختار والد أيزاك باندو لأنها كانت تلفظ مثل الكلمة الكورية بان- ديه والتي تعني الاعتراض، ما جعل اسمهم الياباني الإلزامي يبدو دعابة. أكدت لها كيونغي أن كل هذه الأسماء ستصبح طبيعية بعد زمن قصير.

سأل صاحب المتجر الشاب: «ماذا ستطهين اليوم، بوكو سان؟».

قالت كيونغي باللغة اليابانية التي كانت مثل لهجة مذيعة الراديو اليابانية: «هل يمكنني لو سمحت أن أحصل على عظام الساق وبعض اللحم؟ سأصنع الحساء». كانت تستمع عادةً للبرامج اليابانية لتحسن لكنتها.

«في الحال». أمسك تاناكا ثلاث قطع كبيرة من عظام الساق من مخزون عظام البقر وذيول الثيران التي احتفظ بها في صندوق الثلج من أجل الزبائن الكوريين؛ لم يكن اليابانيون يستخدمون العظام على الإطلاق. غلف حفنة من عظام الحساء. «هل هذا كل شيء؟».

أومأت برأسها.

«ستة وثلاثون سيناً لو سمحتِ».

فتحت كيونغي حقيبتها، كان يجب أن يكفيها مبلغ ينين وستين سيناً لثمانية أيام أخرى حتى يعطيها يوسب مغلف راتبه.

«سوميماسين ديسو، كم تريد مقابل العظام فقط؟».

«عشرة سنات».

«اعذر خطأي. سآخذ العظام فقط اليوم. أعدك أن آخذ اللحم في وقت آخر».

«بالطبع». أعاد تاناكا اللحم إلى الكيس. لم تكن تلك المرة الأولى التي لم يملك فيها زبون ما يكفي من المال للدفع مقابل الطعام، ولكن على عكس زبائنه الآخرين، لم يطلب منه الكوريون الشراء بالدين، ولم يكن ليوافق على أية حال.

«هل ستصنعين الحساء؟» تساءل تاناكا. كيف يشعر المرء حين يملك زوجة أنيقة قلقة حيال وجباته ومقتصدة بمالها. كان الابن الأكبر، وعلى الرغم من أنه قد كان متحمساً للزواج، إلا أنه عاش مع أمه عازباً. «من أي نوع؟».

«سيوليونغتانغ». نظرت إليه بفضول، متسائلة إن كان يعلم ما يعني ذلك.

«وكيف تصنعين هذا الحساء؟» تكتف تاناكا بروية واتكأ على المنضدة، وهو يمعن النظر إلى وجه كيونغي الجميل. اعتقد أنها كانت جميلة، حتى أسنانها كانت جميلة.

«أولاً، تغسل العظام جيداً بالماء البارد، ثم تسلقها، وتتخلص من مياه الغلي الأولى لأنها تحوي كل الدماء والأوساخ التي لا حاجة بك إليها. ثم تسلق العظام مجدداً بمياه نظيفة وباردة، ثم تطبخها على نار هادئة لوقت طويل جداً جداً حتى يصبح المرق أبيض مثل التوفو، ثم تضيف الديكون، والبصل الأخضر المقطع والملح. إنه حساء شهي جداً ومفيد للصحة».

«سيكون من الأفضل لو تناولت معه بعض اللحم، أليس كذلك؟».

ضحكت كيونغي: «والأرز الأبيض والشعيرية! لمَ لا؟». ورفعت يدها لا إرادياً لتغطي أسنانها. ضحك الرجلان بسرور، متفهمين دعابتها، بما أن الأرز كان باهظ الثمن حتى بالنسبة إليهما.

سأل تاناكا: «وهل تتناولون الكيمشي معه؟» لم يسبق لتاناكا أن تحدث مطولاً مع كيونغي. بدا من الآمن التحدث معها بوجود مساعده وزوجة شقيق زوجها. «الكيمشي حار قليلاً بالنسبة إليّ، ولكن أعتقد أنه لذيذ مع الدجاج المشوي أو لحم الخنزير المشوي».

«الكيمشي شهي مع كل وجبة. سأجلب لك القليل من المنزل في المرة القادمة».

فتح تاناكا رزمة العظام الورقية مجدداً وأعاد نصف اللحم الذي أعاده للتو إلى الكيس.

«إنه ليس بكثير. فقط ما يكفي للطفل». ابتسم تاناكا لسونجا، التي تفاجأت لملاحظة الجزار لها. «يجب على الأم أن تأكل جيداً إن أرادت أن تربي عاملاً قوياً للإمبراطور».

بارتباك قالت كيونغي: «لا يمكنني أخذ أي شيءٍ دون مقابل». لم تعلم ما الذي كان يفعله تماماً، ولكنها لا تستطيع حقاً أن تدفع ثمن اللحم اليوم.

أربكت المحادثة سونجا، وعرفت أنهم يتحدثون عن الكيمشي.

«هذه عملية البيع الأولى لهذا اليوم. سيجلب العطاء لي الحظ». وشعر بالغرور مثل أي رجلٍ يمكنه أن يمنح شيئاً قيّماً لامرأة جذابة حينما يريد.

وضعت كيونغي عشرة سينات على طبق النقود الفارغ الموضوع على المنضدة، ابتسمت وانحنت للرجلين قبل أن تغادر.

خارج المتجر، سألتها سونجا عما حصل

«لم يتقاضَ بدل اللحم. لم أعلم كيف أطلب منه أن يأخذه».

«إنه معجب بك. كانت هدية». قهقهت سونجا وهي تشعر مثل دوكي، والتي كانت تطلق دعابات حول الرجال كلما سنحت لها الفرصة. بالرغم من أنها كانت تفكر بأمها كثيراً، إلا أن فترةً كانت قد مضت منذ أن تذكرت الشقيقتان في المنزل. «سأدعو تاناكا سان بحبيبك من الآن فصاعداً».

ضربت كيونغي سونجا ممازحة، وهزت رأسها.

«قال إنه من أجل طفلك، لكي يكبر ويصبح عاملاً جيداً للبلاد». غيّرت كيونغي تعابير وجهها. «ويعلم تاناكا سان انني كورية».

«منذ متى يهتم الرجال بمثل هذه الأمور؟ أخبرتني الجارة كيم عن السيدة اليابانية الهادئة التي تعيش في نهاية الشارع والتي تزوجت بالكوري الذي يخمّر الكحول في منزله. إن أطفالهما نصف يابانيين!» صدمت سونجا حين سمعت ذلك للمرة الأولى، مع أن كل ما أخبرتها إياه السيدة كيم، التي تربي الخنازير، كان صادماً. لم يرد يوسب أن تتحدث كيونغي وسونجا مع السيدة كيم، التي لا تذهب إلى الكنيسة في أيام الأحد. لم يُسمح لهما أيضاً بالتحدث مع الزوجة اليابانية، لأن زوجها كان يُزج به السجن بشكل متكرر بتهمة التهريب.

قالت سونجا: «سأشتاق إليك إن هربت مع الجزار اللطيف».

«حتى لو لم أكن متزوجة، لن أختار هذا الرجل. إنه يبتسم أكثر من اللازم». غمزتها كيونغي. «أحب زوجي العصبي الذي يخبرني بما عليّ القيام به ويقلق بشأن كل شيء. هيا، علينا أن نشتري الخضار الآن. لهذا السبب لم أشتر اللحم. علينا أن نجد بعض البطاطا للشي. ألن يكون هذا كافياً لغدائنا؟».

«أختي...».

قالت كيونغي: «نعم؟».

«إننا لا نسهم في مصروف المنزل. تكاليف الحاجيات، الوقود، وسينتو. لم أرَ في حياتي مثل هذه الأسعار. في الوطن، كنا نملك حديقة، ولم نكن ندفع ثمن الخضار. وأسعار الأسماك! لن تأكله أمي مجدداً أبداً لو عرفت ثمنه. في الوطن، كنا نقتّر، ولكن لم أدرك كم كانت حياتنا سهلة - كنا نحصل على الأسماك مجاناً من النزلاء، وهنا، يكلف التفاح أكثر من أضلاع البقر في بوسان. كانت أمي حذرة مالياً، مثلك، ولكن حتى هي لم تكن لتصنع أنواع المأكولات الشهية التي تصنعينها بهذه الميزانية. أعتقد وأيزاك أنه عليك أن تأخذي المال الذي يجنيه لنساعد بميزانية الطعام على الأقل».

كان من الصعب تقبل واقع أن الأخ والأخت لم يسمحا لأيزاك ولها بأن يدفعا مقابل أي شيء، ولم يكونا قادرين على استئجار مكان منفصل. علاوةً على ذلك، حتى لو كانا قادرين على ذلك، ستنجرح مشاعر الأخت كثيراً إن غادر أيزاك وسونجا المنزل.

قالت كيونغي بحزن: «أنا متأكدة من أنك كنت تأكلين طعاماً أفضل وأكثر إشباعاً في المنزل».

«لا، لا. لم أعنِ ذلك. إننا فقط نشعر بالحرج لأنكما لا تسمحان لنا بالإسهام في المصاريف الهائلة».

«لن نسمح أنا ويوسب بذلك. عليكما أن توفرا المال من أجل الطفل. سيكون علينا أن نجلب ملابس وحفاضات له، سوف يذهب يوماً ما إلى المدرسة وسيصبح رجلاً نبيلاً. ألن يكون هذا رائعاً؟ آمل أن يحب المدرسة مثل أبيه وألا يكره الكتب مثل عمه!» ابتسمت كيونغي لفكرة عيش طفل معهم، كان الطفل بمثابة استجابة لدعواتها.

قالت سونجا: «أرسلت لي أمي ثلاثة ينات في رسالتها الأخيرة. ونملك المال الذي جلبناه وأتعاب أيزاك الأخيرة للمساعدة. ليس عليك أن تقلقي بشأن المصاريف لهذه الدرجة، أو أن تبيعي الكيمتشي لتطعمي فمين إضافيين - وقريباً، ثلاثة أفواه».

«يا سونجا، أنت تقللين من احترامي، أنا أكبر منك سناً. يمكننا أن نتدبر أمرنا على ما يرام. أيضاً، إن لم أستطع التكلم عن أمنيتي في كسب المال بدون أن تقولي إنك تريدين الإسهام في النفقات، إذن لن أستطيع التحدث عن أحلامي بأن أصبح بائعة كيمتشي أجوما في محطة تسوروهاشي».

ضحكت كيونغي: «كوني أختاً صغيرة جيدة ودعيني أحلم كما أشاء بشأن عملي، حيث سأجني كثيراً من المال وسأشتري لنا قلعة وأرسل ابنك إلى كلية الطب في طوكيو».

«هل تعتقدين أن ربات المنازل سيشترين الكيمتشي من امرأة أخرى؟».

«لما لا! ألا تعتقدين أنني أصنع كيمتشي جيداً؟ كانت عائلتي تصنع أفضل المخللات في بيونغ يانغ». رفعت كيونغي ذقنها، ثم ضحكت. كانت ضحكتها جذلة. «سوف أكون أجوما كيمتشي رائعة. سوف يكون مخلل الملفوف نظيفاً وشهياً».

«لمَ لا تباشرين الآن؟ أملك ما يكفي من المال لشراء الملفوف والفجل. يمكنني أن أساعدك في صنعه. إن بعنا كثيراً، سيكون ذلك أفضل من عملي في مصنع، لأنني سأتمكن من مراقبة الطفل في المنزل حين يولد».

«نعم، سنجيد القيام بذلك، ولكن سيقتلني يوسب. فقد أخبرني أنه لن يسمح لزوجته بالعمل أبداً، ولن يسمح لك بالعمل أيضاً».

«ولكني كبرت وأنا أعمل مع أمي وأبي. إنه يعلم ذلك. كانت أمي تخدم النزلاء وتقوم بالطهي، وكنت أنا أنظف وأغسل...».

تنهدت كيونغي: «لدى يوسب أفكار مسبقة بهذا الشأن، للأسف لقد تزوجت رجلاً يفهم معنى الرجولة، لو رزقت بالأطفال كنت سأنشغل بهم وما كنت لأفكر بالعمل، إنني أفكر بالعمل كي لا أكون عاقراً وغير منتجة. إن هذا ليس ذنب يوسب، ما من أحد أعرف أكثر مواظبة على العمل منه. في الماضي، كان أي رجل مثله ليرميني خارجاً لأنني عاقر». أومأت كيونغي برأسها، متذكرة قصص العاقرات اللواتي سمعت عنهن في طفولتها، وتخشى أن ينتهي بها المطاف واحدة منهن. «سأصغي لزوجي. الذي لطالما اهتم واعتنى بي».

لم تعرف سونجا أتوافقها الرأي أم تخالفها لذلك اعتصمت بحبل الصمت. إذ كثيراً ما كان يوسب يتحدث بأنه لا يجدر بالمرأة اليانغبان مثل كيونغي العمل خارج المنزل، لكن سونجا كانت امرأة ريفية عادية، لذا كان العمل في السوق عادياً بالنسبة إليها. لم يزعج التمييز الذي عبر عنه يوسب سونجا، بما أنها توافقه الرأي بأن كيونغي أرفع مقاماً منها في مجالات شتى. أياً يكن الأمر، كانت تعيش مع كيونغي وتتحدثان بصدق حول كل الأمور، وعلمت سونجا أن كيونغي منفطرة الفؤاد لأنها لم تنجب، وأدركت أنها ستشعر بالسعادة إن جرّبت حظها في صنع وبيع الكيمتشي.

بغض النظر، لم يكن من حقها قول شيء. فكل ما فكرت فيه وناقشته كيونغي كان يوسب يسميه «كلام النساء الأحمق». من أجل كيونغي، أشرقت سونجا بالإيجابية، وشبكت ذراعها بذراع كيونغي، التي بدت حزينة نوعاً ما. سارتا سويةً متشابكتي الأذرع لشراء الملفوف والفجل.

16

لم تتعرف كيونغي إلى الرجلين الواقفين عند الباب، ولكنهما عرفا اسمها.

كان الرجل الأطول ذو الوجه المستدق يبتسم أكثر، ولكن تعابير الرجل الأقصر كانت أكثر لطفاً. كانا يرتديان ملابس تشبه ملابس العمال – بنطال داكن وقميص قصير الكمّين – ولكنهما انتعلا حذاءين من الجلد. تحدث الرجل الأطول بلهجة جيجو واضحة؛ أخرج ورقة مثنية من جيب بنطاله الخلفي.

قال: «وقع زوجك على هذه». وأراها وثيقة تبدو رسمية. كان منها جزء مكتوب باللغة الكورية، ولكن معظمها بالأحرف اليابانية والصينية. على الزاوية العلوية اليمنى، تعرفت كيونغي إلى اسم يوسب وهانكو. «لقد تأخر في الدفع».

«لا أعلم شيئاً عن هذا. زوجي في العمل الآن».

اعتقدت كيونغي أنها ستصرخ وتضع يداً على الباب، على أمل أن يجعلهما ذلك يغادران. «أرجو أن تعودا لاحقاً حين يكون في المنزل».

وقفت سونجا بالقرب منها ويداها على بطنها. لم ترَ سونجا في الرجلين خطراً جسدياً، بديا مثل النزلاء في النزل، إلا أن كيونغي بدت مضطربة.

كررت سونجا: «سيعود إلى المنزل مساءً. عودا حينها». ولكن بصوت أعلى كثيراً من صوت كيونغي.

قال الرجل الأقصر لها: «أنت زوجة الأخ، أليس كذلك؟». كان يملك غمازتين حين يبتسم.

لم تقل سونجا شيئاً، محاولةً ألا تبدو متفاجئة لأنه علم من كانت.

استمر الرجل الأطول بالابتسام لكيونغي. كانت أسنانه كبيرة ومربعة ومغروزة في لثة زهرية شاحبة.

«لقد تحدثنا آنفاً مع زوجك، ولكنه لم يستجب، لذا فكرنا بالقدوم إلى هنا لزيارتك». توقف وقال اسمها ببطء: «بايك كيونغي – لدي قريبة تدعى كيونغي.

إن اسم تسومي خاصتك هو باندو كيميكو، صحيح؟» وضع الرجل يده الكبيرة على الباب ودفعه قليلاً نحوها. نظر إلى سونجا. «إننا مسروران أكثر حتى لأننا التقينا بزوجة شقيق زوجك. أليس هذا صحيحاً؟» ضحك الرجلان من قلبيهما معاً.

مجدداً، حاولت كيونغي أن تقرأ الوثيقة أمامها. قالت أخيراً: «أنا لم أفهم».

«هذا الجزء المهم: يدين يوسب بايك لرئيسي بمئة وعشرين يناً». أشار إلى الرقم 120 المكتوب بالكينجي في المقطع الثاني. «لم يسدد زوجك الدفعتين الماضيتين. آمل أن تحثيه على دفعهما اليوم».

سألت كيونغي: «كم تبلغ الدفعتان؟».

قال الرجل الأقصر: «ثمانية ينات مع الفائدة كل أسبوع». كانت لهجته تشي بأنه من منطقة كيونغسانغدو. سأل: «ربما تحتفظين ببعض المال في المنزل ويمكنك أن تدفعي لنا؟ يبلغ المجموع حوالى عشرين يناً».

أعطاها يوسب مال الطعام من أجل الأسبوعين القادمين. كانت تملك ستة ينات في محفظتها. إن أعطته إياها، لن يملكوا المال للطعام.

سألت سونجا: «المبلغ الكامل هو مئة وعشرون يناً؟» لم تكن الورقة مفهومة بالنسبة إليها أيضاً.

بدا الرجل القصير قلقاً قليلاً وهز رأسه.

«الآن تضاعف المبلغ مع الفائدة بسبب التأخر. لماذا؟ هل تملكين المال؟».

قال الرجل الأطول: «ابتداءً من اليوم، يكون المجموع الكامل مئتان وثلاثون يناً». لطالما كان يجيد الحساب ذهنياً.

تعجبت كيونغي: «أها». أغمضت عينيها واتكأت على إطار الباب.

تقدمت سونجا وقالت بهدوء: «سنجلب لكما المال». تحدثت معهما بالطريقة نفسها التي كانت تتحدث فيها إلى فاتسو، النزيل، حين كان يتوقع أن تكون ملابسه مغسولة. لم تنظر حتى نحوهما. «عودا بعد ثلاث ساعات، قبل غروب الشمس».

قال الطويل: «سنراكما لاحقاً».

سارتا بخفة نحو شارع التسوق قرب محطة تسوروهاشي. لم تتوقفا أمام واجهة متجر القماش أو عند كشك سينبي ولم تلقيا التحية على بائعي الخضار

اللطيفين. بل توجهتا مباشرة إلى مقصدهما.

قالت كيونغي: «لا أريد أن تفعلي هذا».

«أخبرني والدي عن هذه النوعية من الناس، إن لم ندفع الدين ستضاعف الفائدة المبلغ، ولن نستطيع في النهاية تسديد الدين؛ فكري وسترين أن والدي محق فقد تحولت مئة وعشرين إلى مئتين وثلاثين».

شهد هوني كيم على جيرانه وهم يفقدون كل ما يملكون بعد استدانة مبلغ صغير من المال لشراء البذور أو المعدات؛ حين يسأم المدينون من أمرهم، يضطر الجيران لإعطائهم أراضيهم بأكملها مقابل دينهم الأولي. كان والد سونجا يمقت الدائنين ويحذرها دوماً من مخاطر الدين.

تمتمت كيونغي لنفسها: «لو علمت ذلك، لكنت توقفت عن إرسال المال إلى أهالينا».

نظرت سونجا مباشرة إلى الأمام، متجنبة أن تلتقي نظراتها بنظرات أحد المارة، وهي تحاول التفكير في ما ستقول للمسترهن.

قالت سونجا: «أختي، هل رأيت لوحته باللغة الكورية؟ هذا يعني أنه كوري، أليس كذلك؟».

«لست متأكدة. لا أعرف أحداً هنا».

تتبعت المرأتان اللوحات الكورية الموضوعة على واجهة المبنى القرميدي المنخفض، تسلقتا السلالم العريضة إلى الطابق الثاني. كان باب المسترهن مغطى بستار، فتحته سونجا بحذر شديد.

إنه أحد أيام يونيو الحارة المنعدمة النسمات، ولكن الرجل الكبير في العمر الذي جلس خلف المكتب ارتدى سترة صوفية بنية فوق قميصه الأبيض وربطة عنقه الحريرية خضراء اللون. كانت النوافذ المربعة الثلاث المقابلة للشارع مفتوحة، واشتغلت مروحتان كهربائيتان بهدوء في الزوايا المقابلة من المكتب. لاحظت رجلين ممتلئي الوجه يلعبان الورق بالقرب من النافذة الوسطى. نظرا نحوهما ثم ابتسما، وتابعا.

سألهما المسترهن باللغة الكورية: «أهلا بكما، كيف يمكنني مساعدتكما؟».

صعبت لهجته تحديد إلى أي منطقة ينتمي. «هل ترغبان بالجلوس؟» وأشار إلى الكراسي. أخبرته سونجا أنها تفضل الوقوف. وقفت كيونغي إلى جانب سونجا وتجنبت النظر إلى الرجلين.

فتحت سونجا راحة يدها لتريه ساعة الجيب. «أجيوسي، كم تدفع لنا مقابل هذه؟».

رفع الرجل حاجبيه الشائبين وأخرج عدسة من درج مكتبه.

«من أين حصلت على هذه؟».

قالت سونجا: «أعطتني أمي إياها. إنها مصنوعة من الفضة الخالصة ومطلية بالذهب».

«هل تعلم أنك ستبيعينها؟».

«أعطتني إياها كي أبيعها، من أجل الطفل».

سأل: «ألا تفضلين الحصول على قرض مقابلها؟ ربما لا تريدين التخلي عنها». كان من النادر أن يتم إيفاء القروض، وبذلك يحصل المقرض على موضوع الرهن وعلى ما دفع من أقساط.

تحدثت سونجا ببطء: «أريد بيعها. إذا لم ترد شراءها، لن أزعجك أكثر».

ابتسم المقرض، متسائلاً إن تحدثت الفتاة الحامل آنفاً مع منافسيه. كان هنالك ثلاثة مقرضين على بعد بضع شوارع فقط. لم يكن أي منهم كورياً، ولكنها إن كانت تتكلم اليابانية، فسيكون من السهل عليها أن تبيع الساعة. بدت المرأة الجميلة التي رافقت المرأة الحامل أمامه يابانية بسبب ملابسها؛ كان من الصعب التأكد. من الممكن أن تكون المرأة الجميلة قد جلبت الفتاة الحامل لكي تتفاوض معه، وربما كانت هي مالكة الساعة.

قال المسترهن: «إن كنت بحاجة لبيعها، فأنا مسرور دوماً لمساعدة شخصٍ من وطني».

لم تقل سونجا شيئاً، علمها والدها ألا تتكلم كثيراً في السوق.

تعجبت كيونغي من رؤية زوجة شقيق زوجها وهي تبدو أهدأ من أي وقت سابق.

تفحص المسترهن الساعة بعناية، وفتح علبتها الفضية ليفحص مكوناتها الميكانيكية الظاهرة من وراء قاعدتها البلورية. كانت ساعة جيب استثنائية، ومن الصعب تصديق أن والدة هذه الفتاة الحامل كانت تملك شيئاً كهذا. بدت الساعة جديدة ولم يمضِ على صنعها سنة ولم تكن مخدوشة، أغلقها مجدداً ووضعها على الدفتر الجلدي الأخضر على مكتبه.

«يفضل الشباب ساعات المعصم هذه الأيام. لست متأكداً حتى إن كنت أستطيع بيع هذه الساعة».

لاحظت سونجا أن المسترهن أغمض عينيه عدة مرات بعد قول هذا، ولكنه لم يغمض عينيه ولا مرة حين تحدث معها من قبل.

قالت سونجا: «شكراً لك للنظر إليها». ونظرت حولها. حاولت كيونغي ألا تبدو قلقة. حملت سونجا الساعة، وأمسكت بذيل ردائها الطويل، استعداداً للخروج من المكتب.

«شكراً لك على وقتك».

قال المسترهن رافعاً صوته قليلاً: «أريد مساعدتك». التفتت سونجا إلى الوراء.

قال: «إن كنت بحاجة إلى المال على الفور، ربما سيكون من الأفضل لك بيعها هنا بدلاً من التجول في هذا الطقس الحار وأنت حامل. يمكنني مساعدتك. يبدو أنك ستنجبين طفلاً قريباً. أرجو أن يكون صبياً ليعتني جيداً بأمه».

قال: «خمسون يناً».

قالت: «مئتان، ثمنها ثلاثمئة على أقل تقدير، إنها سويسرية وحديثة الطراز».

وضع الرجلان اللذان كانا بالقرب من النافذة أوراقهما جانباً ونهضا. لم يريا فتاةً تتحدث هكذا من قبل.

انفعل المسترهن: «إن كنت تعتقدين أنها تستحق كل هذا، إذن لماذا لا تبيعينها بسعر أعلى في مكان آخر». استفزته جرأتها، فهو لم يكن يستلطف النساء اللواتي يكن أنداداً للرجال.

عضت سونجا شفتها السفلية. خشيت أن يخبر المسترهن الشرطة عن الساعة

إن باعتها لمسترهن ياباني. أخبرها هانسو أن الشرطة كانت تتدخل بكل الأعمال هنا تقريباً. قالت سونجا: «شكراً لك، لن أضيّع المزيد من وقتك».

ضحك المسترهن في سره.

شعرت كيونغي فجأة بالثقة بزوجة شقيق زوجها، كم تغيرت منذ أن وصلت أوساكا، وتساءلت أهذه هي سونجا التي كانت تحمل اسمها وعنوانها المكتوبين باللغة اليابانية لتبرزهما علّ أحداً يرشدها في حال ضاعت عن البيت.

سألها المسترهن: «ماذا تعمل والدتك في الوطن؟ تبدين من بوسان».

توقفت سونجا، متسائلة إن كان عليها أن تجيب هذا السؤال. «هل كانت تعمل في السوق هنالك؟».

«إنها صاحبة نزل».

قال: «لا بد أنها سيدة أعمال ذكية». اعتقد المسترهن أنه لا بد أن والدتها كانت قوادة أو تاجرة متعاونة مع الحكومة اليابانية، وقد تكون الساعة مسروقة أيضاً. من حديثها وملابسها، لم تبدُ الفتاة الحامل من عائلة غنية. «أيتها السيدة الشابة، هل أنت متأكدة أن والدتك أعطتك هذه لتبيعيها. أنت تدركين أنني سأحتاج لاسمك وعنوانك في حال كان هنالك مشاكل».

أومأت سونجا برأسها.

«حسناً. مئة وخمسة وعشرون يناً».

«مئتان». لم تعلم سونجا إن كانت ستحصل على هذا المبلغ، ولكنها كانت متأكدة أن المسترهن كان يبخس سعر ساعتها طمعاً بربح أكبر، وإن كان مستعداً لرفع المبلغ من خمسين إلى 125، فلا بد أن السماسرة اليابانيين سيظنون أنها ذات قيمة أيضاً.

انفجر المسترهن بالضحك. كذلك ضحك الرجلان الواقفان بالقرب من المكتب.

قال الأصغر سناً: «يجب أن تعملي هنا».

تكتف المسترهن. أراد الساعة؛ كان يعلم تماماً من سيشتريها.

قال الرجل الأصغر سناً: «أبي، عليك أن تعطي الأم الشابة ما تطلبه. فقط

لأنها مصرة». علم الرجل أن والده لا يحب أن يخسر صفقة، وأدرك أنه بحاجة إلى بعض الإقناع. شعر بالأسف اتجاه الفتاة ذات الوجه المنتفخ. لم تكن من الفتيات اللواتي يأتين إلى هنا ليبعن خواتم ذهبية كلما كن في مأزق.

أردف الرجل الأصغر سناً وسألها: «هل يعلم زوجك أنك هنا؟».

ردت سونجا: «نعم».

«هل هو سكير أو مقامر؟» رأى الابن نساء بائسات من قبل، وكانت القصص هي ذاتها دوماً.

ردت بنبرة صارمة: «كلا». وكأنها تحذره من طرح المزيد من الأسئلة.

قال المسترهن: «مئة وخمسة وسبعون يناً».

«مئتان». كانت سونجا تشعر بدفء المعدن ونعومته في راحة يدها؛ كان هانسو ليتمسك بسعره.

احتج المسترهن: «كيف أعلم أنني سأتمكن من بيعها؟».

قال الابن الأكبر مبتسماً: «أبي، سوف تساعد أماً شابة من الوطن».

كان مكتب المسترهن مشيداً بنوع غريب من الخشب؛ بني اللون فيه كثير من الجدائل التي تبدو على شكل دمعة بحجم يد طفل صغير. عدت ثلاث جدلات على شكل دمعة على سطحه. حين ذهبت لجمع الفطر مع هانسو، كان هنالك عدد لا يحصى من الأشجار. رائحة الأوراق الرطبة المنعشة على أرضية الغابة، السلة المملوءة بالفطر، ألم ممارسة الحب معه... لن تتركها هذه الذكريات. كان عليها التخلص منه، لإنهاء هذا التذكر الأبدي للشخص الذي تمنت أن تنساه.

أخذت سونجا نفساً عميقاً. كانت كيونغي تهز يديها.

قالت سونجا بهدوء: «إننا نتفهم إن لم ترد شراءها». واستدارت للرحيل.

رفع المسترهن يده مشيراً لها بأن تنتظر، وذهب إلى الغرفة الخلفية، حيث احتفظ بصندوق المال.

حين عاد الرجلان إلى المنزل من أجل الدفعات، وقفت النساء على الباب ولم تدعواهما إلى الدخول.

سألت سونجا الرجل الأطول: «إن دفعت لك المال، كيف أتأكد من أن الدين

قد انتهى تماماً؟».

قال: «سنطلب من الرئيس أن يوقع سنداً بأن الدين قد سدد. كيف أعلم أنك تملكين المال؟».

سألت سونجا: «هل يستطيع رئيسك أن يأتي إلى هنا؟».

قال الرجل الأطول مصدوماً من طلبها: «لا بد أنك مجنونة».

شعرت سونجا أنه لا يجب عليها إعطاء هذين الرجلين المال. حاولت أن تغلق الباب قليلاً لكي تتحدث مع كيونغي ولكن أحدهما دفعه برجله.

«اصغي إليّ، إن كنت تملكين المال حقاً، يمكنك القدوم معنا. سنأخذك الآن».

قالت كيونغي بصوت مرتجف: «إلى أين؟».

«إلى مكان قريب من متجر الساكي. إنه ليس ببعيد».

كان الرئيس كورياً جدي المظهر، لم يكن أكبر بكثير من كيونغي. بدا مثل طبيب أو مدرس؛ بذلة أنيقة، نظارة ذهبية الإطار، شعر أسود مصفف، وتعبير قلق. لن يشك أحد أنه مرابٍ. كان مكتبه بحجم مكتب المسترهن تقريباً، وعلى الجدار المقابل للباب الأمامي، هنالك رف مليء بالكتب اليابانية والكورية. كانت المصابيح الكهربائية منارة بجانب الكراسي ذات المظهر المريح. جلب صبي للنساء جينمايشا ساخن في كوبين من الفخار. تفهمت كيونغي لماذا قد يستدين زوجها المال من رجل كهذا.

حين سلمته كيونغي المال، قال المرابي شكراً وألغى الوثيقة، واضعاً ختمه الأحمر على الورقة.

قال وهو ينظر إلى كيونغي: «إن كان هنالك أي شيءٍ آخر يمكنني مساعدتك به، أعلميني لو سمحت. علينا أن نساعد بعضنا ونحن بعيدون عن الموطن. أنا دائماً بخدمتك».

سألت كيونغي الدائن: «متى، متى اقترض زوجي منك هذا المال؟».

«طلبه مني في فبراير. نحن صديقان. لذلك وافقت طبعاً».

أومأت المرأتان برأسيهما متفهمتين. اقترض يوسب المال من أجل رحلة

أيزاك وسونجا.

قالت كيونغي: «شكراً لك سيدي. لن نزعجك مجدداً».

قال: «سيكون زوجك مسروراً كثيراً لأن المسألة قد سويت». متسائلاً كيف جمعت المرأتان المال بهذه السرعة.

لم تقل المرأتان شيئاً وعادتا إلى المنزل.

17

صرخ يوسب ممسكاً بالسند الإذني الملغى: «من أين حصلت على المال؟».

ردت كيونغي: «باعت سونجا الساعة التي أعطتها إياها أمها».

كل ليلة وبشكل معتاد في شارعهم، كان هنالك أحد يصرخ أو طفل يبكي، ولكن لم يسبق أن صدرت أصوات مرتفعة من بيتهم. يوسب الهادئ كان يستشيط غضباً. وقفت سونجا محشورة في الزاوية الخلفية من الغرفة الأمامية، منكسة رأسها صامتة كجلمود صخر والدموع تنهمر على وجنتيها المحمرتين. لم يكن أيزاك قد عاد بعد من الكنيسة.

صرخ على سونجا: «كنت تملكين ساعة تزيد قيمتها عن مئتي ين؟ هل يعلم أيزاك بأمرها؟».

رفعت كيونغي يديها، ووقفت بينه وبين سونجا. «أعطتها أمها الساعة. لتبيعها من أجل الطفل».

انزلقت سونجا على الجدار، لم تعد قادرة على الوقوف. شعرت بالألم في حوضها وظهرها. أغمضت عينيها وغطت رأسها بذراعيها.

«أين بعت هذه الساعة؟».

قالت كيونغي: «لدى المسترهن بالقرب من كشك الخضار».

حدق يوسب إلى سونجا: «هل جننت؟ أي نوع من النساء يذهبن إلى المسترهن؟ كيف يمكن لامرأة أن تفعل مثل هذا؟».

من مكانها، نظرت سونجا إليه ورجته: «لا تلم أختي بسبب ما أقدمت عليه...».

«وهل سألت زوجك إن كنت تستطيعين الذهاب إلى مكتب المسترهن؟».

«لماذا أنت غاضب هكذا؟ كانت تحاول مساعدتنا. إنها حامل. دعها وشأنها».

أشاحت كيونغي بنظرها، محاولة أن تكبح نفسها من الرد عليه. كان يوسب على

يقين أن سونجا لم تتحدث مع أيزاك. لماذا كان على يوسب أن يدفع مقابل كل شيء؟ لماذا كان من يتحكم في المال؟ آخر مرة تجادلا فيها كانت حين أرادت أن تعمل في مصنع.

«قلقت سونجا بشأننا. أنا متأسفة لأنها اضطرت لبيع تلك الساعة الجميلة. حاول أن تتفهم يوبو». وضعت كيونغي يدها بلطف على ذراعه.

«نساء غبيات! حين أمشي في الشارع، كيف سأواجه هؤلاء الرجال حين يعلم الرجال أن امرأتين حمقاوتين سددتا ديني؟ إنني أكاد أُجن».

لم يتحدث يوسب من قبل بهذه الطريقة السوقية، وفهمت كيونغي أنه كان يهين سونجا. قال إن سونجا غبية، قال إنها حمقاء؛ كان اللوم يقع على كيونغي أيضاً لأنها سمحت بحصول ذلك. ولكن كان من الذكاء أن يدفعن دينه؛ لو سُمح لها بأن تعمل من قبل، لكانوا يملكون مدخرات.

لم تتوقف سونجا عن البكاء. عادت الآلام القوية أسفل بطنها بشكل أشد، ولم تعلم ما عليها قوله. لم يكن ما يحصل لجسدها واضحاً.

قالت كيونغي: «يوبو، أرجوك، أرجوك أن تتفهم».

لم يقل يوسب شيئاً. كانت ساقا سونجا ممددتين على الأرض مثل سكير في الشارع وكانت يداها تمسكان ببطنها الكبير. تساءل إن كان عليه إدخالها إلى منزله. كيف يمكن أن تأتي ساعة جيب ذهبية من أمها؟ لقد مرت سنوات، ولكنه التقى بوالديها. كان هوني كيم الابن المعاق لفلاحين يديران نزلا على أرض مستأجرة صغيرة. من أين يمكن لزوجته أن تحصل على شيء قيم كهذا؟ معظم نزلائهما من الصيادين أو العاملين في سوق السمك. كان ليتقبل أن تعطي الأم الفتاة بضع خواتم ذهبية بقيمة ثلاثين أو أربعين يناً، وربما خاتماً ذا حجر كريم بقيمة عشرة. تساءل، هل سرقت الساعة؟ هل من المعقول أن أيزاك قد تزوج سارقة أو ساقطة؟ لم يستطع استيعاب هذه الأمور، لذا فتح يوسب الباب المعدني المموج وغادر.

* * *

حين عاد أيزاك إلى المنزل، صدم لرؤيته المرأتين تجهشان بالبكاء. حاول تهدئتهما ليفهم ما تقولان، وأخذ يصغي لتفسيراتهما التي لم تكن مترابطة وصعب

عليه تفسيرها.

سأل أيزاك: «إلى أين ذهب؟».

«لا أعلم. إنه لا يخرج عادةً. لم أدرك أنه سيكون هكذا...». توقفت كيونغي، لم ترد أن تزعج سونجا أكثر.

قال أيزاك: «سيكون على ما يرام». والتفت إلى سونجا.

سأل أيزاك: «لم أعلم أنك تملكين شيئاً قيماً كهذا من الوطن. هل هي من أمك؟».

كانت سونجا تبكي، وأومأت كيونغي برأسها بدلاً منها. نظر أيزاك مجدداً إلى سونجا: «أوه؟».

سأل أيزاك: «من أين حصلت أمك على هذه يا سونجا؟».

«لم أسألها. ربما كان أحد ما يدين لها بالمال».

أومأ أيزاك برأسه: «فهمت». لم يعرف ما عليه فهمه من هذا.

مسدت كيونغي رأس سونجا المحموم. طلبت من شقيق زوجها: «هل يمكنك أن توضح هذا ليوسب؟ أنت تتفهم السبب وراء قيامنا بهذا، صحيح؟».

قال لهما: «نعم بالطبع. اقترض أخي المال ليساعدني. وباعت سونجا الساعة لتسدد الدين، لذا هي في الواقع قد باعتها لكي تساعدنا على الوصول إلى هنا. الرحلة إلى هنا كانت مكلفة جداً، ووجب عليّ أن أتساءل كيف جمع المال بهذه السرعة، ولكنني كالعادة كنت ساذجاً وأحمق، وتركت أخي يتورط بالدين ليتدبر أمر وصولي إلى هنا. من المؤسف أن سونجا اضطرت لبيع الساعة، ولكن يجب علينا أن نسدد الدين. سأقول هذا له يا أختاه. أرجوك لا تقلقي».

أومأت كيونغي برأسها. وأخيراً، شعرت بشيء من التحسن.

شعرت سونجا بتشنج في جنبها، كاد أن يوقعها. «آه. آه!».

«هل أنت؟ هل أنت...؟».

سالت مياه دافئة على ساقي سونجا. سأل أيزاك: «هل أجلب القابلة؟».

قالت كيونغي: «الأخت أوكجا... على بعد ثلاثة منازل في الشارع». ما إن أنهت كلماتها حتى كان أيزاك يركض في الشارع.

قالت كيونغي ممسكة بيد سونجا: «لا عليك، لا عليك. أنت في المخاض، أنت على وشك أن تصبحي أماً، على النساء أن يمررن بالمخاض ويعانين ليستحققن صفة الأم، على الأمهات أن يعانين أليس كذلك يا أختي؟ أوه يا عزيزتي سونجا. أشعر بالأسف لأنك تتألمين». صلت كيونغي فوقها. «ربي، ربي العزيز، أرجوك، ساعدها وارحمها...».

أمسكت سونجا بطرف تنورتها ووضعتها في فمها كيلا تصرخ كان الألم رهيباً، شعرت وكأنها تتلقى طعنات متكررة. عضّت بقوة على القماش الخشن. صرخت: «أووما، أوما».

القابلة الأخت أوكجا امرأة كورية في الخمسين من عمرها من جيجو، وساعدت معظم نساء الحي في وضع أطفالهن على يديها، دربتها خالتها بشكل جيد، لقد اعتاشت أوكجا من مهنتها هذه التي وفرت لها المال لدفع بدل ايجار المنزل وإطعام أطفالها الستة، كانت متزوجة، وكان زوجها على قيد الحياة ولكنها اعتبرته ميتاً فهو سكير عاطل عن العمل، وعدا عن عملها قابلة، كانت تقوم برعاية أطفال النساء اللواتي يعملن في المصانع والأسواق الأمر الذي وفّر لها دخلاً إضافياً.

كانت الولادة سهلة ولم يستمر المخاض طويلاً، وأنجبت سونجا طفلاً طويلاً سليم الجسد صحيحاً. على الرغم من كونه مخيفاً للأم الجديدة، ولحسن حظ القابلة، لم يصل الطفل في منتصف الليل، بل في الوقت المناسب ليقاطع إعدادها للعشاء. وأملت الأخت أوكجا أن كنتها التي تعيش معها لم تحرق كالعادة الأرز الذي كانت تطهوه.

قالت أوكجا للفتاة التي كانت تنادي أمها: «صه، صه. لقد أبليت بلاءً حسناً، الصبي قوي ووسيم جداً. انظري إلى كل هذا الشعر الأسود! عليك أن تستريحي قليلاً الآن. سيحتاج الطفل للرضاعة قريباً». ونهضت للمغادرة.

«تبا لهاتين الركبتين». فركت أوكجا ركبتيها وساقيها ونهضت على مهل، لكي تمنح العائلة بعض الوقت لإيجاد بعض المال لها.

جلبت كيونغي محفظتها، وأعطت الأخت أوكجا ثلاثة ينات.

لم تكن أوكجا منبهرة. «إن كانت لديكما أية أسئلة، نادوني لكي آتي».

شكرتها كيونغي؛ شعرت وكأنها أم. كان الطفل وسيماً، انقبض قلبها بسبب منظر وجهه الصغير – صدمها شعره الأسود وعيناه الزرقاوان – السوداوان. تذكرت شخصية شمشون في الإنجيل.

بعد أن غسلت كيونغي الطفل في الحوض المستخدم عادةً لتمليح الملفوف، لفت الطفل بمنشفة وقدمته لأيزاك.

قالت كيونغي مبتسمة: «تهانيّ لقد أصبحت أباً، إنه وسيم، أليس كذلك؟» أومأ أيزاك برأسه، شعر بسرور أكبر مما توقعه.

«أوه، عليّ أن أصنع الحساء لسونجا. عليها أن تتناول الحساء على الفور». ذهبت كيونغي لكي تتفقد سونجا، التي كانت نائمة بالفعل، تاركةً أيزاك مع الطفل في الغرفة الأمامية. في المطبخ، نقعت كيونغي أعشاب البحر في الماء البارد، وصلّت أن يعود زوجها إلى المنزل قريباً.

بدا المنزل مختلفاً في الصباح. لم تنم كيونغي، ولم يعد يوسب إلى المنزل. حاول أيزاك أن يبقى مستيقظاً أيضاً، ولكنها أرغمته على النوم لأنه يتوجب عليه أن يلقي موعظة في الصباح التالي وأن يعمل في الكنيسة طوال يوم الأحد. نامت سونجا بعمق كبير لدرجة أنها كانت تشخر ولم تستيقظ سوى لإرضاع الطفل؛ رضع الطفل من ثديها جيداً ولم يثر كثيراً من الضجة. نظّفت كيونغي المطبخ، وحضرت الفطور، وحاكت القمصان للطفل وهي تنتظر يوسب، ولم تكف عن النظر إلى النافذة بين الفينة والأخرى على أمل أن ترى زوجها عائداً.

بينما كان أيزاك ينهي فطوره، دخل يوسب إلى المنزل ورائحة السجائر تفوح منه. كانت نظارته ملطخة ولحيته نابتة، حالما رأته كيونغي، توجهت إلى المطبخ لتحضر فطوره.

نهض أيزاك: «أخي، هل أنت على ما يرام؟» أومأ يوسب برأسه.

قال أيزاك مبتسماً: «وُلد الطفل. إنه صبي».

جلس يوسب على الأرض بالقرب من الطاولة المصنوعة من خشب الأقاقيا – إحدى الأشياء القليلة التي جلبها من الوطن. لمس الخشب وفكر بوالديه.

وضعت كيونغي صينية الطعام أمامه.

قالت وهي تربت على ظهره: «أعلم أنك غاضب مني، ولكن عليك أن تأكل شيئاً ما وتستريح».

قال أيزاك: «أخي، أنا متأسف لما حصل. سونجا صغيرة للغاية، وكانت قلقة بشأننا. إن الدين ديني حقاً، و...».

قال يوسب: «أستطيع الاعتناء بهذه العائلة».

«هذا صحيح، ولكني وضعت حملاً عليك لم تتوقعه. وضعتك في هذا المأزق. الذنب ذنبي. ظننت سونجا أنها تساعدنا».

طوى يوسب يديه. لم يستطع ألا يوافق أيزاك الرأي أو أن يكون منزعجاً منه. صعب عليه رؤية الحزن يطغى على وجه أخيه. كان يجب حماية أيزاك مثل قطعة من الخزف. طوال الليل عاقر يوسب دوبوروكو في حانة يتردد إليها الكوريون بالقرب من محطة القطار، وتساءل طوال الليل هل كان احضار أيزاك إلى أوساكا قراراً صائباً. إلى كم من الوقت سيبقى أيزاك على قيد الحياة؟ ما الذي سيحصل لأيزاك إن اتضح في نهاية المطاف أن سونجا ليست امرأة صالحة؟ لقد تعلقت كيونغي بالفتاة بالفعل، وحين سيولد الطفل، سيكون يوسب مسؤولاً عن شخص إضافي. كان والداه وأهل زوجته يعتمدون عليه. في الحانة المزدحمة، كان الرجال يشربون ويطلقون الدعابات، ولكن لم يكن هنالك أي شخصٍ في تلك الغرفة البائسة - ذات رائحة الأخطبوط المجفف المحروق والكحول - غير قلق بشأن المال ولا يواجه الرعب الذي يكمن في كيفية قدرته على الاهتمام بعائلته في هذه الأرض الغريبة والمليئة بالمصاعب.

غطى يوسب وجهه بيديه.

سأله أيزاك: «أخي، أنت رجل جيد، أعلم كم تعمل بجد».

بكى يوسب.

«هل ستسامح سونجا؟ لأنها لم تستشرك؟ هل ستسامحني لأنني جعلتك تقترض المال؟ هل ستسامحنا؟».

لم يقل يوسب شيئاً. سيراه الدائن مثل كل الرجال الذين استغلوا زوجاتهم

اللواتي يعملن في المصانع أو يعملن خادمات. دفعت زوجته وزوجة اخيه الحامل دينه بثمن الساعة التي كانت مسروقة على الأغلب. ما الذي يمكنه القيام به؟

سأله يوسب: «عليك الذهاب إلى العمل، أليس كذلك؟ إنه يوم الأحد».

«نعم، قالت أختي إنها ستبقى هنا مع سونجا والطفل».

عندها قال يوسب: «هيا بنا نذهب».

سيسامحهما، لقد فات الأوان لفعل أي شيءٍ آخر.

حين خرج الرجلان من المنزل، أمسك يوسب بيد شقيقه. «أنت أب الآن».

ابتسم أيزاك: «نعم».

قال يوسب: «جيد».

قال أيزاك: «أريد منك تسميته. سيتطلب الأمر كثيراً من الوقت حتى نكتب لأبينا وننتظر الرد. أنت المسؤول عن منزلنا هنا».

«ليس عليّ أن أقوم أنا بذلك».

«بل يجب أن تقوم بذلك».

أخذ يوسب نفساً عميقاً وواجه الشارع الفارغ وخطر له الاسم: «نوا».

ردد أيزاك مبتسماً: «نوا. نعم. إنه رائع».

«نوا – لأنه امتثل وفعل ما طلبه الله. نوا – لأنه آمن حين كان الإيمان مستحيلاً».

قال أيزاك: «ربما عليك أن تلقي الموعظة اليوم» وربت على ظهر أخيه.

توجه الشقيقان نحو الكنيسة، بجسدين متقاربين، واحد طويل وهزيل ويعرف ما يريد، والآخر قصير وقوي وسريع.

الكتاب الثاني

الوطن

1962-1939

مكتبة

كنت أعتقد أنه بغض النظر عن عدد التلال والجداول التي يعبرها الإنسان، كان العالم كله كوريا وكل شخص فيه كوري.

– بارك وان سو

مكتبة

1

أوساكا، 1939

تنفّسَ يوسب، عندما وضع قدمه على عتبة الباب، وحضّر نفسه للهجوم الذي سيشنه عليه نوا ابن السنوات الست، والذي لا شك أنه كان ينتظر الحلوى طوال الأسبوع على أحر من الجمر. أخيراً، فتح الباب، متلهفاً لما سيحدث.

لكن شيئاً لم يحدث.

لم يكن هناك أحد في الغرفة الأمامية. ابتسم يوسب، لا شك أن نوا مختبئ. نادى في اتجاه المطبخ «عزيزي، لقد وصلت». ومن ثم أغلق الباب وراءه.

أخرج يوسب الحلوى من جيب معطفه، وقال بطريقة مثيرة: «هاه، أتساءل أين يمكن أن يكون نوا. أفترض أنه ليس في المنزل، لذا يمكنني أن آكل حصته من الحلوى. أو يمكنني الاحتفاظ بها جانباً من أجل شقيقه. ربما سيكون اليوم يوماً جيداً للطفل موزاسو ليتذوّق أول قطعةٍ له من الحلوى. فلا أعتقد أن من يبلغ من العمر شهراً لا يزال صغيراً على تناول الحلوى. وقبل أن يدرك الأمر، سنتصارع أنا وموزاسو مثلما كنت أفعل مع نوا، وأظنه سيكون بأمس الحاجة لبعض قطع حلوى اليقطين لتمده بالقوة».

لكنه لم يسمع صوتاً، ففتح الورقة المجعّدة متباهياً، وتظاهر بوضع قطعة من الحلوى في فمه.

«واو، هذه هي أفضل دفعة من حلوى اليقطين صنعتها السيدة بيغي، عزيزي، تعال إلى هنا، يجب أن تتذوق بعضاً من هذا، إنها حقاً لذيذة». قال ذلك وهو يصدر أصوات مضغٍ، أثناء بحثه خلف صندوق الملابس والباب حيث اعتاد نوا أن يختبئ.

إنّ مجرد ذكر شقيق نوا الرضيع موزاسو، كان كفيلاً في إخراج الصبي من

مخبئه في الآونة الأخيرة. أوقع نوا المهذب نفسه في مأزقٍ في المنزل بسبب قرص أخيه كلما سنحت له الفرصة.

تفقّد يوسب المطبخ، ولكنه لم يجد أحداً، وعندما لمس الموقد لاحظ أنه بارد، والأطباق الجانبية موضوعة على المائدة الصغيرة قرب الباب، ووعاء الأرز فارغ. لقد كان من المعتاد أن يحضّر العشاء وقت عودته إلى المنزل. لكن الغريب أن طبق الحساء كان نصف ممتلئ بالماء، والبطاطا والبصل المقطّع في انتظار أن يوضعا على النار.

كانت وجبات مساء يوم السبت هي المفضلة لدى يوسب، لأنه لم يكن يعمل نهار الأحد، وكانت العائلة تذهب معاً إلى حمامٍ عموميّ بعد عشاء يوم سبتٍ هادئ، ولكن، اليوم بدا له كل شيء مختلفاً. فتح يوسب باب المطبخ الخلفي ومدَّ رأسه، لكنه لم يرَ سوى بعض جداول تصريف المياه القذرة. وفي المبنى المجاور، كانت كبرى بنات السيدة بيغي تحضر العشاء لعائلتها دون أن تعير أي انتباه لما هو في الخارج.

خمّن يوسب أنهم ذهبوا إلى السوق، فجلس على وسادةٍ موضوعة على الأرض في الغرفة الأمامية، تناول إحدى صحفه، وأخذت عيناه تجولان على أعمدة الكلمات التي تتحدث عن الحرب؛ ستنقذ اليابان الصين من خلال إدخال التقدم التكنولوجي في اقتصادها الريفي؛ ستقضي اليابان على الفقر في آسيا وتحقق الازدهار فيها؛ ستحمي اليابان آسيا من الغرب الإمبريالي الخبيث؛ وألمانيا فقط – التي هي حليف اليابان الحقيقي والقوي – كانت تحارب شرور الغرب.

لم يصدّق يوسب أياً من هذه الأخبار، لكن الدعاية لا مفر منها. يومياً يقرأ ثلاث أو أربع أوراق لجمع الحقيقة من خلال الثغرات بين المقالات. الليلة، تكرر جميع الأوراق تقريباً الكلام نفسه. يبدو أنّ الرقابة المسؤولة عن المطبوعات عملت الليلة الماضية بجهدٍ كبير. شعر يوسب بنفاد صبره بسبب هدوء المنزل، وأحس بالجوع. ربما ذهبت كيونغي لشراء شيء من السوق، إذ لا يوجد سبب واضح لخروج سونجا، ونوا والرضيع أيضاً. لا شك أنّ أيزاك كان مشغولاً في الكنيسة.

انتعل يوسب حذاءه.

في الشارع، لم يكن أحد يعرف مكان زوجته. وعندما وصل إلى الكنيسة، لم يكن أخوه هناك. كان المكتب في الخلف فارغاً، باستثناء المجموعة المعتادة من النساء اللواتي يجلسن أرضاً، ورؤوسهن مَحنيّة، يتمتمن صلواتهن.

انتظرَ طويلاً حتى رفعت النساء رؤوسهن.

«آسف لإزعاجكن، ولكن هل رأيتن القس بايك أو القس يو؟».

النساء – وهنّ سيدات في منتصف العمر يأتينَ إلى الكنيسة كل مساءٍ تقريباً للصلاة – يعرفن أنه الأخ الأكبر للقس بايك.

صرخت السيدة الأكبر سناً: «لقد أخذوه والقس يو والصبي الصيني هو. عليك مساعدتهم..».

«ماذا؟».

«ألقت الشرطة القبض عليهم صباحاً، عندما ذهب الجميع إلى ضريح شنتو للتضرع، لاحظ أحد قادة القرية هو يردد صلاةً باسم الرب، بالرغم من أنه يفترض بهم أنهم يتعهدون الولاء للإمبراطور. لقد استجوبه ضابط الشرطة الذي كان مشرفاً عليهم، وأخبره هو أنّ هذا الاحتفال هو لعبادة الأوثان، وأنه لن يفعل ذلك بعد الآن. حاول القس يو أن يخبر الشرطة أنّ الصبي ضُلل بمعلوماتٍ خاطئة، وأنه لم يعنِ شيئاً مما قاله، لكن هو رفض الموافقة على ما قاله القس يو. وعندما حاول القس بايك تفسير الأمر بدوره، أعلن هو أنه مستعد لتحمل عاقبة الأمور. تماماً مثل شادراخ، ميشاخ وأبدنيغو. هل تعرف هذه القصة؟».

أجابها يوسب منزعجاً: «نعم، نعم، هل هم في مركز الشرطة الآن؟».

أومأت النساء، فركض يوسب إلى الخارج.

جلس نوا على درج مركز الشرطة، حاملاً أخاه الرضيع النائم.

همس نوا وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة ارتياح: «عمي مو ثقيل للغاية».

قال يوسب: «أنت أخ طيب جداً يا نوا».

«أين عمتك؟».

«في الداخل». أمال رأسه باتجاه المركز، غير قادرٍ على استخدام يديه.

«عمي، هل يمكنك حمل موزاسو؟ ذراعاي تؤلمانني».

«هل يمكنك الانتظار هنا قليلاً؟ سأعود في الحال، أو سأرسل والدتك إلى الخارج».

قال نوا بجدّية: «قالت أمي إنها ستعطيني حلوى إذا لم أقرص موزاسو وأبقيته هادئاً. لا يسمحون للأطفال بالدخول، لكنني جائع الآن. لقد مضى عليّ وقت طويل هنا».

أجابه يوسب: «سيعطيك العم حلوى أيضاً يا نوا فور عودتك».

«لكن، عمي مو..».

«نعم نوا، لكنك قوي جداً».

قوّم نوا كتفيه واستقام في جلسته. لم يكن يريد أن يخيّب ظنَّ عمه فيه، فقد كان مثله الأعلى وقدوته.

كان يوسب على وشك فتح باب المركز، عندما لفته صوت نوا.

«عمي، ماذا أفعل إذا بكى موزاسو؟».

«يجب أن تغني له أغنية وأنت تمشي به ذهاباً وإياباً. كما كنت أفعل لك عندما كنت بعمره. هل تذكر؟».

«لا، أنا لا أتذكّر».

«سأعود حالاً».

لم تسمح الشرطة لهن برؤية أيزاك. كانت المرأتان داخل مركز الشرطة، وكانت سونجا تخرج كل بضعِ دقائق للاطمئنان على نوا وموزاسو. لا يُسمح بوجود الأطفال داخل المركز، لذلك بقيت كيونغي بالقرب من مكتب الاستقبال، حيث كانت هي الوحيدة التي تتحدث اليابانية. عندما دخل يوسب غرفة الانتظار، لهثت كيونغي ثم زفرت. وكانت سونجا إلى جانبها تبكي منحنية.

سأل يوسب: «هل أيزاك هنا؟».

أومأت كيونغي وقالت وهي تربت على ظهر سونجا: «عليك التحدث بهدوء، أنا لا أعرف إلى من يجب أن أتحدث».

همس يوسب: «أخبرتني النساء في الكنيسة ما حدث. لماذا أثار هذا الولد

ضجةً حول التضرّع؟».

في الوطن، كانت الحكومة الاستعمارية تقوم بجمع المسيحيين وجعلهم ينحنون أمام الأضرحة كل صباح. أما هنا، فإنّ قادة المجتمع المتطوعين يجعلونك تقوم بهذا الأمر مرة واحدة أو مرتين في الأسبوع.

«هل يتوجب علينا دفع غرامة؟».

قالت كيونغي: «لا أعتقد ذلك، قال الضابط بأنه يمكننا أن نعود إلى المنزل، ولكن انتظرنا ربما أخلوا سبيله..».

قال يوسب: «لا يمكن أن يبقى أيزاك محتجزاً، لا يمكن».

في مكتب الاستقبال، أخفض يوسب كتفيه وانحنى قدر استطاعته من الخصر.

«وضع أخي الصحي سيئ، وهو على هذا النحو منذ أن كان صبياً صغيراً، وسيكون من الصعب عليه البقاء في السجن. لقد تعافى للتو من السل. هل هناك من طريقةٍ تتيح له العودة إلى المنزل والحضور صباحاً ليُستجوب؟». سأل يوسب مستخدماً المصطلحات اليابانية التي تدّل على الاحترام.

هزّ الضابط رأسه بأدب، غير مبالٍ بهذه النداءات. كانت الزنازين مزدحمة بالكوريين والصينيين، ووفقاً لما أدلت به عائلاتهم، فإن معظمهم يعانون من مشاكل صحية خطيرة تمنعهم من البقاء في السجن. بالرغم من أنّ الضابط استاء من توسّلات الرجل من أجل أخيه الغائب، لكن لم يكن بيده حيلة. سيحتجز القس لفترة طويلة جداً، كان هذا يحصل دائماً للنشطاء المتديّنين. في أوقات الحرب، كان هناك حملات قمع ضد مثيري الشغب من أجل الحفاظ على الأمن القومي. ولكن أياً يكن الأمر، لن يجدي الكلام نفعاً، لقد تسبّب الكوريون في مشكلة، ثم قدموا أعذاراً.

«عد والمرأتين إلى البيت. القس قيد الاستجواب، ولن تتمكن من رؤيته. أنت تضيع وقتك سدى».

قال يوسب: «يا سيدي، أخي ليس ضد الإمبراطور أو الحكومة بأيّ شكل من الأشكال. لم يشارك أبداً في أي شيء ضد الحكومة. لا علاقة لأخي بالسياسة، وأنا متأكد أنه..».

«لا يسمح له بمقابلة الزوار. إن كان بريئاً، ثق أنه سيفرج عنه، وسيعود إلى المنزل». ابتسم الضابط بأدب. «ما من أحد يرغب أن يُزج رجلٌ بريء في السجن».

حاول الضابط بطريقة غير مباشرة التلميح إلى عدالة الحكومة اليابانية.

سأل يوسب بصوت منخفض: «هل يمكنني القيام بشيء؟»، وهو يلمس جيوبه مشيراً إلى محفظته. فقال الضابط بانزعاج: «ما من شيء يمكنك أو يمكنني القيام به. وآمل أنك لا تعرض عليّ الآن رشوة. إن محاولة رشوتي لن تؤدي إلا إلى تعقيد وضع أخيك. هو وزميلاه رفضوا تقديم الولاء للإمبراطور. وهذه جريمة خطيرة».

«لم أقصد أية إساءةٍ. أستميحك العفو فأنا لم أفقه ما قلت، لم أقصد إهانتك».

كان يوسب على استعدادٍ لأن يزحف على بطنه عبر أرضية المركز، إذا كان ذلك سيؤدي إلى تحرير أيزاك. كان شقيقهما الأكبر سامويل الشجاع بينهم، الشخص القادر على مواجهة الضبّاط بجرأةٍ، ولكن يوسب يعلم أنه ليس بطلاً كأخيه. ولكنه ما كان ليتردد باقتراض المزيد من المال وبيع كوخهم في حال قبلت الشرطة رشوة مقابل أيزاك. لم يقتنع يوسب بفكرة أن يموت أي شخص من أجل بلاده أو من أجل أهدافٍ سامية. كان مفهومه الوحيد هو البقاء والأسرة على قيد الحياة.

عدّل الضابط نظّارته ونظر خلف يوسب، بالرغم من أن أحداً لم يكن هناك.

«ربما يمكنك إعادة المرأتين إلى المنزل؟ ليس لهما مكان هنا. والصبي والطفل موجودان في الخارج. أنتم دائماً تتركون أطفالكم يلعبون في الشوارع حتى في المساء. بينما يجب أن يكونوا في المنزل. إذا لم تعتنِ بأطفالك، فسينتهي بهم المطاف في السجن يوماً». وأردف الضابط الذي بدا عليه الإعياء: «سيبقى أخوك هنا الليلة. هل تفهم؟».

«نعم سيدي. شكراً لك سيدي. آسف لإزعاجك. هل لي أن أحضر له أغراضه الليلة؟».

ردّ الضابط بصبرٍ: «في الصباح، يمكنك إحضار الملابس والطعام له. الكتب الدينية ممنوعة. ويجب أن تكون جميع مواد القراءة باللغة اليابانية». تكلّم الضابط بصوت هادئ وعميق. «لكن لسوء الحظ، لا يمكن زيارته. آسف جداً لذلك».

أراد يوسب الاعتقاد أنّ الرجل الذي يرتدي الزي الرسمي لم يكن سيئاً بالكامل، وأنه يؤدي وظيفة لا يحبها، ويشعر بالتعب وربما يرغب مثله بعشاء وحمام. بدا يوسب يفكّر بعقلانية، بالرغم أنه من السهل الاعتقاد أنّ جميع رجال الشرطة اليابانية أشرار، ولكن توجّب عليه الاعتقاد أن شقيقه بعهدة أشخاص شرفاء، لأنّ الفكرة البديلة لا تُطاق.

«حسناً سيدي، سنحضر أغراضه في الصباح، لك الشكر». قال يوسب وهو ينظر إلى عينيّ الضابط الحذرتين.

«بالتأكيد.» أحنى الرجل رأسه قليلاً.

سُمِح لنوا بأكل كل قطع الحلوى واللعب في الخارج. وبينما أعدّت سونجا العشاء في المطبخ، أجاب يوسب على أسئلة كيونغي التي كانت تقف وموزاسو مربوط على ظهرها بواسطة قطعة قماش.

سألته بهدوء: «هل يمكنك الاتصال بأحد؟».

«مثل من؟».

«المبشّرين الكنديين. التقينا بهم قبل بضع سنوات. أتذكر؟ كانوا لطفاء للغاية، وقال أيزاك إنهم يواظبون على إرسال المال لدعم الكنيسة. ربما يمكنهم أن يشرحوا للشرطة أنّ القساوسة لم يرتكبوا أيّ خطأ». اقترحت كيونغي وهي تسير في دوائر صغيرة، وتمتم موزاسو وكأنه يوافقها الرأي.

«كيف أصل إليهم؟».

«ربما من خلال رسالة».

«هل يمكنني كتابتها باللغة الكورية؟ كم من الوقت ستستغرق الرسالة للوصول والرد عليها؟ إلى متى سيتمكن أيزاك من النجاة في..؟».

دخلت سونجا الغرفة، وتناولت موزاسو عن ظهر كيونغي، واتجهت به إلى المطبخ لإرضاعه. وملأت رائحة الأرز بالشعير المنزل الصغير.

قالت كيونغي: «لا أعتقد أنّ المبشّرين يتحدثون الكورية. هل يمكنك الاستعانة بشخص ما لمساعدتك في كتابة خطاب مناسب باليابانية؟».

لم ينبس يوسب ببنت شفة. فباستطاعته كتابة رسالة لهم بطريقة ما، لكنه لم

يرَ سبباً يحمل الشرطة اليابانية على الاهتمام بأقوال مبشّرٍ كندي، بينما هناك حرب قائمة. وقد تستغرق الرسالة شهراً على الأقل.

عادت سونجا مع موزاسو. وسألت: «لقد حضّرت له بعض الأغراض. هل يمكنني أخذها غداً صباحاً؟».

أجابها يوسب: «سآخذها إليه قبل التوجه إلى العمل».

سألته كيونغي: «هل يمكنك طلب المساعدة من رئيسك؟ ربما يستمعون إلى شخصٍ ياباني؟».

«لن يساعد سيمامورا سان أي شخص في السجن. فهو يعتقد أنّ المسيحيين ثوار. يعرف اليابانيون أنّ الأشخاص المسؤولين عن مظاهرة الأول من آذار هم مسيحيون. وأنا لا آتي على ذكر الكنيسة أمامه. لا أخبره شيئاً على الإطلاق. قد يطردني إذا اعتقد أنني أشارك في أي نوع من أنواع النشاط الاحتجاجي. ثم أين سينتهي بنا المطاف؟ فلا وظائف متيسرة لأشخاص مثلي».

ران الصمت بعدها، ونادت سونجا على نوا ليدخل إلى المنزل. فقد حان موعد طعامه.

2

كل صباحٍ، تمشي سونجا إلى مركز الشرطة لتسلّم عدّة قطعٍ مصنوعة من الشعير وحبوبَ الدخن. لو أنهم يملكون ما يكفي من المال، لاشترت بيضة دجاجة، وسلقتها وغطستها بالصلصة، لإكمال علبة غذائه. لم يكن أحد متأكداً من وصول الطعام إلى أيزاك، لكنها أيضاً لا تستطيع إثبات العكس. عَرفَ جميع من في الحي أن شخصاً قد ذهب إلى السجن، وكانت الأخبار مرعبةً حتى في أحسن أحوالها. تجنّب يوسب الحديث عن أخيه، لكن اعتقاله غيّره بالكامل. تلوّن شعره الأسود ببقعٍ رمادية، وعانى من آلامٍ حادّة في معدته، وتوقّف عن مراسلة والديه، وأخذت كيونغي تكتب الرسائل بدلاً منه، مقدَمةً الأعذار بحيث لا يعرف والداه ما حدث لابنهما. خلال الوجبات، يعطي يوسب معظم طعامه لنوا الذي يجلس قربه هادئاً، ويتشاركان نوعاً من الحزن الذي لا يوصف بسبب غياب أيزاك.

لم يتمكن أحد من مقابلة أيزاك بالرغم من تقديم العديد من طلبات الاسترحام. لكنهم وثقوا أنه بخير؛ لأنّ الشرطة لم تخبرهم عكس ذلك. لقد سجن القس الكبير وأمين غرفة المقدّسات أيضاً، وأَملت العائلة أنّ ثلاثتهم يساندون بعضهم بعضاً بطريقةٍ ما، رغم أنّ أحداً لا يعرف شيئاً عن حياة السجناء في الداخل.

بعد يومٍ من اعتقال أيزاك، جاءت الشرطة لمصادرة كتبه وأوراقه. وتمّت مراقبة تحركات العائلة، وكان هناك محقق يزورهم كلّ بضعة أسابيع لطرح الأسئلة. وبالرغم من إغلاق الكنيسة إلاّ أن الرعيّة واصلت الاجتماع فيها وبشكل سرّي لكن بمجموعاتٍ صغيرة. ولم يلتقِ كل من كيونغي، وسونجا، ويوسب أحداً من أفراد تلك الرعيّة خوفاً من تعريضهم للخطر. لقد عادَ معظم المبشّرين الأجانب الذين كانوا هنا وفي الوطن إلى بلادهم الأم، وأصبح من النادر جداً رؤية شخصٍ من العرق الأبيض في أوساكا. راسلَ يوسب المبشّرين الكنديين عن حالة أيزاك لكنه لم يتلقَّ رداً.

أعلنت السلطة المسؤولة عن اتخاذ القرارات في الكنيسة تحت الضغط الكبير أنّ الاحتفال الإلزامي بضريح شنتو هو واجب مدني أكثر من كونه دينياً، على الرغم من أنّ الإمبراطور؛ الذي هو رئيس ديانة الدولة، اعتبر إلهاً حياً. وآمن القس يو؛ وهو كاهن مخلص وواقعيّ في تفكيره، أنّ هذا الاحتفال الذي يجتمع فيه الناس لتأدية الشعائر، هو في الواقع فعل وثني فرض على الشعوب لإثارة الحس الوطني لديهم. وعلى الرغم من أنّ الركوع للأصنام هو أمر مسيء للرب، لكن القس يو شجّع كلاً من أيزاك، وهو، وجماعته على اعتبار هذا الأمر لصالح الجميع. لم يكن يرغب في أن تتم التضحية برعيّته والمنضوين الجدد إليها، لأنّ نتيجة عصيان الحكومة هي إما السَجن وإما الموت. ووجد القس يو دعماً لأفكاره في رسائل بولس الرسول. لذلك عندما تحدث مثل هذه التجمعات، التي يختلف تكرارها من مدينة إلى أخرى، في مكانٍ قريب، يحضرها كل من القس الأكبر، وأيزاك وهو ومن معهم في الكنيسة في ذلك الوقت عند الضرورة. لكن لم يعرف الكاهن بسبب ضعف نظره أنّ هو يتلو الصلاة الربّانية من غير انقطاع في كلّ احتفال، حتى عندما ينحني، يرش الماء، ويصفق بيديه كما يفعل الآخرون. ولاحظ أيزاك هذا الأمر لكنه لم يقل شيئاً، بل أعجب بشدّة إيمانه ومقاومته.

لقد أجبر اعتقال أيزاك سونجا على التفكير بمصيرها في حال حدث شيء غير متوقّع. هل سيطلب يوسب منها ومن طفليها المغادرة؟ إلى أين ستذهب؟ وكيف ستعتني بطفليها؟ لن تطلب كيونغي منها الرحيل لكن الأمر لم يكن بيدها؛ فهي ليست سوى زوجة. لذلك عليها أن تضع خطةً، وتجمع المال في حال اضطرت للعودة إلى والدتها. قررت سونجا أن تصبح بائعةً متجولة. لقد كان عملها في السوق بمفردها، وهي شابة تصرخ حتى يبح صوتها، مختلفاً عن عمل والدتها التي تؤوي المسافرين وتعمل إلى جانب زوجها لكسب المال. حاول يوسب منعها، لكنها لم تستمع إليه، وأخبرته وهي تبكي أنّ أيزاك كان ليرغب في أن تكسب المال من أجل تعليم طفليها. رضخ يوسب لإرادة سونجا لكنه منعَ زوجته من العمل خارج المنزل فأطاعته، وسمح لها فقط بمساعدة سونجا بتعبئة الكيمتشي. لم يتمكن يوسب من الاحتجاج أكثر، بسبب حاجة الأسرة الملحّة للمال. لقد

حاولت المرأتان إطاعته بطريقةٍ ما، لأنهما لم ترغبا بإلحاق الأذى به عن طريق تحديه. إلا أنه أصبح من المستحيل على رجل واحد تحمل الأعباء المالية.

بعد أسبوعٍ واحد من سَجن أيزاك، بدأت سونجا بالعمل. فبعد أن أوصلت الطعام إلى المركز، دفعت سونجا بعربةٍ خشبية تحمل جرّةً كبيرة من الكيمتشي إلى السوق في إيكاينو الذي امتلأ بالعديد من متاجر التجزئة المتواضعة التي تبيع أشياء مختلفة كالأدوات المنزلية، والقماش، وحصائر التاتامي والسلع الكهربائية. بالإضافة إلى مجموعة من الباعة المتجولين الذين يبيعون فطائر البصل الأخضر المنزلية الصنع، ولفائف السوشي، ومعجون فول الصويا.

اعتنت كيونغي بالطفل موزاسو في غياب والدته.

لاحظت سونجا امرأتين كوريتين تبيعان رقائق القمح المقلية إلى جانب عربات معجون الفلفل الأحمر وفول الصويا، فدفعت عربتها على أمل أن تقحم نفسها في مكانٍ قريبٍ منهما. فقالت لها المرأة الأكبر سناً من بين بائعتي الرقائق: «لا يمكنك أن تفسدي منطقتنا برائحةٍ كريهة. اذهبي إلى الجانب الآخر». مشيرةً إلى قسم الأسماك. وعندما اقتربت سونجا من بائعات سمك الأنشوفة والأعشاب البحرية، وجدتهن أقل ترحيباً. وقالت لها امرأة طويلة تضع وشاحاً أبيض على رأسها: «إذا لم تبتعدي أنت وعربتك من هنا، فسأجعل أولادي يتبولون في جرتك. هل تفهمين أيتها القروية؟». ولشدّة دهشتها، لم تستطع سونجا التفوّه بشيء. لم تكن أيّ منهن تبيع الكيمتشي، ومعجون فول الصويا له رائحة لاذعة بقدر الكيمتشي.

ابتعدت سونجا بقدر الإمكان عن أيّ نساءٍ أخريات، وانتهى بها المطاف إلى مكان بالقرب من مدخل محطة القطار حيث يُباع الدجاج الحيّ، حيث عبقت رائحة الذبائح الكريهة، لكنها وجدت مساحةً كبيرةً لعربتها بين جزّاري الخنازير والدجاج. ابتسم لها جزّار ياباني وهو رجل كبير في السن، يتمتع بيدين قويتين وعروقٍ بارزة. كان يقطّع خنزيراً بحجم طفلٍ بواسطة سكينٍ ضخمة ويتصبب عرقاً. كان هناك دلو ممتلئ بالدماء بالقرب من قدميه، بالإضافة إلى رأسَي خنزيرين موضوعان على الطاولة الأمامية. ركنت سونجا عربتها بالقرب منه، وشعرت بالارتجاج تحت قدميها عندما اقترب القطار وتوقف، ترجّل المسافرون منه، وتوجه قسم منهم

نحو السوق، لكن أياً منهم لم يتوقف أمام عربتها. كان ثدياها مثقلان بالحليب، واعتراها شوق لتكون في المنزل مع كيونغي وموزاسو. حاولت سونجا تمالك نفسها ثم مسحت وجهها بكميها، وحاولت تذكر ما كانت تفعله أفضل البائعات في وطنها. فصرخت، «كيمتشي! كيمتشي لذيذ! تذوّق هذا الكيمتشي اللذيذ ولن تحتاج لإعداده مجدداً في المنزل». نظر المارّة إليها، فأشاحت بنظرها خجلاً، ولم يشترِ منها أحد شيئاً. بعد أن أنهى الجزار عمله، غسل يديه، وأعطاها خمسةً وعشرين سنتاً، فعبأت له سونجا علبةً من الكيمتشي. ومن ثم أحضر الرجل علبة طعامه، ووضع قطعة من الكيمتشي على أرزّه الأبيض باستخدام عيدان الأكل وتناول لقمةً أمامها. وقال مبتسماً: «لذيذ! لذيذ جداً!» فانحنت له شاكرة. لم يبدُ عليه الانزعاج لكونها لا تتحدث اللغة اليابانية.

وقت الغداء، أحضرت كيونغي موزاسو لترضعه أمه، وتذكّرت سونجا أن لا خيار أمامها إلا استرجاع تكلفة الملفوف، والفجل والتوابل. وأنه في نهاية اليوم، عليها أن تجمع مالاً أكثر مما تم إنفاقه. حرست كيونغي العربة بينما أرضعت سونجا طفلها، بعد أن استدارت لتواجه الحائط وتستر جسدها ورضيعها عن أعين المارة.

قالت كيونغي: «هل تذكرين عندما أردت أن أكون بائعة كيمتشي؟ لا أعتقد أنني أدركت الشعور الذي سينتابني عندما أقف هنا. لو كنت مكانك لخفت كثيراً، أنت شجاعة جداً».

ردّت عليها سونجا وهي تنظر إلى طفلها الجميل: «هل لديك خيار؟».

«هل تريدينني أن أبقى وأنتظر معك؟».

قالت سونجا: «ستقعين في ورطة. يجب أن تكوني في المنزل عندما يعود نوا من المدرسة، وتحضّري العشاء. أنا أعتذر لأنني لا أستطيع مساعدتك يا أختي».

ردّت كيونغي: «ما يتوجب عليّ القيام به سهل للغاية مقارنة بما تقومين به».

قاربت الساعة الثانية بعد الظهر، وأصبح الهواء أكثر برودة عندما غابت الشمس عنهم.

«لن أعود إلى المنزل قبل أن أبيع كل ما لديّ».

«حقاً؟».

فأومأت سونجا.

يشبه موزاسو أيزاك إلى حدّ كبير. لكنه مختلف تماماً عن أخيه نوا الذي يتمتع ببشرةٍ تميل نحو السمرة قليلاً، وشعر كثيف ولامع، ويبدو مطابقاً تقريباً لهانسو عندما كان شاباً، باستثناء فمه، أما عيناه فتحاولان رؤية كل شيءٍ من حوله. في المدرسة، يجلس نوا هادئاً خلال الدروس، منتظراً دوره، وكثيراً ما يشيد به المدرسون لأنه طالب مجتهد. كان نوا دائماً طفلاً يسهل التعامل معه، أما موزاسو فكان طفلاً سعيداً يبتهج حين يحمله شخص غريب.

تذكّرت سونجا والديها عندما فكّرت في مقدار حبّها لطفليها. وشعرت بمدى بعدها عنهما. فهي الآن تقف خارج محطة القطار، تحاول بيع الكيمتشي. لم يكن هناك أيّ عار في ما تفعل، لكن لم يكن ذلك ما تمناه لها والداها. وبالرغم من ذلك، شعرَت أنهما كانا ليوافقا على عملها وكسبها للمال، وخاصةً في ظروفٍ كهذه. عندما انتهت سونجا من إطعام طفلها. وضعت لها كيونغي على العربة قطعتين من اللفائف المحلاّة وقارورةً من الحليب المجفف.

«يجب أن تأكلي يا سونجا، أنت ترضعين وهذا ليس بالأمر السهل، صحيح؟ يجب أن تكثري من شرب الحليب والماء». استدارت كيونغي حتى تتمكن سونجا من وضع موزاسو في الحمّالة على ظهرها، ثم ثبتته بإحكامٍ حول جذعها. «سأعود إلى المنزل وانتظر عودة نوا، لا تتأخري في العودة، اتفقنا؟ نحن فريق جيد وستعاون». أراح موزاسو الصغير رأسه على ظهر كيونغي بين لوحي كتفيها الرقيقين، وراقبتهما سونجا يرحلان.

عندما أصبحا خارج مرمى نظرها، صرخت: «الكيمتشي! كيمتشي لذيذ! كيمتشي!». شعرت بأنّ صوتها مألوف. ليس لأنه صوتها، بل لأنه ذكّرها بجميع الأوقات التي ذهبت فيها إلى السوق عندما كانت فتاةً صغيرة، في البداية مع والدها، ثم بمفردها عندما أصبحت شابّة، ثم كعاشقةٍ تتوق إلى نظرة من حبيبها. لطالما لازمت أصوات البائعات في الوطن ذاكرتها، وها هي تصبح واحدة منهن الآن. «كيمتشي! الكيمتشي! كيمتشي منزلي الصنع! الألذ في إيكاينو! ألذ من الذي

تحضّره جدتك!». حاولت أن تبدو مَرحةً، لأنها تذكّرت أنه في وطنها، ترددت دائماً على ألطف السيدات. وعندما نظر المارة إليها، انحنت وابتسمت لهم. «لذيذ! لذيذ!». نظر الجزّار إليها وابتسم. في ذلك المساء، لم تعد سونجا إلى المنزل قبل بيع كل الكيمتشي.

استطاعت سونجا بيع كل الكيمتشي الذي تعده هي وكيونغي، وهذا ما شد من عزيمتها. وشعرت بقدرتها على بيع المزيد في حال استطاعتا إعداد المزيد. لكن عملية التخليل تستغرق وقتاً، وليس من السهل دائماً إيجاد المكونات الصحيحة. حتى عندما تحقق ربحاً مناسباً، قد يرتفع سعر الملفوف في الأسبوع التالي، أو أسوأ من ذلك، قد لا يتوفر على الإطلاق. وعندما لا يتوفر الملفوف خللتا بدلاً منه الفجل، والخيار، والثوم أو الثوم المعمّر. وفي بعض الأحيان أعدت كيونغي مخلل الجزر أو الباذنجان من دون ثوم أو معجون الفلفل الحار، لأنّ اليابانيين يحبّذون تلك الأنواع.

طوال الوقت كانت سونجا تفكر في منزل طفولتها، وكيف كانت حديقة المطبخ في الفناء الخلفي لمنزلهم تزودهم بما يكفي من الطعام حتى عندما يتناول المستأجرون طعاماً بقيمة تعادل ضعف المبلغ الذي دفعوه. استمرت أسعار الأغذية الطازجة بالارتفاع، ولم يكن بوسع العاملين حتى تحمّل كلفة المواد الأساسية. لقد أصبح بعض الزبائن الآن يشترون كوباً من الكيمتشي بدلاً من وعاءٍ منه. وعندما لم يكن الكيمتشي أو المخلل متوفرين باعت سونجا البطاطا الحلوة والكستناء المشوية، بالإضافة إلى أكواز الذرة المسلوقة. لقد ازدهر عمل سونجا وأصبحت تمتلك عربتين متصلتين معاً كعربات القطار، واحدةً تحتوي على موقد فحمٍ والأخرى مخصصة للمخللات. استولت العربتان على مساحةٍ كبيرة من المطبخ؛ لأن سونجا اضطرت لإبقائهما في الداخل كي لا تُسرقا. لقد تقاسمت سونجا الأرباح بالتساوي مع كيونغي، واحتفظت بكل سنتٍ جمعته من أجل تعليم ولديها، ومن أجل رحلتهم إلى الديار في حال أُجبروا على الرحيل.

عندما بلغ موزاسو شهره الخامس، بدأت سونجا أيضاً ببيع الحلوى. كان السكر قليلاً للغاية، لكن كيونغي حصلت بالصدفة من بائع بقالةٍ كوري على كيسين

من السكر الأسمر بسعر الجملة، لأنّ زوج أخته الياباني يعمل في الجيش. في مكانها المعتاد، أوقدت سونجا النار تحت طبقٍ معدني تستخدمه لإذابة السكر. تسبب لها الصندوق الفولاذي الذي تستعمله كموقدٍ بالكثير من المتاعب، وخططت لشراء واحدٍ مناسب لعربتها عندما تجمع ثمنه. ومن ثم رفعت كمّيها وبدأت بتحريك الفحم لزيادة حرارته.

«أيتها الآنسة، هل لديك كيمتشي اليوم؟».

رفعت سونجا رأسها باتجاه مصدر الصوت. وإذ به رجل بعمر أيزاك، يرتدي ملابس مرتّبة كشقيق زوجها، لكن دون جذب الكثير من الأنظار إليه. حليق الوجه مقلم الأظفار، يضع نظارة سميكة العدستين، وقد أخفى إطارها السميك ملامحه.

«لا يا سيدي، لا يوجد كيمتشي اليوم. اليوم أبيع الحلوى فقط، ولكنها لم تجهز بعد».

«أوه! متى ستعاودين بيع الكيمتشي؟».

«يصعب القول. لا توجد كمية كافية من الملفوف في السوق، والدفعة الأخيرة من الكيمتشي التي صنعناها لم تتخلل بعد». أجابت سونجا، وعادت إلى العمل.

«كم تحتاج من وقت؟ يوم أم يومان؟ أسبوع؟».

رفعت سونجا رأسها مرةً أخرى، منذهلةً من إصراره.

«ربما ثلاثة أيام أو أكثر. وإذا استمرت الحرارة بالارتفاع، ربما تجهز في غضون يومين مع أنني أشك في ذلك». قالت سونجا بشكلٍ قاطع، آملةً في أن يتركها تبدأ في العمل. ففي بعض الأحيان، تبيع بعض أكياس الحلوى إلى الشابات اللاتي يترجّلن من القطار في مثل هذا الوقت.

«كم سيكون لديك من الكيمتشي عندما يجهز؟».

«الكثير. هل تعرف كم تريد منه؟ يجلب معظم عملائي أوعيتهم الخاصة. ما الكمية التي تعتقد أنك بحاجة إليها؟».

زبائنها هم نساء كوريات يعملن في المصانع، ولا يملكن الوقت لصنع طعامهن. أما عندما تبيع الحلوى، فزبائنها هم أطفال وشابات. «عد بعد ثلاثة أيام، وإذا أحضرت وعاءك الخاص...».

ضحك الشاب وعدّل نظارته: «حسناً، كنت أفكر إن كان يمكنني شراء كل ما لديك».

«لا يمكنك تناول كل هذا الكم! وكيف ستحافظ على ما تبقّى منه طازجاً؟» أجابت سونجا وهي تهزّ رأسها من غبائه. «سيبدأ الصيف في غضون شهرين، والطقس حارّ منذ الآن».

«أنا أعتذر، ربما كان يجدر بي توضيح الأمر. أدعى كيم تشانغو، وأنا أدير مطعم ياكينيكو بجانب محطة تسوروهاشي. وقد ذاع صيت الكيمتشي الرائع الذي تعدّينه».

مسحت سونجا يديها بالمئزر الذي ارتدته فوق سترتها القطنية، وهي تراقب الفحم المشتعل عن كثب.

«قريبتي هي التي تصنعه. أنا فقط أساعدها وأبيع».

«نعم، نعم، سمعت بذلك أيضاً. حسناً، أنا أبحث عن بعض النساء لإعداد الكيمتشي والأطباق الجانبية للمطعم. أستطيع أن أحضر لك الملفوف و..».

«من أين ستحضره يا سيدي؟ لقد بحثنا في كل مكان. تذهب قريبتي إلى السوق في وقتٍ مبكرٍ من الصباح ولا..».

«أستطيع الحصول عليه» قال مبتسماً.

لم تعرف سونجا ما يجب عليها أن تقول. في تلك الأثناء أصبح الوعاء المعدني المخصص لصنع الحلوى ساخناً وجاهزاً لوضع السكر والماء فيه، لكنها لم ترغب في أن تباشر على الفور. إذا كان هذا الشخص جاداً في كلامه، فعليها أن تستمع إلى ما يقوله. وصل القطار، وفاتتها الدفعة الأولى من الزبائن.

«أخبرني مرة أخرى أين يقع مطعمك؟».

«إنه المطعم الكبير الذي يقع في الشارع الفرعي خلف محطة القطار. في شارع الصيدلية نفسه، هل تعرفينها؟ التي يمتلكها الصيدلي الياباني النحيل، أوكادا سان والذي يضع نظارة سوداء كالتي أضعها». عدّل نظارته على أنفه مجدداً وابتسم كصبي صغير.

«أوه، أنا أعرف أين تقع الصيدلية».

إنه المكان الذي يذهب إليه جميع الكوريين عندما يمرضون لشراء الأدوية الجيّدة. لم يكن أوكادا رجلاً لطيفاً، لكنه صادق، وهو معروف بقدرته على علاج كثير من الأمراض. لم يبدُ الشاب شخصاً يحاول استغلالها، لكنها لم تكن متأكدةً من ذلك. فخلال الأشهر القليلة التي عملت فيها بائعة، استدان منها بعض الزبائن المال، لكنهم لم يعيدوه إليها. إنّ الناس على استعداد للكذب حول أبسط الأشياء والتغاضي عن مصلحتك تماماً.

أعطاها كيم تشانغو بطاقة عمله. «إليك العنوان. هل تستطيعين إحضار الكيمتشي عندما يَجهز؟ أحضريه كله. سأدفع لك نقداً، وسأجلب لك مزيداً من الملفوف».

أومأت سونجا من دون أن تتفوه بكلمة. إذا حَظِيت بزبونٍ واحد لكل الكيمتشي، فسيكون لديها مزيد من الوقت لبيع أشياء أخرى.

والجزء الأصعب هو الحصول على الملفوف، لذلك إذا استطاع هذا الرجل جلبه، فسيصبح العمل أسهل بكثير. لطالما جابت كيونغي الأسواق حاملةً موزاسو على ظهرها، للبحث عن هذه المكونات النادرة، وغالباً ما عادت خالية الوفاض. وعدته سونجا بتلبية طلبه.

تميّز مطعم ياكينكو بأكبر واجهةٍ في الشارع الفرعي الواقع مقابل محطة القطار. وبخلاف المتاجر الأخرى المجاورة، نقشت لافتته بطريقة جميلة من قِبل صانع لافتاتٍ محترف. نظرت المرأتان بإعجابٍ إلى الحروف السوداء الكبيرة المنحوتة في لوحة خشبية شاسعة. وتساءلتا عن معنى الكلمات. من الواضح أنه مطعم يقدّم الأضلع المشوية، لأنّ رائحة اللحم المشوي وصلت إلى بعد شارعين. لكن اللافتة مكتوبة بحروف يابانية صعبة، وليس بمقدور أي منهما قراءتها. أمسكت سونجا مقود العربة المحمّلة بالكيمتشي الذي صنعتاه في الأسابيع القليلة الماضية، وأخذت نفساً عميقاً. إذا ظلّت مبيعات الكيمتشي للمطعم ثابتة، فسيكون لديهما دخل منتظم، وستتمكن من شراء البيض لوجبات أيزاك ونوا. بالإضافة إلى الحصول على قماش صوفيّ سميك لكيونغي، التي أرادت خياطة معطفين جديدين لكلّ من يوسب ونوا.

لم يرغب يوسب في العيش في مصنع للكيمتشي، فظل بعيداً عن المنزل، شاكياً من منظر ورائحة المكونات المبعثرة في المطبخ. ولهذا السبب فضّلت النساء بيع الحلوى، ولكن السكر أكثر ندرةً من الملفوف أو البطاطا الحلوة.

بالرغم من أنّ نوا لم يتذمر من الأمر، إلا أنّ رائحة الكيمتشي، أثّرت عليه أكثر من غيره. فقد سخر منه كل الأطفال الكوريين الآخرين في المدرسة المحلية، وجعله مدرّس الصف يجلس في المقاعد الخلفية بعد أن عبقت ملابسه النظيفة برائحة البصل، والفلفل الحار، والثوم ومعجون القريدس، إلى جانب مجموعة من الأطفال الكوريين الذين تربي أمهاتهم الخنازير في المنزل. أطلق الجميع في المدرسة على هؤلاء الأطفال وعلى نوا ألقاباً مسيئةً كالخنازير والغبي ذي رائحة الثوم.

في المنزل، طلب نوا من عمته أن تحضّر له وجباتٍ لا تحتوي على الثوم، عسى أن يساعد ذلك في التخفيف من الأشياء المسيئة التي تقال عنه. وعندما سألته عن السبب، أخبرها الحقيقة. فاشترت له كيونغي لفائف كبيرة مصنوعة بالحليب من المخبز لتناولها على الفطور بالرغم من أنها غالية، وصنعت له كرات البطاطا المقلية والمعكرونة ليأخذها إلى المدرسة في علبة طعامه.

لقد كان الأطفال عديمي رحمة، ولكن نوا لم يتشاجر معهم، وبدلاً من ذلك، اجتهد في دراسته، وفاجأ أساتذته بحصوله على المركز الأول أو الثاني في المراتب الأكاديمية في الصف الثاني. لم يكن لديه أي أصدقاء في المدرسة، ولم يرغب في الانضمام إلى الأطفال الكوريين عندما يلعبون في الشوارع. الشخص الوحيد الذي تطلّع نوا إلى رؤيته هو عمه، لكن خلال هذه الأيام، لم يكن يوسب على حاله عند تواجده في المنزل.

وقفت سونجا وكيونغي بصمتٍ في الشارع أمام المطعم، غير قادرتين على الدخول. كان الباب مفتوحاً قليلاً، ولكن بدا جلياً أن دوام العمل واستقبال الزبائن لم يبدأا. وبالرغم من الإثارة التي شعرت بها كيونغي في البداية من إمكانية بيع المزيد من الكيمتشي، إلا أنها أصبحت مرتابةً قليلاً من هذا العرض، ولم تسمح لسونجا بالذهاب بمفردها إلى مكانٍ غريب، وأصرّت على مرافقتها، وهي تحمل

موزاسو على ظهرها. لم تخبرا يوسب بالأمر، لكنهما اتفقتا على إخباره بكل شيء بعد أول اجتماع.

قالت كيونغي، وهي تربت لموزاسو بيدها اليمنى بينما استراح الطفل بهدوء في الحمّالة على ظهرها: «سأنتظر هنا في الخارج مع العربة».

سألت سونجا: «ألا يجب أن أدخل الكيمتشي؟».

«لمَ لا تطلبين منه الخروج إلى هنا؟».

«يمكننا الدخول معاً».

«سأنتظرك في الخارج. وإذا لم تخرجي بعد قليل، فسأدخل حينها. اتفقنا؟».

«ولكن كيف ستجرين العربة و..».

«لا تقلقي، أستطيع القيام بذلك، وسيكون موزاسو على خير ما يرام».

وضع الطفل رأسه على ظهرها نعساً، فهدهدته بثبات واستمرار.

«ادخلي، وسأنتظر. واطلبي من كيم تشانغو أن يخرج إلى هنا. لا تستمري في الحديث معه في الداخل، حسناً؟».

« لكني اعتقدت أننا سنتحدث إليه معاً».

حدّقت سونجا إلى سِلفتها، ولم تكن تعلم ما يتوجب عليها فعله. ثم أيقنت أنّ كيونغي خائفة من الدخول، وأنه في حال سألها زوجها عن الأمر، يمكنها أن تخبره بصراحةٍ أنها كانت خارج المطعم طوال الوقت.

مكتبة

3

نيسان 1940

إنّه المطعم الثاني الذي تدخله سونجا في حياتها. كانت قاعة الطعام الأساسية أكبر بخمس مراتٍ من حجم متجر المعكرونة الذي ذهبت إليه مع أيزاك في بوسان. روائح اللحم المشوي والسجائر من الليلة الماضية لامست حلقها. رأت صفين من الطاولات الموضوعة على منصةٍ مفروشةٍ بحصائر التاتامي، وتحت تلك المنصة يضع الزبائن أحذيتهم جانباً. في المطبخ المفتوح، رأت شاباً مراهقاً يغسل كؤوس الجعة ويرتدي قميصاً داخلياً أبيض. لم ينتبه إلى دخول سونجا بسبب تدفق المياه وصوت تضارب الكؤوس، فاستمر في عمله بينما حدّقت إليه على أمل أن يلحظ وجودها.

لم يحدد لها الرجل الذي رأته في السوق وقتاً معيناً لإحضار الكيمتشي. ولم يخطر في ذهنها أن تسأله. ويبدو أنّ كيم تشانغو لم يكن موجوداً في المطعم. ماذا لو أنه في الخارج اليوم، ولن يأتي إلى العمل إلا بعد الظهر أو مساءً؟ وإذا خرجت من دون التحدث إلى أحدٍ فستخسر، وإن لم تخرج فلن تعلم كيونغي أيضاً بما يجب القيام به. لم ترغب سونجا في إثارة قلقها.

توقف تدفق المياه وحرّك الشاب عنقه، منهكاً من نوبة عمله الليلية. واندهش عندما رأى المرأة الشابة التي ترتدي سروالاً يابانياً وسترةً مبطّنة تلاشى لونها الأزرق جراء كثرة ارتدائها.

خاطبها بالكورية: «أيتها الآنسة، نحن لم نفتح بعد».

لم تكن سونجا زبونةً أو متسولة فردّت عليه: «عذراً على الإزعاج. لكن هل تعلم أين أجد كيم تشانغو؟ لقد طلب مني أن أحضر الكيمتشي. لكني لست متأكدةً متى..».

ابتسم الصبي: «أوه، أهذه أنتِ. كيم في الجوار، لقد طلب مني أن أناديه في حال أتيت اليوم. لمَ لا تجلسين وتنتظرين. هل أحضرتِ الكيمتشي؟ الزبائن يتذمرون منذ أسابيع بشأن الأطباق الجانبية. هل ستعملين هنا؟ كم تبلغين من العمر؟». مسح يديه وفتح باب المطبخ الخلفي، وفكّر بمقدار جمالها. فسيدة الكيمتشي السابقة كانت عجوزاً مرداء، تصرخ عليه بلا سببٍ، وطُردت لأنها كانت تشرب بكثرة. لكن هذه الفتاة بدت أصغر عمراً منه.

بدت سونجا مرتبكةً: «لحظة، كيم تشانغو غير موجود؟».

«تفضلي بالجلوس وسأعود في الحال». غادر الشاب المطعم عبر الباب الذي فتحه.

نظرت سونجا حولها، ثم خرجت من المطعم، عندما أدركت أنه لا يوجد أحد غيرها.

همست لها كيونغي، وهي تجلس على كرسي صغير يعلق غالباً على جانب العربة «الطفل نائم الآن». وفي ضوء أشعة الشمس، لامست نسمة خفيفة خصلات شعر موزاسو وجبينه الناعم. كان الوقت باكراً، والشوارع فارغة تقريباً والصيدلية لم تفتح بعد.

«صاحب المطعم قادم. أمازلت ترغبين في انتظاره خارجاً؟» سألتها سونجا.

«سأكون على ما يرام. ادخلي أنتِ وانتظري بالقرب من النافذة لأتمكن من رؤيتك. ثم اخرجي فوراً عندما يصل. اتفقنا؟».

شعرت سونجا بالخوف من الجلوس في الداخل، فانتظرته بالقرب من باب المطعم. كان بإمكانها بيع الكيمتشي في السوق اليوم، لكن الرجل وعدها بإحضار المزيد من الملفوف لها وهذا الأمر وحده كفيل بجعلها تبقى وتنتظر، لأنّ عملهما بأكمله يتوقّف على توفّر الملفوف.

دخل تشانغو من باب المطبخ وصرخ: «من الرائع رؤيتك! هل أحضرت الكيمتشي؟».

«تحرس قريبتي العربة في الخارج. لقد أحضرنا كميةً كبيرةً جداً».

«أتمنى أن تستطيعا تحضير المزيد».

أربكها حماسه فأجابته بهدوءٍ «لكنك لم تتذوقه بعد».

قال وهو يمشي برشاقةٍ نحوها: «أنا لست قلقاً حيال الأمر. سمعت أنه ألذّ كيمتشي في أوساكا. لنخرج ونرَ».

انحنت كيونغي عند رؤيته من دون أن تتكلم.

«مرحباً، أدعى كيم تشانغو» قالها متفاجئاً قليلاً بجمال كيونغي. لم يستطع أن يخمّن عمرها، لكن الطفل المربوط على ظهرها لا يتعدى عمره ستة أشهر.

لم تتفوه كيونغي بكلمةٍ واحدة، وبدت كفتاةٍ بكماء جميلة ومتوترة. وسألها: «هل هذا طفلك؟» هزّت رأسها ونظرت إلى سونجا.

لم يشبه الأمر التحدث إلى تجّارٍ يابانيين؛ شيء توجب عليها فعله لشراء السلع وحاجيات المنزل. أخبرها يوسب في مراتٍ عديدة أنّ المال والأعمال هي من مهام الرجال، فشعرت فجأةً بعجزها عن قول أي شيء. كانت قد خططت قبل الوصول إلى هنا لمساعدة سونجا على إتمام الصفقات. لكنها شعرت الآن أنّ أي شيء قد تقوله، سيبدو إما خاطئاً وإما غير مفيد.

سألته سونجا: «هل تعرف كمية الكيمتشي التي تريدها بانتظام؟ هل ترغب في الانتظار وتجربة هذه الدفعة أولاً ثم تطلب كمية أخرى؟».

«سآخذ كل ما تستطيعين صنعه. وأنا أفضّل أن تتم صناعته هنا. لدينا ثلاجات مناسبة وقبو بارد جداً ليخدم غايتنا».

قالت له وهي تشير إلى باب المطعم: «في هذا المطبخ؟ تريدني أن أخلل الملفوف؟».

ردّ مبتسماً: «نعم. يمكنكما المجيء كل صباحٍ لصنع الكيمتشي والأطباق الجانبية. لدي طهاة يأتون عصراً لتقطيع اللحم وتحضير نقيعه. لكنهم لا يستطيعون تحضير الكيمتشي أو الأطباق الجانبية، تلك الأشياء تتطلب مهارةً أكبر. وزبائني يرغبون بأطباقٍ منزلية التحضير لتتناسب مع المخللات. يستطيع أي أحمقٍ تتبيل اللحم وشواءه. لكن يحتاج الزبون إلى أطباقٍ جانبيةٍ معدّة بطريقة رائعة لتجعله يشعر كأنه ملك. ألا توافقينني الرأي؟».

لكنه رأى عدم ارتياحهما لتلك الفكرة.

«بالإضافة إلى ذلك، لا أعتقد أنكما ترغبان في أن أرسل صناديق كثيرة من الملفوف والخضروات إلى منزلكما. سيكون ذلك مزعجاً للغاية».

همست لها كيونغي: «لا نستطيع العمل في مطعم. يجب أن نعدّ الكيمتشي في المنزل، ويمكننا إحضاره إلى هنا. وإذا لم نستطع حمله فربما بإمكانك إرسال الشاب لجلبه».

«أنتما لا تفهمان. أريدكما أن تعدّا كميةً أكبر بكثيرٍ مما كنتما تعدانها سابقاً. أنا أدير مطعمين آخرين ويحتاجان أيضاً إلى الكيمتشي والأطباق الجانبية. لكن هذا المطعم هو الأساس، ويحتوي على أكبر مطبخٍ بين الثلاثة. وأستطيع تأمين جميع المكونات، عليكما فقط إخباري بما تحتاجان إليه، وسأدفع لكما راتباً جيداً مقابل هذا العمل».

نظرت كيونغي وسونجا إليه من دون أن تفهما ما يقصد بكلامه.

«خمسة وثلاثون يناً في الأسبوع لكلّ منكما. أي سبعين يناً في الإجمال».

فتحت سونجا فمها من شدة دهشتها. يكسب يوسب أربعين يناً في الأسبوع.

قال كيم مبتسماً: «ويمكنكما أخذ بعض اللحم إلى المنزل بين الحين والآخر، وربما أيضاً بعض أنواع الحبوب. وسنعمل على جعلكما تستمتعان في العمل معنا. وإذا احتجتما إلى أشياء متنوعة من أجل منزلكما، فسأبيعكما إياها بسعر الجملة. يمكننا أن نتفق على هذه الأمور فيما بعد».

بعد دفع ثمن المكونات، تجمع سونجا وكيونغي من بيع التجوال من عشرة إلى اثني عشر يناً في الأسبوع لا أكثر. إذا استطاعتا جني سبعين يناً في الأسبوع، فلن تقلقا بشأن المال بعد الآن. لم يأكل أحد من الذين في المنزل الدجاج أو السمك خلال الأشهر الستة الماضية بسبب ارتفاع الأسعار، ما جعل شراء لحم البقر أو الخنزير أمراً مستحيلاً. فهما تشتريان كل أسبوعٍ العظام لصنع الحساء وتنفقان أحياناً المزيد لشراء بيضةٍ لإكمال وجبة يوسب وأيزاك. لكن سونجا أرادت أن يأكل أيزاك ويوسب والولدان أشياء أخرى غير البطاطا وحبوب الدخن. فكرت سونجا أنه مع توفّر المال، سيستطيعون إرسال المزيد إلى أهاليهم الذين يعانون أكثر بكثيرٍ مما يظهرون.

سألت سونجا: «هل أستطيع أن أعود إلى المنزل قبل عودة نوا؟».

فردّ كيم كما لو أنه فكر ملياً في الأمر: «نعم، بالتأكيد. تستطيعين الذهاب عندما تنتهين. وأفترض أنه يمكنك الانتهاء من عملك حتى قبل فترة الغداء».

سألت سونجا وهي تشير إلى موزاسو النائم على ظهر كيونغي. «وماذا عن طفلي؟ هل أستطيع إحضاره؟ يمكنه أن يبقى في المطبخ معنا» سألت سونجا سؤالها وهي غير قادرةٍ على تحمّل فكرة تركه مع إحدى الجدّات اللواتي يعتنين بأولاد النساء العاملات في الحي. وفي حال عدم توفر أحد للاعتناء بالأطفال أو في حال عدم توفر مال لتوظيف جدّة، تقوم بعض النساء بربط أطفالهن بالعربات ويأخذنهم إلى السوق، ويبدون سعيدين بالتجوال أو الجلوس بالقرب من أمهاتهم واللعب ببعض الدمى الرخيصة، وأردفت سونجا: «لا يسبب الطفل أي إزعاجٍ على الإطلاق».

أجابها كيم: «لِمَ لا؟ لا يهمني الأمر طالما تنجزين عملك، ففي الوقت الذي تعملان فيه لا يحضر زبائن إلى المطعم، لذلك لن يعترض أحد طريقكما. وإذا احتجتِ إلى مزيد من الوقت لإنهاء عملك وأراد ولدك البكر المجيء إلى هنا بعد المدرسة، فلا أمانع أيضاً. فغالباً ما يأتي الزبائن للعشاء».

أومأت سونجا، وفكّرت كيف أنها لن تضطر إلى الوقوف في الخارج في شتاءٍ باردٍ آخر، تنتظر الزبائن بينما تقلق بشأن نوا وموزاسو طوال الوقت. لكنها قالت عندما رأت قلق كيونغي بشأن هذا العرض الذي قد يغيّر حياتهم بشكل جذري «علينا أن نأخذ الإذن أولاً..».

بعد تنظيف طاولة العشاء، أحضرت كيونغي لزوجها كأساً من شاي الشعير وولاعة لإشعال سيجارةٍ. تربّع نوا على الأرض بالقرب من عمه، يلعب ببلبل زاهي الألوان، اشتراه له يوسب. أصدرت اللعبة الخشبية طنيناً ممتعاً لدى احتكاكها بالأرض فانبهر نوا من سرعتها الفائقة.

راقبت سونجا نوا يلعب بينما حملت طفلها الرضيع بين ذراعيها، وتساءلت عن أحوال أيزاك. فمنذ اعتقاله، تجنبّت سونجا التكلم كثيراً في المنزل خوفاً من إزعاج شقيق زوجها، الذي تبدّلت طباعه بشكل كبير. فهو يغادر المنزل عندما

يغضب، وأحياناً يتأخر كثيراً في العودة. كانت المرأتان على يقين أنه لن يوافق على عملهما في المطعم.

أخبرته كيونغي عن عرض العمل، بعد أن أشعل سيجارته، وأنهم بحاجةٍ إليه، مشددةً على كلمة عمل أكثر من المال.

«هل جننتما؟ في البدء صنعتما الطعام لبيعه بالقرب من محطة القطار، والآن تريدان العمل في مطعمٍ يثمل فيه الرجال ويقامرون؟ هل تعرفان نوعية النساء اللواتي يقصدن أماكن كهذه؟ وماذا بعد.. ستملآن كؤوس الشراب لـ..؟ اهتزّت السيجارة بين أصابعه المرتجفة. لم يكن يوسب رجلاً شديد الانفعال، لكنه لم يعد قادراً على تحمّل المزيد من هذه الأمور.

سأل وكأنه لا يصدّق ما يسمع: «هل دخلتما المطعم حقاً؟».

فردّت كيونغي: «لا، انتظرت أنا في الخارج مع الطفل. لكني رأيته عبر النافذة وهو مكان كبير ونظيف. لقد رافقت سونجا لأني لم أستطع تركها تذهب بمفردها في حال لم يكن المكان مناسباً. ومدير المطعم، كيم تشانغو شاب مهذب، عليك أن تقابله. لن نذهب إلى هناك ما لم تسمح لنا يا عزيزي». رأت كيونغي مقدار انزعاجه من الأمر، وشعرت بالاستياء، فهي تحترمه أكثر من أي شخصٍ آخر. تشتكي النساء دائماً من رجالهن، لكن لم يكن هناك شيء سيئ حيال زوجها؛ فهو شخص صادق وشريف، يحفظ وعوده ويحاول بقدر استطاعته رعاية عائلته.

أطفأ يوسب سيجارته، وتوقّف نوا عن اللعب وبدا خائفاً.

«ربما إن قابلتَه..» أيقنت كيونغي مدى أهمية قبول هذا العمل، لكنها عرفت أيضاً أنّ زوجها سيشعر بالإهانة منه. فمنذ تزوجا، لم يحرمها يوسب من أي شيء باستثناء العمل لكسب المال، لأنه آمن أنّ الرجل العامل عليه أن يكون قادراً على الاعتناء بأسرته، وأنّ مكان المرأة هو المنزل.

«يمكنه إعطاؤك المال بدلاً منّا، وسنحتفظ نحن به من أجل تعليم ولديّ أيزاك ونرسل المزيد لوالديك. وبإمكاننا إرسال الملابس وطعامٍ أفضل لأيزاك، فنحن لا نعرف متى قد..» أوقفت كيونغي نفسها.

اقترب نوا من عمه، وكأنه يريد حمايته، وأخذ يربت على قدمه بالطريقة نفسها

التي كان يواسيه بها يوسب عندما يقع أو يحبطه شيء في المدرسة. لكن يوسب لم يستطع التكلم بالرغم من أنّ رأسه يتخبّط بالأفكار. يعمل يوسب بوظيفتين بدوامٍ كامل، حيث أدار معملين لسيمامورا سان، والذي يدفع له بمقدار نصف راتب رئيس عمّالٍ ياباني. وعمل مؤخراً بعد ساعات العمل في إصلاح المكابس المعدنية المكسورة لصالح مصنع كوري، لكنه لا يستطيع الاعتماد على هذا الأمر كدخلٍ منتظم. اعتاد يوسب أن يفرك يديه بقوةٍ باستخدام فرشاةٍ خشنة وغسولٍ مخفف لتنظيف الشحم من بين أظافره قبل عودته إلى المنزل، ولم يخبر زوجته عن الوظيفة الجديدة لأنه أراد أن يبقى في نظرها مدير معمل وليس عاملاً ميكانيكياً. لكن الأموال لم تكن تكفي بالرغم من اجتهاده فقد كانت تختفي كما لو أن جيوبه مثقوبة.

أيقنت الحكومة أنّ اليابان في ورطةٍ، لكنها لم ترد الاعتراف بهذه الهزيمة. واستمرت الحرب في الصين على نفس الوتيرة. حارب أولاد رئيسه لصالح اليابان، في العام الفائت فقدَ ابنه البكر الذي أرسل إلى منشوريا قدمه وتوفي بسبب الغرغرينا، ومن ثم أرسل الابن الأصغر إلى نانجينغ ليأخذ مكان أخيه. وذكر سيمامورا سان في بعض الأحيان أنّ اليابان موجودة في الصين بهدف تحقيق استقرار المنطقة ونشر السلام، ولكن الطريقة التي تحدّث بها أعطت يوسب الانطباع بأنّ سيمامورا لم يصدّق أيّاً من هذه الأقوال. لقد توسع تدخل اليابان في الحرب الدائرة في آسيا، وانتشرت شائعات عن أنّها ستتحالف مع ألمانيا في الحرب في أوروبا.

هل اهتمّ يوسب لأيّ من هذه الأمور؟

عندما يتحدّث رئيسه الياباني عن الحرب، يحرك رأسه ويصدر أصواتاً في الأوقات المناسبة وكأنه يوافقه الرأي، لأنه عليك أن تومئ لمديرك عندما يخبرك بقصصه. أياً يكن الأمر، اعتقدَ كلّ كوري يعرفه يوسب أنّ حرب اليابان التي تتوسع في آسيا بدت بلا أفق. فالصين لم تكن كوريا أو تايوان؛ يمكن للصين أن تخسر الملايين من الناس وتبقى مستمرة، فهي أمّة كبيرة بشكل لا يقاس، ويمكنها أن تصمد من خلال الأعداد فقط وتنتصر. هل يرغب الكوريون في أن تنتصر اليابان؟

بالتأكيد لا! ولكن ماذا قد يحدث لهم في حال انتصر أعداء اليابان؟ هل باستطاعتهم إنقاذ أنفسهم؟ لا، كما يبدو.

لذا أنقذ نفسك، هذا ما آمن به الكوريون سرّاً. احمِ عائلتك، أطعم نفسك، أعر اهتمامك لما يحدث حولك، وكن دائماً متشككاً في الأشخاص ذوي السلطة. وإذا لم يستطع الكوريون الوطنيون أن يستعيدوا بلادهم، فاجعل أطفالك يتعلمون اللغة اليابانية، وامضِ قدماً في حياتك، تكيّف. ألم يكن الأمر بهذه السهولة؟ فمقابل كل وطنيّ يقاتل لتحرير كوريا وكل وغدٍ كوري يحارب لصالح اليابان، هناك عشرات الآلاف من المواطنين الذين يبحثون فقط عن لقمة العيش. ففي نهاية المطاف، بطنك هو سيّدك.

قلقَ يوسب بشأن المال في كل لحظة من كل يوم. فماذا سيحدث إذا توفي فجأةً؟ أيّ نوع من الرجال يسمح لزوجته بالعمل في مطعم؟ إنه يعرف هذا المكان الذي يبيع الأضلع المشوية، فمن لا يعرفه؟ له ثلاثة فروع، يقع الرئيسي بالقرب من محطة القطار، وتتناول العصابات فيه الطعام في وقتٍ متأخر من الليل. كانت أسعاره مرتفعة لمنع الأشخاص العاديين من الدخول. سبق ليوسب أن قصده لاقتراض المال من أجل رحلة أيزاك وسونجا إلى اليابان. فأيهما أسوأ؟ أن تعمل زوجته لصالح هؤلاء الأشخاص أم أن يدين لهم بالمال؟ الاحتمالات دائماً سيئة بالنسبة إلى رجلٍ كوري.

4

أيار 1942

لم يشبه نوا أيّاً من الأطفال الذين يبلغون الثامنة في الحي. ففي كل صباح قبل المدرسة، يفرك نوا وجهه حتى تتورّد وجنتاه، ثم يضع ثلاث قطراتٍ من الزيت على شعره الأسود ويمشّطه بعيداً عن جبينه كما علمته والدته. وبعد تناول فطوره الذي يتألف من عصيدة الشعير والميزو، يغسل فمه ويتفقّد أسنانه البيضاء في مرآة يدٍ صغيرةٍ دائرية الشكل، موضوعةٍ قرب المغسلة. وتستمر والدته في كيّ قمصانه في الليالي التي تسبق المدرسة، حتى ولو كانت متعبة. بدا نوا في ملابسه المرتّبة كطفلٍ ياباني من الطبقة الوسطى يعيش في جزء غني من المدينة. ولا يشبه في صورته أياً من الأطفال القذرين الذين يعيشون في حيّه.

في المدرسة، كان نوا ماهراً في مادتي الحساب والكتابة، حتى أنه فاجأ مدرّب الرياضة بمهارته في التنسيق بين حركتي العين واليد وسرعته في الجري. يرتّب نوا الرفوف، ويمسح الأرضية بعد انتهاء الدروس من دون أن يُطلب منه، ثم يعود وحيداً إلى منزله، دون جذب أي اهتمامٍ لنفسه. استطاع أن يبدو شجاعاً أمام الأولاد الأقوياء، وأبقى نفسه بعيداً عنهم من خلال خلقِ محيطٍ هادئ وخاصٍ به لا يمكن اختراقه. وعندما يصل إلى المنزل، ينجز فروضه المدرسية على الفور بدلاً من إضاعة الوقت في اللعب مع أولاد الحي في الشارع حتى وقت العشاء. لم تعد تفوح رائحة الملفوف والمخللات من المنزل، بعد أن نقلت والدته وزوجة عمه العمل إلى المطعم، وتمنى ألا يُطلق عليه اسم الغبي ذو رائحة الثوم مرةً أخرى. ولأنّ والدته وعمته تحضران طعاماً مطبوخاً من المطعم، أصبح من النادر أن تفوح رائحة الطبخ من منزلهم على عكس الآخرين في الجوار؛ لقد أصبح نوا يتناول مرة في الأسبوع اللحم المشوي الشهي والأرز الأبيض من المطعم.

شأنه شأن كل الأولاد كان لنوا أسراره، لكن أسراره لم تكن اعتيادية. استعمل اسمه الياباني نوبوا بوكو في المدرسة بدلاً من اسمه الحقيقي، بالرغم من أنّ جميع زملائه عرفوا أنّه كوريّ من كنيته المحرّفة إلى اليابانية. وعندما كان يقابل شخصاً لا يعلم بهذا الأمر كان يتغاضى عن إخباره الحقيقة. واستطاع أيضاً أن يكتب ويتحدث اليابانية بشكل أفضل من معظم الأطفال اليابانيين. في الصف، يتجنّب نوا التكلم عن شبه الجزيرة التي وُلد فيها والداه، ويحاول الالتهاء بكتبه في حال ذكر المدرّس شيئاً عن استعمار كوريا.

سِرّه الآخر هو أنّ والده، كاهن بروتستانتي، اعتقل وسجن منذ أكثر من عامين. لم يستطع تذكّر وجه والده بالرغم من محاولته. وعندما يكلّف نوا بمهمةٍ سرد بعض القصص عن عائلته للصف، يقول إنّ والده هو رئيس العمّال في معملٍ للبسكويت، وإذا خمّن بعض الأولاد أنّ والده هو العم يوسب، فلا يصحح لهم. لكن السر الأكبر الذي خبأه نوا عن والدته، وزوجة عمه وحتى عن عمه الذي يحبّه كثيراً هو أنه لم يعد يؤمن بالله لأنّه سمح بدخول والده اللطيف إلى السجن، بالرغم من أنه لم يرتكب أي خطأ. ومع أنّ والده وعده أنّ الله يستمع إلى صلوات الأطفال بعنايةٍ إلا أنه لم يستجب لصلوات نوا على مدى سنتين. أما السر الذي يفوق جميع أسراره الأخرى فهو رغبته في أن يكون يابانياً، فقد حلم بالرحيل عن إيكاينو من غير رجعة.

عاد نوا من المدرسةِ في عصر يومٍ ربيعي، ليجد وجبةً تركتها له والدته قبل ذهابها إلى العمل، موضوعة على الطاولة المنخفضة التي تتناول عليها العائلة الطعام والتي ينجز عليها واجباته المدرسية. اتجه نوا إلى المطبخ ليروي عطشه، وعندما عاد إلى الغرفة الأمامية، صرخ لدى رؤيته لرجلٍ نحيلٍ وقذر انهار أمام باب المنزل. استند الرجل إلى يده اليسرى، وحاول دفع نفسه لوضعية الجلوس، لكنه لم يستطع. تساءل نوا إن كان يتوجّب عليه الصراخ مرةً أخرى، لكن من سيساعده؟ فما من أحد في المنزل، ولم يسمعه أحد عندما صرخ في المرة الأولى. بدا المتسول مريضاً ومتسخاً لكنه لم يبدُ خطيراً، إلا أنه من المحتمل أن يكون لصاً. فقد حذّره عمه من اللصوص الذين يقتحمون البيوت لسرقة الطعام والأشياء

القيّمة. يملك نوا في جيب بنطاله خمسين سنتاً؛ كان يدخرها لشراء كتابٍ عن الرماية. بدأ الرجل بالبكاء وشعر نوا بالعطف عليه، فبالرغم من وجود العديد من المتسولين في حيّه، إلا أنّه لم يرَ رجلاً بهذا السوء من قبل، فقد امتلأ وجهه بالقروح والجروح. أخرج نوا العملة من جيبه واقترب بما فيه الكفاية لوضعها بالقرب من يد الرجل، لكنه لم يقترب أكثر خوفاً من أن يمسكه من قدمه. وخطط نوا أن يسير إلى الوراء باتجاه المطبخ والخروج من الباب الخلفي لإحضار المساعدة، لكن عويل الرجل أوقفه. ألقى الصبي نظرةً على وجه الرجل الذي غزا الشيب لحيته، وكانت ملابسه ممزقة وقذرة لكنها تشبه ملابس مديره الداكنة اللون التي يرتديها إلى المدرسة.

قال الرجل: «أنا والدك».

شهق نوا وهزّ رأسه وكأنه لا يصدق الأمر.

«أين والدتك يا صغيري؟».

إنه صوته. خطا نوا خطوةً نحوه وأجابه: «أمي في المطعم».

«أين؟» بدا أيزاك حائراً.

«سأذهب وأحضرها، هل أنت بخير؟». لم يعلم الصبي ما عليه فعله بالتحديد. فبالرغم من تأكده من أنّ هذا الرجل هو والده بالفعل لكنه لا يزال خائفاً بعض الشيء. لا تزال عينا والده اللطيفتان كما هما بالرغم من بروز عظام خديه وتقشر بشرته. تحت ملابسه، ظهرت عظام كتفه ومرفقيه كأغصان شجرة حادّة. وتساءل نوا إن كان والده جائعاً «هل تريد أن تتناول شيئاً يا أبي؟» مشيراً إلى وجبته الخفيفة وهي عبارة عن كرتين مصنوعتين من الشعير وحبوب الدخن.

هزّ أيزاك رأسه مبتسماً من اهتمام الصبي به: «بني، هلاّ تحضر لي قليلاً من الماء؟».

عاد نوا من المطبخ، وفي يده كأس مياهٍ باردة، فوجد والده منهاراً على الأرض مغمض العينين. فصاح باكياً «أبي! أبي! استيقظ! أحضرت لك الماء! اشرب الماء يا أبي».

فتح أيزاك عينيه، وابتسم عند رؤية الصبي: «أبوك متعب يا نوا، سيخلد إلى

النوم».

«أبي، اشرب الماء» أمسك الصبي بالكأس، فرفع والده رأسه، وشرب مقداراً كبيراً ثم أغمض عينيه مجدداً.

انحنى نوا مقترباً من فم والده ليتأكد من أنه يتنفس، أحضر وسادته ووضعها تحت رأس أيزاك الذي غزا الشيب شعره الكثيف، غطّاه ببطانيةٍ سميكة، وأغلق باب المنزل بهدوءٍ عند خروجه، وركض مسرعاً إلى المطعم.

اندفع نوا نحو غرفة الطعام، لكن لم يلحظ أحد وجوده. ولم يعر أيّ من الرجال العاملين اهتماماً بالصبي المهذب الذي لا يتفوه بأكثر من كلمتي نعم أم لا. كان الطفل موزاسو نائماً في حجرة التخزين؛ فعندما يستيقظ يندفع في غرفة الطعام للعب، ويبدو كتمثال ملاك صغيرٍ عندما ينام. لم يتذمّر المدير يوماً من ولديّ سونجا بل اشترى لهما الألعاب والقصص المصورة، وراقب أحياناً موزاسو أثناء عمله في المكتب الخلفي.

رفعت كيونغي رأسها وصدمت من منظر نوا الشاحب ومنقطع الأنفاس في المطبخ: «يا إلهي! أنت تتصبب عرقاً. هل أنت بخير؟ سننتهي عما قريب. هل أنت جائع؟» استقامت كيونغي في وقفتها لتصنع له شيئاً يأكله، ظناً منها أنه جاء لزيارتهم بسبب شعوره بالوحدة.

«عاد أبي ويبدو مريضاً، إنه نائم على أرضية المنزل».

سونجا التي كانت تنتظر أن يقول نوا ما لديه، مسحت يديها بمئزرها وسألت: «هل أستطيع الذهاب؟ هل نستطيع المغادرة الآن؟» لم يسبق لسونجا أن غادرت عملها باكراً.

«سأبقى أنا وأنهي العمل. اذهبي بسرعة. سأعود فور انتهائي».

أمسكت سونجا بيد ابنها.

* * *

صرخت سونجا في منتصف الطريق «موزاسو!».

فنظر نوا إليها وطمأنها بهدوءٍ «ستحضره زوجة عمي يا أمي».

فأمسكت بيده بإحكام وانطلقا بسرعةٍ إلى المنزل. «أنت تهدّئ بالي يا نوا،

أنت تهدّئ بالي».

كانَ يمكن لسونجا أن تعامل ابنها بحنانٍ دون وجود أحدٍ في الجوار، فهي تعرف أنه ليس على الآباء مدح أطفالهم لأنّ الأمر قد يجلب المصائب. لكن والدها دائماً ما أخبرها عندما تقوم بشيءٍ جيد، واعتاد على لمس رأسها أو أن يربت على ظهرها حتى ولو لم تفعل شيئاً. ولو دلل أحد آخر ابنته بكثرة لانهال عليه الجيران بالتوبيخ، لكن لم يتفوه أحد بشيءٍ لوالدها الأعرج الذي كان منبهراً بملامحها المتناسقة وأطرافها الطبيعية. وغمرته السعادة لمجرد رؤيتها تمشي، وتتكلم وتقوم بعمليات حساب بسيطة في عقلها، واحتفظت سونجا الآن بعد غيابه بكلماته الدافئة واللطيفة. لقد اعتزّ بها والداها في صِغرها بالرغم من أنه ليس على أحدٍ أن يكيل بأي نوع من أنواع المديح للأبناء، وبخاصة للأنثى، لكنها لم تتلقَّ أيّ معاملةٍ أقل من ذلك، فقد كانت سر سعادة والدها. وأرادت أن يدرك نوا هذا الشعور، وشكرت الرب من كلّ قلبها على أنه رزقها بطفليها.

في الأيام التي شعرت فيها بصعوبة العيش في منزل يوسب ليوم آخر؛ أيّ العمل ليلاً ونهاراً ثم الاستيقاظ في الصباح الباكر من اليوم التالي للعمل مجدداً والذهاب إلى السجن لتسليم وجبة زوجها، فكرت في والدها الذي لم يتفوّه في حياته بكلمةٍ مسيئةٍ في حقّها، وعلّمها أنّ الأطفال هم مصدر الفرح، وهما هما ولداها قرّة عينها.

سألته سونجا: «هل بدا والدك مريضاً جداً؟».

«لم أتعرّف إليه في البداية، فعادةً ما يكون أبي نظيفاً ومرتباً، أليس كذلك؟».

أومأت سونجا.

لقد أقنعت نفسها منذ زمنٍ طويل أن تتوقع الأسوأ، حيث أنذرها كبار كنيستها أنّه يتم إرسال السجناء الكوريين إلى منازلهم قبل موتهم بقليل، كي لا يلقوا حتفهم في السجون؛ حيث يضربون ويجوعون ويتركون عراة حتى يصابوا بالمرض.

أوصلت سونجا في ذلك الصباح بالتحديد وجبة أيزاك ومجموعة من قمصانه الداخلية النظيفة لهذا الأسبوع. لكن لا بد أنّ يوسب كان على حق، يبدو أنّ زوجها لم يستلم أيّاً من هذه الأشياء. ومرّ في ذهنها بينما عبرت هي ونوا الطريق المزدحم

دون إعارة أي اهتمامٍ للحشود من حولها، كيف أنها لم تهيئ ابنها لعودة أيزاك. بل شغلت نفسها بالعمل وتوفير المال في حال موته إلى درجة أنها لم تفكر في رأي نوا بعودة والده، أو ما هو أسوأ، بموته. وشعرت بالحزن لأنها لم تخبره بما يجب عليه أن يتوقعه. لا بدّ أنها صدمة مرعبة لنوا.

«هل أكلت وجبتك اليوم؟». سألته وهي لا تعرف أن تقول غير ذلك.

«تركتها لأبي».

عبرا بالقرب من حشدٍ من الطلاب بزيهم المدرسي يخرجون من متجرٍ للحلوى ويتناولون حلوياتهم بسعادة. أخفض نوا رأسه من دون أن يفلت يد والدته، فهو يعرف هؤلاء الأولاد ولكنهم ليسوا أصدقاءه.

«هل لديك واجبات مدرسية؟».

«نعم، لكني سأنجزها فور وصولي إلى البيت يا أمي».

«أنت لا تسبب لي أيّ مشاكل على الإطلاق» قالت له وهي تشعر بأصابعه المثالية في يدها، وبالامتنان للقوة والصلابة التي يمتلكها.

فتحت سونجا الباب بروية، فوجدت أيزاك نائماً على الأرض، فركعت بالقرب من رأسه. كانت بشرته داكنة ومنقّطة حول عينيه ووجنتيه، وغزا الشيب شعره ولحيته بالكامل، وبدا أكبر بكثيرٍ من أخيه يوسب. لم يعد أيزاك ذلك الشاب الوسيم الذي انتشلها من العار. نزعت سونجا حذاءه وجوربه المثقوب، ورأت الدم المتجمد أسفل قدميه المتشققتين. وصعقت عندما رأت إصبع قدمه اليسرى أسود اللون.

قال نوا: «أمي».

نظرت إليه وقالت: «نعم».

«هل أذهب لإحضار عمي؟».

هزّت رأسها محاولةً تمالك نفسها: «أجل. ولكن قد لا يسمح له سيمامورا سان بالانصراف باكراً يا نوا. إذا لم يستطع المجيء، أخبره أنني معه. فلا نريد أن يقع العم في ورطةٍ، اتفقنا؟».

خرج نوا من المنزل مسرعاً ولم يحكم إغلاق الباب خلفه، فتسللت عبر

الباب نسمة هواء أيقظت أيزاك، فوجد زوجته جالسةً إلى جانبه. «عزيزتي».

أومأت برأسها وقالت: «أنت في المنزل. نحن في غاية السعادة لعودتك إلينا».

فابتسم لها، أسنانه التي كانت ذات مرةٍ بيضاء ومستوية أصبحت إما سوداء أو مفقودة، وفكه السفلي محطّم كلياً.

«لقد عانيتَ كثيراً».

«توفي القس وأمين غرفة المقدسات البارحة. كان يجب أن أموت منذ زمنٍ بعيد».

هزّت سونجا رأسها، عاجزةً عن النطق.

قال وهو ينظر إليها بعطفٍ: «أنا في المنزل، وربما سبب عودتي هو أنني تخيّلت هذا الأمر كل دقيقة من كل يوم. لا شك أنّ الوضع كان شاقاً بالنسبة إليك».

هزّت سونجا رأسها نافيةً الأمر، ومسحت وجهها بكميها.

في المصنع، ابتسمت العاملات الكوريات والصينيات لنوا عند رؤيته، وغمرته رائحة بسكويت القمح المخبوز الطازج اللذيذ. همست له فتاة باللغة الكورية وهي تحزم الصناديق قرب الباب كم أصبح طويلاً، ثم أشارت إلى عمه الذي انحنى عند محرّك آلة البسكويت. كان بناء المصنع طويلاً وضيّقاً وصمم على شكل نفقٍ عريضٍ لتسهيل عملية مراقبة العمال، ركّبَ المالك الآلة الضخمة بالقرب من مكتبه، وتحرّكت أحزمتها الناقلة للبسكويت باتجاه العمال الذين يقفون في صفوفٍ متساوية. كان يوسب منشغلاً بإصلاح لوحة الأسلاك باستخدام زوجٍ من الكماشات واضعاً نظارة لحماية عينيه؛ فهو الميكانيكي ورئيس العمال في المصنع. حجب ضجيج الآلات الضخمة الأصوات الأخرى، وبالرغم من أنه لا يسمح للفتيات بالتحدث هنا، لكنه من المستحيل الإمساك بهن في حال تكلّمن بهمسٍ مع القليل من إيماءات الوجه. يتم استخدام أربعين فتاة غير متزوجات من أجل أناملهن الماهرة وترتيبهن الشامل، ويعبِئن عشرين بسكويتة من القمح في صناديق خشبية ليتم إرسالها إلى ضبّاطٍ متمركزين في الصين. ويتم اقتطاع سنتٍ من أجر كل فتاةٍ مقابل كل بسكويتتين مكسورتين، ما يجبرهن على العمل بدقّةٍ وانتباه بالإضافة إلى السرعة. وإذا أكلت إحداهن جزءاً صغيراً من البسكويت فيتم طردها

على الفور. وتقوم الفتاة الأصغر سناً في نهاية كل يوم بجمع قطع البسكويت المكسور في سلّة من القماش وتعبئتها في أكياسٍ صغيرة ثم تذهب إلى السوق لتبيعها بسعرٍ رخيص. وفي حال لم تبع، يبيعها سيمامورا بسعرٍ زهيدٍ للفتيات اللواتي عملن من دون أيّة أخطاء. لم يأخذ يوسب أيّاً من البسكويت المكسور يوماً لأنّ أجور الفتيات قليل للغاية وحتى بعض الفتات سيعني لهن الكثير.

كان سيمامورا جالساً في مكتبه الزجاجي الذي يبلغ حجم خزانةٍ للمنافعِ، يراقب عمل الفتيات من خلال نافذةٍ زجاجيةٍ وإذا لاحظ شيئاً خاطئاً، ينادي يوسب ويطلب منه إعطاء إنذارٍ للفتاة. التي تُطرد عند تلقيها للإنذار الثاني، من دون دفع أجرها حتى ولو أنها عملت لستة أيام. يحتفظ سيمامورا بدفتر حساباتٍ أزرق مغلف بالقماش مع إشعاراتٍ مكتوبةٍ بخطه الجميل بجانب أسماء العاملات. لطالما كره يوسب معاقبة الفتيات، واعتبر مديره هذا الأمر مثالاً آخر على ضعف الكوريين. آمن سيمامورا أنه إن تمت إدارة البلدان الآسيوية من قِبل نوعٍ من الكفاءة اليابانية، والانتباه للتفاصيل ومستوى عالٍ من التنظيم، فستنهض آسيا وتزدهر وتكون مؤهلةً للانتصار على الغرب المجرّد من المبادئ. ويرى سيمامورا نفسه شخصاً عادلاً وربما يملك أيضاً قلباً رقيقاً لأنه يستخدم العمّال الأجانب بينما يرفض أصدقاؤه فعل ذلك، فهو يناقشهم عندما يتكلمون عن طبيعة الأجانب المتخلّفة، ويقول لهم إن لم يعلّمهم اليابانيون أن يكرهوا العجز والكسل فكيف لهم أن يتعلّموا ويتقدّموا. فقد شعر أنّه من الواجب المحافظة على المبادئ لمصلحة أجيال المستقبل.

لم يسبق لنوا أن دخل المصنع من قبل سوى مرة واحدة ولم يكن سيمامورا مسروراً بذلك وقتها. فقبل حوالى سنة تقريباً، أصيبت كيونغي بحمى مرتفعة، وأغمي عليها في السوق، فأرسل نوا لإحضار عمه، وسمح له سيمامورا بالذهاب إلى زوجته مكرهاً. وشرح ليوسب في الصباح التالي أنّ هذا الأمر يجب ألا يتكرر، مبرراً الأمر بأنه من الصعب إدارة مصنعين آليين من دون وجود ميكانيكي كفوء. وإذا مرضت زوجته مجدداً، عليها الاتكال على أحد أفراد عائلتها أو الجيران لمساعدتها. فليس بمقدوره مغادرة المعمل في منتصف اليوم. إنّ البسكويت من متطلبات الحرب ويجب ألا يحصل تأخير في إنتاجه، فالرجال يجازفون بحياتهم

في سبيل بلادهم، ويجب على كلّ عائلةٍ أن تقوم ببعض التضحيات.

عندما رأى سيمامورا الصبي بعد مرور عامٍ على الخطاب المزعج الذي لم يرغب في إلقائه على يوسب. غضب، وفتح جريدته، وتظاهر بأنه لم ينتبه له. جفل يوسب من لمسة نوا الرقيقة واستدار نحوه «يا إلهي، ماذا تفعل هنا يا نوا؟».

«لقد عاد أبي إلى المنزل».

«حقاً؟».

فسأله نوا: «هل تستطيع العودة الآن؟» وبدا فمه كدائرةٍ حمراء صغيرة.

نزع يوسب نظارته وتنهّد.

أغلق نوا فمه وأخفض رأسه. يجب أن يطلب عمه إذناً للذهاب، كما تفعل والدته عندما تسأل العمة كيونغي أو السيد كيم وكما يفعل هو أيضاً عندما يطلب إذناً من مدرّسه ليذهب إلى الحمام. في بعض الأحيان عندما يكون الطقس مشمساً يحلم نوا بالذهاب إلى خليج أوساكا من دون إعلامٍ أحد. فعندما كان صغيراً، ذهب إلى هناك مرةً مع والده عصر يوم سبت واعتقد دائماً أنه من الرائع العودة إلى هناك مجدداً.

دقق يوسب في ملامح نوا وسأله: «أهو بخير؟».

«إنه متسخ للغاية، لقد غزا الشيب شعره. لكن أمي معه، وقالت لي أن أخبرك أنّه في حال لم تستطع القدوم فلا بأس، لكنها أرادت أن تعلمك أنّ أبي في المنزل الآن».

«أجل، صحيح. أنا مسرور بمعرفة ذلك».

ألقى يوسب نظرةً على سيمامورا الذي أمسك بجريدته وتظاهر بقراءتها، لكنه كان يراقبه بإمعان من دون شك. لن يسمح له مديره أبداً بالعودة إلى منزله الآن. وعلى عكس حادثة كيونغي، عرف سيمامورا أنّ أيزاك معتقل لأنّ أمين غرفة المقدسات رفض الاحتفال بمراسم ضريح شنتو، فقد مرّت الشرطة عدّة مراتٍ لطرح الأسئلة عن يوسب والتحدث مع سيمامورا الذي دافع عنه بقوله: إنه شخص كوريّ مثالي. لذلك قد يخسر يوسب وظيفته في حال غادر عمله، وقد يخسر مرجعه الوحيد الذي يدافع عنه في حال استجوبته الشرطة مرةً أخرى.

«اسمع يا نوا، سينتهي العمل بعد أقل من ثلاث ساعاتٍ، عندها سأسرع بالعودة إلى المنزل، فمن غير اللائق أن أغادر الآن دون إنهاء عملي. لكنني سأركض إلى المنزل بسرعة البرق فور انتهائي. وأخبر والدتك أنني سأعود إلى المنزل في الحال. وإذا سألك والدك عني، قل له إنّ أخاك سيكون هنا قريباً».

فأومأ نوا من دون أن يفهم لماذا يبكي عمه.

«عليّ أن أكمل عملي يا نوا، سارِع إلى المنزل. اتفقنا؟» أعاد يوسب وضع نظارته الواقية وانصرف إلى عمله.

اتّجه نوا بسرعةٍ نحو مدخل المصنع، وانبعثت رائحة البسكويت اللذيذ من الباب عند خروجه. لم يتذوق الصبي بسكويتةً منها في حياته؛ لأنه لم يطلب الحصول على واحدة.

5

اندفع نوا عبر باب المنزل، رأسه وقلبه يخفقان بقوةٍ من سرعة جريانه. أخبرَ والدته بينما كان يحاول استنشاق كمياتٍ كبيرةٍ من الهواء «لا يستطيع عمي المغادرة».

أومأت برأسها وهي تفرك جسد أيزاك بمنشفةٍ مبللة، فقد توقّعت ذلك.

تنفّس أيزاك بصعوبة، وكانت عيناه مغمضتين، وانتابته بين الحين والآخر نوبات سعال حادة ومؤلمة. غطّت بطانية رقيقة ساقيه الطويلتين. نتوءات من أنسجة الجروح تجعّدت على كتفيه وجذعه الذي تغيّر لونه، فبدت كتقاطعاتٍ عشوائية تشبه شكل الألماسة. وتوهجت رقبته باللون الأحمر كلّما سعلَ.

اقترب نوا بهدوءٍ من والده.

فقالت له سونجا بصرامة: «لا، لا، ابتعد. والدك مريض جداً ويعاني من زكامٍ حاد».

ورفعت البطانية إلى كتفيه مع أنها لم تنتهِ كلياً من تنظيفه. لقد انبعثت رائحة نتنة من جسده بالرغم من استخدامها لصابونٍ قويّ وتغييرها مياه الوعاء عدّة مراتٍ، وكان القمل ملتصقاً بشعر رأسه ولحيته، أيقظه سعاله الشديد لبضع دقائق، ففتح عينيه، لكنه لم يتفوّه بأي شيء. وعندما نظر إليها، بدا وكأنه لا يعرفها. ثم غيّرت له سونجا الكمادة التي وضعتها على رأسه.

تبعد أقرب مستشفى مسافة رحلة طويلة بالعربة الكهربائية. وحتى لو استطاعت نقله بمفردها، فقد لا يفحصه طبيب حتى ولو انتظروا طوال الليل لأجل ذلك. وإذا استطاعت وضعه في عربة الكيمتشي وجرّه إلى موقف العربات، فقد تتمكن من وضعه في إحداها. لكن ماذا سيحدث لعربة الكيمتشي؟ لن يتسعَ باب العربة لها. وفي حال استطاع نوا جرّها إلى المنزل، كيف ستتمكن من نقل أيزاك من الموقف التالي إلى المستشفى من دونها؟ وماذا إن لم يسمح لهم السائق بالصعود؟ فقد

شهدت عدّة مراتٍ على حوادث مماثلة عندما يطلب السائق من شخص مريض الترجّل من العربة.

جلس نوا بالقرب من ساقي أيزاك، بعيداً عن السعال، وشعر بدافعٍ ليربت على ركبة والده الهزيلة، للمسه، ليتأكد من أنه موجود بالفعل. أخرج الصبي دفتره من حقيبة المدرسة لينجز واجباته المدرسية، وراقبَ تنفّس والده عن قرب.

«نوا، عليك انتعال حذائك مجدداً والذهاب إلى الصيدلية واطلب من الصيدلي كونغ القدوم إلى هنا. أخبره أنّ الأمر ضروري، وأنني سأدفع له ضعف ما يتقاضاه؟» صممت سونجا أنه في حال رفض كونغ المجيء، فستطلب من كيونغي التوسل إلى الصيدلي الياباني بالمرور على المنزل، بالرغم من أنّ هذا الأمر مستبعد. نهض الفتى وغادر من دون تذمّر، واستطاعت سماع صوت خطواته السريعة والمنتظمة وهو يبتعد.

عصرت سونجا المنشفةَ التي استخدمتها لتنظيف أيزاك فوق الوعاء النحاسي. لقد غطّت كدمات جديدة وعدّة ندوبٍ قديمة ظهره النحيل والعريض. وشعرت بالسوء والتوعّك بينما غسلت جسده الداكن والمليء بالرضوض.

لم يكن هناك أحد بطيبة أيزاك؛ فهو لم يتكلّم في حياته عن فعلها المخزي بل حاول أن يتفهّمها ويراعي مشاعرها. واساها كثيراً عندما فقدت حملَها في الفترة بين نوا وموزاسو، وغمرته سعادة عارمة عندما ولِد ابنهما أخيراً. لكن قلقها من كيفية النجاة بكمية قليلة من المال منعها من الشعور بقدر سعادته. ولكن ما أهمية المال الآن بعد أن عاد إلى منزله ليموت؟ تمنّت لو أنها قدّمت له المزيد، ولو أنها حاولت معرفته بالطريقة التي حاول هو معرفتها بها، لكن كلّ شيءٍ انتهى الآن.

كانت وسامته بارزة واستثنائية، بالرغم من وهنه والجروح التي تغطي جسده. فهو على النقيض منها تماماً، هي قصيرة ومكتنزة، أما هو فطويل ونحيل، وحتى قدماه المشوهتان لهما هيئة جميلة. أما عيناه اللوزيتان فراضيتان عن كلّ شيء، بعكس عينيها الصغيرتين والمهمومتين. نهضت سونجا لتغيير مياه الوعاء المتسخة مرةً أخرى، فاستيقظ أيزاك ورأها تبتعد عنه، فناداها: «عزيزتي»، لكنها لم تلتفت. أحسَّ بأنه لا يعلم كيف يرفع صوته، وبدا كأنّ صوته يضمحل بينما دماغه لا يزال

على قيد الحياة.

تمتم أيزاك: «عزيزتي» وحاول الوصول إليها، لكنها كانت على وشك دخول المطبخ. إنه بلا شك في منزل يوسب في أوساكا، يجب أن يكون الأمر صحيحاً؛ لأنه شعر بأنه يستيقظ من حلمٍ حيث رأى نفسه صبياً صغيراً، جالساً على غصنٍ منخفضٍ لشجرةِ كستناء في حديقة منزل طفولته. ولا تزال رائحة براعم أزهار الكستناء عالقة في أنفه. يشبه هذا الحلم العديد من الأحلام التي راودته في السجن والتي يعلم، حتى وهو يحلم بها، أنها ليست حقيقية. فلم يسبق له أن تسلق أي شجرة طيلة حياته. وعندما كان صغيراً، اعتاد البستاني أن يحمله تحت تلك الشجرة بالذات لاستنشاق القليل من الهواء النقي، لكنه لم يملك القوةَ الكافية لتسلقها كما فعل يوسب الذي لقّبه البستاني بالقرد.

في الحلم، عانق أيزاك بإحكامٍ الأغصان الكثيفة، غير قادرٍ على الإفلات من تطويق الأوراق الخضراء وعناقيد البراعم البيضاء والوردية له. نادته أصوات نساءٍ مليئة بالفرح من داخل المنزل، ورغب في رؤية أخته ومربيته اللتين كانتا تضحكان جذلتين كالفتيات الصغيرات، بالرغم من أنهما توفيتا في الحقيقة منذ زمنٍ بعيد.

«عزيزتي..».

«يا إلهي» وضعت سونجا الوعاء على عتبة المطبخ وأسرعت نحوه: «هل أنت بخير؟ أتريد شيئاً؟».

بالكاد سمعته يقول لها: «زوجتي، كيف حالك؟» وأحسَّ بقليل من الراحة بالرغم من شعوره بالنعاس والحيرة. لقد تغيّر وجه زوجته عما يعرفه، وأصبح أكثر إرهاقاً، وبدت عليه آثار السنين قليلاً. «لا بدّ أنك عانيتِ كثيراً خلال فترة غيابي، أنا آسف للغاية».

فقالت له: «اشش.. عليك أن ترتاح».

«نوا..» نطقَ باسم الفتى وكأنه تذكر شيئاً جيداً «أين ذهب؟ لقد كان هنا من قبل».

«خرجَ لإحضار الصيدلي».

«يبدو ذكياً وبصحةٍ جيدة جداً».

بالرغم من صعوبة إخراج الكلمات من فمه، لكنه شعر بصفاء عقله فجأةً، وأراد إخبارها بالأشياء التي احتفظ بها من أجلها.

«أتعملين في مطعمٍ الآن؟ هل تطهين الطعام هناك؟» بدأ أيزاك بالسعال ولم يكن باستطاعته التوقف. غطّت بقع من الدماء كنزتها، فمسحت فمه بمنشفةٍ.

عندما حاول الاستقامة في جلسته، وضعت سونجا يدها اليسرى خلف رأسه، ويدها اليمنى على صدره لتهدئته، خوفاً من إلحاق الأذى بنفسه. أنهك السعال جسده وشعرت بحرارته حتى عبر البطانيات.

«أرجوك استرح، يمكننا التحدث في وقتٍ لاحقٍ».

هزّ أيزاك رأسه.

«لا، لا، أنا.. أنا أريد أن أخبرك شيئاً».

وضعت سونجا يديها في حضنها.

«لم تكن لحياتي أهمية» قال وهو يحاول قراءة عينيها المجهدتين بالإرهاق والمعاناة. أرادها أن تفهم أنه ممتنّ لوجودها؛ لانتظارها له، لاعتنائها بأسرتها، وأنه شاكر لعملها واجتهادها ولجمع المال للعائلة عندما لم يستطع إعالتهم. فلا بدّ أنه كان من الصعب الحصول على المال في غيابه، وفي ظلّ التضخّم المالي بسبب الحرب. فقد اشتكى الحراس في السجن باستمرارٍ من أسعار الأشياء؛ وقالوا: إن الناس لا يمتلكون ما يسدون به رمقهم، ولطالما صلّى أيزاك في سجنه كي تجد عائلته كفاف يومها.

«لقد أحضرتك إلى هنا، وجعلت حياتك أصعبَ من السابق».

ابتسمت له، ولم تعرف كيف تخبره أنه **أنقذها**. وقالت له بدلاً من ذلك «يجب أن تتعافى»، غطته سونجا ببطانيةٍ سميكة فقد كان جسده يختلج بالرغم من حرارته المرتفعة. «أرجوك تماسك، وتحسن من أجل ولدينا، **كيف لي أن أربيهما من دونك؟**».

«أين هو موزاسو؟».

«مع أختي في المطعم. يسمح له المدير أن يبقى هناك بينما نعمل».

بدا أيزاك أكثر يقظةً وانتباهاً، وكأن جميع آلامه قد تلاشت، ورغب في معرفة

المزيد عن طفليه.

«موزاسو..» قال مبتسماً، «أنقذ موزاسو قومه من العبودية..».

خفق رأس أيزاك بشدةٍ لدرجة أنه أغمض عينيه مجدداً. أراد أن يكون حاضراً عندما يكبر طفلاه، وينهيا المدرسة ويتزوجان. لم يرغب أيزاك في العيش طويلاً من قبل، لكن الآن، بعد أن أراد العيش حتى يصبح عجوزاً، أرسل إلى منزله ليموت.

قال أيزاك: «لديّ ولدان.. لديّ ولدان، نوا وموزاسو. فليبارك الرب ولديّ».

راقبته سونجا بعنايةٍ. بالرغم من أنّ وجهه بدا غريباً، لكنه هادئ في الوقت ذاته. استمرت في التكلم معه، لأنها لم تعرف ماذا تفعل غير ذلك. «يتحول موزاسو إلى صبي كبير، وهو سعيد دائماً ولطيف، ويمتلك ضحكةً مذهلة. يركض بسرعةٍ كبيرةٍ في كل الأرجاء» قلّدت طريقة جريه بيديها، فضحكت وضحك أيزاك أيضاً. وخطرَ لها كيف أنّ هناك شخصاً وحيداً في هذا العالم غيرها، يرغب في سماع قصصٍ عن نمو موزاسو. قبل هذه اللحظة نسيت أنها تستطيع التعبير عن سعادتها وافتخارها بولديها، فحتى عندما يفرح يوسب وزوجته بهما، لطالما أحسّت بحزنهما لأنهما لم يرزقا أطفالاً، لذلك أخفت أحياناً بهجتها خوفاً من أن يبدو الأمر نوعاً من التباهي، واعتقد الناس في موطنها أنّ امتلاك ولدين جيدين وسليمين يعادل امتلاك ثرواتٍ ضخمة. لم يكن لديها منزل أو مال كافٍ ولكن لديها نوا وموزاسو.

فتح أيزاك عينيه ونظر إلى سقف الغرفة: «لا أرغب في الموت قبل أن أراهما يا إلهي. ليس قبل أن أرى طفليّ وأباركهما. أيها الرب، لا تدعني أذهب..».

حَنت سونجا رأسها وصلّت هي الأخرى.

أغمض أيزاك عينيه مجدداً وارتعشت كتفاه من شدة الألم.

وضعت سونجا يدها اليمنى على صدره لتتحقق من تنفسه الضعيف.

فتح باب المنزل، ودخلَ نوا وحيداً كما توقّعت. لم يستطع الصيدلي المجيء الآن، لكنه وعد بالمرور في وقتٍ لاحقٍ من المساء. جلس نوا بالقرب من ساقي أيزاك، وأنجز واجباته بينما نام والده. رغب نوا في أن يلقي أيزاك نظرةً على واجباته المدرسية، فحتى هوشي سينسي؛ أكثر أساتذته صرامةً أخبره أنه جيد جداً في كتابة الرسائل، وأنّ عليه أن يجتهد أكثر ليطوّر سلالته الأمّيّة، قائلاً: «يمكن لكوري

مجتهدٍ أن يلهم عشرات الآلاف من جنسهِ لينبذوا طبيعتهم الكسولة».

اهتمّ نوا بواجباته بينما استمر والده في النوم. وعندما عادت كيونغي مع موزاسو، فاضَ البيت بالحياة للمرة الأولى منذ أن اعتقل أيزاك.

استيقظ أيزاك قليلاً ليرى موزاسو، الذي لم يبكِ عندما رأى الرجل النحيل. ناداه الطفل «بابا» وربتَ بيديه على وجه والده، كما يفعل عادةً عندما يحب أحداً. ولمسَ وجنتي أيزاك المقعّرتين بيديه المكتنزتين والبيضاوين. جلس الطفل بهدوءٍ بالقرب منه لبعضٍ من الوقت، ثم أبعدته كيونغي - حتى لا يمرض - عندما نام أيزاك مجدداً. وعندما رجع يوسب، عمّت الكآبة مجدداً في المنزل؛ لأنه لم يستطع تجاهل حتميّة الأمور.

قال يوسب وهو يحدّق إلى جسد أخيه «كيف باستطاعتهم فعل ذلك؟ يا أخي، ألم يكن بإمكانك القول لهم ما يريدون سماعه؟ ألم يكن بإمكانك أن تكذب وتخبرهم أنك تعبد الإمبراطور؟ ألا تعرف أنّ البقاء حيّاً هو كل ما يهم؟».

فتح أيزاك عينيه، لكنه ظلّ صامتاً ثم أغمضهما مجدداً لأنه شعر بثقل أجفانه. ورغب في التكلم مع يوسب، لكن الكلمات لم تخرج من فمه. جهّزت كيونغي لزوجها مقصّاً، وشفرة حلاقةٍ طويلة، وكأساً من الزيت وحوضاً مليئاً بالخل. «لا يموت القمل. علينا أن نحلق له. لا بد أنه يشعر بالحكّة كثيراً» قالت والدمع يترقرق في عينيها.

رفع يوسب كمّيه وهو ممتن لزوجته التي جعلته يفعل شيئاً بدلاً من الجلوس مكتوف اليدين، سكب كأس الزيت على رأس أخيه ودلّكه.

قال محافظاً على نبرة صوتٍ طبيعية: «لا تتحركْ يا أيزاك سأخلصك مما يزعجك».

مرر يوسب الشفرة على رأس أيزاك، ورمى بالشعر المقصوص داخل الوعاء النحاسي.

«أيزاك..» ابتسم يوسب بسبب ذكرى مرّت في ذهنه «هل تتذكر كيف اعتاد البستاني على قص شعرنا في طفولتنا؟ كنت دائماً أصرخ كحيوانٍ مجنون، على عكسك تماماً، فقد كنت معتاداً على الجلوس ساكناً كراهبٍ صغير، هادئ ومسالم

ومن دون أيّ شكوى». ثم صمتَ وتمنى لو أنّ ما يراه أمامه غير صحيح. «يا أيزاك، لماذا جلبتك إلى هذا الجحيم؟ كنت مشتاقاً إليك جداً. لقد أخطأت في إحضارك إلى هنا. وأنا أعاقَب الآن على أنانيتي». وضع يوسب الشفرة في الوعاء. «لن أكون بخيرٍ إن مت، هل تفهم هذا الأمر؟ يجب أن تعيش. أرجوك لا تمت يا أيزاك. كيف يمكنني أن أمضي في حياتي؟ ماذا سأقول لوالدينا؟».

تابع أيزاك نومه، غير مدركٍ لوجود عائلته حوله.

مسحَ يوسب عينيه، وأغلق فمه، وشدّ على فكّيه. أمسكَ بالشفرة مجدداً، وعملَ بثباتٍ على إزالة الأجزاء المتبقية من شعر أيزاك الرمادي. وعندما أصبح رأسه أملس ونظيفاً، سكب بعض الزيت على لحية أخيه. عمل كل من يوسب، وكيونغي وسونجا لبقية المساء في التخلص من القمل، وتوقفوا قليلاً لوضع الطفلين في سريريهما. لاحقاً أتى الصيدلي وأخبرهما ما هم متيقنون منه؛ لا يستطيع أيّ طبيبٍ أو مستشفى فعل شيءٍ لأيزاك الآن.

في ساعات الصباح الأولى، عاد الجميع إلى أعمالهم باستثناء سونجا التي ظلّت مع أيزاك. لم يشتكِ يوسب من ذهاب زوجته إلى العمل بمفردها، فقد كان مرهقاً ولا يرغب في الجدال، وهم بأمسّ الحاجة إلى المال. امتلأ الطريق بضجيج الحياة؛ فالرجال والنساء يسرعون إلى أعمالهم والأطفال إلى مدارسهم. نام أيزاك في الغرفة الأمامية، كان يتنفّس بسرعةٍ وبكمياتٍ ضئيلة، وبدا بعد إزالة شعر جسده بالكامل نظيفاً كالرضيع.

وضعَ نوا عيدان الأكل بعنايةٍ على الطاولة بعد أن انتهى من تناول فطوره ونظر إلى أمّه. وسألها بالرغم من أنه لم يجرؤ على طلب شيءٍ كهذا من قبل، حتى عندما تسوء الأمور في المدرسة: «أمي، أتسمحين لي أن أبقى في المنزل؟».

رفعت سونجا عينيها عما تخيطه متفاجئةً وسألته: «هل تشعر بالتوعّك؟».

فهزّ برأسه.

سمع أيزاك سؤال الفتى وهو بالكاد واعٍ: «نوا..».

«نعم يا أبي».

«أخبرتني أمكَ أنك طالب متفوق».

ابتسم الصبي وأخفض رأسه كما يفعل عادةً.

عندما يحصل نوا على علامات جيدة بالمدرسة كان يفكر بوالده أولاً، فقد أخبره عمه مراراً وتكرراً أنّ والده كان طفلاً عبقرياً، فقد تعلّم من تلقاء نفسه اللغة الكورية، والصينية القديمة واليابانية من خلال الكتب ومن دون مساعدةِ أحد. وأنه قرأ الكتاب المقدّس عدّة مراتٍ قبل دخوله الثانوية. فعندما يشعر نوا بصعوبة المدرسة، يتذكّر أنّ والده رجل مثقّف، فيجد في ذلك ما يشد من عزيمته وتصميمه على التعلّم.

«نوا».

«نعم يا أبي؟».

«عليك الذهاب. لطالما أردت أن أذهب إلى المدرسة مع الأولاد الآخرين عندما كنت صبياً صغيراً».

أومأ نوا لأنه يعرف هذا الأمر عن والده مسبقاً.

«ماذا يمكننا أن نفعل غير أن نثابر يا صغيري؟ فمقدّر علينا أن نطوّر مهاراتنا. إن قيامك بواجباتك المدرسية على أكمل وجه كما كنت تفعل من قبل يبعث السعادة في نفسي، فأنت تمثّل عائلتنا أينما ذهبت، وعليك أن تصبح إنساناً متفوّقاً.. في المدرسة، وفي هذه المدينة وفي العالم بأجمعه، بالرغم مما يقوله أو يفعله الآخرون». قال له أيزاك ثم توقّف قليلاً للسعال. فهو يعرف كم هو صعب أن يذهب صبي كوري إلى مدرسةٍ يابانية. «عليك أن تكون شخصاً مثابراً وأن تمتلك قلباً متواضعاً. اغفر للجميع حتى لأعدائك. هل تفهم يا نوا؟ قد يكون الرجال ظالمين لكن الله عادل. سترى ذلك بنفسك.. سترى». قال أيزاك ذلك بينما كان صوته يتلاشى.

«حاضر يا أبي». أخبره مدرّسه هوشي سينسي أيضاً أنّ لديه واجباً تجاه أبناء جنسه؛ فهو قد يخدم مجتمعه في يومٍ من الأيام ويحوّل الكوريين إلى أطفال مطيعين للإمبراطور. حدّق الولد إلى رأس والده المحلوق حديثاً، والذي كان ناصع البياض مقارنةً مع وجنتيه النحيلتين والداكنتين، فبدا شاباً وهرماً في الوقت نفسه.

شعرت سونجا بالحزن على طفلها، فلم يحظَ في حياته بيومٍ يقضيه مع والديه وبدون وجود أحد آخر. في صغرها، كانت دائماً مع أبيها وأمها، حتى بوجود الآخرين في الأرجاء، كأنّ مثلثاً خفيّاً يربطهم سوياً. لطالما اشتاقت إلى هذا النوع من القرب والألفة في كل مرةٍ تتذكر فيها حياتها في الوطن. ومع أنّ أيزاك محق بشأن المدرسة لكنه لا يجد الكثير من الوقت، فقد يرحل في القريب العاجل. ولو استطاعت رؤية والدها مرةً أخرى لفعلت كلّ ما في وسعها. لكن كيف لها أن تعارض رغبات زوجها؟

أعطت سونجا الحقيبة المدرسية إلى ولدها الذي بدا كئيباً.

فقال له أيزاك: «عد إلى المنزل فوراً بعد انتهاء المدرسة يا نوا. سنكون هنا».

ثَبتَ نوا في مكانه على الأرض، عاجزاً عن إشاحة نظره عن والده، وكأنه خائف من أن يختفي. لم يدرك الصبي مدى اشتياقه إليه إلى حين عودته، وأحسَّ بألم الاشتياق في صدره الصغير، وقلق من الشعور به مرةً أخرى. شعر نوا أنّه في حال بقي في المنزل، فسيكون والده بخير حتى وإن لم يتكلما. لماذا لا يستطيع التعلّم في البيت كما فعل والده؟ رغب نوا في أن يسأل عن هذا الأمر، لكن ليس من طباعه أن يجادلَ أحداً.

لم يرغب أيزاك في أن يراه ابنه بهذا الشكل أكثر من ذلك. إنّ الصبي خائف وليس هنالك من داعٍ لمضاعفة معاناته أكثر. رغم أنه يوجد العديد من الأشياء التي لم يخبرها لطِفله بعد؛ عن الحياة، والتعلّم وكيف يتحدّث إلى الله.

سأله أيزاك: «هل الأمور صعبة في المدرسة؟».

التفتت سونجا لرؤية وجه نوا، فلم يخطر في ذهنها أن تسأله شيئاً كهذا.

هزّ الصبي كتفيه. الواجبات لم تكن مستحيلة، الطلاب الجيّدون الذين أعجب بهم؛ هم يابانيون ولا يقبلون التحدث أو حتى النظر إليه. واعتقدَ أنه قد يستمتع في الذهاب إلى المدرسة لو أنه شخص عادي وغير كوري. لكن لا يمكنه أن يخبر والده أو أحداً آخر بهذا الأمر لأنه على يقينٍ أنه لن يكون شخصاً يابانياً على الإطلاق. قال عمّه مرةً إنهم قد يعودون إلى كوريا، فتصّور نوا كم سيكون العيش هناك أفضل. وبينما يحمل حقيبته وعلبة طعامه، تباطأ نوا في مشيته بالقرب من

الباب، محاولاً أن يحفظ ملامح والده اللطيفة.

فقال أيزاك: «اقترب إلى هنا يا بني».

فاقترب وركع. **أرجوك أيها الرب، أرجوك. اجعل والدي يتعافى. سأطلب هذا الشيء هذه المرة بعد. أرجوك.** وأغمض نوا عينيه بشدة.

أمسك أيزاك بيد ابنه وقال له: «أنت شجاع جداً، أكثر بكثيرٍ مني يا نوا. أن تعيش كل يومٍ مع أشخاصٍ لا يعترفون بوجودك وإنسانيتك، يتطلّب هذا الأمر شجاعةً كبيرةً».

عضّ نوا شفته السفلى، ولم يتفوّه بشيءٍ، ومسح أنفه بيده.

أفلتَ أيزاك يده: «يا بني.. يا بني العزيز.. يا بَركتي».

6

يناير 1944

كحال معظم متاجر أوساكا والتي لم تمتلك شيئاً لتبيعه، أغلِقَ المطعم باستمرار، لكن استمر العمال الثلاثة المتبقّون في المجيء للعمل ستة أيامٍ في الأسبوع. تلاشى الطعام فعلياً من المحلات، والمتاجر على قلتها التي كانت تفتح أبوابها لنصف نهار كانت تتشكل أمامها صفوف من الأشخاص، ولم يكن غريباً أن ينتظر المرء ست ساعات للحصول على بعض السمك، ويعود إلى المنزل مع قليل من سمك الأنشوفة المجفف وربما عاد خالي الوفاض.

ومن كان لديه علاقات مع القيادة العسكرية، تمكن من الحصول على بعض الضروريات. وبالطبع، كانت السوق السوداء موجودة، ولكن من لم يكن غنياً لم يستفد منها، ولم يكن من النادر إرسال أولاد المدينة إلى القرى بمفردهم عن طريق القطار لبيع ثوب الجدّة الياباني مقابل بيضةٍ أو حبة بطاطا.

يحتفظ كيم تشانغو المسؤول عن تأمين طعام المطعم بصندوقين للتخزين؛ واحد ليتم فحصه من قِبل قادة اتحاد الحي، الذين يقومون بزياراتٍ مفاجئةٍ إلى المطاعم. وواحد آخر مخبّأ خلف حائطٍ في القبو ويحتوي على طعامٍ من السوق السوداء. يحضر الزبائن أحياناً اللحم والكحول معهم إلى المطعم، وخاصةً رجال الأعمال الأغنياء من أوساكا والمسافرون الذين يأتون من خارج البلاد. وبما أن الرجال الذين اعتادوا الطهو في المساء رحلوا، أصبح كيم يقوم بأعمالهم جميعاً بنفسه؛ فيطهو اللحم ويغسل الصحون للزبائن القلائل الذين لا يزالون يترددون على المطعم.

في صباح شتاءٍ معتدل من الشهر الثاني عشر من السنة، طلب كيم من كيونغي وسونجا عندما وصلتا إلى العمل، أن تجلسا إلى الطاولة المربّعة الموضوعة

بالقرب من الجدار خارج المطبخ، وهو المكان الذي فيه تستريحان وتتناولان الطعام أيضاً. ووضعَ مسبقاً إبريقاً من الشاي على الطاولة، فسكبت كيونغي كوباً لكلّ واحدٍ منهم.

قال كيم: «سيُغلَق المطعم غداً».

سألته سونجا: «إلى متى؟».

«إلى أن تنتهي الحرب. لقد سلّمت آخر الأدوات المعدنية، والمطبخ الآن شبه فارغ. لقد تمت مصادرة جميع أوعية الأرز الفولاذية، والأواني، وأواني الطهي وعيدان الطعام. حتى إن استطعت الحصول على أدواتٍ جديدة لإبقاء المطعم مفتوحاً، فستعرف الشرطة أننا أخفينا بعض الأشياء وستصادرها، لا تدفع الحكومة مقابل ما تصادره، ولا أستطيع الاستمرار بجلب بديل عما تصادره..». ارتشف كيم قليلاً من الشاي: «حسناً، فليكن الأمر».

أومأت سونجا وهي تشعر بالحزن عليه لأنه بدا مستاءً. وألقى كيم نظرةً إلى كيونغي التي سألته «ماذا ستفعل بدلاً من ذلك؟».

كيم أصغر سناً من أيزاك، وكان يتحدث إليها كما يتحدث إلى شقيقته. واعتمد عليها مؤخراً لمرافقته إلى السوق من أجل دعم وضعه المدني، فالشرطة وقادة اتحاد الحي يستجوبان أي رجلٍ لا يرتدي الزي العسكري، وذلك في سبيل القبض على الهاربين من الخدمة. لذلك كان يضع نظارة سوداء متظاهراً بالعمى لينجو منهم.

سألته كيونغي: «هل تستطيع إيجاد عملٍ آخر؟».

«لا تقلقي بشأني، فعلى الأقل لست مجبراً على القتال» وضحك وهو يلمس نظارته. لقد ساعده نظره الضعيف في إبقائه بعيداً عن القتال والعمل في المناجم، في حين جنّد غيره من الكوريين للقيام بذلك. «وهذا شيء جيد بما أنني جبان».

هزّت كيونغي رأسها، فوقفَ كيم.

«سيأتي بعض الزبائن من هوكايدو في المساء. لقد احتفظت بمقلاتين وبعض الأطباق لاستخدامها من أجل تحضير الوجبة. هل تستطيعين مرافقتي إلى السوق يا أختي؟». ثمّ التفت إلى سونجا وسألها: «هل بإمكانك البقاء وانتظار رجل الكحول؟

فمن المفترض أن يحضر حزمةً إلى المطعم. وقد طلب الزبون أن نحضّر له الليلة طبق أزهار الجرس الذي تعدّينه. تركت لك رزمةً صغيرةً من الأزهار المجففة في الصندوق الموجود في القبو، وستجدين باقي المكونات هناك أيضاً». فأومأت سونجا، متسائلةً كيف استطاع إيجاد الأزهار المجففة وزيت السمسم.

نهضت كيونغي، وارتدت معطفها الأزرق القديم فوق ثياب العمل. لا تزال امرأةً فاتنة، نحيلة القد صافية البشرة. لكن بعض التجاعيد الدقيقة بدأت تظهر حول عينيها وفمها عندما تبتسم. وبالرغم من أنّ أعمال المطبخ الكثيرة قد أثّرت على يديها البيضاوين والناعمتين لكنها لم تمانع الأمر. وحتى عندما يمسك يوسب بيدها اليمنى الصغيرة عندما ينامان، لم ينتبه إلى وجود بقعٍ حمراء متقشّرة على كفّيها والتي ظهرت بسببَ صنع المخللات يوماً بعد يوم.

بعد وفاة أيزاك أصبح يوسب رجلاً مختلفاً كلّياً؛ عابساً، كئيباً وغير مبالٍ بأيّ شيءٍ باستثناء العمل. وقد أثّر تغيّره في منزله وزواجه. وبالرغم من محاولة كيونغي الترفيه عنه، لكنها لم تستطع إزالة كآبته وإخراجه من صمته، ولم يكن يسمع صوت حديث في المنزل باستثناء صوت الولدين. لقد تغيّر يوسب كثيراً عن الشاب الذي أحبّته في صِباها. تحوّل إلى متشائم مهيض الجناح، وهو حال لم تتوقع أن تراه عليه يوماً. كان المطعم المكان الوحيد الذي استطاعت أن تتصرّف فيه على سجيتها؛ حيث تمازح كيم كأخٍ صغير وتضحك مع سونجا أثناء العمل، ولكن حتى هذا المكان لن يعود له وجود غداً.

أغلقت سونجا الباب بعد أن غادر كيم وكيونغي إلى السوق، وبينما اتجهت نحو المطبخ، سمعت طرقاً على الباب.

«هل نسيتما شيئاً؟» سألت وهي تفتح الباب.

ظهر هانسو أمامها، يلبس معطفاً أسود فوق بدلةٍ صوفيةٍ رمادية اللون. لا يزال شعره داكناً ووجهه على حاله، مع بعض الترهل عند الفك. نظرت سونجا بشكل تلقائي لترى إن كان ينتعل حذاءه الجلدي الأبيض الذي اعتاد انتعاله منذ زمنٍ بعيد، لكنه كان ينتعل حذاءً جلدياً أسود ذا ربّاطات.

قال هانسو بهدوءٍ وهو يدخل المطعم: «لقد مرّ وقت طويل».

ابتعدت سونجا عدّة خطواتٍ عنه وسألته: «ماذا تفعل هنا؟».
«هذا مطعمي وكيم تشانغو يعمل لديّ».
شعرت سونجا ببعض الدوار قبل أن تلقي بنفسها على أقرب كرسيّ.

* * *

استطاع هانسو أن يجدها قبل أحد عشر عاماً عندما رهنت ساعة الجيب الفضّية التي أهداها إياها، فقد حاول المسترهن أن يبيعه تلك الساعة. لاحقها هانسو كل يومٍ منذ ذلك الحين. وبعد أن اعتقل أيزاك، علمَ أنها تحتاج إلى المال فاختلق هذه الوظيفة من أجلها. وعرفت سونجا أيضاً أنّ الشخص الذي اقترض منه يوسب المال، يعمل لديه.

زوجة هانسو هي الابنة البكر لدائنٍ يابانيّ قوي يدعى موريموتو؛ الذي تبنّى هانسو قانونياً لأنه ليس لديه ابن. ويعيش كوه هانسو؛ الذي يحمل اسماً قانونياً هارو موريموتو، مع زوجته وبناته الثلاث في منزلٍ كبير خارج أوساكا.

أرشدها هانسو إلى الطاولةِ التي جلست عليها منذ دقائق مع كيم وكيونغي.

«لنشرب بعض الشاي. ابقي هنا وسأحضر لك كوباً. يبدو أنّ ظهوري قد أزعجك».

عاد هانسو على الفور حاملاً كوباً من الشاي.

حدّقت إليه سونجا، عاجزةً عن التكلّم.

قال بفخر: «نوا صبيّ ذكيّ جداً. إنه ولد وسيم وعدّاء ماهر».

حاولت أن تخفي خوفها. كيف علمَ بكل تلك الأمور؟ فاسترجعت في ذاكرتها كل محادثةٍ أجرتها مع كيم عن ولديها، ووجود الولدين مرّاتٍ عدّة في المطعم، وقدوم نوا إلى المطعم أيام عطلته.

أخيراً قالت وهي تحاول أن تخفي توترها: «ماذا تريد؟».

«يجب أن تغادري أوساكا حالاً. حاولي أن تقنعي سلفك وزوجته بالذهاب، من أجل سلامة الولدين. أياً يكن الأمر، إذا لم يرغبا بالرحيل، فلديّ مكان لك وللولدين».

«لماذا؟».

«لأن أوساكا ستقصف قريباً».

«من سيقصفها؟».

«سيبدأ الأمريكيون بقصفها في غضون أيامٍ قليلة، بطائرات بي – 29. لقد وجدوا قواعد جديدة على الجزر في الصين، الحكومة اليابانية تعرف بالأمر لكنها لا ترغب في الاعتراف بذلك. ويعرف الأمريكيون أنّ عليهم وضع حدّ للجيش الياباني قبل أن يقتل جميع الشبان اليابانيين بدلاً من الاعتراف بأنه على خطأ. ولكن من حسن الحظ أنّ الحرب ستنتهي قبل أن يجند نوا».

«لكن الجميع يقولون إن وضع اليابان جيد».

«لا تصدّقي أي شيء تسمعينه من الجيران أو تقرأينه في الصحف، فهم لا يعرفون شيئاً».

«اشش..» التفتت سونجا حولها بشكلٍ تلقائي، ونظرت باتجاه النافذة الزجاجية وباب المطعم. فأيّ شخصٍ يُسمع وهو يقول أشياء كهذه، يُعتقل. أخبرت ولديها عدّة مرّاتٍ بعدم التفوّه بأمورٍ سيئةٍ عن اليابان أو عن الحرب. «لا يجب أن تتكلم بهذه الأمور، فقد تقع في ورطة..».

«لا يمكن لأحدٍ أن يسمعنا».

عضّت على شفتها السفلى وحدّقت إليه، غير قادرةٍ على تصديق وجوده أمامها. لقد مرّ اثنا عشر عاماً، وها هو نفس الوجه الذي أحبّته كثيراً. لقد أحبّت وجهه كما أحبّت سناء القمر ومياه البحر الزرقاء الباردة. كان هانسو جالساً أمامها، ينظر إليها بعطفٍ. ومع ذلك فقد حافظ على هدوئه، واثقاً من كل كلمةٍ يقولها وغير مترددٍ. لم يشبه هانسو أيّاً من والدها، أو أيزاك، أو سلفها أو كيم، فهو مختلف تماماً عن جميع الرجال الذين عرفتهم. «يا سونجا، عليكِ أن ترحلي عن أوساكا، لم يعد الوقت متاحاً للتفكير في الأمر. لقد أتيت لأخبرك بذلك، لأنّ القنابل ستبيد المدينة».

لماذا لم يأتِ من قبل؟ لماذا ظل يراقب حياتها كملاك حارس من بعيدٍ؟ وكم من مرةٍ رآها من دون أن تنتبه إليه؟ فوجئت بمقدار الغضب الذي أحسّت به نحوه. «لن يرحلا، ولا يمكنني..».

«هل تقصدين سلفك؟ ليست مشكلتك إن كان غبياً، لكن زوجته قد تذهب

إن أخبرتها بحقيقة الأمر. إنّ هذه المدينة مصنوعة من خشبٍ، ولن يتطلّب الأمر سوى عود كبريتٍ واحدٍ لإشعالها. فتخيّلي ما قد تحدثه قنبلة أمريكية». توقّف قبل أن يتابع «هل هذا ما تريدينه؟ أن يموت ولداك؟ لقد أرسلت أطفالي خارج هذه المدينة منذ زمنٍ بعيد. من واجب الآباء أن يكونوا حاسمين في قراراتهم، فالطفل لا يستطيع حماية نفسه».

فهمت وقتها أنّ هانسو قلق على نوا، بالرغم من أنّ لديه زوجة يابانية وثلاث بناتٍ لكن لم يكن لديه ابن.

«كيف تعرف؟ كيف تعرف أنّ هذا ما سيحدث؟».

«كيف عَلِمت أنك تحتاجين إلى وظيفةٍ؟ أو إلى أيّ مدرسةٍ يذهب نوا، أو أنّ مدرّس الرياضيات يتظاهر بأنه يابانيّ بالرغم من أنه كوري. أو أنّ زوجك قد توفي لأنّه لم يخلَ سبيله مبكراً وأنك وحيدة في هذا العالم. كيف عَرفت ماذا عليَّ أن أفعل لأحمي عائلتي؟ من واجبي أن أعلم ما لا يعلمه الآخرون. كيف عرفتِ أنه يجب أن تعدّي الكيمتشي وتبيعيه لجني المال؟ لقد عرفتِ لأنك أردت العيش وأنا أريد ذلك أيضاً. لذلك يجب أن أعلم بأمورٍ لا يعلمها أحد آخر. وأنا الآن أخبرك شيئاً قيّماً من أجل إنقاذ طفليكِ، فلا تهدري هذه المعلومة. عليكِ أن تحمي ولديكِ وليذهب العالَم إلى الجحيم».

«لن يترك سلفي منزله».

ضحكَ هانسو وقال: «سيتحوّل المنزل إلى رمادٍ، ولن يدفع له اليابانيون سنتاً واحداً مقابل ألمه عندما يتدمّر».

«يقول الجيران إن الحرب على وشك الانتهاء».

«ستنتهي الحرب لكن ليس بالطريقة التي يتوقعونها. أرسل اليابانيون الأثرياء عائلاتهم مسبقاً إلى الريف، وحوّلوا أموالهم إلى ذهب. سيبرر الأغنياء تصرفهم، وهم يصرحون بأي كلام لإنقاذ أنفسهم، فهم لا يكترثون بالسياسة. وأنتِ ذكية حتى لو لم تكوني غنية، وأنا أرى أن عليك أن تغادري اليوم».

«كيف؟».

«سيوصِلكِ كيم وعائلتك مع سلفك وزوجته إلى مزرعةٍ تقع خارج أوساكا.

وفي هذه المزرعة مزارع يزرع البطاطا الحلوة ويدين لي بخدمة، وهو يملك منزلاً يتسع للجميع والطعام فيه مؤمن. وستعملون جميعكم لديه حتى تنتهي الحرب، لكن على الأقل ستحظون بمكانٍ للنوم وطعامٍ كافٍ. والسيد تاماغوتشي يعيش وحده في هذا البيت، وهو لم يرزق أولاداً، وسيكون حريصاً عليكم».

«لماذا جئتَ؟». انهمرت دموع سونجا.

«الوقت غير مناسبٍ للتحدث بهذا الأمر. أرجوكِ، لا تكوني امرأةً غبيةً، أنتِ ذكية أكثر من ذلك. حان الوقت للتصرّف. سيتدمّر المطعم تماماً كمنزلك». قال لها بعجلةٍ. «فهذا المكان مصنوع من الخشب والقرميد. يجب أن يبيع سلفك المنزل لأحمقٍ آخر وأن تخرجوا من هنا، أو أن يأخذ أوراق الملكية معه على الأقل. قريباً سيبدأ الناس بالفرار من هنا كالجرذان، فعليكم الرحيل قبل فوات الأوان. سيضع الأمريكيون حداً لهذه الحرب الغبية، قد يكون الليلة أو خلال عدّة أسابيع، لكنهم لن يتحمّلوا هذا الأمر أكثر من ذلك. والألمان ينهزمون أيضاً».

تكتّفت سونجا.

استمرت الحرب لفترةٍ طويلة لدرجة أنّ الجميع سئمَ منها. وكانت العائلة لتتضور جوعاً لولا وجود المطعم، بالرغم من أنّ الجميع يعملون ويجنون المال. وكانت ثيابهم بالية ومليئة بالثقوب بسبب عدم توفّر الأقمشة، والخيوط والإبر. لكن كيف يلمع حذاء هانسو بينما لا يملك أحد ملمّعاً للأحذية؟

كرهت هي وكيونغي الاجتماعات التي لا تنتهي لاتحاد الحي، ولكن قد يحرمهم القادة من مؤنهم إذا لم تكونا حاضرتين. لقد أصبحت التدريبات العسكرية غريبةً للغاية؛ ففي صباح كلّ أحد، تلزم الجدات والأطفال بالتدرّب على رمي العدو برماحٍ مصنوعة من الخيزران، فقد قالوا لهم إنّ الجنود الأمريكيون يغتصبون النساء والفتيات، لذلك فقد يكون من الأفضل أن تقتل نفسك على أن تستسلم لهؤلاء الهمج. في مكتب المطعم عدد من الرماح المخبّأة من أجل العمّال والزبائن في حال وصول الأمريكيين، كذلك فقد احتفظ كيم باثنين من سكاكين الصيد في جارور مكتبه.

«هل أستطيع العودة إلى الوطن؟ إلى بوسان؟».

«لا طعام هناك، وهو ليس مكاناً آمناً لك، يتم أخذ النساء من القرى الصغيرة

وبأعدادٍ كبيرة».

بدت سونجا حائرةً.

«لقد قلت لكِ هذا الشيء من قبل؛ لا يخدعك أحد بالقول إن هناك وظائف جيّدة في المصانع في الصين أو المستعمرات الأخرى. فهذه الوظائف لا وجود لها. هل تفهمين ما أقوله؟» أخبرها بصرامة.

«هل أمي بخير؟».

«لن يأخذوها فهي ليست صغيرةً في السن، لكن سأحاول أن أعرف أكثر».

فقالت بهدوء: «شكراً».

لم تعر سونجا اهتماماً كبيراً من قبل بشؤون والدتها بسبب انشغالها وقلقها على طفليها. ولطالما قالت يانغجين من خلال رسائلها القليلة التي تكتبها لها معلّمة مدرسة، أنها على ما يرام، وكانت تعبر عن قلقها بشأن سونجا والولدين أكثر من نفسها. لم ترَ سونجا والدتها بعدد السنوات تقريباً التي لم ترَ فيها هانسو.

«هل يمكنك أن تستعدّي الليلة للرحيل؟».

«لمَ قد يستمع إليّ سلفي؟ كيف لي أن أشرح..».

«قولي له إنّ كيم أخبركِ أنه عليكم الرحيل اليوم، فهو يتحدث الآن مع كيونغي عن هذا الأمر، وأنه علِمَ بهذه المعلومات القيّمة من مديره. بإمكاني أن أرسل كيم إلى منزلك للتحدّث إليه».

لم تتفوّه سونجا بشيء، فلم تعتقد أنّ بإمكان أحدٍ أن يقنعَ يوسب بالرحيل.

«يجب حماية الطفلين لذلك، ولا وقت أمامنا للتردد».

«لكن أختي..».

«وماذا بشأنها؟ استمعي إلي، الأولوية للطفلين. ألم تتعلّمي هذا الأمر بعد؟».

فأومأت برأسها.

«فلتحضري الجميع إلى هنا عند الغروب، لن يغلق كيم المطعم. لا يجب أن يعلم أحد إلى أين أنتم ذاهبون، وعليكم أن تخرجوا من هنا قبل أن يحاول الناس الهروب أيضاً».

وقفَ هانسو ونظر إليها بجدّية: «إن اضطررتِ تخلّي عن الآخرين».

7

1945

في اليوم نفسه الذي أخبرها هانسو بأخذ الطفلين إلى الريف، تلقّى يوسب عرض عمل. ففي عصر ذلك اليوم، مرّ شخص على المصنع الذي يعمل فيه يوسب وأخبره عن الوظيفة؛ يحتاج مصنع للفولاذ في ناغازاكي إلى رئيسٍ لإدارة العمال الكوريين فيه، وسيحصل على مسكن وطعام، وسيدفعون له ثلاثة أضعاف راتبه الحالي. لكنه لا يستطيع إحضار عائلته، وعليهم أن يفترقوا لبعض الوقت. عندما رجع يوسب إلى منزله متحمّساً بشأن هذه الفرصة، كانت كيونغي وسونجا تحملان أيضاً أخباراً تخصّهما. كل هذا من تدبير هانسو، لكن لم يكن باستطاعة سونجا أن تقول شيئاً.

أخذ كيم المرأتين والولدين إلى المزرعة عند غروب الشمس. في الصباح التالي، استقال يوسب من عمله، ووضّبَ حقيبةً واحدةً وأقفلَ المنزل. وتوجّه إلى ناغازاكي عصر اليوم نفسه، متذكراً المرّةَ التي رحل فيها من بيونغ يانغ إلى أوساكا؛ كانت تلك المرّة الأخيرة التي يسافر فيها بمفرده.

لم يبدأ القصف إلاّ بعد مرور بضعة أشهرٍ، لكنه استمر طوال الصيف. أخطأ هانسو بتقدير الوقت لكنه كان محقاً بأنّ الحيّ سيستحيل رماداً.

المزارع تاماغوتشي؛ الذي يبلغ من العمر ثمانية وخمسين عاماً ويهتم بزراعة البطاطا الحلوة، لم يمانع في الحصول على بعض الأيدي العاملة الإضافية. فلم يكن هناك رجال أقوياء لاستبدال عمّاله الذين جنّدوا منذ سنواتٍ عديدة. قتل العديد منهم في منشوريا، وأصيب عاملان بإصابات خطيرة خلال الحرب، وهناك بعض المعلومات تفيد أن الآخرين أرسلوا إلى سنغافورة والفيليبين. يعاني تاماغوتشي كل صباحٍ عندما ينهض من فراشه من آلامٍ متعددة بسبب العمر، لكنه

شعرَ بالارتياح لكونه كبيراً في السن، فلن يضطر إلى القتال في هذه الحرب الغبية. قلّة الرجال حدت من طموحاته خاصة مع تزايد الطلب على البطاطا. وبعد أن تذوّق طعم الثروة، كان مستعداً لفعل أيّ شيءٍ لاستغلال هذه المحنة الوطنية من أجل الحصول على الذهب، حتى أنه أخفى بعض الكنوز في أماكن متفرّقة من المزرعة. يقلب تاماغوتشي الأرض في الليل والنهار، ويزرع شتلات البطاطا. لكن من الصعب جداً أن يفرغ أعمال المزرعة من دون وجود الرجال. ومن دونهم أيضاً، لا رجال للزواج من شقيقَتي زوجته اللتين اضطر إلى إيوائِهما، وهما فتاتا مدينة لا تنفعان لأي شيء غير أنهما تشتتان زوجته بكثرة الحديث والأمراض الوهمية. وتمنّى ألا يضطر إلى تحمّلهما أكثر من ذلك، ومن حسن الحظ أنّ والديّ زوجته قد توفيا.

يوظّف تاماغوتشي الرجال والنساء المسنّين من أهل القرية لإنجاز الأعمال الموسمية، لكنهم يشتكون دائماً من طبيعة العمل الصعبة؛ فهم يزرعون في طقس دافئ ويحصدون في طقس بارد. ولم يخطر في ذهنه من قبل أن يوظّف ويستقدم عمّالاً كوريين من المدينة إلى مزرعته في الوقت الذي رفضَ فيه توظيف اليابانيين الذين أتوا من المدينة بحثاً عن ملجأ لهم. ولكنه لا يستطيع رفض طلب هانسو.

رتّبَ المزارع وزوجته كيوكو الحظيرة بعد استلام برقية هانسو، لجعلها مناسبةً للعائلة الكورية الآتية من أوساكا. وأيقنَ تاماغوتشي بعد أيامٍ من وصولهم أنه هو من حصل على الجزء الأفضل من الصفقة. فقد زوّده هانسو بامرأتين قويتين تستطيعان الطبخ، والتنظيف والحراثة، وشاب قادر على الحفر ورفع الأشياء على الرغم من نظره الضعيف، وولدين ذكيين، ينجزان الأوامر بإتقانٍ. أكلَ الكوريون كثيراً لكنهم عملوا بجهدٍ، ولم يزعجوا أحداً أو يتذمّروا من شيءٍ أبداً.

منذ اليوم الأول كلّف المزارع نوا وموزاسو بمهمةِ إطعام ثلاث أبقار، وثمانية خنازير وثلاثين دجاجة. بالإضافة إلى حلب الأبقار، وجمع البيض، وتنظيف قن الدجاج.

تكلّم الولدان اليابانية بطلاقة، فاستطاع أخذهما معه إلى السوق لمساعدته في البيع؛ وكان الصبي الأكبر سناً ماهراً في عمليات الحساب، وخطّه أنيق كفاية

لاستلام دفتر الحسابات. أما المرأتان الكوريتان فتنفعان للأعمال داخل المنزل وخارجه. لم تكن المرأة النحيلة والمتزوجة شابةً لكنها فاتنة جداً، ولغتها اليابانية جيدة فأوكلت لها كيوكو مهمة الطبخ، والغسيل، وإصلاح الملابس. واعتنت المرأة القصيرة والأرملة بحديقة المطبخ بمهارةٍ وعملت مع الشاب في الحقول. اجتهدت المرأتان في العمل، وشعر تاماغوتشي بالارتياح للمرة الأولى خلال سنوات، حتى أنّ زوجته أصبحت أقل غضباً، ولم تعد توبّخه كما اعتادت أن تفعل.

بعد مرور أربعة أشهر، أتت شاحنة هانسو إلى المزرعة عند غروب الشمس. ترجّل هانسو منها وبرفقته امرأة كورية مسنّة، وأسرع تاماغوتشي لملاقاته. فمن النادر أن يأتي الرئيس بنفسه، فهو عادةً ما يرسل رجاله لأخذ المحاصيل من أجل بيعها في المدينة.

انحنى هانسو «سيّد تاماغوتشي» وبدورها انحنت المرأة التي كانت ترتدي ملابس تقليدية، وأمسكت في كلتا يديها رزماً مصنوعة من القماش. فانحنى تاماغوتشي وقال: «سيّد كوه» وابتسم للمرأة. ولاحظ وهو يقترب منهما أنّ المرأة ليست طاعنةً في السن كثيراً، وقد تكون أصغر منه في الحقيقة. ووجهها الأسمر نحيل وكأنها تعاني من سوء تغذية. قال هانسو: «هذه كيم يانغجين، والدة سونجا. أتت من بوسان في وقتٍ سابقٍ من اليوم».

«السيدة كيم يانغجين» لفظَ المزارع كل مقطعٍ من اسمها برويّة، وأدرك أن لديه ضيفاً جديداً. دقّق في وجهها بحثاً عن أيّ شبهٍ مع الأرملة الشابّة، ووجد القليل حول الفم والفك. تمتلك السيدة يدين قويتين مع أصابع ضخمة مثل يديّ رجل، وفكّر أنها ستصلح لتكون عاملةً جيدة. «والدة سونجا؟ هل هذا صحيح؟ أهلاً أهلاً». فقال لها مبتسماً.

بدت يانغجين خائفةً ومرهقةً، وعيناها كئيبتان. وسأل هانسو: «كيف حال الولدين؟ آمل أنهما لا يسببان لك أية مشكلةٍ».

«لا، إطلاقاً. إنهما عاملان ماهران وولدان ماهران». وعنى كلّ كلمةٍ قالها، فلم يتوقع أن يكون الولدان قادرين على إنجاز هذه الأعمال. وبما أن لا أطفال لديه، فقد توقّع أن يكون أطفال المدن مدللين وكسالى كأختي زوجته. واشتكى

المزارعون الأغنياء في القرية من أبنائهم المغفّلين، لذا لم يحسدهما تاماغوتشي وزوجته كثيراً. وبالإضافة إلى أنّه ليس لديه أدنى فكرة عن طبيعة الكوريين. وبالرغم من أنه ليس رجلاً متعصّباً إلا أن الشخص الكوري الوحيد الذي يعرفه هو كوه هانسو. وقد بدأت علاقتهما غير الاعتيادية بسبب الحرب، حيث باعت عدّة مزارع كبيرة محاصيلها في السوق السوداء بمساعدة هانسو وشبكته الخاصة بالتوزيع. لكن لا يتحدث أحد بهذا الأمر بالرغم من كونه سرّاً مكشوفاً. تحكّم كلّ من الأجانب وياكوزا بالسوق وكان هناك عقوبات خطيرة على بيع المحاصيل لهم. لذلك فإنه شرف له أن يساعد هانسو؛ فالخدمات تخلق الالتزامات، وصممَ المزارع على القيامِ بأيّ شيء من أجله.

«سيّد كوه، أرجوك أن تدخل لشرب القليل من الشاي، لا بدّ أنك تشعر بالعطش، فالطقس حار جداً اليوم. دخلَ تاماغوتشي وقدّم الأحذية المخصصة للمنزل لضيفيه قبل أن يخلع حذاءه. كان داخل المنزل بارداً بشكلٍ لطيف بسبب أشجار الحور القوية والمتينة التي تظلله. ورحّبت رائحة العشب الطازج المنبعثة من حصائر التاتامي بالضيوف. في الغرفة الرئيسية المكسوّة بخشب السيدار، جلست زوجته كيوكو على وسادةٍ حريريةٍ زرقاء مخصصة للأرض، تخيط قميصاً لزوجها. أما أختاها فاستلقتا على بطنيهما شابكتين كواحلهما، تقلّبان في مجلةٍ قديمةٍ حفِظتاها من كثرة قراءتها. بدت النساء الثلاث وكأنهن لا ينتمين إلى المزرعة بسبب ملابسهن المرتبة والأنيقة، ولم تعانِ أي منهن حرماناً أو نقصاً بالرغم من قلّة توفر القماش.

ارتدت كيوكو ثوباً قطنياً يابانياً أنيقاً، مناسباً أكثر لزوجة تاجرٍ من طوكيو. وارتدت الأختان تنورتين زرقاوين وكنزتين قطنيتين كفتياتٍ جامعياتٍ في فيلمٍ أمريكي.

عندما رفعت الفتاتان رأسيهما لتريا من دخل، كشف شعرهما المقصوص بأناقة عن وجهين جميلين. لقد أحضرت الحرب العديد من الأشياء الثمينة إلى منزل تاماغوتشي؛ منها المخطوطات القيّمة، والأقمشة، وكثير من الأثواب اليابانية، والخزائن المدهونة، والحلي والأطباق. فسكّان المدن على استعدادٍ لمقايضة

أملاكهم مقابل دجاجةٍ أو كيسٍ من البطاطا. لكن بالرغم من كلّ ذلك اشتاقت الأختان إلى المدينة وإلى الأفلام الجديدة، وأسواق كانساي والأضواء التي لا تنطفئ. فقد سئمتا الحرب، والحقول الخضراء والحياة الريفية بشكل عام. وبالرغم من تأمين المسكن والطعام لهما إلاّ أنهما تحتقران رائحة زيت القناديل، وأصوات الحيوانات الصاخبة، وزوج شقيقتهما الريفي الأخرق الذي لا يتحدّث إلاّ عن الأسعار. أبادت القنابل الأمريكية كل دور السينما، والمتاجر الكبيرة ومتاجر الحلويات المحبوبة، لكن صور تلك الأماكن البرّاقة ظلّت محفورةً في ذاكرتهما، ما زاد من كرهِهما للمزرعة. ولطالما تذمرتا أمام أختهما الكبيرة والبسيطة والمضحّية بينهن، والتي سخرتا منها مرةً لزواجها من قريبها الريفي؛ الذي يحضّر في الوقت الحالي الذهب والأثواب اليابانية من أجل زواجهما.

أصدر تاماغوتشي أصواتاً لجذب انتباههما، فاستقامتا في جلستهما وأومأتا لهانسو، وحدّقتا إلى حافة تنورة المرأة المتسخة عاجزتين عن إخفاء ملامح وجهيهما. انحنت يانغجين للنساء، وظلّت بالقرب من الباب لأنها لم تتوقع أن تتم دعوتها للدخول وكانت على حق. واستطاعت من مكانها أن ترى القليل من ظهر امرأةٍ تعمل في المطبخ، لكنها لم تبدُ كسونجا. انتبه هانسو للمرأة أيضاً فسأل زوجة تاماغوتشي: «هل هذه السيدة سونجا التي في المطبخ؟».

بالرغم من أنّ الرجل بدا معتداً بنفسه كثيراً، إلاّ أنّ كيوكو أيقنت أنّ زوجها يحتاج إليه الآن أكثر من السابق. فانحنت له مجدداً وقالت: «أهلاً بك سيد كوه، سعدت برؤيتك» فوقفت ورمقت أختيها بنظرةٍ مؤنبة كفيلةٍ بجعلهما تقفان وتنحنيان للضيف. «السيدة كيونغي هي التي في المطبخ، أما السيدة سونجا فتعمل في الحقول. تفضّل بالجلوس، سوف نحضر لك شيئاً بارداً لتشربه». والتفتت إلى أختها الصغرى أومي تشان، فاتجهت الأخت إلى المطبخ لإحضار الشاي البارد. أومأ هانسو برأسه محاولاً إخفاء غضبه، فلم يتوقع أن تعمل سونجا في الخارج، وأحسّت كيوكو باستيائه.

«بالتأكيد ترغبين برؤية ابنتك يا سيدتي، من فضلك رافقي ضيفتنا إلى مكان ابنتها يا تاكو تشان».

أطاعت الأخت الوسطى تاكو أوامر أختها فلم يكن لديها خيار آخر، فلا فائدة من تحدّي كيوكو التي قد تعاقبها بعدم التحدث إليها لأيامٍ. أخبر هانسو يانغجين باللغة الكورية أن تتبع الفتاة التي ستأخذها إلى سونجا. وبينما انتعلت تاكو حذاءها في الردهة المكسوّة بالحجارة، استنشقت القليل من رائحة المرأة الكريهة والتي تفاقمت بسبب السفر ليومين متواصلين. ففكرت الفتاة بمدى قذارة المرأة، ومشت أمامها بسرعةٍ محافظة على مسافةٍ بينهما بقدر الإمكان.

سكبت كيوكو الشاي، ثم غادرت لتسمح للرجلين بالتحدّث على انفرادٍ في غرفة الجلوس. استفسر هانسو من المزارع عن أخبار الحرب.

«أوشكت أن تضع أوزارها. فالألمان يهزمون والأمريكيون دخلوا الحرب للتو، إنها مسألة وقت قبل أن تعلن اليابان هزيمتها في الحرب». قال هانسو من دون ذرّة ندمٍ أو سعادة: «من الأفضل إيقاف هذا الجنون بسرعة قبل أن يقتل المزيد من الشبان، ألا تعتقد ذلك؟».

«نعم، نعم. هذه حقيقة الأمر، أليس كذلك؟» همس تاماغوتشي بحزنٍ. فهو يرغب أن تنتصر اليابان ولا شك أنّ هانسو يعرف هذا الأمر. ولكن لم تكن لدى المزارع رغبةٌ في أن تنتهي الحرب بعد. فهناك بعض الأقوال المنتشرة عن تخمير البطاطا الحلوة وتحويلها إلى وقودٍ للطائرات، فتوقّع المزارع أن ترتفع الأسعار كثيراً في السوق السوداء إذا تحقق هذا الأمر حتى لو لم تدفع الحكومة شيئاً مقابله، والمدن بأمسّ الحاجة للطعام والكحول. وقد يتمكن تاماغوتشي من جمع ما يكفي من الذهب من خلال حصادٍ أو اثنين، لشراء قطعتي الأرض الواسعتين المجاورتين لأنّ مالكهما يتقدّم في السن ولم تعد لديه رغبة في العمل. لقد كانت لجد تاماغوتشي أمنية بتملك الجهة الجنوبية من المنطقة بأكملها وجعلها قطعة أرض واحدة، وهو يسعى الآن لتحقيق أمنية جده.

فقاطع هانسو أحلام يقظته.

«كيف وجدتهم؟».

أومأ تاماغوتشي موافقاً: «إنهم يساعدونني كثيراً. أتمنى لو أنني لا أجعلهم يعملون بهذه الأعمال لكن كما تعرف، ينقصني الرجال..».

فطمأنه هانسو: «لقد توقعوا أن يعملوا» وهو مدرك أنّ المزارع يجني كثيراً من الأموال من عملهم مقابل المسكن والطعام، لكن هذا الأمر لا يزعجه ما دامت سونجا وعائلتها تعامل بطريقةٍ جيدة.

فسأله تاماغوتشي: «هل يمكنك أن تبقى الليلة هنا؟ فلقد تأخر الوقت على السفر، وعليك أن تتناول العشاء معنا فإنّ كيونغي طبّاخة ماهرة».

لم تضطر تاكو لمرافقة المرأة طويلاً، فعندما لاحظت يانغجين ابنتها منحنية في هذا الحقل الشاسع، أمسكت بطرف تنورتها ولفّتها حول جسدها لتستطيع الركض أسرع. سونجا ذات الكتفين الرقيقتين، والشعر الرمادي المرفوع وربطة كنزتها المعقودة بعناية، سمعت خطواتٍ سريعة تتجه نحوها، فرفعت نظرها ورأت امرأة ترتدي فستاناً كورياً أبيض اللون مائلاً إلى الصفار تركض نحوها، فأوقعت سونجا مجرفتها. أمي! كيف يمكن؟ داست سونجا على شتلات البطاطا للوصول إليها.

«آه يا ابنتي، ابنتي».

ضمّتها سونجا بشدّة، وشعرت بعظمة ترقوة والدتها فقد أصبحت نحيلةً للغاية.

أنهى هانسو العشاء بسرعةٍ، واتجه إلى الحظيرة للتكلم مع الآخرين. لم يرغب في شيءٍ آخر غير أن يجلس معهم، وفضّل لو أنه تناول الطعام مع سونجا وعائلتها، لكنه لم يرد أن يشعر تاماغوتشي بالإهانة. لم يفكّر خلال العشاء إلاّ فيها وفي الصبي وكيف أنهما لم يتشاركا وجبةً من قبل. فمن الصعب أن يفسّر، حتى لنفسه، هذه اللهفة التي يشعر بها ليكون معهما. عندما وصل هانسو إلى الحظيرة أيقن أنّ كيونغي قد أعدّت عشاءين مختلفين؛ واحداً يابانياً لعائلة تاماغوتشي وآخر كورياً للآخرين. تناول الكوريون طعامهم في الحظيرة على طاولةٍ منخفضة مكسوة بغطاء، صنعها كيم من بعض الدعائم المتبقية، وكانت سونجا قد أنهت للتو غسيل الأطباق. فدخل الرجل والتفتت أنظار الجميع إليه.

كانت أصوات الحيوانات مسموعةً بالرغم من أنها أكثر هدوءاً في المساء، والروائح قوية عمّا يتذكر لكنه يعلم أنه سيعتاد عليها بعد وقتٍ قصير. وضعت

الحيوانات في مكانٍ قريبٍ من الجهة الأمامية، بينما تم إيواء الكوريين في القسم الخلفي مع أكوامٍ من القش تفصل بينهما. لقد بنى كيم حاجزاً خشبياً يفصل بين مكان نومه والولدين ومكان نوم المرأتين.

نهضت يانغجين التي كانت جالسةً على الأرض بين حفيديها وانحنت له. لقد شكرته كثيراً في طريقهما إلى المزرعة. والآن بعد أن التم شملها مع عائلتها، صاحت كما تفعل امرأة كورية مسنّة، واستمرت في شكره بينما تتشبث بحفيديها الخجولَين. ظلّت كيونغي في مطبخ منزل المزرعة تغسل الصحون، وعندما تنتهي ستعدّ غرفة الضيوف من أجل هانسو. أما كيم فكان في الكوخ خلف الحظيرة الذي يستخدم للاستحمام، مشغولاً بتسخين المياه من أجل اغتسال الجميع. تولّى كل من كيونغي وكيم أعمال سونجا لذلك المساء حتى تستطيع قضاء بعض الوقت مع والدتها. ولم يشك أحد في الأسباب التي جعلت هانسو يتكبد عناء إحضار يانغجين من كوريا. راقبته سونجا بينما بكت والدتها، عاجزةً عن فهم هذا الرجل الذي لم يرحل عن حياتها قط.

جلس على كومةٍ سميكةٍ من القش مواجهاً الولدين.

«هل أكلتما بما يكفي؟» سأل هانسو باللغة الكورية. فرفعا رأسيهما مندهشين لتكلمه الكورية بطلاقة. فقد اعتقدا أنه ياباني، لأنه يرتدي ملابس أنيقة ويعامله السيد تاماغوتشي باحترام.

قال هانسو وهو ينظر إلى وجه الصبي بإمعان: «أنت نوا وتبلغ من العمر اثنا عشر عاماً».

فردّ نوا: «نعم يا سيدي».

بدا الرجل كقاضٍ أو كشخصيةٍ مهمةٍ في إعلان فيلم بسبب ملابسه الجميلة وحذائه الجلدي.

«كيف وجدت العيش في المزرعة؟».

«جيد يا سيدي».

قاطع موزاسو الحديث، وهو شيء يفعله من باب العادة كلّما تكلّم أخوه «عمري ستة أعوامٍ تقريباً. نأكل الكثير من الأرز هنا، أستطيع أن أتناول أطباقاً

وأطباقاً منه. وأخبرني السيد تاماغوتشي أنه يجب أن آكل جيداً لأنمو وأن آكل الأرز بدلاً من البطاطا. هل تحب الأرز يا سيدي؟» سأل الطفل هانسو «أنا ونوا سنستحمّ الليلة. لم نستطع في أوساكا الاستحمام كثيراً لأنّ الوقود لم يكن متوفراً من أجل تسخين المياه. إنني أحب الاستحمام هنا أكثر لأنّ الحوض أصغر من ذلك الموجود في الحمام العام. هل تحب الاستحمام؟ الماء ساخن جداً، لكنك تعتاد عليه بعد فترةٍ. وعندما أبقى في الماء فترةً طويلة، فإن أصابعي تغدو مجعدة كأصابع رجلٍ عجوز» وفتح عينيه بشدّة «لكن وجهي لا يتجعّد لأنني صغير».

ضحك هانسو، بدا الصبي الصغير يتصرف على سجيته بعيداً عن تصرفات أخيه الرسمية. «من الجيد معرفة أنك تأكل جيداً هنا، أنا مسرور. وأخبرني السيد تاماغوتشي أنكما عاملان رائعان».

فردّ موزاسو: «شكراً يا سيدي». وأراد أن يطرح المزيد من الأسئلة على الرجل، لكنه أوقف نفسه بعد أن خاطب الرجل أخاه.

«ما هي مهامك يا نوا؟».

«نحن ننظف الحجرات الصغيرة هنا، نطعم الحيوانات ونعتني بالدجاج. وأحتفظ بسجلٍ للحسابات عندما نذهب إلى السوق من أجل السيد تاماغوتشي».

«هل تشتاق إلى المدرسة؟».

لم يجب نوا. لقد افتقد لحلّ المسائل الرياضية والكتابة باليابانية، وافتقدَ الهدوء الذي يرافق واجباته المدرسية؛ فلم يكن أحد يزعجه أثناء حلّ واجباته. أما في المزرعة، فلم يكن هناك وقت للقراءة ولا يملك أيّ كتبٍ تخصّه.

«لقد علمت أنك طالب مجتهد جداً».

«لم نداوم كثيراً في المدرسة السنة الماضية».

تم إلغاء الكثير من المدارس في موطنه، ولم يحب نوا تمارين الحرب وتدريبات الغارات الجوية التي لا فائدة منها على عكس الأولاد الآخرين. وبالرغم من أنه لم يرغب بالابتعاد عن عمه، فلقد شعر بالمزرعة بالأمان الذي افتقده في المدينة. لم يسمع أبداً أصوات طائراتٍ هنا ولم يكن هناك كثير من تدريبات الملاجئ في حال القصف. كان الطعام وفيراً وشهياً؛ فقد تناولوا البيض يومياً

وشربوا الحليب الطازج. ونامَ نوا بعمقٍ واستيقظَ وهو يشعر بنشاطٍ وحيوية.

سأله هانسو: «أفترض أنك ستعود إلى المدرسة عند انتهاء الحرب، هل تتمنى ذلك؟».

أومأ نوا.

تساءلت سونجا كيف سيدبّرون أمورهم وقتها. فقد خططت للذهاب إلى يونغدو بعد أن تنتهي الحرب، لكن والدتها أخبرتها أنه لم يبق شيء هناك. باع المالك البيت الذي سكنوه والذي يأوي المسافرين إلى عائلةٍ يابانية بعد أن فرضت الحكومة الضرائب عليه. وذهبت الخادمات إلى منشوريا من أجل وظائف في المصانع، ولم يسمعوا أخباراً عنهن بعد ذلك. عملت يانغجين مدبرة منزل في بوسان لصالح تاجرٍ ياباني وكانت تنام في المخزن، عندما وجدها هانسو.

أخرج هانسو من جيب معطفه قصّتان مصورتان «خذ».

فأخذهما نوا بكلتا يديه كما علّمته والدته. وهما مكتوبتان باللغة الكورية.

«شكراً يا سيدي».

«هل تستطيع قراءة الكورية؟».

«لا، يا سيدي».

فقال هانسو: «تستطيع التعلّم».

«يمكن للعمة كيونغي أن تساعدنا في القراءة» قال موزاسو «عمي ليس هنا، لذلك بإمكاننا أن نفاجئه عندما نراه في المرّة المقبلة».

قال هانسو: «يجب أن تتعلما قراءة اللغة الكورية، فقد تعودان إلى هناك يوماً ما».

«نعم يا سيدي» ردّ نوا وتخيّل كيف ستكون كوريا مكاناً مسالماً، مكاناً يكون فيه على طبيعته. وأخبره والده عن جمال مدينة بيونغ يانغ التي نشأ فيها، وعن قرية والدته يونغدو؛ وهي جزيرة هادئة حيث الأسماك الوفيرة في مياهها الزرقاء والخضراء.

سأله نوا «من أين أنت يا سيدي؟».

«أنا من جيجو، قريبة من بوسان؛ منطقة نشأة والدتك. وهي جزيرة بركانية،

تحتوي على البرتقال، وسكّانها هم أحفاد الآلهة» غمزهما هانسو «سآخذكما إلى هناك في يوم من الأيام».

فصرخ موزاسو: «لا أريد العيش في كوريا، أرغب في البقاء في المزرعة».

فربتت سونجا على ظهره.

«يجب أن نعيش هنا إلى الأبد يا أمي. سيأتي عمي قريباً، أليس كذلك؟».

دخلت كيونغي حينها بعد أن أنجزت عملها، فركض موزاسو إليها حاملاً القصتين المصورتين. «هلاّ تقرأين هذا لي؟».

فأومأت كيونغي برأسها، وأرشدها الولد إلى كومةٍ من الفرشات التي استعملوها كمقاعد للجلوس.

«تعالَ يا نوا، سأقرأ لكما القصتين».

انحنى الصبي لهانسو بسرعةٍ وانضمّ إليهما، ولحقت يانغجين بنوا تاركةً ابنتها عند الطاولة. عندما حاولت سونجا الوقوف، أشار لها هانسو بأن تجلس.

بدا جادّاً في كلامه: «ابقي، ابقي قليلاً، أرغب في معرفة أحوالك».

قالت له: «أنا بخير، شكراً» ارتجف صوتها «شكراً لإحضارك والدتي إلى هنا». وبالرغم من أنها ترغب في قول المزيد لكنه كان أمراً صعباً.

«أردتِ أن تعرفي بعض الأخبار عنها، فاعتقدت أنه من الأفضل أن أحضرها لك. بالرغم من أن الوضع سيئ في اليابان هذه الأيام، لكنه أكثر سوءاً في كوريا. قد تتحسن الأمور بعد أن تضع الحرب أوزارها، لكنها ستسوء قبل أن تستقر».

«ما الذي تعنيه؟».

«لا نعلم ما سيفعله اليابانيون عندما ينتصر الأمريكيون. ومن سيتحمّل مسؤولية كوريا عندما ينسحبون منها؟ وماذا سيحلّ بالكوريين الذين أيّدوا اليابانيين؟ سيكون هنالك فوضى تؤدي إلى إراقة المزيد من الدماء. ولا ترغبين في أن تكونوا قريبين من الأمر عندما يحدث ذلك».

سألته «ما الذي ستفعله؟».

فنظر إليها: «سأعتني بقومي وبنفسي. هل تعتقدين أنني أطمأن على حياتي بين أيدي مجموعة من السياسيين؟ فالأشخاص المسؤولون لا يعرفون شيئاً، والذين

يعرفون لا يهتمّون بشيء».

فكّرت سونجا في كلامه. قد يكون هذا الأمر صحيحاً، لكن لمَ عليها أن تثق به؟ حاولت أن تنهض عن الأرض، فهزّ هانسو رأسه.

«هل التكلّم معي يزعجك إلى هذا الحدّ؟ أرجوكِ أن تجلسي».

فجلست سونجا «يجب أن تفهم أنّ عليّ أن أرعى ولديّ».

حدّق الولدان بإمعانٍ إلى صفحات القصّة المصوّرة، بينما قرأت لهما كيونغي السطور بإحساسٍ وحتى يانغجين التي لا تستطيع القراءة، وجدت نفسها تضحك معهم على الأشياء المضحكة التي تقولها الشخصيات. واستحوذت القصّة عليهما، فبدا وجهاهما أنعم بطريقةٍ ما وكأنهما أكثر هدوءاً.

قال هانسو: «سأساعدكِ، لا تقلقي بشأن المال أو..».

«ليس لدي خيار آخر إلاّ أن أسمح لك بمساعدتنا الآن. لكن عند انتهاء الحرب، سأعمل من أجل رعايتهما. وأنا أعمل الآن مقابل ما نحتاجه..».

«أستطيع أن أجد لك منزلاً وأعطيك المال للاعتناء بالولدين. يجب أن يذهبا إلى المدرسة، لا أن ينظفا روث الأبقار. تستطيع والدتك وكيونغي البقاء أيضاً وبإمكاني تأمين وظيفةٍ جيدة لسلفك».

فقالت سونجا: «ماذا أقول لعائلتي عنك» شعرت وكأنها تكذب عليهم طوال الوقت. وتساءلت بماذا يفكّر؟ فهو بالتأكيد لا يرغب فيها بعد الآن؛ أرملة في التاسعة والعشرين من العمر ولديها ولدان صغيران، عليها إطعامهما وتعليمهما. لم تكن سونجا عجوزاً لكنها لا تعتقد أنّ رجلاً قد يرغب فيها. فإذا لم تكن جميلة من قبل، فهي بالتأكيد ليست جذابةً الآن. فهي امرأة بسيطة ريفية الوجه ببشرة مبقعة ومجعدة بفعل التعرض لأشعة الشمس، وأصبح جسدها أكثر امتلاءً عما كان عليه سابقاً. لقد رغب فيها رجلان فقط في حياتها، ومن الصعب تخيّل حدوث هذا الشيء مجدداً. تشعر أحياناً كأنها حيوان مزرعة صالح للاستخدام، وأنها في يومٍ من الأيام ستصبح عديمة الفائدة. لكن من المهم أن تتأكد قبل أن يأتي ذلك اليوم من أنّ ولديها سيكونان بخير عندما تحين ساعة موتها.

«هل لديك أطفال؟».

«ثلاث فتيات».

فهمست: «وماذا سيقلن عني؟ عنّا؟».

«لا علاقة لعائلتي بك».

«لقد فهمت» ازدردت سونجا لعابها وأحسّت بجفاف فمها: «أنا ممتنة لك على هذه الفرصة؛ أن نعمل ونكون بأمان. لكني سأبحث عن وظيفة أخرى بعد الحرب وأرعى ولديّ ووالدتي وسأتحمل أعباء هذه الرعاية حتى الرمق الأخير».

نهضت سونجا ومسحت القش عن سروالها، أدارت ظهرها عاجزةً عن التنفس بصورةٍ طبيعية، وحدّقت إلى أعين الثيران الداكنة والضخمة والممتلئة بآلامٍ لا تنتهي. هل انتبه لهما الآخرون وهما يتحدثان؟ لكنهم بدوا مستغرقين في القصّة المصورة. وضعت سونجا يدها اليمنى فوق الأخرى؛ لأنّ أظافرها بدت بنية اللون من العمل في الحقول بالرغم من اغتسالها.

8

لم يخطئ هانسو للمرة الثانية، فقد انتهت الحرب فعلاً بأسرع مما يتوقع، لكن حتى هو لم يتخيّل حجم القصف الأخير. احتمى يوسب في غرفةٍ محصّنةٍ تحت الأرض، وعندما خرج إلى الشارع، انهار عليه حائط مشتعل من كوخٍ خشبي قريب أتت النيران على جزئه الأيمن. ساعده شخص يعرفه من المصنع في إخماد النار، وأخيراً وجده رجال هانسو في مستشفى في ناغازاكي.

كانت ليلةً هادئةً تسطع بالنجوم بعد موسمٍ طويل من أزيز الحشرات، عندما نقلَ هانسو يوسب إلى المزرعة على متن شاحنةٍ أمريكية تابعة للجيش. لاحظ موزاسو أولاً الشاحنة، فاتجه الصبي الصغير بسرعةٍ إلى حظيرة الخنازير لإحضار رماح الخيزران. ووقفت العائلة عند باب الحظيرة المفتوح جزئياً لمراقبة الشاحنة التي تقترب.

قال موزاسو: «خذوا» وهو يسلّم الرماح إلى والدته، وجدته، وأخيه، وزوجة عمه واحتفظ باثنين منها. وهمسَ لأخيه «عليك أن تحضر الرجل من الحمام وتعطيه سلاحه» وسلّم واحداً لنوا ليعطيه لكيم عندما يخرج من الحمام.

عندها ذكّر نوا أخاه: «الحرب انتهت، وعلى الأرجح أن يكون هؤلاء رجال السيد هانسو. ضع هذا الشيء أرضاً قبل أن تجرح نفسك». عندما توقفت الشاحنة أخرج رجلان كوريان يعملان لدى هانسو حمالةً تحمل يوسب المضمّد والمخدّر بشدةٍ. فسقط الرمح من يد كيونغي على الأرض، وأسندت نفسها على كتف موزاسو.

ترجّل هانسو من الشاحنة بينما بقي السائق فيها؛ وهو أحد الجنود الأميركيين. استرق موزاسو النظر إلى الجندي ذي البشرة الفاتحة والمنمشة والشعر الأحمر الباهتٍ الذي يميل إلى الاصفرار كألوان النار. لم يبد السيد هانسو خائفاً منه ولم يبد الرجل لئيماً.

عندما كانوا في أوساكا، حذّر السيد هارو؛ وهو رئيس اتحاد الحي والمسؤول أحياناً عن توزيع المؤن، الأطفال من أنّ الأمريكيين يقتلون من دون تمييز، لذا يجب الهرب عند رؤية أيّ منهم، وأخبرهم أن الموت انتحاراً خير من الوقوع في الأسر. لوّح السائق لموزاسو عندما لاحظ أنه ينظر إليه وابتسم له ابتسامةً عريضة.

بتؤدة اقتربت كيونغي من الحمّالة وعندما رأت حروق يوسب، أطبقت بيديها على فمها. فقد آمنت أنّ يوسب على قيد الحياة، بالرغم من تقارير الأخبار المروّعة بخصوص القصف، وأنه لن يموت دون إعلامها. صلّت له باستمرارٍ، وها هو الآن يعود إلى المنزل. انهارت على ركبتيها وحنت رأسها، فعمّ الصمت إلى حين نهضت مجدداً. حتى أنّ كيم كان يبكي.

أومأ هانسو للمرأة الهزيلة والمنتحبة، وسلّمها حزمةً كبيرةً مغلّفةً بالورق ومرهماً للحروق من أمريكا.

«ستجدين بعض الأدوية في الحزمة. امزجي مقدار ملعقة صغيرة من المسحوق مع الماء أو الحليب ليشربه حتى يستطيع النوم في الليل. لا يوجد المزيد منه، لذلك عليكِ أن تخففي جرعة الدواء شيئاً فشيئاً. سيتوسل للحصول على المزيد لكن أخبريه أنك تحاولين جعله يدوم لفترةٍ أطول».

فسألت: «ما هو؟» بينما وقفت سونجا بجانبها ولم تتفوه بشيء.

«إنه مسكّن للألم، لكن يجب أن لا يستمر في أخذه فهو يسبب الإدمان. غيّري الضمادات باستمرار، واغلي القماش قبل الاستعمال فيجب أن يكون معقّماً. ستجدين المزيد منه داخل الحزمة، ويجب دهن الجلد بمرهم. هل تستطيعين القيام بذلك؟».

أومأت برأسها وهي تحدّق إلى زوجها. اختفى جزء كبير تقريباً من فمه وخدّه وكأنّ حيواناً التهمه. لقد حصل ذلك لأنه ذهب إلى العمل، فهو رجل يفعل كل ما باستطاعته من أجل عائلته.

«أشكرك يا سيدي، أشكرك على كل شيءٍ تفعله من أجلنا».

فهزّ رأسه من دون أن يتفوه بشيءٍ، ثم اتجه إلى منزل المزارع للتكلّم معه ولحق به كيم.

أرشدت النساء والولدان الرجال الذين يمسكون بالحمّالة إلى الحظيرة، وأفسحوا مجالاً لوضع يوسب داخل حجرةٍ فارغةٍ للأحصنة، ونقلت كيونغي فِراشها إلى هناك. بعد وقتٍ قصير غادرَ هانسو ورجاله من دون أن يودعوهم.

لم يتذمر المزارع لوجود كوريّ آخر في مزرعته؛ فالآخرون ينجزون مهامهم على أكمل وجهٍ بالإضافة إلى حصّة يوسب من الأعمال. وهو بحاجةٍ إليهم لأنّ موسم الحصاد قد اقترب. شعر تاماغوتشي بالرغم من أن أحداً لم يتطرق للأمر، أنهم سيطلبون منه المال قريباً ليغادروا، وصمم المزارع على الاستفادة منهم بقدر الإمكان قبل أن يرحلوا إلى وطنهم. أخبرهم أنه يرحّب بهم للبقاء لأطول فترةٍ يرغبون فيها، وقد عنى كلّ كلمةٍ قالها. وظف تاماغوتشي الجنود السابقين لإنجاز المهام الصغيرة، لكنهم اشتكوا من الأعمال القذرة، ورفضوا علناً العمل إلى جانب الأجانب. وحتى لو استطاع أن يستبدل الكوريين بجنودٍ يابانيين فهو بحاجة إلى مساعدة هانسو في نقل محاصيله إلى الأسواق. لذلك، بإمكان الكوريين جميعهم البقاء في مزرعته.

استمرت شاحنة النقل بالمجيء، لكن هانسو لم يظهر إلاّ بعد أسابيع. عانى يوسب كثيراً، فلم يعد يسمع في أذنه اليمنى، ويصرخ من شدة الغضب أو يبكي من شدة الألم، ولم يتحسن كثيراً حتى بعد انتهاء الدواء. بكى كطفلٍ صغيرٍ كل ليلةٍ، ولم يكن باستطاعة أحد أن يفعل شيئاً. وفي النهار حاول أن يساعد في بعض الأعمال كتصليح الأدوات أو توضيب البطاطا لكن شدّة الألم منعته. أعطى تاماغوتشي الذي يكره الكحول القليل منه ليوسب بين الحين والآخر من باب الشفقة، وعندما أصبحت كيونغي تتوسل له كلّ يومٍ للحصول على المزيد، أخبرها أنه لن يعطيها أكثر، ليس لأنه بخيل فهو لم يكن كذلك أبداً، بل لأنه لا يرغب في وجود رجلٍ ثملٍ في أرضه.

بعد شهر عاد هانسو، وكان ضوء الشمس خافتاً في عصر ذلك اليوم، وقد عادَ العمّال إلى الحقول لإكمال نوبة عملهم الثانية بعد أن أنهوا تناول وجبة منتصف النهار. استلقى يوسب وحيداً على فراشه المحشوّ بالقش داخل الحظيرة الباردة. ورفع رأسه عند سماعه صوت خطواتٍ ثم أخفضه مجدداً على الوسادة المصنوعة

من القش. وضعَ هانسو أمامه صندوقين كبيرين، وجلس بالقرب منه على لوحٍ سميكٍ من الخشب يستخدم كمقعدٍ. وبالرغم من ملابسه الأنيقة وحذائه الجلدي اللامع، بدا هانسو مرتاحاً في الحظيرة، غير مكترثٍ لروائح الحيوانات المزعجة وتيّارات الهواء الباردة.

سأله يوسب: «أنت والد الصبي، ألست كذلك؟».

راقب هانسو وجه يوسب المشوّه وحوّاف فكّه الخشنة. لقد أصبحت أذنه اليمنى أشبه ببرعمٍ صغيرٍ منطوٍ على نفسه.

وأكمل «لهذا السبب أنت تقوم بكلّ هذه الأشياء».

ردّ هانسو: «نوا هو ابني».

«نحن ندين لك، وقد لا نتمكن من وفاء هذا الدين مطلقاً».

رفع هانسو حاجبيه دون أن يقول شيئاً، فقلّة الكلام هي دائماً الأنسب في مواقف كهذه.

«لكن لا يجدر بك أن تكون بالقرب منه. لقد أعطاه أخي اسماً ولا ينبغي أن يعرف أباً سواه».

«أستطيع أن أمنحه اسماً أيضاً».

«لديه اسم. وليس من الصواب أن تفعل هذا بالصبي».

عبسَ يوسب، وكانت أقلّ حركةٍ تؤلمه. يتحلى نوا بالكثير من سلوكيات أيزاك؛ من طريقة كلامه المتناغمة إلى الطريقة التي يتناول فيها طعامه بعناية، فهو يتصرف مثله تماماً. وعندما يكون لدى نوا وقت إضافي، يأخذ كتبه القديمة من المدرسة للتدرّب على الكتابة، بالرغم من أن أحداً لم يطلب منه ذلك. لو لم يكن الجزء العلوي من وجه نوا نسخةً طبق الأصل عن وجه هانسو، لم يكن ليصدّق يوسب أنّ فرد العصابة هذا هو والد نوا الحقيقي، قد يلاحظ نوا هذا الشبه مع مرور الوقت. لم يذكر يوسب هذا الأمر لكيونغي، لكن حتى لو خمّنته بنفسها فلن تخبره، من أجل حماية سونجا التي تعتبرها بمثابة أخت لها.

سأله يوسب مخمناً: «ليس لديك ولد».

«لقد كان أخوك طيباً حين ساعدها، وإن هو لم يفعل فأنا الذي كنت سأرعاها هي وابني».

«يبدو أنها لم ترغب بذلك».

«لقد عرضت أن أعتني بها، لكنها لم ترغب في أن تصبح زوجتي في كوريا؛ لأني متزوج من امرأةٍ يابانية في أوساكا».

استلقى يوسب على ظهره وحدّق إلى سقف الحظيرة. تسلل الضوء عبر العوارض الخشبية، وعامت أعمدة من الغبار في الهواء في خطوطٍ مائلةٍ. لم ينتبه قبل حدوث الحريق لأيّ من هذه الأشياء الصغيرة، ولم يكره أحداً من قبل أيضاً. لكنه كره هذا الرجل بالرغم من أنه لا يجدر به ذلك، كره ثيابه الباهظة، وأحذيته اللامعة، وثقته الكبيرة التي تفوح منها رائحة قوةٍ شيطانية، كرهه لأنه لم يكن يتألم، ولأنه لم يكن له حق بالمطالبة بابن شقيقه.

لاحظ هانسو غضب يوسب: «لقد أرادتني أن أرحل، لذلك فقد وافقت في بداية الأمر، لكني كنت مصمماً على العودة. وعندما عدت، وجدتها قد تزوجت من أخيك ورحلت».

لم يعرف يوسب ماذا يصدّق. فلم يخبره أخوه بالكثير عن سونجا، فقد اعتقد أيزاك أنّ أصول نوا من الأفضل أن تُنسى.

«يجب أن تترك نوا وشأنه، فهو صاحب عائلةً. وسنفعل كلّ ما باستطاعتنا بعد الحرب لنردّ لك دينك».

طوى هانسو ذراعيه: «أيها السافل! لقد دفعت. لقد دفعت من أجل حياتك وحياة الجميع. كنتم لتموتوا من دوني».

استدار يوسب قليلاً إلى جانبه وجفلَ من شدّة الألم، فقد شعر أحياناً وكأنه لا يزال يحترق.

فسأله هانسو: «هل أخبرتك سونجا بهذا؟».

«فقط انظر إلى وجه الصبي لتعرف. ليس من المنطقي أن يتحمل ما قمت به لأجلنا، أنا أعرف أنك لست قديساً من نوعٍ ما، أنا أعرف من تكون..».

فضحك هانسو بقوة، وكان ذلك من باب الاحترام نوعاً ما لصراحة يوسب.

فقال يوسب: «سنعود إلى الوطن» وأغمض عينيه.

«يسيطر الروس على بيونغ يانغ والأمريكيون على بوسان. أتريد العودة إلى هذا؟».

ردّ يوسب: «لن يستمر الوضع على ما هو عليه إلى الأبد».

«سوف تتضوّر جوعاً هناك». مكتبة

«لقد سئمت من اليابان».

«وكيف سترجع إلى هناك؟ فأنت لا تستطيع المشي لاجتياز المزرعة».

«تدين لي الشركة بأجوري. وسأذهب إلى ناغازاكي عندما أتحسن لتحصيلها».

«متى قرأت صحيفةً آخر مرة؟» أخرج هانسو رزمةً من الصحف الكورية واليابانية التي أحضرها لكيم ووضعها بجانب فِراش يوسب، فنظر إليها من دون أن يلتقط واحدة.

«ليس من مال لك في الشركة» تكلّم هانسو على مهلٍ وكأنه يخاطب طفلاً «لن تدفع لك الشركة شيئاً، وليس فيها سجلاّت تثبت أنك عملت هناك. ولا ترغب الحكومة في شيءٍ أكثر من أن يعود كلّ كوري فقيراً».

سأل يوسب: «ماذا تعني بكلامك؟ وكيف عرفت شيئاً كهذا؟».

«أنا أعرف. أنا أعرف اليابان» ردّ هانسو وبدا خائب الظن. لقد عاش في اليابان طويلاً، فوالد زوجته هو بلا شك أكثر الدائنين اليابانيين قوةً في كانساي. لذلك يستطيع هانسو أن يقول بكل ثقةٍ أنّ اليابانيين عنيدون لدرجةٍ مَرَضية عندما يريدون ذلك. وهم يشبهون الكوريين في هذا الجانب باستثناء أنّ عنادهم أكثر هدوءاً. «هل تعرف كم هو صعب أن تحصّل أموالك منهم؟ إذا لم يرغبوا في ذلك، فلن يدفعوا لك أبداً. أنت تهدر وقتك».

شعر يوسب بحكةٍ وحرارةٍ في جسده.

«ففي كل يومٍ يذهب فيه قارب محمّل بأغبياء يرغبون في العودة إلى وطنهم، يعود قاربان ممتلئان باللاجئين؛ بسبب عدم قدرتهم على كسب قوت عيشهم، والشباب الذين يخرجون من هناك يائسون أكثر منك لدرجةِ أنهم مستعدون للعمل مقابل خبزٍ يابس، وستزني النساء بعد يومين من الجوع، أو حتى بعد يومٍ واحدٍ

من أجل إطعام أطفالهن. أنتَ تعيش على حلمٍ وطنٍ لم يعد موجوداً بعد الآن».

«مازال والداي هناك».

«لا، لا. غير صحيح».

فالتفت يوسب للنظر إلى عينيه.

«لمَ باعتقادك أحضرت والدة سونجا فقط؟ هل تعتقد فعلاً أنني لم أستطع إيجاد والديك ووالدي زوجتك؟».

فقال يوسب: «أنت لا تعلم ما حدث لهم» لم يسمع هو أو كيونغي خبراً منهم منذ أكثر من عام.

«لقد قتلوا بالرصاص. فقد تم إطلاق النار على مالكي الأراضي الأغبياء الذين قرروا البقاء. فالشيوعيون ينظرون إلى الأشخاص على أنهم مقسّمون إلى فئات».

غطّى يوسب عينيه وبدأ البكاء.

اضطر هانسو إلى إخبار هذه الكذبة، لكنه لم يمانع في ذلك. وإذا لم يموتوا بعد، فسوف يموتون حتماً من التضور جوعاً أو بسبب كِبَرِ سنّهم، وهناك احتمال كبير بأنه قد تم إطلاق النار عليهم. إنّ الأحوال في الشمال المحتل من قِبل الشيوعية مروعة للغاية. وقد تم جمع العديد من مالكي الأراضي، وإعدامهم ودفنهم في مقابر جماعية. لم يكن هانسو متأكداً إذا كان والدا يوسب أحياءً أم لا. ولكنه يستطيع معرفة الحقيقة إذا لم يمانع المجازفة بحياة بعضٍ من رجاله من أجل العثور عليهم، لكنه لم يرَ أيّ فائدةٍ من ذلك أو كيف أنّ حياتهم قد تنفع لأيّ من أهدافه. لم يكن من الصعب العثور على والدة سونجا، فلم يتطلب الأمر أكثر من يومين. وفي سبيل سير مخططه، فإنّ من الأفضل أن يفقد يوسب وكيونغي والديهما، لأنّ سونجا قد تتبعهما إلى أي مكانٍ ومن غير تفكير. أيا يكن الأمر، سيكون من الأفضل أن يبقوا في اليابان في الوقت الحالي، فهانسو لن يسمح بذهاب ابنه إلى بيونغ يانغ أبداً.

أخرج هانسو من إحدى الرزم قارورةً من الكحول، فتحها وسلّمها ليوسب. وغادر الحظيرة للتكلّم مع تاماغوتشي بخصوص دفعةٍ من المال.

رجعت سونجا إلى الحظيرة بعد أن أنهت عملها، فوجدت هانسو ينتظرها

بالقرب من صناديق طعام الحيوانات في نهاية الحظيرة، بعيداً عن الولدين اللذين يقرآن.

نام يوسب بعمق، بينما كانت كيونغي ويانغجين تطهوان العشاء في المنزل، وكيم يعبئ أكياس البطاطا في الكوخ البارد. سلّم عليها هانسو ولوّح لها بشكل صريح لتتجه نحوه، فلم يعد يشعر بالحاجة للتكتم والتحفظ. وقفت سونجا في الجهة المقابلة له من المقعد.

«اجلسي. اجلسي» أصرّ عليها لكنها رفضت.

فقال بهدوءٍ وهو يبتسم: «قال لي تاماغوتشي أنه يرغب في تبنّي ولديكِ».

«ماذا؟!».

«أخبرته أنك لن تتخلي عنهما أبداً. فعرضَ أن يأخذ واحداً فقط. يا له من مسكين. لكن لا تقلقي، لا يمكنه أخذهما».

فقالت: «سنعود إلى بيونغ يانغ قريباً».

«لا، لن يحدث ذلك».

«ما الذي تقوله؟».

قال هانسو: «لقد مات الجميع. والدا زوجك ووالدا كيونغي. تم إطلاق النار عليهم لأنهم من ملاك الأراضي. فعندما تتغير الحكومات، يحدث مثل هذه الأشياء؛ حيث يجب التخلص من الأعداء، وفي هذه الحالة، مالكو الأراضي هم الأعداء».

قالت: «يا إلهي!» قبل أن تجلس.

«نعم، الأمر محزن، لكننا لا نستطيع فعل شيءٍ الآن».

سونجا امرأةً واقعية، لكنها لم تتوقع أن يكون هانسو قاسياً إلى هذا الحدّ. كلما تعرّفت إليه أكثر، أيقنت أنّ الرجل الذي أحبته في الماضي هو مجرد فكرةٍ كوّنتها عنه؛ مجرد مشاعر من دون أي إثبات.

«عليكِ أن تفكري في دراسة نوا. لقد جلبت له بعض الكتب ليدرسها من أجل التحضير لامتحانات القبول في الكلّية».

«لكن..».

«لا تستطيعين العودة إلى ديارك. يجب أن تنتظري حتى تستقر الأوضاع أكثر».

«لا يحق لكَ أن تتخذ هذا القرار، فلا يملك ولداي أيّ مستقبلٍ هنا. وإذا لم نستطع العودة الآن، فسنرحل عندما يصبح الوضع آمناً» أخبرَته بما أرادت أن تقوله بالرغم من ارتجاف صوتها. فصمت هانسو للحظةٍ.

«أيّ شيءٍ تقررين فعله لاحقاً هو موضوع آخر. لكن يجب على نوا أن يدرس في الوقت الحالي من أجل الالتحاق بالكلية. فهو في الثانية عشرة من العمر».

فكّرت سونجا في دراسة نوا، لكنها لا تعلم كيف تساعده في ذلك، وكيف ستتكفّل برسوم المدرسة؟ فإنهم لا يملكون حتى مالاً كافياً لرحلة العودة إلى الوطن. وتناقشت النساء كثيراً في هذا الأمر طوال الوقت عندما لا يكون يوسب في الأرجاء. يتوجّب عليهم العودة إلى أوساكا للبحث عن طريقةٍ لجمع المال مجدداً.

«يجب أن يدرس نوا ما دام هنا. ستبقى كوريا في حالةٍ من الفوضى لوقتٍ طويل. بالإضافة إلى أنه طالب ياباني مجتهد. وعندما يرجع إلى دياره، سيكون بحوزته شهادة من جامعةٍ يابانيةٍ جيّدة. وهذا ما يفعله الكوريون الأغنياء بأية حال؛ يرسلون أبناءهم إلى خارج البلاد. وسأتكفّل بدراسة نوا في حال تمَّ قبوله في إحدى الجامعات، وسأتكفّل بتكاليف دراسة موزاسو أيضاً. وأستطيع أن أحضر لهما بعض المدرّسين الخصوصيين عندما يعودان..».

صرخت وقالت: «لا».

فقرر ألا يدخل في نقاش معها لأنها عنيدة جداً.

أشار إلى الصناديق بجانب فِراش يوسب.

«أحضرت لكم اللحم والسمك المجفف، وكذلك فواكه معلّبة وألواح شوكولا من أمريكا. لا تعطوا عائلة تاماغوتشي شيئاً منها لأنني أحضرت الأشياء نفسها لهم أيضاً. ويحتوي الصندوق السفلي على القماش، فقد اعتقدت أنكم تحتاجون إلى الملابس، بالإضافة إلى مقصّات، وخيوط وإبر». أضاف وهو يشعر بالجدارة لإحضاره كلّ هذه الأشياء «وسأجلب لكم صوفاً في المرّة القادمة».

لم تكن سونجا غير ممتنّةٍ له، لكنها لم تعد تعلم ما يجب عليها فعله بعد

الآن. وشعرت في أكثر الأحيان بالخجل من حياتها، من ضعفها.

لمست شعرها غير المصفف بيديها السمراوين وأظفارها المتّسخة، فلم ترغب في أن يراها بهذا الشكل. وخطر لها كيف أنها لن تكون فاتنةً بعد الآن.

«وجلبت بعض الصحف أيضاً، ليقرأها أحدهم، القصص ذاتها تتكرر، لا تستطيعين العودة في الوقت الحالي، سيكون الوضع مريعاً بالنسبة إلى الولدين».

التفتت سونجا إليه: «هذا ما قلته لتقنعني بالمجيء إلى هنا، وأنت الآن تحاول بالطريقة نفسها أن تقنعني بالبقاء في اليابان. لقد أخبرتني أنه الخيار الأفضل لولديّ، لهذا السبب أحضرتهما إلى المزرعة».

«لكني لم أكن مخطئاً».

«لا أثق بك».

هزّ رأسه: «أنا لا أفهم لماذا تحاولين جرحي يا سونجا. تذكّري أنّ زوجك كان يرغب في أن يذهب الولدان إلى المدرسة. وأنا أريد الأفضل لهما، ولكِ. أنا وأنتِ تجمعنا صداقة جيّدة» قال بهدوءٍ «وسنظلّ هكذا دائماً، فلدينا نوا».

انتظرها في حال أرادت أن تقول شيئاً، ولكنها لم تنبس ببنت شفة، فأضاف: «ويعرف شقيق زوجك بشأن نوا. لم أخبره بذلك، لقد اكتشف الأمر بنفسه».

غطّت سونجا فمها.

«لا تقلقي، سيكون كل شيءٍ على خير ما يرام. وإذا أردت العودة إلى أوساكا، سيحضّر كيم جميع الترتيبات. لا تكوني أنانيةً برفض مساعدتي، فعليكِ أن تقدّمي لولديك الأفضل، وأنا أستطيع منحهما الكثير».

رجع كيم إلى الحظيرة قبل أن تتمكن سونجا من قول أي كلمة. مرَّ إلى جانب الولدين اللذين انغمسا في الكتب وقال: «أيها الرئيس، يسعدني أن أراك. هل أحضر لك شيئاً لتشربه؟».

رفض هانسو، ولاحظت سونجا أنها لم تقدّم له شيئاً.

سأله هانسو: «هل أنت مستعد للعودة إلى أوساكا؟».

ردّ كيم مبتسماً: «بالتأكيد يا سيدي». وبالرغم من أنّ سونجا بدت إلا أنه لم

يتوجه إليها بأي كلام خاص.

نادى هانسو: «أيها الولدان، هل أعجبتما بالكتابين؟».

أشار إليهما كيم فأسرعا إليه.

سأل هانسو: «هل ترغب في العودة إلى المدرسة يا نوا؟».

«نعم يا سيدي. لكن..».

«إذا أردت ذلك، فيجب أن تعود إلى أوساكا في الحال».

فسأله نوا وقد استقام في وقفته: «ولكن ماذا بشأن المزرعة؟ وكوريا؟».

«تستطيع العودة إلى هنا لبعض الوقت. لكن في الوقت الحالي، عليكَ أن تملأ رأسك» قال مبتسماً «هل وجدت صعوبةً في كتب الاختبارات التي أحضرتها لكَ؟».

«نعم يا سيدي، لكني أرغب في تعلّمها، وأعتقد أنني بحاجة إلى معجم».

أجاب فرحاً: «سنحضر لك واحداً، عليكَ أن تدرس وسأرسلك إلى المدرسة. يجب على أيّ ولدٍ أن لا يقلق بشأن التكاليف. ومن المهم أن يدعم كبار الكوريين أولادهم في متابعة تعلّمهم، وإلاّ فكيف سنصل إلى أن نكون أمةٍ عظيمةٍ إذا لم نساعد أطفالنا؟».

بدا نوا جذلاً، ولم تتمكن سونجا من التفوّه بأي كلمة.

تدخل موزاسو وقال: «لكني أرغب في البقاء هنا، هذا ليس منصفاً. لا أريد العودة إلى المدرسة، أنا أكرهها».

فضحك هانسو وكيم.

جذب نوا أخاه نحوه وانحنى لهما، واتجها إلى الجهة الأخرى من الحظيرة. وعندما أصبحا بعيدين بما فيه الكفاية عن الآخرين قال موزاسو: «أخبرنا السيد تاماغوتشي أنه يمكننا العيش هنا إلى الأبد وأننا بمثابة أبنائه».

«لا نستطيع البقاء هنا يا موزاسو».

«أنا أحب الدجاج ولم تنقرني أيّة واحدةٍ هذا الصباح عندما سحبت البيض من تحتها، والنوم في الحظيرة أصبح لطيفاً وخاصةً بعد أن صنعت لنا العمة كيونغي البطانيات المحشوّة بالقش».

قال نوا وهو يحمل الكتب الثقيلة بين يديه: «لكنك ستشعر على نحوٍ مختلفٍ

عندما تكبر، كان والدنا يطمح في أن يرانا مثقفين وأن نلتحق بالجامعة».

قال موزاسو عابساً: «أنا أكره الكتب».

«وأنا أحب مطالعتها، ولا مانع لديّ من القراءة طوال الوقت، لقد كان أبي يحب القراءة».

عندها اندفع موزاسو نحوه ليتعارك وإياه، فضحك نوا.

عدّل موزاسو من جلسته وسأل: «أخي، صف لي أبي؟».

«كان طويلاً فاتح البشرة مثلك، وكان يضع نظارة مثلي. أحبَّ التعلّم، فقد كان طالباً مجتهداً في المدرسة وماهراً في تعلّم الأشياء بنفسه من الكتب. ولطالما أخبرني أنه يشعر بالسعادة عندما يقرأ».

افترّت ابتسامة من شفتي نوا

فعلّق موزاسو قائلاً: «القراءة تشعره بالسعادة مثلك لا مثلي، فأنا أستمتع بالقصص المصورة».

«لا تعدّ هذه قراءةً حقيقية».

هزّ موزاسو كتفيه غير مبالٍ

«كان لطيفاً معنا أنا وأمي دائماً، واعتاد أن يمازح عمي يوسب ويجعله يضحك. علّمني أبي كيف أكتب الحروف وأحفظ جدول الضرب، فكنت أول من حفظه غيباً في المدرسة».

«هل كان ثرياً؟».

«لا، لا يكون رجال الدين أثرياء».

قال موزاسو: «أرغب في أن أكون ثرياً، وأن يكون عندي شاحنةً كبيرة وسائقاً».

فردّ نوا مبتسماً: «ظننتك ترغب في العيش في حظيرةٍ، وفي جمع البيض كل صباحٍ».

«أفضّل أن أمتلك شاحنةً مثل السيد هانسو».

«أفضّل أن أكون مثقفاً كأبي».

قال موزاسو: «أما أنا فأرغب في كسب كثير من الأموال حتى لا تضطر أمي والعمة كيونغي للعمل بعد الآن».

9

أوساكا، 1949

بعد عودتهم إلى أوساكا، كلّف هانسو كيم بمهمة جمع الرسوم من أصحاب المتاجر في سوق تسوروهاشي، فقد كانت شركة هانسو تؤمن لأصحاب المتاجر الحماية والدعم مقابل هذه الرسوم. ومن نافلة القول إن أحداً لم يرغب في دفع هذه الرسوم لكن لم يكن باليدّ حيلة. في بعض الأحيان، عندما كان أحد التجار يرفض الدفع أو يتعذر بقلة ذات اليد كان هانسو يرسل رجالاً غير كيم لمعالجة الأمر، ولكن معظم التجار اعتبروا هذه الرسوم، بعد أن اعتادوا دفعها، جزءاً من مصاريفهم. توجّب على أيّ شخصٍ يعمل لدى هانسو أن يظهر بمظهرٍ لائق، وتجنّب رجاله الكوريون واليابانيون لفت أيّ أنظارٍ غير ضروريةٍ لأنفسهم. باستثناء كيم، الذي كان يضع نظارة سميكة لتصحيح قصر نظره، فهو رجل جميل المظهر، دمث، وحلو اللسان. لذلك فضّل هانسو أن يسلّمَ كيم هذه المهمة، فهو الواجهة النظيفة لعملٍ قذر.

مساء السبت وبعدما انتهى هانسو من تحصيل الرسوم، كان بحوزته ستون مغلفاً دوّن على كل منها اسم التاجر والمبلغ الذي دفعه. سار حتى وصل إلى حيث ركنت سيارة رئيسه، فانحنى له عندما ترجل منها. وما لبث السائق أن انطلق على أن يعود في الموعد المحدد ليقلهما.

بادر هانسو بالقول: «دعنا نتناول مشروباً». وربّتَ على ظهر كيم واتجها نحو السوق. طوال الطريق كان الرجال ينحنون احتراماً لهانسو الذي كان يبادلهم التحية بإيماءةٍ لكنه لم يتوقف من أجل أحدٍ.

«سأصطحبك إلى مكانٍ جديد حيث الفتيات جميلات، لا بدّ أنك ترغب في واحدة بعد العيش في حظيرةٍ لوقتٍ طويل».

باغته ما قاله رئيسه فأخذ يضحك.

«أنتَ معجب بالمرأة المتزوجة، أعرف ذلك».

سار كيم ولم يجب

«زوجة يوسب». قال هانسو وهو ينظر أمامه مباشرةً بينما كانا يمشيان عبر الطريق الضيّق «لا تزال فاتنةً. ولن يستطيع زوجها معاشرتها بعد الآن، كما أنه يفرط بمعاقرة الشراب أليس كذلك؟».

نزع كيم نظارته، ومسح عدستيها بالمنديل، وشعر بالحرج لأنه لم يستطع قول شيء. لقد أحبَّ يوسب؛ فهو لم يكن رجلاً سيئاً بالرغم من إفراطه بالشرب، ولا يزال رجال الحي يحترمونه.

عندما شعر يوسب بالتحسن كان يساعد الولدين في واجباتهما المدرسية، ويعلمهما الكورية، وفي بعض الأحيان كان يصلح آلات بعض أصحاب المصانع من معارفه، لكنه لم يكن قادراً على العمل بشكل دائم.

سأله هانسو: «كيف وجدتَ المنزل؟».

«لم يسبق لي أن عشت حياة أفضل، فالطعام شهي والمنزل نظيف للغاية». وقد عنى كلّ كلمةٍ قالها.

«تحتاج المرأتان لرجلٍ عاملٍ يرعاهما. لكني قلق من أن تكون متعلقاً جداً بالمرأة المتزوجة».

«يا سيدي، إنني أفكر جدياً بالعودة إلى الوطن، أريد الذهاب إلى الشمال وليس إلى مدينة دايغو».

«هل عدنا مجدداً؟ لا. انتهى النقاش. لا يهمني ذهابك إلى تلك اللقاءات الاشتراكية، لكن لا تبدأ في تصديق تلك الخرافات التي يقولونها عن العودة إلى الوطن. ورؤساء اتحاد الكوريين في اليابان ليسوا أفضل من ذلك. بالإضافة إلى أنهم سيقتلونك إذا ذهبت إلى الشمال وستتضوّر جوعاً في الجنوب. فالجميع هناك يكرهون الكوريين الذين عاشوا في اليابان، ولا تنتظر مني أن أوافق على رحيلك».

«لكن كيم إل سونغ حارب ضد الاستعمار الياباني..».

«أعرف رجاله، قد يصدّق بعضهم هذا الأمر، لكن معظمهم لا يرغبون بغير كسب أجورهم كل أسبوع. ولن يعودَ الأشخاص المسؤولون الذين يعيشون هنا

إلى ديارهم أبداً. وسترى هذا الأمر بنفسك».

«لكن ألا تظنّ أنه علينا أن نفعل شيئاً من أجل دولتنا؟ هؤلاء الأجانب يقسمونها إلى..».

وضع هانسو كلتا يديه على كتفي كيم وواجهه قائلاً: «لم تحظَ بفتاةٍ منذ فترةٍ طويلة، لذلك فأنت تبدو مشوش التفكير». ابتسمَ ثم بدا جاداً «اسمع، أنا أعرف قادة الجمعية والاتحاد، أعرفهم جيداً».

«لكن اتحاد الكوريين هو مجرد دميةٍ في يد الأمريكيين..».

ابتسم له هانسو مستمتعاً بصراحته: «كم مضى على عملك معي؟».

«ربما كنت في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة عندما منحتني وظيفةً».

«وكم مرّةً تحدّثت معك فيها عن السياسة؟».

حاول كيم التذكّر

«لم يسبق لي أن تحدثت بشأنها، أنا رجل أعمالٍ وأرغب في أن تصبح مثلي رجل أعمال، أريدك أن تفكّر بنفسك عندما تذهب إلى هذه اللقاءات وأن تضع مصالحك فوق أي اعتبار، فكل هؤلاء الكوريين واليابانيين هالكون، لأنهم يفكرون دائماً في الجماعة. إليك حقيقة الأمر، ليس هناك من رئيس معطاء، أنا أحميك لأنك تعمل لدّي. لكن إذا خالفت أوامري وتصرفت كالأبله، فلا أستطيع حمايتك وقتها. أما بالنسبة إلى تلك المجموعات الكورية، فتذكّر أنّ المسؤولين ليسوا سوى رجال عاديين، وليسوا أذكى بكثيرٍ من الخنازير التي نأكلها، وقد عشتَ مع المزارع تاماغوتشي الذي باع البطاطا الحلوة لليابانيين الفقراء بأسعارٍ خيالية خلال الحرب. لقد انتهك قوانين الحرب وساعدته أنا في ذلك، لأنه رغب مثلي بالمال. لا بدّ أنه يظن نفسه يابانياً محترماً أو وطنياً، أليس هذا ما يظنه جميعهم؟ ولكنه في الحقيقة ياباني خسيس، وهو في الوقت نفسه رجل أعمالٍ ذكي، وأنا لست كورياً أو يابانياً صالحاً، لكني ماهر في كسب المال. كن على ثقة أن هذه الدولة لن تقوم لها قائمة إن آمن الجميع بكلام فارغٍ قاله محاربٍ ياباني قديم، ولا تصدق أن الإمبراطور يقيم وزناً لأحد. وأنا لن أمنعك من حضور أيّ من هذه اللقاءات أو من الانضمام لأية جماعة، لكن افهم شيئاً واحداً فقط: لا يبالي هؤلاء الشيوعيون بكَ أو بأيّ

أحدٍ، وستكون مجنوناً إن اعتقدت أنهم يأبهون بشأن كوريا».

فقال كيم بهدوءٍ: «أحياناً أشعر بالحنين لرؤية الوطن».

«الأوطان ليست لأمثالنا» سحبَ هانسو سيجارةً وأسرعَ كيم ليشعلها له.

لقد مرت عشرون سنة على آخر مرة رأت فيها عينا كيم الوطن، فقد توفيت والدته وكان طفلاً يدرج، ولم يلبث والده المزارع أن لحق بها، فتعهدته أخته الكبرى بالرعاية، إلا أنها تزوجت في نهاية المطاف، وغادرت فلم يبقَ له غير الشارع مأوى وغير التسول مصدراً لكسب الرزق. لطالما رغب كيم بالعودة إلى الشمال للمساعدة في محاولات إعادة التوحيد، كما أنه يتوق لزيارة دايغو رغبة منه بتنظيف قبري والديه، وإقامة المراسم لهما بعدما أصبح المال وفيراً بين يديه.

أخذ هانسو سحبةً طويلةً من سيجارته: «أتظنني أحب هذا البلد؟ كن على ثقة أنني أبغضه، لكنني أعرف تدبر أمري هنا، ولا أظن أن أياً منا يسعى وراء الفقر. لقد عَمِلتَ لديّ يا تشانغو وحصلت على طعامٍ ومالٍ كافيين، ومن الطبيعي أن تكون لديك آراء وأفكار، لكن كن على ثقة أن الوطنية، والرأسمالية والشيوعية هي مجرد أفكار، وهي أفكار هدامة لمصلحة الرجال الشخصية، فهي تصرف انتباههم عن مصالحهم. ورجال السلطة بارعون جداً في استغلال من يؤمنون بهذه الأفكار. لا أنت ولا أنا ولا مئة من أمثالنا يستطيعون إصلاح كوريا. لقد غادرت اليابان تراب بلادنا ولكن الأميركيين والصينيين والروس يطمعون ببلدنا الصغير، أتظن أن لنا طاقة على محاربتهم؟ انسَ أمر كوريا، وتذكر أمورك الشخصية، وركّز على ما يمكنك بلوغه وليس السراب الذي لن تبلغه. هل تريد المرأة المتزوجة؟ حسناً فهي لك إن مات زوجها أو قتلته، الأمر بهذه البساطة، هذا أمر يمكننا تدبر حل له، أمّا الوطن فإيجاد حل له يفوق قدراتنا».

«لن تهجره».

«إنه فاشل».

ردّ كيم بجدّية: «لا، لا، غير صحيح، وهي ليست من هذا النوع الذي...».

لم يكن بمقدوره المتابعة في الحديث. يمكنه أن ينتظر حتى وفاة يوسب لكنه لن يقتله. آمنَ بأفكارٍ كثيرة، ومن ضمنها أنّ على الزوجة أن تكون مخلصةً لزوجها.

فلن تكون كيونغي جديرةً بإخلاصه إذا هجرَت رجلاً محطّماً.

توقّف هانسو في نهاية الطريق والتفت إلى حانةٍ بسيطة المظهر. «أتريد فتاة الآن؟ أم أنك تريد العودة إلى المنزل لتفكر في زوجة رجلٍ آخر؟».

حدّق كيم في باب الحانة ثم فتحه، وأفسح الطريق لرئيسه ليدخل أولاً ثم تبعه.

المنزل الجديد في أوساكا أكبر من منزلهم السابق وأكثر متانةً؛ فهو مبنيّ من الطوب والقرميد والخشب المتين. فالقصف هدم المنزل القديم كما توقّع هانسو. لقد خاطت كيونغي الوثائق القانونية داخل بطانة معطفها الجيّد، ثم أخرجتها عندما حان الوقت المناسب، وتمكّن محامي هانسو من إثبات ملكية يوسب في البلديّة. اشترى يوسب وكيونغي بالمال الذي أعطاهم إياه تاماغوتشي كهديةٍ عندما غادروا المزرعة، قطعةَ الأرض الفارغة الواقعة بجوار المنزل السابق، وأعادوا بناءه بمساعدة شركة البناء التي يمتلكها هانسو. ولم يخبر يوسب للمرة الثانية أحداً من جيرانه أنه يمتلك هذا المنزل، لأنه من الأفضل دائماً أن تبدو أكثر فقراً مما أنت عليه. يشبه المظهر الخارجي للمنزل إلى حدّ كبير المنازل الأخرى في إيكاينو، واتفقت العائلة على السماح لكيم بأن يعيش معهم. وعندما أعلمه يوسب بذلك، رحّب بالأمر. كَسَت النساء جدران المنزل بأوراقٍ جيدة النوعية، واشتروا نوعاً من الزجاج السميك والقوي لنوافذهم الصغيرة. وأنفقوا مبلغاً إضافياً لشراء قماشٍ أفضل لصنع بطانياتٍ تبعث الدفء ووسائد للأرض، بالإضافة إلى طاولةٍ كوريةٍ منخفضة تَصلح لتناول الطعام وكذلك لينجزَ عليها الولدان واجباتهما المدرسيّة.

لم يبد المنزل من الخارج أكثر من كوخٍ واسعٍ، لكن داخله بدا نظيفاً ومرتباً بشكل لافت. وكان المطبخ واسعاً بما يكفي لوضع عربات الطعام في الليل. إضافة إلى ملحقٍ خارجيّ يتّصل به ويمكن الدخول إليه من باب المطبخ. ينام كلّ من يانغجين، وسونجا والأولاد في الغرفة الوسطى، والتي يستعملونها كغرفةٍ جلوس نهاراً، وينام يوسب وكيونغي في غرفة التخزين الكبيرة بالقرب من المطبخ، أما كيم فينام في الغرفة الأمامية الصغيرة ذات الجدران المصنوعة من أبواب الورق المقوى. جميعهم؛ ثلاثة أجيالٍ وصديق للعائلة يعيشون في هذا المنزل. ويعدّ منزلهم فخماً مقارنة بمنازل الحيّ الذي يقطنونه.

عندما عاد كيم في وقت متأخر كان الجميع نياماً، فقد أحضر هانسو فتاةً كورية جذّابةً للغاية، وامضيا معها وقتاً ممتعاً في الغرفة الخلفية للحانة، أراد كيم الذهاب إلى حمام عامٍ للاغتسال بعد ذلك، لكن جميع الحمامات القريبة من المنزل كانت مغلقة في الليل. فاغتسل كيفما تيسر له من الحوض الموجود بالقرب من الملحق الخارجي، ورغم الاغتسال فقد بقي يتذوّق طعم أحمر الشفاه الوردي في فمه.

كانت الفتاة التي تعرف باسم جينا في العشرينات من العمر، تعمل نادلةً إلى جانب عملها الأساسي. ساهمت الحرب كما الاحتلال الأمريكي في تصلّب عودها، ولأنها جميلة للغاية، وكَحال جميع الفتيات الأخريات في الحانة، فقد سبق لها أن تشاركت السرير مع العديد من الرجال.

أغلقت جينا باب الغرفة المحجوزة للذين يدفعون لها مقابل أن تخلع فستانها المطبع بالزهور على الفور، ولم تكن ترتدي ثياباً داخلية. كانت ذات قد طويل ونحيف، ذات ساقين نحيلتين وصدرها ناهد ولم تكن بحاجة إلى حمالة للثديين.

جلست في حضنه، وداعبته حتى أثارته، وعندها قادته برفقٍ إلى فِراشٍ أحمر موضوعٍ على الأرض. أزالت ملابسه، ومسحت جسده بمنشفةٍ رطبةٍ ودافئة، ووضعت له واقياً ذكرياً. لقد مضى وقت طويل على آخر مرةٍ كان فيها مع فتاة، لم يسبق له أن عاشر إلاّ العاهرات، لكن هذه الفتاة تمتلك وجهاً وجسداً رائعين، وتقبّل أن يكون سعرها مرتفعاً بالرغم من أنه لم يدفع لها هو هذه المرّة. نادته جينا بأخي الكبير، وسألته إن كان يرغب بولوجها الآن، فأومأ برأسه مشدوهاً من مهارتها واحترافيتها في آن. وبسرعة ورِقة دفعته أرضاً وجلست على فخذيه و... وقبّلت جبينه وشعره وسمحت له بدفن وجهه في صدرها وهما في قمة الانسجام والتناغم الجسدي. وبدت مستمتعة بالرغم من أنه لم يكن متأكداً في ما إذا كانت تتظاهر أم لا، على عكسِ العاهرات الأخريات اللواتي يتظاهرن بالعذرية. لكنه لم يعترض على الأمر، ووجد نفسه مثاراً للغاية لدرجة أنه قضى وطره في الحال. استلقت بين ذراعيه لبعض الوقت، ثم نهضت لتحضر له منشفةً. خاطبته جينا بأخيها الوسيم بينما نظّفت جسده، وطلبت منه العودة سريعاً لرؤيتها لأنها ستفكّر فيه. وتمنّى لو أنّ باستطاعته قضاء الليل ليحظى بها مرةً أخرى، لكن كان هانسو

ينتظره قرب الحانة، فوعدها بأن يعود.

عندما دخل غرفته، وجد فراشه جاهزاً، فتمدد على فِراشه القطني النظيف، وتخيّل أصابع كيونغي النحيلة وهي ترتّب الملاءة التي ينام عليها، وكالعادة تخيّل نفسه يمارس الحبّ معها. وفكّرَ أنه لا يمكن لامرأةٍ متزوجةٍ أن تستغرب أمر الجنس، لكنه تساءَل إن كانت كيونغي تستمتع به كما تفعل جينا، وماذا سيظّن بها إن فعلت. في الحظيرة، لطالما غفا كيم قبل النساء وكان راضياً بذلك لأنه لم يكن يتحمّل فكرة وجود يوسب مع كيونغي. لكن لحسن الحظ، لم يسمع أبداً أيّ أصواتٍ لهما في الحظيرة أو في المنزل، وكان شبه متيقن أن لا علاقة حميمية بينهما، وهذا ما جعله يحبها من دون أن يشعر بالندم، وألا يكره يوسب بالوقت نفسه لأنه لم يكن يجد فيه منافساً، ففي الوضع الحالي صحيح أن كيونغي ليست في أحضانه، ولكنها في الوقت عينه ليست في أحضان زوجها. كانت نظرات كيم إلى كيونغي تفضح مشاعره نحوها وهذا ما لاحظه هانسو بوضوح. فكر كيم ما الذي سيشعر به إن تشاركا الفراش كل ليلة، وتذكر كيف جاهد نفسه كي لا يحتضنها، عندما عملا جنباً إلى جنب في المطعم والمزرعة، وقت كان واثقاً أنها لن تتجاوب معه، فقد كانت تحب زوجها وتحب يسوع الذي يحرم على اتباعه ممارسة الجنس من دون زواج، وأضف أن هذا ما لم يكن كيم يؤمن به.

أغمض عينيه، وتمنّى لو أنها تفتح باب غرفته، وتخلع فستانها كما فعلت العاهرة، وتقبّله على جسده، فيرفعها ويحضنها. ويمارس الحبّ معها، وبعدها لا مشكلة لديه إن مات لأنّ حياته ستكون مثاليةً وقتها. تخيّل ثدييها الناهدين، وساقيها ومَعِدتها، وعسيلتها، فشعر برغبة جامحة بالجماع للمرة الثانية هذه الليلة، فكبت ضحكته لأنه شعرَ بنفسه الليلة شاباً باستطاعته أن يفعل هذا الأمر مرّةً تلو الأخرى. أخطأ هانسو في اعتقاده أنّ عاهرةً جميلةً ستجعله ينسى كيونغي، فعلى العكس تماماً، فقد تاق إليها الآن أكثر من أيّ وقتٍ مضى. لقد تذوّق الليلة شيئاً جميلاً وحلواً وها هو يرغب بالمزيد منه، غفا كيم وهو يضع نظارته. في الصباح، استيقظَ قبل الآخرين، وذهب إلى عمله من دون أن يتناول فطوره. في المساء،

وفي طريق عودته إلى المنزل، لاحظ امرأة نحيلة الكتفين يدفع عربة في الشارع، فغذ الخطى ليلحق بها.

«اسمحي لي».

«أوه. مرحباً» ابتسمت كيونغي وقد بدت مطمئنة: «قلقنا عليكَ عندما رحلتَ في الصباح، فلم نَرَكَ البارحة مساءً. هل تناولت شيئاً اليوم؟».

«أنا على ما يرام، لا تقلقي عليّ».

لاحظ أن لا وجود لأكياس الحلوى على العربة فسألها: «هل بعت كل ما لديك؟».

فأومأت برأسها مبتسمةً: «نعم، ولكن ثمن السكر ارتفع مجدداً، إنني أفكر بصنع الهلام فهو لا يحتاج إلى القدر نفسه من السكر». ما إن أنهت جملتها حتى توقفت لتمسح جبينها بظاهر كفها.

دفعَ كيم العربة بدلاً منها وسألها: «هل عادت سونجا إلى المنزل؟».

أومأت برأسها وبدت قلقةً.

«ما الأمر يا أختي؟».

«أتمنى ألا يحدثَ الليلة شجارٍ، فزوجي مؤخراً بدأ يقسو على الجميع. وهو أيضاً..» لم ترغب في قول المزيد. لقد تدهورت صحة يوسب، لكنه ولسوء حظّه لا يزال جيّداً كفايةً ليشعر بآلام حروقه وجروحه المروّعة. أصبحَ يزعجه كلّ تفصيلٍ صغير، ولا يستطيع السيطرة على انفعاله. وأصبح يصرخ بسبب سمعه الضعيف؛ لقد تغير كثيراً بعد الحرب.

«إنه بشأن المدرسة، أنتَ تعرف».

أومأ كيم.

كان يوسب يخبر سونجا أنّ على الولدين الالتحاق بمدرسةٍ كوريةٍ موجودة في الحي، وتعلّمَ الكورية، لأنه يجب على العائلة الاستعداد للعودة إلى الوطن، بينما يخبرها هانسو العكس تماماً. لم تستطع سونجا التفوّه بشيء، لكن عَلِمَ الجميع أنه توقيت سيئ للعودة.

كان الطريق فارغاً، وتلوّنت السماء بلونٍ ورديّ ورماديّ مع غروب الشمس.

قالت كيونغي: «الهدوء لذيذ».

«نعم». أحكمَ كيم قَبضته على العربة.

تحررت خصل من شعرها فوضعتها خلف أذنيها. هنالك شيء نظيف ومتألق للغاية في ملامحها لدرجة أنه لا يمكن أن يُدنس حتى بعدَ يومٍ طويلٍ من العمل.

«لقد اغتاظ يوسب مجدداً البارحة بشأن المدرسة لكنه ما كان يقصد الإساءة، فهو - كما تعرف - يعاني من آلامٍ مبرحة. يرغب نوا في الدراسة في مدرسةٍ يابانية ومن ثم الالتحاق بجامعةِ واسيدا، أتصدّق هذا؟ جامعةً كبيرةً كهذه!»، ابتسمت وهي تشعر بالاعتزاز بحلمه العظيم. «وموزاسو لا يرغب في الذهاب إلى المدرسة على الإطلاق، ونحن في الوقت الحالي لا نعرف متى نستطيع العودة، ولكن مهما يكن الأمر فإن على الولدين تعلم القراءة والكتابة، ألا تظنّ ذلك؟». فوجدت دموعها تنهمر من دون أيّ تفسير.

أخرجَ كيم منديلاً من جيبه يستعمله لمسحِ نظارته، أعطاها إياه وقال: «لا نستطيع التحكّمَ في كثير من الأشياء».

فأومأت موافقة.

«أترغبين في العودة إلى المنزل؟».

عندها قالت من دون أن تنظر إليه «لا أصدّق أنّ والديّ توفيا. فهما لا يزالان حيين يرزقان في أحلامي، وأنا بدوري أتوق لرؤيتهما مجدداً».

«لا تستطيعين العودة حالياً، فالوضع خطر. عندما تتحسن..».

«هل تظنّ أنها ستتحسن قريباً؟».

«حسناً، أنتِ تعلمين طبيعتنا».

«ماذا تعني؟».

«نحن الكوريون كثيرو الجدال، وكلّ رجلٍ يظنّ أنه أذكى من الآخر. وأعتقد أنّ الشخصَ المسؤول عن السلطة سيحارب بكلّ قوته للحفاظ على نفوذه»، ردد أقوال هانسو لأنّ هانسو على حق وخاصّةً في معرفة مساوئ الأشخاص.

سألته: «حسناً، أنتَ لستَ شيوعياً؟».

«ماذا».

«أنتَ تذهب إلى تلك اللقاءات السياسية، واعتقدت أنهم ليسوا بذلك السوء إن كنتَ تذهب إليهم. وهم معارضون للحكومة اليابانية ويرغبون في إعادة التوحيد، صحيح؟ أنا أعني، ألا يحاول الأمريكيون تجزئة البلاد؟ فأنا أسمع كثيراً من الأقاويل في السوق ومن الصعب أن أصدّق كل ما أسمع. أخبرني زوجي أنّ الشيوعيين سيئون، فهم من قَتلوا والدينا. أتعرف، كان أبي رجلاً صالحاً وأجمع الناس على دماثة خلقه».

لم تفهم كيونغي لمَ قتِلَ والداها، والدها هو الابن الثالث في عائلته وأرضه صغيرة جداً. هل قتلوا كلّ ملاك الأراضي؟ حتى الذين لا تأثير لهم؟ كانت مهتمةً أيضاً لمعرفة أفكار كيم لأنه رجل طيّب ويعرف الكثير عن هذا العالم.

انحنى كيم على العربةِ وأمعن النظر إليها راغباً بمواساتها. عرِفَ أنها تبحث عن بعض النصائح منه، وهذا ما جعله يشعر بأهميته بالنسبة إليها، وتساءَل إن كان سيهتم بالسياسة في حال وجود امرأةٍ مثلها إلى جانبه.

سألته: «هل الشيوعيون نوعية واحدة؟».

«لا أظن ذلك. لا أعلم إن كنت شيوعياً، لكنني أعارض إعادة احتلال اليابان لكوريا، وبالوقت نفسه لا أريدها أن تقع في قبضة الصينيين أو الروس أو الأميركيين، لماذا لا يتركوننا وشأننا».

«لقد سبق لك وأن قلت إن شعبنا ليس على وفاق، وخير تعبير عن الوضع قصة هاتين العجوزين المتناحرتين واللتين يوغر سكان القرية صدريهما، فلو أرادتا أن تستعيدا صداقتهما عليهما تذكر صداقتهما ونسيان ما يقوله الآخرون».

«أظنّ أنه يجب أن نسلّمك زمام الأمور» قال وهو يجرّ العربة نحو المنزل. وشعر بالسعادة لكونه معها حتى ولو لمجرّد نزهةٍ قصيرة كهذه وتاقت نفسه للمزيد.

يذهب كيم إلى اللقاءات السياسية لأنه لا يستطيع تحمّلَ البقاء بالقرب منها في بعض الأحيان. لكنه يعيش في ذلك المنزل حتى يتمكّن من رؤيتها كلّ يومٍ، لأنه يحبها.

مشى الاثنان ببطءٍ نحو المنزل وهما يتهامسان في هذا وذاك، ويتحدثان عن يومهما بسرورٍ وراحة.

10

أوساكا، يناير 1953

استيقظت سونجا في منتصف الليل يقلقها التفكير في كيفية جمع الأموال، فنهضت لصنع مزيد من الحلوى لبيعها. انتبهت يانغجين إلى أنّ ابنتها ليست في فِراشها، فاتجهت إلى المطبخ.

«أنتِ لا تنامين جيداً وستمرضين إن استمررت على هذه الحال».

«أنا على ما يرامٍ يا أمي. عودي إلى النوم».

قالت وهي تضع مئزرها: «أنا عجوز ولا أحتاج إلى كثير من النوم».

تحاول سونجا جمع بعض الأموال الإضافية من أجل دروس نوا الخصوصية. فقد رسب في محاولته الأولى في امتحانات جامعة واسيدا بفارق بضع نقاطٍ، وشعرَ بأنه سيتمكن من اجتيازها في المحاولة الثانية لو استطاع الحصول على مدرّسٍ للرياضيات، لكن كلفة الدروس الخاصّة باهظة للغاية. مؤخراً حاولت النساء كسبَ مزيد من الأموال حتى يتمكّن نوا من تركِ وظيفته كمحاسبٍ والتفرغ لدروسه. لكنه من الصعب جداً إدارة مصاريف الأسرة ودفع تكاليف يوسب الطبّية بما يتناسب مع راتب نوا ومدخول النساء من البيع. دفع كيم المال كل أسبوعٍ مقابل غرفته وطعامه، وحاول أن يدفع المزيد من أجل المساعدة في تعليم نوا، لكن يوسب منعَ النساء من أخذ أيّ مبلغٍ إضافي. لأنه لا يسمح لسونجا بقبول أيّ مالٍ من هانسو بخصوص تعليم الصبي.

سألتها يانغجين: «هل نمتِ البارحةَ ولو قليلاً؟».

فأومأت سونجا إيجاباً وهي تضع قطعةَ قماشٍ نظيفة فوق السكر لكتم صوت الهاونِ والمدقّة.

لقد أثقلت السنون كاهل يانغجين، ففي غضون ثلاث سنواتٍ، ستبلغ الستين

من العمر. عندما كانت شابةً ظنّت، أنها تستطيع العمل باجتهادٍ أكثر من أيّ شخص آخر وتحت أيّ ظرف، لكنها الآن اكتشفت أنها كانت مخطئة. فقد أحسّت في الآونة الأخيرة بالتعب ونفاد الصبر، وأصبحت أتفه الأمور تزعجها. وبالرغم من أنّ التقدّم في العمر يفترض أن يجعلك صبوراً أكثر لكنها مع تقدمها بالعمر ازداد انفعالها وغضبها. ورَغِبت أحياناً في طردِ بعض العملاء عندما كانوا يتذمّرون من صِغر حجم الأشياء التي يبيعونها. لكن أكثر ما أغضبها مؤخراً هو صمت ابنتها الذي لا يطاق، ورغبت يانغجين في إخراجها عن صمتها هذا.

يعدّ المطبخ أكثر غرف المنزل دفئاً، وانبعثت من المصابيح الكهربائية أضواءٌ ثابتةٌ. لقد شكّل المصباحان المتدليان من السقف بشريطين كهربائيين ظلالاً على الحائط خلفهما، وكأنهما يقطينتان متدلّيتان من تعريشة عاريةٍ من الأوراق.

قالت يانغجين: «أفكّر دائماً في ابنتينا».

«دوكي وبوكي؟ ألم تجدا عملاً في الصين؟».

«كان يجب أن أمنعهما من الذهاب مع تلك المرأة حلوة اللسان من سيوول، لكنهما تحمّستا بشأن الرحيل إلى منشوريا وجمع الأموال. ووعدتاني أن تعودا عندما تكسبان من المال ما يكفي لشراء النزل. كانتا لطيفتين».

أومأت سونجا برأسها وهي تتذكر طِيبتهما، فلم تعد تعرف أحداً بهذه السمات بعد رحيلهما. يبدو أنّ الاحتلال والحرب قد غيّرا من طِباع الجميع، والحرب في كوريا تجعل الأمور أكثر صعوبة، فالأشخاص الطيّبون أصبحوا أكثر حذراً وقساوة، ولم تعد البراءة موجودة إلاّ لدى الأطفال الصغار.

«لقد سمعت في السوق أنه تمّ أخذ الفتيات إلى مكانٍ آخر غير المصانع. وأنه عليهن فعل أشياء سيئة ومريعة مع جنودٍ يابانيين» توقّفت يانغجين حائرةً: «أتظنين أنّ ما سمعته صحيح؟».

لقد سمعت سونجا القصص ذاتها، وأكثر من مرة أخبرها هانسو عن أشخاصٍ كوريين يعملون لحساب الجيش الياباني، ويطلقون وعوداً كاذبة بشأن تأمين الوظائف، لكنها لا تريد أن تزيد من قلق والدتها. تابعت سونجا العمل على السكر حتى يصبح ناعماً.

سألت يانغجين: «ماذا لو أنهما اقتيدتا من أجل ذلك الشيء؟».

«ما من معلومات بهذا الصدد». همست سونجا بذلك وهي تشعل الموقد وتضع السكر والماء في مِقلاة.

«لكنني أظن أن هذا ما حدث لهما». وهزّت رأسها «كان والدك ليحزن كثيراً بسبب فقدنا لمنزلنا.. آه. وهذه الحرب تحول دون عودتنا إلى كوريا. خشية أن يجند موزاسو ونوا، أليس كذلك؟».

أومأت سونجا، فهي ستقوم بأي شيء كي لا يلتحق ولداها بالجيش.

ارتعشت يانغجين عندما عبرت نافذة المطبخ نسمة باردة ولامست بشرتها البنّية والجافة. فوضعت مِنشفةً عند حافّة النافذة لمنع الهواء، وأحكمت إغلاق ثوبها القطني المهترئ فوق ملابس نومها. وبدأت في طحن دفعةٍ أخرى من السكر، بينما راقبت ابنتها القدر وهو يغلي فوق نارٍ هادئة.

حرّكت سونجا المزيج بينما كان السكر يتكرمل، وفكّرت كيف تبدو الحياة في بوسان مختلفة تماماً عن أوساكا، وظلّت صورة جزيرتها الصخرية الصغيرة يونغدو نقيّةً ومفعمةً بالحياة في ذاكرتها، بالرغم من أنه مضى على آخر مرة رأتها فيها عشرون عاماً. عندما حاول أيزاك أن يفسّر لها ما هي الجنة، فلطالما ما تخيّلت بلدتها الجميلة المتلألئة، وبدت ذِكرى القمر والنجوم في كوريا مختلفة تماماً عن القمر البارد هنا. وبالرغم من تذمّر الناس من سوء الأحوال في الوطن، إلا أنه صعب على سونجا أن تتذكر شيئاً باستثناء منزلها القويّ الساطع الذي اعتنى والدها كثيراً بحديقته المعطاء التي قدّمت لهم كثيراً من البطّيخ، والخس واليقطين، والسوق المفتوحة التي يتوّفر فيها كلّ شيءٍ شهيّ. ولم تشعر بمِقدار حبّها لها إلاّ عندما رحلت عنها.

كانت الأخبار عن الوطن مرعبةً؛ فقد انتشرت الكوليرا والمجاعة، كما يتم اعتقال الفتيان، حتى الصِغار منهم من قِبل الجنود. لذلك بدت حياتهم البسيطة في أوساكا ومحاولاتهم البائسة لجمع ما يكفي من المال لإرسال نوا إلى الكلّية شيئاً من الترف مقارنةً بذلك. فعلى الأقل هم سوياً وبإمكانهم العمل من أجل شيءٍ أفضل. نشَّطَت الحرب في كوريا من تجارة اليابان ووفرت الوظائف للجميع.

وعلى الأقل لا تزال أمريكا هي المسيطرة، لذلك تستطيع النساء إيجاد السكر والقمح. وحتى بعد أن حرّم يوسب على سونجا أخذ المال من هانسو بقي كيم يساعدهم في حال وجدَ بعضاً من المكونات النادرة التي يحتاجونها. وعرِفت النساء أنه يجب عليهن عدم طرح كثير من الأسئلة أو التحدث بالأمر مع يوسب. سارعت المرأتان إلى تقطيع الحلوى إلى قطعٍ مربعة عندما بَرَدت.

قالت سونجا مبتسمةً: «لطالما مازحتني دوكي بشأن طريقتي في تقطيع البصل واستشاطت غضباً من بطئي في غسل قدور الأرز، وكررت ضرورة استخدامي لممسحتين لمسح الأرض، وكانت تقول: أولاً اكنسي الأرض، ثم امسحيها بقطعةٍ نظيفةٍ ثم بواحدةٍ جديدة! لم أرَ شخصاً أكثر نظافة من دوكي». استطاعت سونجا أن تتذكر بوضوحٍ ملامحها، وأسلوبها، وصوتها، وكيف يتجهّم وجها المستدير عندما توجّه تعليماتٍ. لا تصلي سونجا كثيراً، لكنها صلّت في قلبها لهما، وتمنت أن يكون ما سمعته مجرد شائعات ليس إلا. لطالما قال أيزاك ليس بإمكاننا أن نعرفَ لمَ يعاني بعض الناس أكثر من غيرهم، وليس علينا أن نصدر بسرعة أحكاماً على الذين يعانون ويتألمون. فتساءلت لمَ لمْ يحدث لها ما حدث للفتاتين؟ فها هي في المطبخ مع والدتها بينما يتضوّر كثيرون من الجوع في وطنها. ولطالما سمعت سونجا زوجها يقول إن الله حكمة في ما يجري، وآمنت هي بذلك، لكنها لم تجد في ذلك عزاءً الآن عندما فكّرت في الفتاتين، فقد كانتا غاية في البراءة، حتى أكثر براءةً من ولديها عندما كانا طفلين.

عندما نظرت سونجا إلى والدتها رأتها تبكي: «فقدت هاتان الفتاتان والدتهما ومن ثم والدهما. لقد توجب عليَ أن أقدّم لهما المزيد وأحاول مساعدتهما في الزواج لكننا كنّا فقراء. فالمعاناة هي قدر المرأة، لذلك علينا أن نعاني».

أحسّت سونجا أنّ كلام والدتها صحيح وأنّه قد تمّ خداعهما، ومن المحتمل أنهما ميتتان الآن. فطوقت بذراعها كتف والدتها التي تحوّل شعرها تقريباً إلى اللون الرمادي، ذلك الشعر الذي تربطه على شكلٍ كعكةٍ تقليدية خلف عنقها خلال النهار. كان الوقت ليلاً، وتدلّت ضفيرة والدتها الرمادية والخفيفة على ظهرها. تجعّد وجهها البيضاوي الأسمر من كثرة العمل خارج المنزل، وامتدّت التجاعيد

على جبينها وحول فمها. وبقدر ما تستطيع تذكّره، كانت والدتها أول من يستيقظ وآخر من يذهب إلى النوم. فقد عملت باجتهادٍ حتى مع مساعدة الفتاتين لهما. مع تقدمها في السن، بدا أن لديها كلاماً كثيراً لتقوله بالرغم من أنها لم تكن كثيرة الكلام من قبل، لكن سونجا لم تعرف يوماً كيف تجاريها في كلامها.

«أتتذكرين يا أمي اقتلاع البطاطا من الأرض مع أبي؟ حبّات البطاطا الجميلة، البيضاء والكبيرة، واللذيذة التي كنت تشوينها بالجمر. لم أتناول حبّة بطاطا شهيّة كتلك منذ..».

ابتسمت يانغجين لذكرى تلك الأوقات السعيدة، ولأنّ ابنتها لم تنس والدها الرائع هوني. فعلى الرغم من موت العديد من أطفالهما لكنهما أنجبا سونجا التي لا تزال معها حتى الآن.

قالت يانغجين: ربما نحن هنا لأن ذلك يبقي الوالدين بأمان» توقفت قبل أن تردف وقد شع وجهها بالنور: «أتعرفين، ابنك موزاسو مضحك كثيراً. فقد أخبرني البارحة أنه يرغب في العيش في أمريكا، وارتداءِ بذلةٍ واعتمار قبعة كما في الأفلام، وأنه يريد أن ينجب خمسة أولاد».

ضحكت سونجا لأنّ هذا من شيم موزاسو: «أمريكا؟ وماذا قلتِ له؟».

«أخبرته بأنني لا أمانع بذلك، إذا ما تعهد بأن يزورني مع أولاده الخمسة».

فاحت رائحة الكراميل من المطبخ، وظلت المرأتان تعملان بجد ونشاط حتى انبلج الفجر».

بعمر الثالثة عشرة شكّل طول موزاسو الفارع مشكلة له في المدرسة، فقد كان أكثر طولاً من كل أقرانه، حتى أنه بدا أكثر رجولةً من بعض أساتذته بسبب كتفيه العريضتين وذراعيه القويتين. تمّ وضعه في صفٍ مليءٍ بأولادٍ في العاشرة من العمر لأنه لم يستطع القراءة والكتابة كأقرانه، بالرغم من محاولات نوا غير الاعتيادية لتعليمه لغة الكانجي. كان يتحدث اليابانية ببراعة كرفاقه، وساعدته هذه المهارة في معاركه مع الأولاد الأكبر سناً، لكنه استطاع مواكبة صفه في الحساب، وعرقلت قراءة وكتابة اللغة اليابانية من تقدّمه. لقّبه أساتذته بالكوري الأحمق،

وانتظر موزاسو بفارغ الصبر انتهاء هذا الجحيم.

أنهى نوا المرحلة الثانوية بالرغم من الحرب وافتقارهم للميزات الأكاديمية. واستغل وقت فراغه في التحضير لامتحانات القبول في الجامعة. لم يكن يغادر المنزل من دون كتابٍ يدرس فيه للامتحان وإحدى رواياته القديمة باللغة الإنجليزية التي اشتراها من بائعٍ للكتب. عملَ نوا ستة أيامٍ في الأسبوع لدى السيد هوجي؛ الياباني المَرِح والذي يمتلك المنازل في حيّه. وانتشرت شائعة أنه في الحقيقة نصف بوراكومين أو كوري، لكن لم يتحدث الكثيرون بالأمر لأن هوجي كان المالك، وربما أطلق هذه الشائعة أحد المستأجرين الممتعضين، والتي لم يبدُ أنّ السيد هوجي يعيرها أي اهتمام. بصفة نوا سكرتيراً ومحاسب السيد هوجي فقد مسك دفاتر الحسابات بشكل منظم، وراسل بالنيابة عن السيد هوجي البلدية بلغة يابانية سليمة وأنيقة. بالرغم من وجهه البشوش وحديثه الطريف إلا أن هوجي كان شرساً عندما يتعلق الأمر بتحصيل بدلات الإيجار، وكان مقتراً بالدفع لنوا لكن الأخير لم يتذمّر. يعلم نوا أنه يستطيع جني أموال أكثر في حال عملَ لدى الكوريين في تجارة ألعاب الباتشينكو أو في مطاعم اللحم المشوي، لكنه لم يرغب في ذلك، بل أراد أن يعمل ويحظى بالعمل في مكتب ياباني. من جهة أخرى فالسيد هوجي - شأنه شأن معظم رجال الأعمال اليابانيين - لم يكن يوظف الكوريين، لكنه رجل يعرف كيف يجد صفقاتٍ رابحة، فابن أخيه كان يدرّس نوا في المدرسة، وأعلمه أن نوا من أذكى الطلاب في صفه.

ساعد نوا أخاه في واجباته المدرسية في المساء، وعلِمَ كلاهما أنه لا فائدة من الأمر، إذ لا رغبةَ لموزاسو في حفظ لغة الكانجي. وركّزَ نوا على تعليمه الحساب ومبادئ الكتابة. ولأن نوا صبور إلى أقصى الحدود فهو لم يغضب مرة من أخيه عندما كان يحصل على علاماتٍ سيئة في امتحاناته. فمعظم الكوريين يتركون المدرسة ولا يرغب نوا في حدوث هذا الشيء لموزاسو، لذلك لم يهتم كثيراً بعلاماته. حتى أنه طلبَ من والدته وعمه أن لا يغضبا من تقرير موزاسو المدرسي لأن الهدف الأساسي من ذهابه إلى المدرسة هو اكتسابه لأكبر قدر من المهارات التي قد تعينه عندما يدخل سوق العمل. ولو لم يحاول نوا بأقصى ما لديه لتعليمه،

لانتهى به المطاف كحال جميع أولاد الحي الكوريين تقريباً الذين يجمعون الخردة مقابل المال، ويبحثون عن الطعام العفن من أجل الخنازير التي تربيها أمهاتهم في المنزل، أو أسوأ من ذلك، فقد يقعون في مشاكل مع الشرطة بسبب جرائم صغيرة.

درسَ موزاسو اللغة الإنجليزية من خلال قاموسٍ وكتابٍ للقواعد فقد اهتمَّ كثيراً بها، أكثر من اهتمامه باللغة اليابانية أو الكورية. وساعده نوا في تعلّم مفرداتٍ جديدة من خلال التدرّب على كلماتٍ وعباراتٍ في اللغة الإنجليزية. لم يختلط موزاسو في مدرسته البغيضة معَ أحدٍ خلال فترة الغداء والاستراحة، فقد كان في صفه أربعة أولادٍ كوريين غيره لكنهم استخدموا أسماءهم اليابانية ورفضوا التحدّث عن جذورهم وخلفياتهم وخاصةً أمام كوريين آخرين. لكن موزاسو يعرفهم جيّداً لأنهم يسكنون في حيّه ويعرف عائلاتهم أيضاً، كانوا أصغر سناً منه، فلم يتجاوزوا العاشرة من العمر، لذا بقي بعيداً عنهم يغمره شعور بالاحتقار ويشفق عليهم في الوقت ذاته.

يمتلك معظم الكوريين ثلاثة أسماءٍ على الأقل. واستخدم موزاسو اسم موزاسو بوكو المرادف الياباني لاسم موزس بايك، ونادراً ما استعمل اسم عائلته الياباني باندو، المدرج في وثائق المدرسة وأوراق إقامته. فباسمٍ ينتمي إلى ديانة غربيّة واسم عائلةٍ كوريّ واضح وعنوان مسكنٍ في حيّ فقير؛ عرِفَ الجميع من يكون، ولا فائدة في نكرانه. لم يكن الأولاد اليابانيون يخالطونه، ولم يعد موزاسو يهتم لأمرهم بخلاف حاله عندما كان صغيراً. كان ينزعج عندما يضايقه الأولاد في صِغره، لكن ليس بقدر نوا الذي عوّض عن الأمر بتفوّقه الأكاديمي والرياضي على زملائه. تعرض موزاسو كل يوم للمضايقة قبل المدرسة وبعدها من قِبل الأولاد الأكبر سناً الذين كانوا يقولون له: «عد إلى كوريا أيها الحقير التافه». فإذا كان عددهم كبيراً فإنه يكمل سيره من دون فعل شيء، أما إذا كان هناك واحد أو اثنان من هؤلاء الأوغاد، فيضربهما حتى ينزفا. ومع الأيام أيقن أنّه يتحوّل إلى واحدٍ من أولئك الكوريين الأشرار.

في بعض الأحيان، تعتقل الشرطة الكوريين بتهمة السرقة أو تخمير الكحول في المنزل، وكل أسبوع يتورط شخص من الحيّ معهم. وقد علق نوا على الأمر

بقوله في حال خالف بعض الكوريين القانون، يؤخذ الجميع بجريرتهم. وفي كلّ مكان من شارع إيكاينو، هناك رجل يعنّف امرأته، وفتيات يعملن في الحانات، ويشاع بأنهن يأخذن أموالاً مقابل بعض الخدمات. ولطالما قال نوا أيضاً إنّ الكوريين يجب أن يربوا أنفسهم على العمل باجتهادٍ وأن يصبحوا أشخاصاً أفضل. من جهة أخرى، أراد موزاسو أن يضرب كلّ شخصٍ يتفوّه بأشياء سيئةٍ عنه. في إيكاينو هناك نساء عجائز يَشتمن ورجال يثملون لدرجة أنهم ينامون في الشوارع، لذلك لا يريد اليابانيون العيش بالقرب من الكوريين بسبب قذارتهم ولأنهم يسكنون مع الخنازير، ويعاني أولادهم من القمل. ويعتقد أيضاً أنّ البوراكومين أفضل من الكوريين، فعلى الأقل تجري في شرايينهم دماء يابانية. لقد أخبر نوا أخاه أنّ أساتذته السابقين أخبروه أنه شخص كوريّ جيّد، وأدرك موزاسو أنّ هؤلاء الأساتذة نفسهم سيظنونه إنساناً سيئاً بسبب علاماته المتدنية وشراسة طبعه. وماذا في ذلك بحق الجحيم؟ إذا ظنّ الأولاد ذوو العشر سنواتٍ أنه غبيّ، فلا بأس، وإن ظنّوا أنه عنيف، فلم يكن خائفاً من اقتلاع أسنانهم إن اقتضى الأمر. وفكّر بالمعادلة التالية: إذا اعتقدتَ أنني حيوان، فلن أخيب ظنك وسأؤذيك. فلم يكن يهتم بالظهور بمظهر الكوري الجيد والمحترم، فما الفائدة من ذلك؟

قبل بدء فصل الربيع، وقبل انتهاء الحرب في كوريا بعدّة أشهرٍ، التحقَ صبي جديد من كيوتو بصفّه، وكان في الثانية عشرة تقريباً. بدا هاروكي توتوياما فقيراً، وكان ذلك واضحاً من بذلته المهترئة وحذائه المتآكل، أما جسدياً فكان نحيلاً وضعيف البصر. بدا للوهلة الأولى أنه تلقى قبولاً من الأولاد الآخرين. لكن لسوء الحظ أخبرهم أحدهم أنه يقيم في الشارع عند الحدود، بين حيّ الكوريين وحيّ اليابانيين الفقراء، فانتشرت الشائعات بسرعةٍ أنّ هاروكي هو من البوراكومين بالرغم من عدم صحّة الأمر. ثمّ اكتشفوا أنّ له شقيقاً أصغر منه مشوه الرأس. وبالرغم من أنهم يابانيون، فقد عانت والدة هاروكي في إيجادِ مكانٍ مناسبٍ للسكن، لأنّ كثيراً من مالكي الأراضي اليابانيين اعتقدوا أنّ هذه العائلة ملعونة. لم يكن والد هاروكي يقيم معهم، فهو عندما رأى تشوه ابنه الثاني ذهب ولم يعد، وكانت الأمور لتكون أسهل لو أن هذا الوالد كان جندياً وقتل في الحرب.

حاول هاروكي كثيراً أن يندمج مع الآخرين على عكس موزاسو، لكن حتى الأولاد من ذوي المكانة الاجتماعية المتدنية لم يعطوه أيّ فرصة، وعاملوه على أنه حيوان مريض. وحتى الأساتذة الذين يجب أن يكونوا مثلاً أعلى للتلاميذ، لم يقتربوا منه. تمنّى الصبي الجديد أن تختلف هذه المدرسة عن القديمة التي في كيوتو، لكنه أيقن أنه لا يمتلك أية فرصةٍ هنا أيضاً.

يجلس هاروكي وقت الغداء في نهاية الطاولة الطويلة مع مقعدين فارغين من كلّ جانبٍ كقوسين خفيين يحيطان به، بينما يجلس الأولاد الآخرون الذين يرتدون زيّاً صوفياً موحداً داكن اللون بعضهم مع بعض كحباتِ الذرة السوداء المرصوصة. من طاولةٍ قريبة، راقب موزاسو الذي يجلس وحده دائماً الفتى الجديد وهو يحاول التحدّث مع هؤلاء الأولاد، ولكن من دون الحصول على أيّ رد. وبعد مرور شهرٍ على هذا المنوال، تكلّمَ موزاسو أخيراً مع الصبي في حمّام الفتيان.

سأله: «لماذا تسعى وراء حب هؤلاء الأولاد؟».

فردّ هاروكي: «وما الخيار الذي أملكه؟».

«يمكنك أن تقول لهم اذهبوا إلى الجحيم وأن تبدأ حياتك الخاصة».

«وما هي الحياة التي تملكها؟». سأل هاروكي بحسن نية، فهو يريد أن يعرف إن كان هناك بديل لهذه الحياة.

«اسمع، ليس خطؤك إن لم يحبّكَ الناس. هذا ما قاله لي أخي».

«لديك أخ؟».

«أجل. يعمل لدى السيد هوجي؛ المالك».

«أخوك الشاب الذي يضع نظارة؟».

فالسيد هوجي هو مالك منزل هاروكي أيضاً.

أومأ موزاسو مبتسماً وفخوراً بأخيه الذي يعتبر شخصيةً مهمة في الحيّ، كما أنه يحظى باحترام الجميع.

قال هاروكي: «يجب أن أعود إلى الصف قبل أن أقع في مشكلة».

«أنتَ جبان. هل تقيم وزناً للأستاذ كارا؟ إنه أكثر جبناً منك».

ازدرد هاروكي ريقه.

قال له موزاسو: «إذا أردت، اجلس معي خلال الاستراحة». لم يقدِم على اقتراحٍ كهذا من قبل، لكنه لا يظنّ أنّ بإمكانه تحمّل رؤية هذا الفتى وهو يحاول التحدّث إلى هؤلاء الأوغاد مجدداً ويلقى الصد. فقد كانت مشاهدة محاولاته الفاشلة مؤلمةً ومحرجة بطريقةٍ غريبة.

سأله هاروكي وهو يبتسم: «حقاً؟».

فأومأ موزاسو

حتى عندما أصبحا رجلين، لم ينسَ أيّ منهما تلك اللحظة التي أطلقت شرارة صداقتهما.

11

أكتوبر 1955

احتفظ موزاسو بصورةٍ للمصارع ريكيدوزان ملصقةً على الجهة الداخلية من غطاء صندوقه والذي احتفظ فيه بأشيائه الخاصة كالقصص المصورة المفضلة لديه، والعملات القديمة، ونظارة والده. لم يكن موزاسو يحب الالتحام بخصمه لوقت طويل خلال القتال، بعكس مصارعه الكوري الأثير، لكنه كان يقتدي به في توجيهه للضربات القاضية.

كانت لائحة الفتيان الذين ضربهم موزاسو طويلة؛ منهم من شتموه أو تنمّروا على صديقه أو أزعجوا والدته وجدته حيث تبيعان الحلويات في محطة تسوروهاشي. واعتادت سونجا تلقّي الملاحظات والزيارات من الأساتذة، والمستشارين والأهالي الغاضبين. لكنه أسقط في يدها، ولم تعلم كيف تمنع ولدها من القتال، ولطالما ذعرت أن يتورط في أمر خطير أو يتقاتل مع الشخص الخطأ. لقد اعتاد يوسب ونوا التحدث إليه بعد كل حادثة، فيعدهما ويمتثل لرغباتهما لفترة، ولكن عندما يعتقد أن هناك شخصاً يستحق أن يضرب كان يعود لسابق عهده وينكث وعده.

وبعد كل عراك، عندما كانت العائلة تسأله عن السبب كان يجيب بإحدى إجابتين لا ثالث لهما: إما يعتذر صادقاً لأنه جلب لهم العار، أو يتذرع بأنه لم يكن البادئ. ولطالما صدقته والدته لأنها كانت مقتنعة أن ابنها البالغ السادسة عشرة من العمر لم يكن شخصاً عنيفاً بطبيعته. فقد تجنّب المشاكل بقدر استطاعته ولأطول مدّةٍ ممكنة، لكن عندما تسوء الأحوال، فإنه يوّجه ضربةً سريعةً وفعّالة إلى وجه المسيء لوقف المضايقة. حطّمَ موزاسو أنوف كثير من الفتيان وتسبب بالعديد من الكدمات، ووحده الغبي أو متنمّر جديد في المدرسة تجرأ على إزعاجه. حتى

المدرّسين فإنهم احترموا قوّة الفتى البدنية، وعرفَ الجميع أنّ موزاسو لا يسيء استخدام هذه القوّة ويفضّل ألا يضايقه أحد.

توجّب إرسال موزاسو إلى عربة الحلويات بعد المدرسة لإبعاده عن المشاكل، وظلّت كيونغي في المنزل مع زوجها. رغبَ نوا في أن يساعد موزاسو والدته وجدّته، ومن ثمّ في إدارة متجر الحلويات في حال جمعوا ما يكفي من المال لشرائه، لكن موزاسو لم يرغب في ذلك. فالعمل في الأسواق من مهمّات النساء، وبالرغم من أنه يكّن لهن الاحترام لكنه لا يرغب في صنع الحلوى وبيعها طيلة حياته. إلا أنه لا يمانع حالياً بمساعدة والدته وجدّته في إحضار الفحم من أجل الموقد. وشعرت سونجا ويانغجين بالراحة لوجود فتى قوي معهما لجرّ العربات إلى المنزل بعد يومٍ طويل من العمل.

في عصر يومٍ خريفي، بينما كانت السوق راكدة، والنساء يتحدثنَ مع بعضهن لعدم وجود الزبائن، تذرع موزاسو بالذهاب إلى الجهة الأخرى من السوق لإحضار طبقٍ من الكيمباب ولم يمانع أحد ذلك. لكنه ذهبَ في الحقيقة لرؤية تشياكي؛ الفتاة التي تبيع الجوارب والتي تبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً؛ وهي فتاة يابانية يتيمة، توفي والداها بسبب الحرب، فسكنت مع جدّيها، وعملت معهما في متجر الجوارب الكبير الذي يمتلكانه. جسدها يضج أنوثة وتحبّ المغازلة. لم تحب تشياكي مرافقة الفتيات الأخريات كثيراً، وفضلت عليهن مرافقة الفتيان الذين يعملون في السوق. مازحت تشياكي موزاسو لأنها أكبر منه بسنتين، واعتقدت أنه أكثر الفتيان وسامة، ولكن ما أعاق تطور علاقتها به أنه كان كورياً، فجداها سيتبرآن منها في حال واعدته، كانت تشياكي وموزاسو يعرفان ما ينتظر علاقتهما، لكنهما لم يجدا ضيراً بالتحدث إلى بعضهما لا أكثر. فموزاسو وغيره من الفتيان يأتون لتسليتها عندما يعود جدّاها إلى المنزل عند العصر، ويتركانها تعمل في المتجر ريثما يحين موعد الإغلاق. تركت تشياكي المدرسة منذ سنواتٍ لأنها كرهت الفتيات المغرورات اللواتي سيطرن عليها، ولم يرَ جدّاها أيّ فائدةٍ من إكمال تعليمها. وكانا يخططان لتزويجها من الابن الثاني لصانع حصائر التاتامي، والذي اعتقدت تشياكي بأنه ممل لأنها أحبّت الفتيان الذين يرتدون ثياباً أنيقةً ويتكلّمون

بطلاقة ولباقة. لكنها فتاة، وبريئة بالرغم من اهتمامها بالفتيان، إلاّ أنها لم تتورط بأي فعل شائن مع أي فتى من قبل.

تشياكي جميلة لدرجة أنها تستطيع جعل أيّ شابٍ يصطحبها إلى المقهى إن رغبت في ذلك. فهي تعرف قيمتها وما تحبّه أكثر من أيّ شيء آخر هو إخلاص الشاب لها. عندما طرقَ موزاسو باب الكشك وأعطاها قطعةً من حلوى جدّته الشهيرة التي لا تزال دافئةً وطريّة، ابتسمت له ولعقت شفتيها، واستنشقت رائحتها بامتنانٍ ثم تناولت لقمةً صغيرةً منها.

«لذيذة! لذيذة! شكراً لكَ يا مو. فتى وسيم يستطيع صنع الحلويات. أنتَ مثاليّ، ألستَ كذلك؟».

ابتسم موزاسو، فقد بدت فاتنةً، بقدّها الممشوق وطلاء شفتيها توتي اللون الذي جعل شفتيها البضّتين شهيتين، ولم يظن أن لها نظيرة. وبالرغم من أنها اشتهرت بالتحدّث إلى كثير من الفتيان لكنه لم يمانع الأمر واستمتع برفقتها. فلم يسبق له أن رآها مع فتى، لذلك لم يكن متأكداً إن كانت الشائعات صحيحة أم لا.

سألها: «كيفَ العمل؟».

«لا بأس بهِ. لا أكترث بالأمر، أعرف أننا جنينا ما يكفي هذا الأسبوع وهذا ما قاله جدي».

قال موزاسو: «السيدة التي تبيع الأحذية تنظر إلينا».

تمتلك السيدة واتانابي المتجر المقابل لمتجر تشياكي، وهي الصديقة المقرّبة لجدّتها.

«أكره هذه العجوز الشمطاء، ستخبر جدّتي مجدداً، لكني لا أكترث».

«هل ستقعين في ورطةٍ لأنكِ تتحدثين إليّ؟».

«لا. سأقع في ورطةٍ فقط إن سمحت لكَ بإعطائي الحلوى».

«حسناً، سأتوقّف إذاً».

«لا!» قضمت تشياكي قضمة أخرى من الحلوى، وهزّت رأسها كفتاةٍ صغيرةٍ عنيدة.

توقف شاب أمام المتجر يرتدي ملابس تشير إلى أنه يعمل في وظيفة مكتبية،

فنظرا إليه، وأشارت تشياكي إلى كرسيّ فارغ في زاوية المتجر، فجلس عليه موزاسو وشغلَ نفسه بتصفّح جريدة.

سألت تشياكي الشاب: «كيف أساعدك يا سيدي؟». لقد أتى في وقتٍ سابقٍ عندما كان جداها هنا لكنه عاد الآن. «هل ترغب في رؤية الجوارب السوداء مجدداً؟».

سألها الشاب: «هل تذكّرتني؟».

«بالطبع. لقد أتيت هذا الصباح».

«يعجبني أن تتذكرني فتاة فاتنة مثلك، أنا سعيد أنني عدت من أجلك».

عندها أبعد موزاسو الجريدة، ونظر إلى الشاب.

«كم جورباً تريد؟».

«كم واحداً لديكِ؟».

«على الأقل لديّ عشرون زوجاً تناسب مقاس قدميك».

في بعض الأحيان قد يشتري الزبائن عشرة أزواج، وذات مرة اشترت أم لابنها الذي يدرس في الجامعة علبتين من الجوارب.

«سأشتري اثنين. لكني سآخذ المزيد إن ألبستني إياها».

طوى موزاسو الجريدة، ونظرَ إلى الشاب الذي لم ينتبه إلى غضبهِ.

قالت تشياكي: «حسناً، سأغلّف لكَ هذين».

فسألها: «ما اسمك؟».

«تشياكي».

«لديّ قريبة تحمل نفس الاسم. يا إلهي كم أنتِ جميلة! هل أنتِ مرتبطة؟».

صمتت تشياكي.

«لا؟ أظنّ أنه يجب أن تصبحي حبيبتي». وضعَ المال في يدها وأمسكها.

ابتسمت له تشياكي، فقد تعاملت مع شبان من هذا النوع من قبل، وتعرف إلى ماذا يلمّح، لكنها تظاهرت بأنها لم تفهم قصده.

شعرَ موزاسو بالغيرة لكنها لم تمانع الأمر، وأبرزت صدرها قليلاً – في الحمام العام تخبرها النساء الأكبر سناً كم هي محظوظة لامتلاكها صدراً ناهداً وصلباً – فحدّقَ الشاب إلى المكان الذي أرادته أن ينظر إليه بالضبط فقال: «جميل.

متى أصطحبكِ الليلة؟ سأدعوك لتناول طبق من اللحم المشوي».

قالت له وهي تضع المال في الصندوق: «لا تستطيع أنتَ كبير عليّ».

«أيتها المنافقة».

فقالت غير خائفةٍ منه: «وأنتَ لستَ من نوع الشبان الذي يستهويني».

«أنتِ صغيرة ليكون لديك نوع محدد. وأنا أجني كثيراً من الأموال وأعرف كيف أشعرك بأنوثتك». جذبها نحوه وأمسك مؤخرتها وعصرها. «مؤخرة مغرية، وصدر ناهد، أغلقي المتجر وتعالي».

نهضَ موزاسو بهدوءٍ واتجهَ نحو الشاب ولكمه على فمه، فسقط أرضاً، وسالت الدماء من شفتيه، وأدركَ موزاسو أنه حطم بعضاً من أسنان الشاب، بالنظر إلى الألم الذي شعر به في أصابعه.

فخاطبه قائلاً: «من الأفضل أن تأخذ الجوارب وتعودَ إلى منزلكَ في الحال».

حدّق الشاب إلى الدماء التي تناثرت على قميصه الأزرق وبنطاله وكأنها ليست دماءه.

قال الرجل: «سأستدعي بالشرطة».

فقالت له تشياكي: «افعل ذلك. استدعِ الشرطة» ولوّحت بهيجانٍ للمرأة في المتجر المقابل والتي سارعت إليهم.

«اذهب يا مو الآن. أسرع بالخروج من هنا. سأتعامل مع هذا الأمر بنفسي».

فمشى بسرعةٍ نحو عربة الحلوى.

وجدته الشرطة بسرعة. فقبلَ بضع دقائق من ذلك، رجعَ موزاسو إلى عربة الحلوى والدماء تغطي يده وأخبر والدته وجدّته عن الحادثة التي حصلت مع تشياكي وأكّدَ الشرطي على ذلك.

قال الشرطي: «ضربَ ابنكِ سيّداً يشتري بعض الجوارب، أخبرتني الفتاة أنّ الشاب كان يحاول التحرش بها، وأن ابنك حاول أن يحميها لكن الزبون ينكر الأمر».

كان السيد غورو صاحبَ صالة ألعاب الباتشينكو يتّجه إلى عربة الحلوى للحصول على وجبته، فأسرع إليهم حين رأى الشرطي.

«مرحباً أيها الضابط» غمزَ سونجا «هل من مشكلة؟».

جلسَ موزاسو على المقعد الخشبي القديم بجانب العربة، وشعرَ بالذنب لوضع والدته وجدّته في هذا الموقف المحرج.

«دافعَ موزاسو عن شابّة تعمل في متجر الجوارب عندما حاول أحد الشبان التحرش بها، فلكمه على وجهه». قالت بهدوءٍ بينما أبقت رأسها شامخاً خوفاً من أن تبدو وكأنها تعترف بتهمة ولدها. وخفقَ قلبها بقوّةٍ لدرجة أنها ظنّت أنّ بإمكانهم سماع ما قالته.

«كان يحاول أن يقدّم المساعدة فحسب».

هزّت يانغجين رأسها موافقةً الرأي وربتت على ظهر موزاسو

قال غورو وهو يضحك: «حقاً؟ أهذا صحيح أيها الضابط؟».

«الشابة التي تعمل في المتجر تقول ذلك، والسيدة واتانابي تؤكّد أقوالها، لكن الرجل ينكر الأمر. لكن بعض أصحاب المتاجر أخبروني أنه شخص خبيث، ويحاول إزعاج الشابات اللواتي يعملن في المنطقة» هزّ الشرطي كتفيه «أياً يكن الأمر، يعتقد الرجل أنّ فكّه مكسور، وارتخت اثنتان من أسنانه السفلية. لذلك أردت أن أنذر الشابَ أنه ليس من حقه ضرب الناس حتّى لو أخطأوا. كان عليه إبلاغ الشرطة».

أومأ موزاسو موافقاً. لم يستدعِ أحد الشرطة من قبل بالرغم من وقوعه في العديد من المشاكل. وعرِفَ طوال حياته أنّ والده سجن ظلماً، وسبق لنوا أن حذّره أنّ الكوريين لم يعودوا مواطنين في اليابان، وأنه سيرحل إن تسبب بالمشاكل وأنه بالرغم من كلّ شيءٍ آخر، يجب عليه أن يحترم الشرطة حتى ولو تصرفوا بوقاحةٍ أو كانوا على خطأ. قبل شهرٍ، أخبره نوا أنّ الكوريّ عليه أن يكون مواطناً صالحاً للغاية، فشعرَ موزاسو بالسوء مجدداً لإفساده الأمر ولخيبة أمل نوا.

يعتبر غورو كلاً من سونجا والفتى من أكثر الباعة المفضلين لديه في السوق.

«أنا أعرف هذه العائلة أيها الضابط، فهم مجتهدون في عملهم. وموزاسو فتى جيّد، ولن يقعَ في ورطةٍ بعد الآن، أليس كذلك يا موزاسو؟». حدّقَ إليه غورو

«نعم». ردّ موزاسو

أكّد الشرطي مرّةً أخرى على ما سبق له وقاله بأنّ المواطنين يجب ألا يطبقوا القانون بأنفسهم، فأومأ كل من غورو، سونجا، وموزاسو للشرطي كما لو أنه الإمبراطور نفسه. صفعَ غورو الفتى برفقٍ على مؤخرة رأسه بقبعته بعد أن غادر الشرطي، فأجفلَ موزاسو لكنه لم يتألم.

«ماذا ستفعلان بهذا الولد؟». سأل غورو المرأتين اللتين بدتا غاضبتين لكن في ذات الوقت تستمتعان بالأمر.

أخفضت سونجا رأسها، فقد حاولت كلّ شيءٍ تستطيع فعله من قبل، لكن يبدو أنّ عليها طلب المساعدة من شخصٍ غريبٍ الآن. وقد يغضب يوسب ونوا بسبب فعلها لكن عليها تجربة شيءٍ جديدٍ يختلف عما كانوا يفعلونه.

فسألته سونجا: «هل تستطيع مساعدته؟ هل بإمكانه العمل لديك؟ لستَ مضطراً لإعطائه الكثير..».

فلوّحَ لها غورو وكأنه يسكتها وهزّ رأسه والتفت إلى الفتى. فهذا كلّ ما يرغب في سماعه لتلبية طلبها.

«استمع إليّ، ستترك المدرسةَ غداً صباحاً، وتبدأ بالعمل لديّ، فوالدتك لا تحتاج إلى هذا الهراء. فبعدَ أن تخبر المدرسةَ أنك لن تكملَ دراستك، ستتجه إلى متجري، وتعمل بجد واجتهاد وسأدفع لكَ ما تستحقّه، فأنا لا أبخس عمالي حقهم. عندما تعمل، تتقاضى أجورك، هل تفهم؟ وابتعد عن فتاة الجوارب، فهي تسبب المشاكل».

سألته سونجا: «هل يحتاج متجركَ إلى فتى؟».

«بالطبع، لكن من دون قتال. فهذه ليست الطريقة الوحيدة لتكون رجلاً». قال وهو يشعر بالأسى تجاه الفتى اليتيم. «أن تكون رجلاً يعني أن تتحكّم بانفعالاتك، وأن تعتني بعائلتك، هذا ما يفعله الرجل الصالح. اتفقنا؟».

«أنتَ لطيف يا سيدي لمنحي فرصةً. أنا أعرف أنه سيعمل..».

«أنا أرى ذلك» قال غورو مبتسماً «سنصنع منه فتى باتشينكو ونبقيه بعيداً عن الشوارع».

فنهض موزاسو من جلسته وانحنى لمديره الجديد.

12

مارس 1956

غورو كوريّ، سمين لكنه ساحر وله شعبيته وخاصةً في صفوف النساء الجميلات. كانت والدته تجمع أصداف البحر ذات الشكل الحلزوني في جزيرة جيجو، وانتشرت بعض الأقاويل في حيّ إيكاينو حيث يسكن غورو في منزلٍ بسيطٍ بمفرده، أنه كان ذات مرّةٍ سباحاً ماهراً ورشيقاً. لكن من الصعب تخيّله يقوم بأشياء باستثناء سرد القصص المضحكة وتناول الوجبات الشهية التي يصنعها لنفسه في مطبخه. وهناكَ شيء حسيّ ومترَف حيال ذراعيه الممتلئتين وبطنه المنفوخ، قد يكون للأمر علاقة بنعومة بشرته السمراء، أو كيفَ تتلاءم بدلة مصنوعة بإتقان فيبدو كالفقمةِ المتفاخرة تنزلق عبر شارع المدينة. وهو عذب الحديث؛ ذلك النوع من الرجال القادر على بيع الماء في حارة السقائين. عاش غورو حياة بسيطة، إذ فضّل تجنّبَ التبذير على بالرغم من أنه كان يجني الكثير من متاجره الثلاثة المتخصصة بآلات الباتشينكو، لكن ذاع صيت كرمه مع النساء.

عملَ موزاسو باجتهادٍ لدى غورو مدة ستة أشهرٍ في الباتشينكو الرئيسية. وتعلّمَ الفتى الذي يبلغ من العمر السادسة عشرة خلال ذلك الوقتِ أشياءَ كثيرةً عن العالم أكثر مما تعلّمه في المدرسة. وكان جني المال أسهل بأضعافٍ وأكثر متعةً من محاولة حشوِ لغة الكانجي التي لن يستفيد منها في رأسه، وشعرَ بارتياحٍ كبيرٍ لعدم اضطراره إلى استخدام الكتب أو تقديم الامتحانات مجدداً. وبما أن أياً من العمال الكوريين لم يتفوه بشيءٍ تافهٍ عن خلفيته وجذوره أدركَ كم يشعر بالهدوء، ولم يتورّط في أي قتالٍ منذ عمله لدى غورو.

مساء كل سبت، يسلم الصبي والدته مغلفاً يحتوي على راتبه، فتعطيه مصروفه وتحتفظ بالباقي من أجل نفقات الأسرة، لكنها ادخرت كثيراً منه أيضاً، لأنّ موزاسو

رغب أن يصبح صاحب عمل ذات يوم. كلّ صباحٍ يسرع موزاسو إلى العمل ويبقى هناك حتى وقتٍ متأخرٍ جداً، فقد أعجبه قيامه بكنس الأرض من أعقاب السجائر أو غسل فناجين الشاي عندما تكون كايوكو؛ الفتاة التي تعمل في المطبخِ، مشغولةً.

في صباحٍ لطيفٍ من شهر آذار، وبعد بزوغ الفجر بساعتين تقريباً، دخل موزاسو من الباب الخلفي للمتجر ليجد غورو يجهّز أزرار الآلة التي اختارها. ففي كلّ يومٍ قبل افتتاح المتجر، ينقر غورو بخفّةٍ على بعض الأزرار الموجودة على آلات الباتشينكو باستخدام مطرقته المغلّفةِ بالمطّاط. فينقر على تلك الأزرار قليلاً فقط من أجل تغيير مسار الكرات المعدنية، وبالتالي فعمله هذا من أجل التأثير على الجوائز التي تقدمها الآلة. فلن تعرف أبداً الآلة التي قد يختارها غورو أو الاتجاه الذي سيوجّه إليه الأزرار.

وبالرغم من وجود صالاتٍ أخرى لآلات الباتشينكو في المنطقة، والتي تجني أرباحاً لائقة إلاّ أنّ غورو هو الأكثر نجاحاً، فهو يتمتع بلمسةٍ خاصّة ويعرف كيف يوجّه آلاته. وتسبب هذه التعديلات البسيطة القليل من الإحباط للزبائن المعتادين الذين تفحّصوا الآلات قبل إغلاق الصالة على أملِ الحصول على حظ أفضل في الصباح، لكنها تترك أيضاً مجالاً للتنبؤ بإمكانية تحقيق أرباحٍ جيّدة مما يجذب العملاء للعودة وتجربة حظوظهم مرّةً بعدَ مرّة. وعلّمَ غورو موزاسو هذه الطريقة وقيلَ له إنه طالب جيّد للمرة الأولى في حياته.

قال موزاسو وهو يدخل إلى المتجر: «صباح الخير يا سيد غورو».

«أتيتَ باكراً مجدداً يا موزاسو، أحسنت. أعدَّت كايوكو بعض الدجاج بالأرز، يجب أن تتناول الفطور. أنتَ شاب الآن وعليك أن تكسب بعض الوزن، فالنساء تحب ذلك». ضحك غورو بحماسةٍ ورفعَ حاجبيه وسأله: «أليس كذلك؟».

ابتسم له موزاسو، فهو لا يمانع المزاح. خاطبَ السيد غورو الفتى وكأنه هو أيضاً عاشرَ كثيراً من النساء بالرغم من حقيقة أنه لم يسبق له أن اقترب من فتاة.

«شكراً، لكنني أكلت، فقد حضّرت والدتي الحساء هذا الصباح». جلسَ موزاسو بجانب مديره.

«كيفَ حال والدتكَ؟».

«جيدة، جيدة».

بالرغم من معارضة نوا التّامة لعملِ موزاسو في صالة الباتشينكو، لكنّ سونجا سمحت له في نهاية الأمر بالعمل مع غورو؛ فهو رجل يحظى باحترام واسع في إيكاينو، لأنها خائفة على سلامة ابنها بسبب تورّطه في كثير من المشاكل مع فتيانٍ من المدرسة، لذلك فقد وافقت على تركها نهائياً، فلا أمل يرجى من تعليمه. لكن نوا لا يزال يحاول الالتحاق بجامعة واسيدا، وشكّلَ هذا الأمر مواساةً للعائلة؛ فعلى الأقل سيكون أحد الولدين مثقفاً مثل أيزاك.

«وكيف حال عملها؟ السكّر يسبب الإدمان لذلك فإنه مصدر جيّد لكسب المال، أليس كذلك؟» ضحكَ بينما ينقر برقّةٍ على زرّ تلوَ آخر.

فأومأ موزاسو برأسه، فخوراً بكشك الحلويات الذي تديره كلّ من والدته، وجدّته والعمّة كيونغي في السوق المفتوحة عند محطّة القطار. ترغب قريباته في امتلاك متجرٍ لائقٍ يوماً ما، لكن يجدر بهن الانتظار ريثما يجمعن ما يكفي من المال لشراء متجر، لأن اليابانيين لا يؤجرون المواقع الجيدة للكوريين. لذلك رغبَ موزاسو في جني مالٍ كافٍ للدفع من أجل دروسِ نوا الخاصّة ولشراءِ متجرٍ ذي موقع جيد لوالدته.

«جرّب أنت» أعطى غورو المطرقة للصبي، فبدأ بالنقر على الأزرار بينما كان رئيسه يراقبه.

«قابلت صديقتي السيدة ميوكي البارحة وشربنا الكثير من الكحول. لا تكن مثلي يا فتى، وتضيّعَ وقت فراغك مع الفتيات الرخيصات» أخبره غورو مبتسماً «إلاّ إذا كنّ فاتناتٍ جداً».

ردّ موزاسو: «السيدة ميوكي جميلة».

«فعلاً. فثدياها مغريان وبطنها كبطن حورية البحر. النساء لذيذات كالحلوى، ولا أعرف كيف سأتمكّن من الاستقرار يوماً. لكن مجدداً، لا أرى سبباً للاستقرار. فكما ترى يا موزاسو فلا أمّ ولا أب لديّ، وعلى الرغم من أنّ هذا الأمر يحزنني، لذا ما من أحد مهتم بأمر زواجي» قال ذلك من دون أن يبدو عليه الانزعاج أبداً.

«مع من خرجتَ البارحة؟». سأله غورو، فابتسم موزاسو.

«أنتَ تعرف أنني بقيت هنا حتى ساعة الإغلاق، ثمّ عدت إلى المنزل».

«إذاً، لم تطارد كايوكو في أرجاء المطبخ؟».

ضحكَ موزاسو «لا».

«آه حسناً، الفتاة المسكينة تتأثر بالدغدغة كثيراً. ليست سيئة المظهر، وستتمتع بجسدٍ جميلٍ في يومٍ من الأيام، لكنها ما تزال صغيرةً حالياً. سيشتري لها أحد ذاتَ يومٍ بعضاً من مسحوق البودرة وأحمر الشفاه، وحينها ستتركنا. فهذه هي طريقة النساء».

لم يفهم موزاسو سببَ اهتمام مديره بالفتاة التي تعمل في المطبخ، رغم أنه يرافق عادةً الممثلاتِ والراقصات.

«لكن كايوكو قابلة للدغدغة على أية حالٍ. وهي تمتلك ضحكةً جميلة» نكزَ غورو ركبته بركبة الصبي «أتعلم يا موزاسو، أنا أحبّ وجودكم هنا أيها الأولاد. فأنتم تجعلون المكان أكثرَ بهجةً ومرحاً».

احتفظَ غورو بموزاسو في المتجر الرئيسي لأنه يمتلك طاقةً مدهشةً، وباستطاعته الآن توظيف عددٍ كافٍ من العاملين في جميع متاجره. فلم يمضِ وقت طويل منذ أن كان عاملاً مثل موزاسو قبل أن يصبح مالكاً لصالة ألعاب.

رمقَ غورو الصبي بنظرة شاملةً وعبسَ، فنظر موزاسو إليه مرتبكاً.

«أنتَ ترتدي هذا القميص الأبيض وهذا البنطال الأسود يومياً. تبدو نظيفاً لكنك تشبه البوّاب. تمتلك قميصين وبنطالين، صحيح؟» قال غورو بلطافةٍ.

«نعم يا سيدي». ألقى الصبي نظرةً على ثيابه. فقد كوت له والدته القميص الليلة الماضية، لكن السيد غورو على حق؛ فهو لا يبدو سيئ المظهر، لكنه لا يبدو أنيقاً أيضاً، وليس لديه ما يكفي من المال لشراء الملابس. فبعد إنفاق المال على الطعام، والدروس الخصوصية وأجرة النقل، تستهلك فواتير طبيب العم يوسب ما تبقّى من الأموال الاحتياطية. وحالته تسوء يوماً بعد يوم، فهو يمضي جل وقته في السرير.

«أنتَ بحاجة إلى بعض الملابس. هيّا بنا».

صاحَ غورو: «آنسة كايو، سأغادر لدقائق مع موزاسو، لا تسمحي لأحدٍ بالدخول، اتفقنا؟».

صرخت له كايوكو من المطبخ: «حاضر يا سيدي».

«لكن يجب أن أخرج الصواني التي تحتوي على الكرات، وأمسح الغرفة الأمامية، وأنظّف الآلات، وأردت أن أساعد كايوكو في مناشف اليدين». ردد موزاسو مهمّاته الصباحية، لكن مديره كان قد صار عند الباب مسبقاً.

«تعال يا موزاسو، ليس لديّ اليوم بطوله. لا يمكنك أن تبدو بهذا المظهر بعد الآن» صاحَ مبتسماً وغير منزعجٍ من حيرة الصبي.

فوجئت المرأة التي فتحت الباب الخشبي الصغير بالفتى الطويل الذي يرافق زبونها السيد غورو.

عرِفَ موزاسو المرأة على الفور؛ فهي والدة هاروكي. قابلها عدّة مرّاتٍ في الطريق وعرّفه هاروكي إليها، لكن لم يسبق له أن زار منزل صديقه.

انحنى لها موزاسو احتراماً: «السيدة توتوياما، مرحباً».

«مرحباً يا سيّد موزاسو وأهلاً بكَ. لقد سمعت أنكَ تعمل لدى السيد غورو».

«ابتسم غورو «إنه فتى جيّد. أنا أعتذر على المجيء في وقتٍ باكرٍ يا سيدة توتوياما، لكن هذا الفتى يحتاج إلى عدّة أشياء».

اندهشَ موزاسو، كم بدا منزل السيدة توتوياما صغيراً، فمساحته تعادل ثلث مساحة منزله. وهو في الأساس عبارة عن غرفةٍ واحدةٍ صغيرة مقسّمة إلى عدّة أجزاءٍ من خلال جدران منزلقة. يتضمّن القسم الأمامي آلة الخياطة، ودمى الخياطة، وطاولة العمل والأقمشة. الغرفة نظيفة للغاية، وغطّت رائحة بخور شجرة الصندل روائح الطعام المنبعثة من الطهي. لم يستطع موزاسو أن يصدّق أنّ هاروكي يعيش في مكانٍ ضيّقٍ كهذا إلى جانب والدته وأخيه، ما جعله يشتاق إلى صديقه أكثر. فلم يَرَه منذ أن ترك المدرسة للعمل.

«سيصبح موزاسو رئيس العمّال الجديد، والأصغر سنّاً حتى الآن».

«ماذا!» صاحَ الفتى

قال غورو: «لكن لا يجدر بالرئيس أن يبدوَ كصبي ينظّف الآلات ويوزّع

مناشف اليدين وفناجين الشاي. أرجوكِ يا سيدة توتوياما، اصنعي له سترتين وبنطالين متطابقين».

فأومأت السيدة، وأخرجت بكرتها لأخذ قياس كتفيه وذراعيه. ودوّنت الملاحظات بقلم رصاص صغير على دفترٍ مصنوعٍ من أوراق التغليف المستعملة.

«أمي، أمي، هل أستطيع الخروج الآن؟».

بدا الصوت كصوت رجلٍ كبيرٍ يتوسّل بنبرةِ ولدٍ صغير.

«اعذروني، فولدي فضوليّ. عادةً لا يأتي الزبائن في الصباح الباكر».

فلوّحَ لها السيد غورو لتذهبَ وتطمئن عليه.

بدا وجه غورو حزيناً بعد أن غادرت الغرفة: «الصبي...».

فهزّ موزاسو رأسه فهو يعرف بقصّة الأخ الأصغر. لقد مرَّ حوالى ستة أشهرٍ منذ أن رأى هاروكي لآخر مرّة، فهو لا يزال في المدرسة، لأنه يرغب في أن يصبح شرطيّاً. ولم يدرك أيّ منهما أنّ المدرسة هي من جعلت صداقتهما ممكنةً، لأنه بعد أن غادر موزاسو لم تتح لهما فرصة رؤية بعضهما، فهو مشغول بالعمل طوال الوقت.

صنعت الجدران المنزلقة التي تفصل بين غرف المنزل من الورق وألواحٍ خشبيةٍ رقيقة، لذلك باستطاعة غورو وموزاسو أن يسمعا كلّ شيءٍ.

«ستعود والدتك في الحال يا دايسوكي، اتفقنا؟ أنا في الغرفة المجاورة وتستطيع أن تسمعني، صحيح؟».

«هل عادَ أخي من المدرسة يا أمي؟».

«كلا يا دايسوكي. فقد غادر منذ ساعة فقط ولن يعود قبل بضع ساعاتٍ أخرى، لذلك يجب أن نتحلّى بالصبر بينما ننتظره. يجب على والدتك أن تصنعَ سترتين لصديق هاروكي الطيّب. هل تستطيع المكوث هنا وتركيب أحجيتكَ؟».

«أهوَ السيد موزاسو؟».

اندهشَ موزاسو عندَ سماع اسمهِ وحدّق إلى الباب.

«أرغب في لقائه يا أمي. إنه الفتى الكوري. أرجوكِ، هل أستطيع مقابلته؟ أخبرني أخي أنّ موزاسو يشتم، أرغب في سماع ذلك!». ضحكَ الصبي بقوّةٍ.

ربتَ غورو على ظهر موزاسو، وكأنه يحاول طمأنته بطريقةٍ ما، وشعرَ الصبي بلطافة وعطفِ رئيسه.

«أمي، أمي، أرجوكِ. أرغب في مقابلة الصديق الكوري».

عمّ الهدوء فجأةً، وتحوّل صوت توتوياما إلى همسٍ منخفضٍ كهديل عصفورٍ.

«دايسوكي، دايسوكي، يا دايسوكي». رددت اسمه بهدوء حتى هدأ الصبي.

«يجب أن تبقى هنا وتلعبَ بأحجيتك وتساعدَ والدتك، اتفقنا؟ أنتَ ولد مطيع. سيعود هاروكي بعد عدّةِ ساعاتٍ وسيخرج عندما يعرف كم أحرزت من تقدم في الأحجية».

«حاضر يا أمي. في البدء، سألعب قليلاً بالبلبل، ثمّ سأكمل تركيب الأحجية. هل تعتقدين أنه بإمكاننا تناول الأرز اليوم بما أننا حصلنا على بعض العملاء؟ فأنتِ أحياناً تشترين لنا الأرز حين يزورنا الزبائن. أرغب في كرةٍ كبيرةٍ من الأرز يا أمي».

فهمست: «سنتحدث بالأمر لاحقاً يا بنيّ. دايسوكي، دايسوكي، يا دايسوكي».

رجعت السيدة إلى الغرفةِ، واعتذرت منهما، فأخبرها غورو أنه لا بأسَ بذلك. وللمرة الأولى لاحظ موزاسو أنّ رئيسه قد يبدو مرتبكاً من بعض الأمور، فقد ابتسمَ لها كثيراً وأظهرت عيناه المنسدلتان حزنه لرؤية وجهها الرقيق والمثقلِ بالهموم في الوقت ذاته.

«ربما يجب أن تصنعي للفتى سترتين، طقمين من السراويل ومعطفاً ملائماً للشتاء. فهو يرتدي دائماً أشياء رثة. أرغب أن يرى زبائني أنّ الموظفين لديّ منظمون ومتأنقون».

أعطاها السيد غورو بعض المال، وتلفّتَ موزاسو باحثاً عن آثارٍ تخصّ صديقه في هذه الغرفة الصغيرة، لكنه لم يجد أيّ شيءٍ، لا صور أو كتب باستثناء مرآةٍ بحجم لوحة معلّقةً على الحائط بجانب غرفة القياس المصنوعة من الستائر.

«سأرسل لكِ كايوكو أيضاً، لتصنعي لها لباساً يشبه زيَّ موزاسو. أظن أنه من الأفضل أن يرتديا ربطةَ عنقٍ مخططةٍ أو شيئاً مخططاً حتى يظهرا متطابقين. فقد رأيت ذلك في صالةٍ في طوكيو الشهر الماضي. يجب عليها أن ترتدي فستاناً أنيقاً مع مئزرٍ، ربما يكون المئزر مخططاً، ما رأيك؟ حسناً، سأترك القرار لكِ. يجب أن

تحصل الفتاة على زيين أو ثلاثة، مصنوعين بإتقانٍ» وأعطاها غورو مزيداً من المال.

انحنت له المرأة وقالت وهي تنظر إلى العملات الورقية: «لقد أعطيتني ما يكفي».

أشار غورو للفتى وقال: «يجب أن نذهبَ الآن، سيكون الزبائن متحمّسين لاستخدام آلاتهم».

«سأنتهي من صنع السترتين والسروالين في نهاية الأسبوع يا سيد غورو، وبعدها سأعمل على المعطف. على السيد موزاسو أن يعود مجدداً لتجربة السترة، هل تستطيع المجيء بعد ثلاثة أيامٍ من فضلك؟».

نظرَ موزاسو إلى السيد غورو الذي أومأ له مؤكداً.

«تعالَ معي يا موزاسو، علينا أن لا نترك الزبائن ينتظرون كثيراً».

غادر الفتى رفقة مديره، ولم يستطع اكتشاف أيّ شيءٍ عن صديقه الذي يعاني خلال الدروس الصباحية في مثل هذا الوقت.

انحنت لهما توتوياما مودعةً، وظلّت واقفة عند مدخل البيت حتى غابا عن نظرها عند الناصية، فأغلقت الباب خلفها وأحكمت إقفاله، وأخذت تبكي من شدة الفرح، فالمال الذي حصلت عليه سيتيح لها شراء ما يكفي من الطعام ودفع إيجار المنزل.

13

1957

قالت كيونغي: «لا بدَّ من وجود طريقةٍ ما لجمع ذلك المال».

ردّت يانغجين: «لدينا ما تبقى من المال الذي ادّخرناه من أجل المتجر».

«لقد صرِفَ أغلبه». همست سونجا. محاولة ادّخار المال ودفعِ فواتير طبيّة في الوقت ذاته، أشبه بسكب الماء في قربة مخرومة.

تحدّثت المرأتان في المطبخ بصوتٍ منخفضٍ خوفاً من إيقاظ يوسب. فقد نام أخيراً، بعد تناوله جرعة كبيرة من دواء عشبي قوي للغاية. عانى طوال الفترة الماضية من التهاب في الجلد سبب له حكة وأقضّ مضجعه. اعتادت النساء بعد كلّ هذه السنين على دفعِ مبالغ كبيرة لشراء أدوية يوسب، لكن هذا الدواء الجديد كان مكلفاً للغاية، ولم يكن أمامهن من خيار بعد أن كفت الأدوية المعتادة عن تخفيف آلامه. أخبرهن موزاسو الذي يسلّم راتبه لوالدته في نهاية كل أسبوعٍ، أنّ الأموال المتبقية بعد دفع نفقات المعيشة يجب أن تصرف في سبيل تأمين رعايةٍ أفضل لعمه، ووافقه نوا الرأي. وبالرغم من اقتصاد العائلة واجتهادهم في العمل، فقد كانت مدخرات العائلة تتبخر بعد كل زيارة للصيدلية. وأخذوا يفكرون والحال على ما هي عليه كيف سيدفعون تكاليفَ جامعة واسيدا؟

أخيراً، نجحَ نوا في امتحان القبول، وكان من المفترض أن يكون هذا اليوم مجيداً في حياتهم، لكن لم يكن لديهم أدنى فكرة كم ستكون تكاليف تعليمه الأولية. بالإضافة إلى ذلك، فهو سيحتاج إلى استئجار غرفةٍ وأموالٍ لشراء الطعام في المدينة الأعلى تكلفةً في البلاد.

قرر نوا الاستمرار في عمله لدى السيد هوجي حتى آخر يوم قبل انتقاله إلى الجامعة، وعندما سينتقل إلى طوكيو سيبحث عن عمل إلى جانب دراسته.

لكن سونجا لم تكن واثقة من أن ذلك ممكن، فالكوريون يعانون كثيراً للحصول على وظائف، وهم لا يعرفون أحداً في المدينة. غضبَ السيد هوجي لأن أفضل محاسبٍ لديه سيترك العمل لدراسة شيءٍ لا جدوى منه كالأدب الإنجليزي، ولم يساعد نوا في إيجاد عملٍ في طوكيو.

فكّرت كيونغي أن عليهن شراء عربةٍ جديدة ووضعها إلى جانبٍ الأخرى في محاولةٍ لمضاعفة المدخول، لكنهن لا يستطعن ترك يوسب بمفرده، لا سيما بعد عجزه عن المشي وقد ضمرت عضلات ساقيه وتحولتا من رجلَين ممتلئتين وقويتين إلى عظمتين نحيلتين تغطيهما القشور.

كان يوسب مستيقظاً بخلاف ما اعتقدن واستطاع سماع قلقهن بشأن أقساط نوا الجامعية. فقد شعرنَ بالقلق عندما كان نوا يحضّر لامتحانه، ومن ثمّ بقلقٍ أكبر بشأن دفع تكاليف دراسته بعد أن نجحَ فيه. فيجب عليهن بطريقةٍ ما العيش من دون راتب نوا، والتكفّل برسوم تعليمه وشراء أدوية يوسب. من الأفضل لو أنه مات والجميع يعرف ذلك.

الشيء الوحيد الذي رغب به يوسب عندما كان شاباً هو أن يعتني بهم ولكن بعدَ أن أصبح عاجزاً الآن، فلا يستطيع حتّى الموت لمساعدتهم. بل حصل ما هو أسوأ؛ أصبح سبباً في دمار مستقبل عائلته، ولو عاش في وطنه وفي زمن غير هذا الزمن لاستطاعَ طلب المساعدة من أحدٍ لنقله إلى الجبال ليموت، هناك ربما انتهى به المطاف وجبة للنمور. لكنه يعيش في أوساكا ولا وجود للحيوانات البرية هنا، هناك فقط أطباءَ ومعالجون مكلفون يعجزون عن مساعدته على التحسن، لكنهم يجنبونه ما يكفي من الآلام، فيكره في هذه اللحظة نفسه لأنه يخشى الموت.

وما فاجأه أكثر هو أنه كلّما اقترب من الموت شعر بالخوف منه ومن حتميّته. فكثيرة هي الأشياء لم يقم بها والأكثر منها هي التي يتوجب عليه فعلها، ففكر كم كان مخطئاً فلم يجدر به ترك والديه وجلب أخيه إلى أوساكا ولا الذهاب إلى ناغازاكي. فلماذا يمد الله بعمره وهو الذي لا ذرية له؟ في الحقيقة، كان يوسب مجالداً وتمكن من التعايش مع آلامه، ولكنه ما يؤلمه أكثر أنه يسبب المعاناة لأحبته، ولم يجد حكمة في بقائه على قيد الحياة واسترجاع ذكريات كل القرارات

التي اتخذها في حياته، والتي بدت نتائجها الآن كارثية بالرغم من أنها لم تكن كذلك وقت اتخاذها، ولكن السؤال الوجودي الأهم الذي يطرحه على نفسه ويحار فيه جواباً: هل هذه حاله وحده أم هي حال معظم الأشخاص؟

منذ أن أصيب وحتى الآن، سعى يوسب في أوقات الراحة القليلة إلى أن يشعر بالصفاء والاطمئنان لكونه لا يزال على قيد الحياة، وأن يرى نصف الكوب الممتلئ من حياته وجانبها المشرق، لكنه لم يجد إلى ذلك سبيلاً. فعندما يستلقي على فراشه النظيف، فإنه لا يتذكّر إلاّ أخطاءه التي اقترفها والتي تبدو واضحةً للغاية في ذهنه الآن. وصلّى للرب أن يغفر له كونه عجوزاً ناكراً للجميل.

نادى بصوتٍ منخفضٍ «عزيزتي» لأنه لا يرغب في إيقاظ الولدين النائمين في الغرفة الخلفية، أو تشانغو النائم في الغرفة قرب الباب الأمامي. ثمّ نقر على الأرض برقّةٍ في حال لم تسمعه كيونغي. وعندما رآها تقف عند عتبة الباب، طلبَ منها إحضار سونجا ويانغجين، فجلسنَ على الأرض بجانب فراشه.

قال: «تستطعن بيع معدّاتي أولاً، ستجلب هذه المعدات مبلغاً وسيساعد ذلك في شراء كتب لنوا وتأمين كلفة انتقاله، كذلك بعن مجوهراتكن».

أومأت النساء موافقاتٍ. فاثنتان منهن تمتلكان خاتمين ذهبيين.

«ليطلب موزاسو من مديره سلفةً تسد رسوم تعليم نوا، وإقامته وطعامه. ويمكن لثلاثتكن أن تعملن لردّ هذا الدَين. وفي أوقات فراغه سيبحث نوا عن وظيفة مؤقتة ستكون بمثابة مصدر دخل جديد. يجب أن يلتحق نوا بجامعة واسيدا فهو يستحق ذلك، وحتّى إن لم يوظّفوا الكوريين هنا، يستطيع بشهادته الذهاب إلى كوريا والعمل مقابل راتبٍ أفضل. أو يمكنه الانتقال للعيش في الولايات المتحدة لأنه سيعرف كيف يتحدّث اللغة وقتها. يجب أن نفكّر في دراسة الصبي على أنها استثمار». رغبَ في قول المزيد، والاعتذار عن عدم قدرته على إعالتهن وعلى تكبيدهن مصاريف علاجه لكنه لم يستطع قول ذلك.

قالت كيونغي: «سيكون الرب إلى جانبنا كما كان دائماً، فله الشكر، فعندما نجّاك نجّانا معك».

«عندما يعود موزاسو، أرسلوه إليّ. سأخبره أنه يتوجب عليه طلب سلفةٍ من

السيد غورو من أجل رسوم الجامعة».

هزّت سونجا رأسها قليلاً: «لقد أخبرني نوا أنه لن يقبل أن يدفع أخوه رسوم جامعته». أخفضت عينيها وتابعت «قال هانسو أنه سيتكفّل بالأقساط والمسكن. وحتّى لو حصلَ موزاسو على قرضٍ..».

«كلا. هذا الكلام السخيف لا يصدر إلاّ من امرأةٍ غير عاقلة! لا يمكنك القبول بأموال ذلك الوغد فهي أموال قذرة!».

خاطبته كيونغي برقّةٍ: «اشش.. أرجوك لا تغضب» لم ترغب في أن يسمعهم كيم تشانغو يتحدثون عن رئيسه. «قال نوا أنه سيجد عملاً في طوكيو. وما تقوله سونجا صحيح، فقد أخبرنا أنه لن يقبل بذلك وأنه سيدبّر أموره. أنتَ تعلم أنّ نوا لن يذهب في حالِ دفعَ موزاسو الرسوم».

قال يوسب: «يا ليتني كنت ميتاً، ولم تسمع أذناي ما تسمعان، كيفَ سيتمكّن الفتى من العمل والدراسة في جامعةٍ كواسيدا في الوقت ذاته؟ الأمر مستحيل. ومن يدرس باجتهادٍ هكذا عليه أن يتفرغ للدراسة. سأسأل السيد غورو بنفسي إن كان باستطاعته إقراض المال لنوا، وسأخبر الفتى أن عليه قبول القرض».

«لكننا لا نعلم إن كان السيد غورو سيوافق، وطلب شيءٍ كهذا قد يؤثر على عمل موزاسو. وأنا أيضاً لا أرغب في السماح لهانسو بدفع الرسوم، لكن كيف سندفع؟ نستطيع اقتراض المال منه مع فوائد حتّى لا يدين له نوا بشيءٍ».

قال يوسب بصرامة: «اقتراض المالَ من السيد غورو والتأثير على مستقبل موزاسو في العمل أفضل بكثيرٍ من قبول المال من كوه هانسو، فهو رجل سيئ. فإذا أخذتِ مالاً منه من أجل نوا، فستعلقين معه وسيرغب حينها في التحكّم في الفتى، أنتِ تعرفين ذلك. أما مع السيد غورو، فهو مجرد مالٍ».

سألت كيونغي: «لكن ما الذي يجعلك ترى أن أموال السيد غورو التي يجنيها من صالات الباتشينكو أنظف من أموال هانسو؟ علماً أن السيد هانسو لديه شركات بناءٍ ومطاعم، فما العيب في ذلك؟».

«اخرسي».

زمّت كيونغي شفتيها. فقد وَرَدَ في الكتاب المقدّس أنّ على الشخص العاقل

أن يتحكّم بلسانه؛ فليس كل ما يخطر على البال يجب أن يقال.

لم تتفوّه سونجا بشيءٍ أيضاً. لم ترغب في حياتها بأيّ شيءٍ من هانسو، لكنها اعتقدت أنه من الأفضل طلب المال من شخصٍ قد عرضَ المساعدة، بدل إزعاج شخصٍ لا يعرف شيئاً عن مثل هذا، ولا يجب أن يغرب عن البال أن غورو قدّم الكثير لـموزاسو والفتى مسرور للغاية في عمله. وهي لم ترغب في إلحاق العار به، إذ إنه لم يمضِ وقت طويل عليه في هذه الوظيفة، ورغم تلك الوظيفة، فلطالما صرّح أنه يحلم بافتتاح صالته الخاصة، فضلاً عن أنها تعلم أن نوا لن يسمح لأخيه بالاقتراض حتى وإن أصر يوسب.

سألت يانغجين: «ماذا بشأن كيم تشانغو؟ هل يستطيع المساعدة؟».

«يعمل الرجل لدى هانسو، وهو ليس لديه هذا القدر من المال، وإن حاز مثل هذا المبلغ، فهو بالتأكيد قد حصلَ عليه من رئيسه. هذه الديون ليست سهلة لكن السيد غورو هو الخيار الأفضل، فلن يفرضَ علينا فوائد فاحشة أو يؤذي نوا، لذلك لا داعي للقلق على موزاسو». ردّ يوسب «سآخذ قسطاً من الراحةِ الآن».

خرجت النساء من الغرفةِ وأغلقنَ الباب.

في اليوم التالي، طلبَ هانسو من نوا أن يحضر والدته ويزوراه في مكتبه في أوساكا، فذهبا من دون إعلام أحدٍ. في المكتب موظفا استقبال يرتديان الأسود من البذلات وقمصاناً بيضاء مكوية. قدّم أحدهما الشاي في فناجين خزفية زرقاء اللون على صينيةٍ مطلية ومخططة برقائق من الذهب، وتزيّنت غرفة الانتظار بالأزهار الجميلة. وبمجرد أن أنهى هانسو مكالمته، أرشدهما موظف الاستقبال الأكبر سناً إلى مكتب رئيسه الضخم والمكسوّ بالخشب. جلسَ هانسو على كرسيّ من الجلد الأسود خلفَ مكتبٍ من خشب الماهوغني المستورد من إنجلترا.

«مبروك!» قال وهو ينهض عن كرسيه «أنا سعيد بمجيئكم. يجب أن نذهب لتناول السوشي، هل نستطيع الذهاب الآن؟».

ردّت سونجا: «لا، لا شكراً. علينا العودة إلى المنزل».

نظرَ نوا إليها وتساءلَ لمَ لا تقبل والدته دعوة العشاء، فليس لديهما أيّ ترتيباتٍ مسبقة. ومن المحتمل أن يعودا إلى المنزل بعد انتهاء اللقاء ويتناولا شيئاً

بسيطاً أعدّته العمة كيونغي.

«طلبت منكما القدوم اليوم لأنني أردت أن يعلمَ نوا أنه أحرزَ أمراً عظيماً، وليسَ من أجل نفسه أو عائلته فقط بل من أجل الكوريين جميعاً. ستذهب إلى الجامعة! إلى جامعةٍ يابانيةٍ ممتازة كـواسيدا! أنتَ تفعل ما قد يفعله أيّ رجلٍ عظيمٍ في عصره؛ أنتَ تسعى وراء العلم. لم يستطع كثيرون من الكوريين الالتحاق بالجامعة، لكنك واظبتَ على دراستك وثابرت حتى عندما لم تنجح في المرّة الأولى. لذلك تستحق جائزةً كبيرة! هذا مدهش! أنا فخور، فخور جداً!» ابتهج هانسو.

ابتسم نوا بخجلٍ، فلم يثنِ عليه أحد بهذا الشكل من قبل. فجميع من في المنزل فرحوا بالأمر لكن قلقهم كان كبيراً بشأن التكاليف، وشاركهم نوا قلقهم أيضاً، لكنه أحسَّ بطريقةٍ أو بأخرى أن كلّ شيءٍ سيكون بخير. فقد عملَ منذ أن كان في المدرسة الثانوية، وسيظل يعمل حتّى بعد الذهاب إلى الجامعة. وشعرَ بعد قبوله في واسيدا أن المستحيل كلمة لا وجود لها في قاموسه، فهو سيعمل أي عمل يتيح له حضور صفوفه والدراسة.

قالت سونجا: «أعتذر عن هذا الطلب، لكنك قلتَ منذ مدّةٍ إنك قد تستطيع المساعدة في دفع أقساط نوا، هل تظنّ أن بإمكانك مساعدتنا في ذلك؟».

احمرَّ وجه نوا خجلاً وقال: «لا يا أمي، سأجد عملاً. وليس هذا سبب مجيئنا. أخبرنا السيد كيم بالقدوم إلى هنا لأنّ السيد هانسو يرغب بتهنئتي، صحيح؟». اندهش نوا من تصرّف والدته، فهي لا تحب طلب شيءٍ من أحدٍ لدرجةِ أنها لا تحب حتّى أن تأخذ عيناتٍ مجانيةٍ في المخبز.

قالت سونجا: «أنا أطلب قرضاً يا نوا، سنعيد المبلغ بأكمله مع الفوائد».

لم يكن في نيتها الطلب الآن، لكنها فكّرت أنه من الأفضل أن يتم الأمر بهذه الطريقة فليس أمامها من طريقة مثالية لتختارها وأنه من الأفضل أيضاً أن يعلم بشروطها منذ البداية. «فقد حان موعد دفع الأقساط. وإن كنتَ تستطيع المساعدة، فبإمكاننا أن نكتبَ سنداً بالقرض الآن وسأمهره بختمي الخاص، لقد جلبته معي» وأومأت مؤكدةً الأمر. وتساءلت للحظةٍ، ماذا ستفعل إن رفض طلبها؟

ضحكَ هانسو وهزّ رأسه رافضاً.

«لا ضرورةَ لذلك، ولا يجب أن يقلق نوا بشأن التكاليف، فقد اهتممت بالأمر. عندما اطلعت على أخبار كيم المميز، أرسلت الأموال إلى الجامعة، واتصلت بصديقٍ لي يعيش في طوكيو، وعثرت على غرفةٍ قريبةٍ من الجامعة، سأصطحبك في الأسبوع المقبل لرؤيتها. لقد طلبت من كيم أن يطلب منكما زيارتي حتّى أدعوكما إلى العشاء. حسناً، هيّا بنا نذهب لتناول السوشي، فالمناسبة تستحق عشاء فاخراً».

رمقَ هانسو سونجا بنظراتٍ متوسلة فهو يرغب بشدّة الاحتفال بإنجاز ابنه الكبير.

قالت مرتبكة: «أرسلتَ المال، وعثرت له على غرفةٍ في طوكيو؟ من دون أخذِ إذني؟ كان من المفروض أن يكون المال ديناً».

«هذا كرم كبير منكَ يا سيدي، لكن والدتي محقّة، يجب أن نعيد لك أموالك. سأجد عملاً في طوكيو وربما تستطيع مساعدتي في ذلك بدلاً من دفع التكاليف. أرغب في جمعها بنفسي وأشعر أنني أستطيع ذلك».

«كلا. يجب أن تدرس، إعادتك للامتحان لا تعني أنك لست ذكياً، بل على العكس إنها دليل على ذكائك. فلم تمتلك في السابق وقتاً كافياً للدراسة كطالبٍ عادي، واضطررت للعمل طوال الوقت من أجل مساندة عائلتك لذلك استغرقكَ الأمر مدّةً أطول من المعتاد. ولم تحظَ بالتدريب الملائم الذي يحصل عليه أيّ فتى ياباني عادي ينتمي إلى الطبقة المتوسطة. وخلال الحرب، عشتَ في تلك المزرعة من دون تعليم. لذلك كلا، لن أجلس مكتوف اليدين، وأشاهدك تتظاهر أنتَ ووالدتكَ أنّ قوانين الأداء البشري لا تنطبق عليكما، ولا يجب أن يقلق الطالب المجتهد بشأن المال. عليّ التدخلَ، لمَ يجب عليكَ أن تقضي سنين طويلة حتى تتخرّجَ من واسيدا؟ هل ترغب في أن تكون عجوزاً عندما تنهي دراستك الجامعية؟ اهتمَّ بدراستك وتعلّم بقدر المستطاع وسأتكفّل أنا بكل شيء آخر» قال هانسو وهو يضحك: «كن ذكيّاً يا نوا وقم بذلك على طريقتي. فهذا ما أستطيع تقديمه للجيل الجديد كشخصٍ كوريّ راشد ومسؤول».

فانحنى نوا شاكراً.

«لقد كنتَ لطيفاً للغاية معنا يا سيدي، ولك الشكر على كل ما فعلته».

نظرَ نوا إلى والدته التي جلست ساكنةً بالقرب منه، وهي تلف بيديها مقبض حقيبتها التي صنعتها من الأقمشة المتبقية من معطفِ موزاسو. حزِنَ عليها لأنّها امرأة تمتلك الكثير من عزّة النفس، وبدا لها العرض مذلاً، فهو يعرف أن أمه لطالما رغبت أن تكون هي المسؤولة عن أقساطه الجامعية دون غيرها من الناس

سأله هانسو: «هل تستطيع الخروج يا نوا والطلب من السيد ميكو الاتصال بالمطعم وحجز طاولةٍ لنا؟».

نظر الفتى مجدداً إلى والدته التي بدت تائهةً في أفكارها على الكرسيّ.

«أمي؟».

التفتت سونجا إلى ولدها الواقف بالقرب من الباب، وأيقنت أنّه يرغب في تناول العشاء مع هانسو. بدا ابنها في تلك اللحظة شاباً ومسروراً، ولم تستطع تخيّل كم يعني هذا الشيء له، فلم يرفض الفتى طلبات هانسو أو حتى المال منه لأنه يتوق للالتحاق بالجامعة، وتخيّلت كيف سيصرخ عليها يوسب لقبولها المال، وكيف سيطلب منها أن توقف هذه المهزلة الآن، وكيف سيخبرها أنها حمقاء لا تفكّر. لكن الفتى، بكرها، سعيد. فقد جعل هانسو المستحيل ممكناً، ولم تستطع حرمان ابنها من السعي وراء حلمه بسبب قلّة المال. فأومأت برأسها وفَهِمَ الفتى أنها قبلت دعوة هانسو لتناول العشاء.

بعدَ إغلاق باب المكتب، بقيت سونجا وهانسو بمفردهما، حاولت إقناعه مجدداً: «أريده أن يكون ديناً، وأريد أوراقاً تثبت لابني أنني أنا من دفعت لجامعته».

«لا يا سونجا. فهذا واجبي، إنه ابني. وإذا لم تسمحي لي بذلك فسأخبره الحقيقة».

«هل جننت؟».

«كلا. أقساط جامعته لن تؤثر عليّ من الناحية المالية، لكن الأمر سيعني لي الكثير كوني والده».

«أنتَ لست والده».

«أنتِ لا تدركين ما تقولينه. إنه ولدي، يمتلك كفاءتي وطموحي، ولن أسمح لابني من لحمي ودمي أن يتعفّن في مجاري إيكاينو».

أمسكت سونجا حقيبتها ونهضت. كان يوسب محقاً، فلن تستطيع عكس مجرى الأحداث بعد الآن.

قال لها: «لنذهب إذاً. الفتى في انتظارنا ولا بدّ أنه جائع». ثم فتحَ الباب وتبِعها إلى الخارج.

14

يناير 1959

يوم السبت، وبينما انشغل الجميع بأعمالهم، اضطرت كيونغي إلى أن تقصد الكنيسة، فلقد طلب الكاهن مساعدتها في الترحيب بالمبشرين الذين أتوا من أمريكا، فهي تجيد اليابانية، وهم لا يتحدثون سوى اليابانية. في العادة، هي لا تغادر المنزل لأنها لا تستطيع أن تترك زوجها بمفرده. لكن تشانغو عرضَ عليها مراقبة يوسب في غيابها طالما أن غيابها لن يطول، كما أنه رغب القيام بشيء من أجلها. أقعى تشانغو على الأرض الدافئة بالقرب من فراش يوسب لمساعدته في بعض التمارين التي أوصاه بها الطبيب.

سأله يوسب: «لقد اتخذت قراركَ إذاً؟».

«عليّ الذهاب يا أخي. فقد حان الوقت للعودة إلى الوطن».

«ستغادر غداً، حقاً؟».

«سأستقلّ القطار إلى طوكيو في الصباح، من هناك أتجه إلى مدينة نيغاتا لأنّ السفينة ستبحر الأسبوع القادم».

لم يتفوّه يوسب بشيء، وتلوّى وجهه قليلاً من الألم بينما رفع ساقه اليمنى باتجاه السقف. أسندَ تشانغو فخذ يوسب بيده اليمنى لمساعدته في إنزالها برويّة، وانتقلا إلى الساق الأخرى. تنفسَ يوسب بقوةٍ بعدَ انهائه مجموعتين أخريين من التمارين.

«انتظر حتى توافيني المنية، وعندها تأخذ جثتي معك وتواريني ثرى بلادي. أعتقد أنّ ذلك سيكون أمراً جيّداً. لكنني أظنّ بالرغم من هذا أنّ النهاية لا تهمّ كثيراً. فأنا لا أزال أؤمن بالفردوس، وأؤمن بالسيد المسيح حتّى بعد كل ما حدث. أعتقد أنّ الزواج من كيونغي قد يفعل ذلك، فإيمانها قرّبني من الرب أكثر، وأؤمن أنه

أنقذني بالرغم من أنني لست رجلاً صالحاً. أخبرني والدي ذات مرةٍ أنكَ تستعيد جسدك عندما تموت وتدخل الفردوس، أخيراً سأستطيع التحرر من هذا الجسد، هذه إحدى حسنات الموت، إنني أشعر أنني يوماً بعد يوم أغدو أكثر استعداد للذهاب في رحلة الانعتاق من هذا الجسد».

وضعَ كيم يده اليمنى تحت رأس يوسب الذي بدوره رفعَ ذراعيه بهدوءٍ فوق رأسه ثمّ أنزلهما. تمتلك ذراعاه قوةً أكثر من ساقيه.

«لا تقل هذا يا أخي، فلم يحن وقتك بعد. أنتَ لا تزال هنا وأستطيع الشعور بالقوّة داخل جسدك».

أمسك تشانغو باليد الجيّدة لـيوسب والتي لم تمسَها الحروق، وشعر بهشاشة عظامه. كيفَ استطاع النجاة كلّ هذه الفترة؟

قال يوسب: «وإن انتظرت.. إن انتظرت حتّى أموت، فبإمكانك الزواج منها حينها، ولكن كل ما أوصيك به وأطلبه منك ألا تأخذها إلى هناك».

«ماذا!» هزّ كيم رأسه

«أنا لا أثق بالشيوعية، ولا أرغب في أن تعود أنت إلى الوطن عندما يكون الشيوعيون في السلطة. فالوضع لن يبقى على ما هو عليه طويلاً، فاليابان ستعود دولةً غنيةً كالسابق، وستستعيد كوريا وحدتها، أنت لا تزال في ريعان الشباب، وكذلك فأنت تتمتع بصحة جيدة، ويمكنك العمل وجني المال والاعتناء بـ..» لم يستطع يوسب نطق اسمها.

«لقد سببت لها كثيراً من المعاناة. لقد أحبتني عندما كنت صبياً صغيراً، وعلمت دائماً حتى عندما كنا مجرد طفلين أننا سنكون معاً. فقد كانت أجمل فتاةٍ رأتها عيناي، ولم أرغب بامرأة سواها في حياتي، ليس لأنها فاتنة وحسب، بل لأنها إنسانة طيبة. وبالرغم من أنني لم أعد زوجاً بكل ما تعني الكلمة فإنها لم تتذمر، وقبلها لم تتذمر لأنني حرمتها أن تكون أماً» تنهّد وشعر بجفاف فمه «أعرف أنها تعني لك، وأنا أثق بكَ، وأتمنى لو أنك لا تعمل لصالح ذلك المجرم، لكني أتفهّم الأمر فلا وظائف هنا. لمَ لا تنتظر إلى حين وفاتي؟» وكلما قال يوسب كلمة شعرَ بأنه يقول ما يجدر به قوله «ابقَ هنا، فأنا أشعر بأن أجلي يقترب، إنهم بحاجة إليك،

هنا العائلة بحاجة إليك بخلاف الوطن، فهو بحاجة للجميع، ولكن إن نقص واحد من الجميع فلن يحدث شيء».

«لن تموت يا أخي».

«لا، بل يجب عليّ أن أموت. ويجب علينا مجدداً محاولة بناء أمّةٍ. فلا نستطيع التفكير في راحتنا ورفاهيتنا الخاصة فحسب».

عندها شعرَ تشانغو بالأمل بالارتباط بها بعد أن فقده.

* * *

في طريق عودة كيونغي من الكنيسة رأت كيم يجلس على مقعدٍ أمام متجرٍ للبقالة، على بعدِ حيّ من المنزل، يقرأ جريدةً ويشرب قارورةً من العصير. فـتشانغو لطيف مع صاحب المتجر، ويحبّ الجلوس تحت المظلّة المشمّعة في هذه البقعة الهادئة عند تقاطع الطريق المزدحم.

«مرحباً» قالت وهي مسرورة لرؤيته «كيف حاله؟ من الصعب البقاء مقيّداً في غرفةٍ صغيرة، أليس كذلك؟ أشكرك كثيراً على مراقبته في غيابي. عليّ العودة، ابقَ أنتَ هنا».

«لقد خرجت للتو وهو بخير. وقد طلبَ مني قبلَ أن يخلد إلى النوم إحضار بعض الصحفِ له ليقرأها عندما يستيقظ. وأرادني أن أخرجَ لاستنشاق بعض الهواء».

أومأت برأسها وهي تهم بالتوجه إلى المنزل.

«يا أختي، كنت آمل أن أحظى بفرصةٍ للتكلّم معك».

«أوه؟ حسناً دعنا نعد إلى المنزل، فيجب عليّ البدء بتحضير العشاء، سيكون جائعاً عندما يستيقظ».

«انتظري. هلاّ تجلسين قليلاً معي؟ هل ترغبين في عصيرٍ من المتجر؟».

«لا، لا». ابتسمت وجلست إلى جانبه وجمعت يديها في حضنها. كانت كيونغي ترتدي معطفها الشتوي المخصص لأيام الأحد فوق ثوبها الصوفي ذي اللون الأزرق الداكن وتنتعل حذاءها الجلدي الجميل.

أخبرها تشانغو على الفور بما قاله زوجها حرفياً، ورغم أن هذا الكلام يجعله

متوتراً إلا أنه وجد أن عليه أن يعلمها بما قاله زوجها.

«يمكنك القدوم معي، فأول سفينة سترحل الأسبوع القادم. وبإمكاننا تأجيل السفر قليلاً. كوريا تحتاج إلى أمثالنا ممن يمتلكون الطاقة الكافية لإعادة بناء أمةٍ جديدة، ويفترض أن نحصل على شقةٍ خاصةٍ بنا مع أحدث التجهيزات وسنكون في وطننا الأم. سنتناول الأرز الأبيض ثلاث مرّاتٍ في اليوم، وبإمكاننا أخذ جثته معنا والذهاب لرؤية قبر والديكِ والقيام بالمراسم المناسبة، وسنتزوج في وطننا».

صعقت كيونغي عند سماعها ما قاله، لكنها لم تتفوه بشيء، لم تتخيل أن يعرضها زوجها على كيم بهذه الطريقة، لكنها لا تعتقد أن تشانغو يكذب، الشيء الوحيد الذي ساعدها على تصديق الأمر هو أنّ يوسب قلق عليها كثيراً لدرجة أن يقترحَ خطّةً كهذه. بعد انتهاء لقاء الكنيسة، طلبت كيونغي من الكاهن أن يصلي من أجل سلامة تشانغو في رحلته وفي إقامته في بيونغ يانغ. رغبت في الصلاة من أجله بالرغم من أنه لا يؤمن بالله أو بالمسيحية فليس عندها ما تقدمه له إلا الصلاة، وإذا حرسه الرب فلن تقلق حينها.

قبل أسبوعٍ أخبرها أنه سيسافر، وصعب عليها تخيل الحياة من دونه، لكنها أيقنت أنه يفعل الصواب. أعجبت به لأنه شاب يؤمن ببناء دولةٍ عظيمةٍ من أجل الآخرين. إنه يذهب بمحض إرادته، فما من شيء ينقصه هنا فهو يمتلك عملاً وأصدقاء مخلصين، حتى إن بيونغ يانغ ليست مسقط رأسه فهي من تنتمي إلى الشمال، أما هو فمن كيونغ سانغ دو.

سألها: «هل الأمر ممكن؟».

«لكنك أخبرتني.. أنكَ ترغب في الذهاب، فاعتقدت أنك قد تتزوج أحداً من هناك».

«لكنك تعرفين أنني رغبت فيك.. ولا أزال..».

نظرت كيونغي حولها، كان صاحب المتجر يجلس في الخلف، لكنه لا يستطيع سماعهما لأنه ينصت إلى برنامجٍ على المذياع. ولم يكن هناك الكثير من السيارات أو الدراجات على الطريق لأنه صباح يوم سبت. وكانت الطواحين الورقية البيضاء والحمراء المعلّقة على المظلّة تغزل مع نسمات الشتاء الخفيفة.

«أخبريني أنه ممكن..».

«لا يمكنك التكلّم هكذا» قالت له برفقٍ، فهي لا ترغب في جرح مشاعره، وقد ساعدها حبّه ومعاملته الحسنة طوال تلك السنين على تحمل الكثير لكنه سبب لها الألم أيضاً، لأنه من الخطأ أن تبادله الشعور ذاته. «أنتَ تمتلك مستقبلاً يا تشانغو، عليك أن تعثر على شابةٍ وتتزوجها وتحظى بأطفالٍ. لا يمرّ يوم لا أشعر فيه بالحسرةِ لأنّ الله لم يرزقنا بأطفالٍ، لكنني أعلم أنّ هذه مشيئته، وأظنك ستحظى بهم وستكون زوجاً ووالداً رائعاً. لذلك من الخطأ أن أطلبَ منكَ الانتظار».

«هذا لأنك لا تريدينني أن أبقى وأنتظر، لكنني سأفعل إن طلبتِ مني ذلك».

عضّت كيونغي شفتها، وأحسّت بالبرد فجأةً، فارتدت قفازيها الأزرقين الصوفيين».

«يجب أن أحضر العشاء».

«سأرحل غداً لكن أخبرني زوجك أن عليَّ الانتظار، أليس هذا ما أردته، أن تحصلي على إذنٍ منه؟ ألن يكون الأمر مقبولاً حينها في عيون إلهك؟».

«ليس من حق يوسب أن يغيّر في تعاليم الرب. لا يزال زوجي حيّاً، ولا أريده أن يموت قريباً. أنت تعني لي الكثير يا تشانغو فقد كنت صديقاً عزيزاً للغاية، ولا أعلم إن كنت سأتحمّل الوضع بعد غيابك، لكني أعلم أنه ليس مقدراً لنا أن نكون زوجاً وزوجة. ولا أظنّ أنه من الصواب التكلّم في الأمر بينما لا يزال يوسب على قيد الحياة. أتمنى أن تتفهم ذلكَ».

«لا لن أتفهّم، ولن أفهم أبداً كيف يسمح دينكِ بهكذا معاناة؟».

«لا يتعلّق الأمر بالمعاناة فقط. وأتمنى أن تسامحني، إنكَ سوف..».

وضعَ كيم قارورة العصير بحذرٍ على المقعد ووقفَ وقال لها: «أنا لا أشبهكِ، أنا مجرد رجلٍ ولا رغبة لي في أن أكون تقيّاً أو مقدّساً. أنا مجرد شخصٍ وطني لا أهمية له». غادرَ مبتعداً عن المنزل ولم يرجع حتى وقتٍ متأخرٍ بعد أن نام الجميع.

نهضت كيونغي في الصباح الباكر لإحضار القليل من الماء لزوجها من المطبخ، فرأت باب غرفة تشانغو مفتوحاً. ألقت نظرةً إلى الداخل فإذا به قد رحلَ. كانت فراشه مطوياً بعناية، وبالرغم من عدم امتلاكه كثيراً من المقتنيات إلا أن

غرفته بدت فارغةً من دون نظارته الإضافية التي تستريح أعلى كومة الكتب. كان من المفترض أن ترافقه العائلة إلى محطة أوساكا لوداعه، لكنه استقلَّ قطاراً مبكّراً.

وقفت كيونغي بالقرب من باب غرفته، وبدأت بالبكاء، فأمسكت سونجا التي كانت ترتدي مئزرَ العمل فوق ملابس النوم بذراعها.

«لقد رحلَ منتصف الليل، وصادفته لأنني نهضت لإعداد الحلوى وطلب مني أن أودّع الجميع».

«لمَ لم ينتظر حتّى نذهبَ معه إلى المحطّة؟».

«أخبرني أنه لا يرغب في إثارة جلبةٍ، وأنه مضّطر إلى الرحيل. حاولت أن أحضّرَ له الفطور، لكنه قال إنه سيبتاع شيئاً وأنّ لا رغبة له في الأكل».

«قال له يوسب أنه لا بأسَ إن تزوجَ بي بعد وفاته، وأراد كيم ذلك».

«يا للهول». لهثت سونجا.

«لكنه ليس أمراً صائباً، صحيح؟ يجب أن يتزوج من فتاةٍ شابةٍ وأن يحظى بأطفالٍ. فأنا لا أستطيع الإنجاب وقد انقطعت دورتي الشهرية».

«ربما تعنين له أنتِ أكثر من الأطفال».

فقالت: «لا أستطيع تخييب أملِ رجلين. وهو رجل صالح».

أمسكت سونجا بيدها «هل رفضتِ؟».

امتلأ وجه كيونغي بالدموع، ومسحته سونجا بطرفِ مئزرها.

تذكّرت فجأةً لمَ نهضت من السرير «يجب أن أحضرَ الماء لـيوسب».

«لن يهتمَّ بالحصول على أطفال يا أختي، سيسعده العيش معك، أنتِ أشبه بملاكٍ في هذا العالم».

«كلا. أنا أنانية، على عكسِ يوسب».

لم تفهم سونجا ما تقصده كيونغي.

«لقد تصرّفت بأنانية عندما أبقيته هنا لكنه عنى لي الكثير. وصلّيت يومياً لأتحلّى بالشجاعة لأتخلى عنه وأعرف أنّ الرب يريدني أن أفعل ذلكَ. فليس من الصائب أن أسمح لرجلين بالاهتمام بي بهذه الطريقة في الوقت ذاته».

أومأت سونجا برأسها لكن الأمر ليس منطقياً، أيفترض أن تحظى بشخصٍ

واحدٍ فحسب خلال حياتك كلها؟ حدثَ هذا الأمر مع والدتها، لكن من هو المقدّر لها، هانسو أم أيزاك؟ وهل أحبها هانسو حقاً أم استغلّها؟ وإن كان الحب يقاس بالتضحية، فهذا يعني أنّ أيزاك أحبّها كثيراً. وما من أحد بلطافة ورقّة كيونغي، فهي التي خدمت زوجها بوفاءٍ ومن دون تذمّر. فلمَ لا يحق لها أن تحظى بحبّ أكثر من رجل؟ ولمَ يختار الرجال الرحيل عندما لا يحصلون على ما يريدون؟ وهل كان تشانغو يتألم طوال الفترة الماضية؟ تمنت سونجا لو أن كيونغي طلبت من كيم البقاء وانتظارها، لكن هذا الأمر ليس من طِباع كيونغي. لقد أحبّ تشانغو امرأةً وفيةً لزوجها، وربما هذا هو سبب حبّه الكبير لها، فهي لن تخون مبادئها.

اتجهت كيونغي نحو المطبخ، وسارت وراءها سونجا على بعد خطواتٍ. عندما أشرقت الشمس تسللت أشعتها عبر نافذة المطبخ، وكان من الصعب رؤية شيءٍ أمامهما، فألقى الضوء هالةً مشعّةً حول جسد كيونغي الهزيل.

15

طوكيو، 1960

بعدَ مرور عامين على التحاقه بجامعة واسيدا، شعرَ نوا أخيراً بالارتياح لوجوده هناك. فهو طالب متفوّق وحسن السلوك، لقد تخطى العقبات وبعد عدة محاولات مدروسة، تعلّمَ كيف يكتب مقالاتٍ في الأدب الإنجليزي، ويقدّم امتحانات الجامعة. اختلفت حياة الجامعة عن المدرسة الثانوية كثيراً؛ فهي رائعة على عكسِ سابقتها، والأشياء التي تعلّمها وحفظها في المدرسة لم تعد تهمّه. كانت جامعة واسيدا بالنسبة إلى نوا متعة بحد ذاتها، ولم يشعر أنّ واجباته هي مجرّد عملٍ عليه إنجازه. لقد قرأ قدر ما استطاع لكن من دون إرهاق عينيه، وصرف كثيراً من الوقت في القراءة، والكتابة والتفكير. اهتمَّ أساتذته في الجامعةِ بشدّة بالمواد التي يعلّمونها.

أمّنَ له هانسو شقةً مفروشةً وأعطاه مصروفاً جيداً حتّى لا يقلق بشأن المسكن، والمال أو الطعام. عاشَ نوا حياته ببساطةٍ واستطاع إرسال بعض الأموال شهرياً إلى عائلته. قال له هانسو: «تعلّم فحسب، تعلّم كل شيءٍ، واملأ رأسكَ بالمعرفة. فهي القوة الوحيدة التي لا يستطيع أحد سلبك إياها».

ولطالما طلب هانسو منه أن يتعلّم عوضاً عن أن يدرس، فدار في ذهن نوا أنّ هناك اختلافاً كبيراً بين الاثنين؛ فالتعلّم لا يعدّ عملاً، بل هو أكثر شبهاً باللعب.

كان نوا يشتري كل الكتب التي يحتاج إليها في صفوفه، وفي حال لم يجد كتاباً معيناً في المكتبة، فإنه كان يتوجه إلى مكتبة الجامعة، والتي لا يستخدمها كثير من زملائه. ولم يفهم سببَ اهتمام الطلاب اليابانيين بالأشياء الموجودة خارج الجامعة بدلاً من التعلّم. يعرف نوا من أيام دراسته في المدرسة أنّ اليابانيين لا يرغبون في التعامل مع الكوريين. لذلك لم يحاول التقرّب من أي منهم، تماماً

كما فعلَ عندما كان مجرد صبيّ صغير. وتجنّبَ بعض الكوريين في الجامعة أيضاً لأنه أحسّ بأنهم متورطون في السياسة حتى آذانهم. أخبره هانسو أثناء تناولهم لإحدى الوجبات التي اعتادا تناولها معاً كل شهر أنّ اليساريين حفنة من المتذمّرين واليمينيين مجرد أغبياء. وبالرغم من أن نوا كان وحيداً معظم الوقت لكنه لم يشعر بالوحدة. ولا يزال متفائلاً من فكرة تواجده في واسيدا حتى بعد مرور عامين على التحاقه بها، ومن امتلاكه غرفةً هادئةً للقراءة. غذى نوا عقله كرجلٍ يتضوّر جوعاً، وكان نهِماً لقراءة المزيد من الكتب الجيّدة؛ من ديكنز، ثاكري، هاردي، أوستن وترولوب إلى بلزاك، زولا، وفلوبير، ووقعَ في حبّ تولستوي. لكن كاتبه المفضّل هو غوته، ولا بدّ أنه قرأ روايته - آلام الفتى فرتر - ستَّ مرّاتٍ تقريباً.

لطالما تمنى نوا لو أنه عاش في أوروبا القديمة، لم يتمنَ أن يكون ملكاً أو قائداً، فقد كبرَ على هذه الأشياء. بل يرغب في حياةٍ بسيطة في الطبيعة ومع الكتب، وربما أيضاً ببضعِ أطفالٍ من لحمه ودمه. ويعرف أنه يرغب عندما يتقدّم في السن بأن يحظى ببعض الوقت لنفسه للقراءة والاستمتاع بالهدوء.

اكتشفَ نوا من خلال حياته الجديدة في طوكيو موسيقى الجاز، فهو يستمتع في الذهاب إلى الحانات بمفرده، والاستماع إلى تسجيلاتٍ يختارها المالكون من الصندوق المخصص لها. فالاستماع للموسيقى المباشرة مكلف للغاية، لذلك يأمل نوا في يومٍ من الأيام وعندما يحصل على عملٍ مجدداً، أن يتمكّن من الذهاب إلى نادٍ لموسيقى الجاز.

يشتري نوا مشروباً واحداً لحجز كرسيّ له في الحانة، وبالكاد يمسّه. ثمّ يرجع إلى شقتّه، يستكمل القراءة ويكتب الرسائل لعائلته ثمّ يخلد إلى النوم.

يدّخر نوا بعضاً من مصروفه، ويستقلّ رحلةً رخيصةً بالقطار كلّ عدّة أسابيع لزيارة عائلته. ويدعوه هانسو لتناول السوشي في بداية كل شهرٍ ليذكّرَه بمهمته في هذه الحياة، ووجوده من أجلِ هدفٍ أسمى، ليس بمقدور أحدهما التعبير عنه كليّاً. وكان نوا ممتناً لأنّ حياته بدت مثاليةً في تلك الفترة.

بينما مشى نوا عبر حرم الجامعة في ذلك الصباح متجهاً إلى حلقةٍ دراسيةٍ لمناقشة أعمال الكاتبة جورج إليوت، وإذ بأحدٍ ينادي باسمه.

«سيد باندو، سيد باندو» نادته امرأة تدعى أكيكو فوميكي؛ الجميلة الثائرة في الجامعة.

توقّفَ نوا وانتظرها. لم يسبق لهما أن تكلما قبلاً. في الحقيقة إنه يخشاها بعض الشيء، لأنها تناقض دائماً أقوال الأستاذة كورودا؛ امرأةً عذبة الحديث، نشأت ودرست في انجلترا. وبالرغم من لطافة وأدب الأستاذة لكن نوا استطاع أن يرى أنها لا تحبّ أكيكو كثيراً. حتى الطلاب الآخرون وخصوصاً الإناث، بالكاد يطيقونها. ويعلم أنه من الأفضل الابتعاد عن الطلاب الذين لا يحبهم الأساتذة. في العادة، يجلس نوا خلال الحلقة الدراسية في الصفوف الأمامية، أما أكيكو فتجلس في الخلف تحت النوافذ المرتفعة.

«كيفَ حالكَ يا سيد باندو؟» سألته بينما احمرّ وجهها وانقطعت أنفاسها من الركض. تكلّمت معه بشكلٍ طبيعي كما لو أنهما تحدّثا كثيراً من قبل.

«بخير، شكراً لسؤالك. وأنتِ؟».

سألته: «ما رأيك بتحفة إليوت الأخيرة؟».

«رائعة! كل ما تكتبه جورج إليوت مثالي».

«هراء. رواية آدم بيد مملة للغاية، كدت أموت وأنا أقرأ ذلك الشيء. أما روايتها سيلاس مارنر فبالكاد احتملتها».

«حسناً، قد لا تكون رواية آدم بيد مثيرةً أو متطورةً بقدر رواية ميدل مارش، لكنها تبقى وصفاً مذهلاً لامرأةٍ شجاعةٍ ورجلٍ صادق..».

«أوه، بحقّك!» قلبت عيناها وسخرت منه.

ضحك بدوره. يعرف أنها تتخصص في علم الاجتماع، لأنّ الجميع يقدّمون أنفسهم في أول يومٍ دراسي.

سألها: «هل قرأتِ كلّ شيءٍ كتبته جورج إليوت؟ هذا رائع». فلم يلتقِ بأحدٍ آخر قد فعلَ ذلكَ.

«أنتَ من قرأ كل شيءٍ. هذا مقزز وأنا غاضبة منك لفعل ذلك، لكنني معجبة بالأمر في الوقت نفسه. وبالرغم من ذلك، لا أستطيع أن آخذك على محمل الجد إن أحببتَ كل ما قرأته. ربما لم تحلل تلكَ الكتب لوقتٍ كافٍ» قالت له بجدية،

غير مهتمةٍ إن شعرَ بالإساءة.

«هذا صحيح» ابتسم نوا. لم يخطر في ذهنه من قبل أنّ أيّ كتابٍ قد يختاره المدرّس أو يحبه قد يكون رديئاً حتى على مستوى أعمال ذلك المؤلف نَفسَه. وقد أحبّت أستاذتهم روايتي آدم بيد وسيلاس مارنر.

«أنتَ تجلس في مكانٍ قريبٍ من الأستاذة، أعتقد أنها قد وقعت في غرامكَ».

تجمّد نوا من الصدمة «تبلغ السيدة كورودا حوالى الستين أو ربما السبعين من العمر» اتجهَ نوا نحو باب المبنى وفتحه من أجلها.

«أتظن أنّ النساء سيتوقفن عن ممارسة الجنس فقط لأنهن بلغن الستين من العمر؟ أنتَ أحمق. لا بدّ أنها أكثر امرأةٍ رومانسيةٍ موجودةٍ في الجامعة، فقد قرأت رواياتٍ كثيرة. أنتَ مناسب لها، وقد تقبل الزواج بك غداً. يا للهول على هذه الفضيحة! وكاتبتكَ المفضلة جورج إليوت قد تزوجت من رجلٍ شابٍ أيضاً، لكن عريسها حاول الانتحار في شهر العسل» انفجرت أكيكو من الضحك وحدّقَ إليها الطلاب الذين يصعدون على السلالم متجهين إلى صفوفهم. واندهشَ الجميع من تفاعلهما، فهو مشهور بالجامعة بانعزاله.

عندما وصلا إلى الصف، جلست في مقعدها المعتاد في الخلف وجلسَ هو في مقعده بالقرب من الأستاذة. فتحَ دفتره، وأمسكَ بقلم الحبر ونظرَ إلى الورقة البيضاء المخططة بحبرٍ أزرقَ فاتح. شغلت أكيكو تفكيره، فهي أجمل بكثيرٍ عن قرب.

جلست السيدة كورودا لإلقاء محاضرتها. ارتدت سترةً خضراء فوق كنزةٍ بيضاء اللون وتنورةٍ صوفيةٍ بنيّة، وانتعلت حذاء طفولياً من أحذية ماري جين. وهي صغيرة ونحيلة للغاية لدرجةِ أنها تعطي انطباعاً أنها قد تطير مع الهواء كورقةٍ من كتابٍ أو كورقة شجرة.

كانت المحاضرة في الأساس عن تصويرٍ نفسيّ كاملٍ للبطلة غويندولين هارليث في رواية دانيال ديروندا؛ امرأةً أنانيةً تغيرها معاناتها وطيبة دانيال. وأكدّت الأستاذة على أنّ نصيب المرأةِ وقدرها يحدده مركزها الاقتصادي وفرصِ زواجها. وقارنت بين شخصية غويندولين وشخصية روزاموند فينسي الجشعة والمغرورة

في رواية ميدل مارش، لكن على عكسِ روزاموند، فقد نجحت غويندولين في اكتشاف طبيعتها الحقيقية وغيّرت من قَدَرها. أمضت السيدة غورودا أغلب المحاضرة تتحدث عن غويندولين، وقبلَ انتهاء الوقت، تكلّمت قليلاً عن الشخصيتين اليهوديتين في الرواية ميرا ودانيال، وعن تاريخ الصهيونية وعن دور اليهود في الروايات الفيكتورية.

«ينظر إلى الرجال اليهود في أغلب الوقت على أنهم أذكياءَ بشكلٍ لا يصدّق، وعلى النساء بأنهن جميلات وبائسات. وأمامنا هنا هذه الحالة التي لا يعرف فيها هذا الرجل أنه دخيل، تماماً كحالة موسى؛ الطفل الرضيع في سفر التكوين الذي يكتشف أنه في الحقيقة يهوديّ وليس مصرياً..» فنظرت السيدة كورودا إلى نوا بينما تكلّمت عن هذا الشيء، لكنه لم ينتبه لها لأنه كان يدوّن الملاحظات.

«وعندما يكتشف دانيال حقيقته على أنه يهودي، يصبح حرّاً في حبّهِ لشخصية ميرا؛ الفتاة العفيفة والمغنية الموهوبة كوالدته اليهودية، وثمّ يرحلان إلى الشرق ويعودان إلى إسرائيل» فتنهّدت السيدة كورودا بطمأنينة كما لو أنها مسرورةً بالنهاية التي كتبتها إليوت.

«حسناً، هل تقولين إنه من الأفضل أن يحبّ الناس أشخاصاً من ضمن عرقهم فقط؟ وأنّ أشخاصاً كاليهود يجب أن يعيشوا في بلادهم الخاصّة؟» سألت أكيكو من دون أن تطلبَ إذناً، فهي لا تؤمن بهذه الإجراءات الشكلية.

«حسناً، أعتقد أنّ الكاتبة جورج إليوت تتحدّث عن أنّ هنالك شرفاً كبيراً في كون الشخص يهودياً والانتماء إلى دولةٍ يهودية. وتعترف أنهم يضطهدون ظلماً في أغلب الأوقات، وأنهم يمتلكون كل الحق في بناء دولةٍ يهودية. وعلّمتنا الحرب كيفَ ظلموا وكيف تعرّضوا لأشياء شنيعةً للغاية، وأنه لا يجب أن يتكرر هذا الأمر مجدداً. لم يقترف اليهود أيّ خطأ، لكن الأوروبيين..» تحدّثت السيدة كورودا بصوتٍ منخفضٍ خوفاً من أن يسمعها أحد وتقع في مشكلة. «الموضوع معقّد، لكن إليوت سبقت عصرها في مسألة التميز الديني، أليس كذلك؟».

احتوى الصف على تسعة طلابٍ وأومأ الجميع رؤوسهم ومن ضمنهم نوا. لكن أكيكو بدت ممتعظة بالرغم من ذلك.

قالت الفتاة: «كانت اليابان دولةً حليفةً لألمانيا».

«هذا ليس موضوع نقاشنا يا أكيكو».

فتحت السيدة كورودا الكتاب باضطرابٍ على أملٍ أن يتغيّر الموضوع.

«إليوت على خطأ» استمرّت أكيكو في التكلّم «ربما يملك اليهود الحق في أن يحظوا بدولتهم، لكني لا أرى سبباً يدفع ميرا ودانيال إلى الرحيل من إنجلترا. وأعتقد أنّ مسألة الشرفِ هذه وإنشاء أمّةٍ لهذا الشعب المضطهد هي مجرد حجّةٍ لطرد الأجانب غير المرغوب فيهم».

لم يرفع نوا ناظريه، ووجد نفسه يدوّن كل شيءٍ تقوله أكيكو، لأنه شعرَ بالانزعاج عندما فكّر في أنّ ما تقوله قد يكون صحيحاً. ولم يفكّر كثيراً في الناحية السياسية لرواية إليوت لأنه أعجب بشخصية دانيال الشجاعة والطيّبة في الكتاب. هل من المحتمل أنّ الكاتبة تشير إلى أنّه يجب على الأجانب الرحيل من إنجلترا بالرغم من احترامها لهم؟ كَرِهَ جميع من في الصف أكيكو في تلكَ المرحلةِ، لكنه أعجبَ هو فجأةً بجرأتها على التفكير باختلاف والإشارة إلى حقيقةٍ مرّة كهذه. وشعرَ بالسعادة لوجودهِ في جامعةٍ، فهي على عكس معظم الأماكن الأخرى حيث الشخص الذي يمتلك سلطةً يكون على صوابٍ دائماً. ونقاش أكيكو والأستاذة جعله يدركَ أنه لم يفكر سابقاً من تلقاء نفسهِ، ولم يخطر في ذهنه من قبل أن يعارض أحداً في العلن وأمام الجميع.

عندما مشى وحيداً إلى منزله بعد انتهاء الدرس، غارقاً في تفكيره في تلك الفتاة، أيقنَ أنه يرغب في أن يكون معها حتى لو كان الأمر صعباً. الثلاثاء التالي ذهبَ نوا إلى الصفـ قبلَ بدايته ليحجزَ المقعدَ بجانبها. وحاولت السيدة كورودا أن لا تظهر استياءها من هذا الأمر.

16

أوساكا، نيسان 1960

خلال السنوات الأربع الماضية، عملَ موزاسو رئيساً للعمال في صالات الباتشينكو الست التي يمتلكها غورو. لقد افتتحَ غورو صالات جديدة بالتدريج وبسرعةٍ كبيرة، وساعده موزاسو في إطلاقِ كلّ واحدٍ منها. بلغَ موزاسو من العمر عشرين عاماً ولم يفعل شيئاً في حياته غير الاعتناء بالمتاجر وإصلاحِ ما يحتاج الإصلاح بينما استكشف غورو المنطقة للعثور على مواقعَ جديدة، وأنتجَ أفكاراً ملهمةً حققت بشكلٍ لا يصدّق نجاحاً باهراً لإمبراطوريته التي تكبر يوماً بعد يوم. يبدو أنّ غورو لا يخطئ في الأعمال التجارية، ونسبَ البعض حظه الجيد إلى وجود موزاسو إلى جانبه، الذي يجتهد في عمله من غير انقطاع.

في صباحٍ مبكرٍ من شهر نيسان، وصلَ موزاسو إلى مكتب رئيسه في صالة الباتشينكو الجديدة والتي تدعى الجنة السادسة.

«صباح الخير. السيارة في انتظارنا. سآخذكَ إلى مشغل السيدة توتوياما لتحيكَ لكَ ثياباً جديدة. هيّا بنا» قال له غورو.

قال موزاسو ضاحكاً: «حقاً؟ لماذا؟ لديّ بذلات تكفي لهذه السنة والتي تليها. أنا من أكثر رؤساء العمّال أناقةً في أوساكا» لم يكن موزاسو يعير الثياب الجميلة كبير اعتنائه على عكس أخيه نوا. وهو يرتدي تلك الملابسَ المخاطة بإتقانٍ فقط لأنّ مديره يهتمّ بمظهر عماله، فهو يعتقد أنّهم يعكسون صورته. وهو متشدد أيضاً حيال نظافتهم الشخصية.

كان لدى موزاسو كثير من العمل ولم يرغب في الذهاب إلى مشغل السيدة توتوياما، وعليه أن يتصلَ بالجرائد لوضع إعلاناتٍ لأنه بحاجة إلى مزيد من العمال. فصالة الجنة السادسة تحتاج إلى مزيد من الرجال من أجل فترة العمل

الليلية، وبما أنّ الصالة الجديدة الجنة السابعة ستجهز بعدَ شهرٍ تقريباً، فعليه أيضاً أن يبدأ في توظيف العمّال فيها.

«أنتَ تمتلك ثياباً مناسبة لرئيس العمّال، لكنك تحتاج إلى بذلات جديدة من أجل منصبكَ الجديد مديراً للصالة السابعة».

«ماذا؟ لا أستطيع أن أكون المدير» ردّ موزاسو مندهشاً «إنها وظيفة السيد أوكادا».

«لم يعد موجوداً».

«ماذا! ما السبب؟ كان متحمساً ليكون مديراً».

«كان يسرق».

«ماذا! لا أصدّق».

قال غورو وهو يهز رأسه: «هذا ما حدثَ، ضبطته وهو يسرق. لقد اشتبهت بالأمر وتأكدت من ذلك».

«هذا مريع» لم يفهم موزاسو لمَ قد يسرق أحد من غورو فالأمر أشبه بالسرقة من والدكَ. «ما سبب فعلته؟».

«القمار، فهو يدين بالمال لبعض الأوغاد. وأخبرني أنه سيعيد لي أموالي، لكن الخسائر كانت فادحة. وقد أتت عشيقته في الصباح للاعتذار نيابةً عنه، هي حامل. ذلك الغبي! خسرَ وظيفته بعد أن جعلها تحمل».

«أوه تباً» استرجعَ موزاسو في ذاكرته جميع الأوقات التي تكلّمَ فيها أوكادا عن رغبتهِ في الحصول على ولدٍ أو حتّى ابنةٍ ستفي بالغرض، بحسب قوله. فهو يعشق الأطفال والباتشينكو. لكن بالرغم من خبرته في هذا المجال، فإن أية صالة أخرى لن تقبل في توظيفهِ إن علموا أنّ غورو قد طرده بسبب السرقة. فلا أحدَ يسرق من غورو.

«هل اعتذر؟».

«بالطبع، وبكى كالطفل لكني طلبت إليه أن يغادر أوساكا، فلا أرغب في رؤيته بعد الآن».

«معكَ حق» قال موزاسو وشعرَ بالسوء تجاه أوكادا الذي عامله بلطفٍ دائماً. فهو ابن لأمٍ كورية وأبٍ ياباني، لكنه اعتاد أن يقول إنه يشعر بكونه كورياً بالكامل

لأنه شخص عاطفي.

«هل زوجتهِ بخير؟» سأل الفتى غورو فهو يتكلّم مع كلتا المرأتين.

«نعم، زوجته وعشيقته كلتاهما بخير. لكني حذّرت عشيقته من أني لا أرغب في رؤيته في الجوار، ولن أكون لطيفاً حينها».

أومأ موزاسو.

قال غورو: «لنذهب إلى السيدة توتوياما، لقد سئمت من شعوري بالحزن. ورؤية الفتيات اللاتي يعملنَ لديها ستبهجني».

تَبِعَ موزاسو رئيسه إلى السيارة، وهو يعلم جيداً أنه لا يتوجّب عليه السؤال عن راتبِهِ الجديد، فالغريب أنّ غورو لا يحبّ التطرّقَ إلى موضوع المال، لكن لا بدّ أنّ الراتب سيكون أفضلَ من راتبه السابق. ادّخرَ موزاسو المال بحرصٍ من أجل شراءِ متجرٍ للحلويات لوالدته. وكانوا قريبين للغاية من جمعِ مالٍ كافٍ لشراء المتجر الصغير الذي إلى جانب محطة القطار. لم تستطع العمة كيونغي المساعدة في صنعِ الحلويات لأنّ حالة العم يوسب تزداد سوءاً يوماً بعد يوم. وفكّرَ بما أنّ والدته وجدّته وحدهما تعملان في كشك الحلويات، ونوا يدرس في سنتهِ الثالثة في الجامعة، فأيّ أموالٍ إضافيةٍ يكسبونها ستكون مفيدةً للعائلة. مساء كل سبت يسلّم موزاسو والدته مغلّفاً يحتوي على راتبٍ كبيرٍ، حاولت والدته أن تزيدَ من مصروفهِ، لكنه رفضَ أخذَ شيءٍ غيرَ بدل نقله، فهو ليس بحاجةٍ إلى الكثير بما أنه يتناول وجباته في المقصف المخصص للموظفين ويشتري له غورو ملابس العمل. يعمل موزاسو لسبعةِ أيامٍ وينام في منزلهِ، وفي حال تأخّر الوقت كثيراً، ينام في إحدى غرف الموظفين الإضافية الموجودة في الصالات.

أغلقَ الباب بعدَ أن خرجا.

سأله موزاسو: «لا أعلم يا ريّس. هل تعتقد أنهم سيصغون إليّ؟ كما فعلوا مع أوكادا؟». لا يتعلّق الأمر بكونه طموحاً أم لا، بل لأنه استمتع بكونه رئيساً للعمال في الفترتين الصباحية أو المسائية، فهو يجيد عمله للغاية. لكن منصبَ المدير أكثر جدّية؛ فهو يتولّى مسؤولية الأمور في غياب غورو ويتطلّع الجميع إليه. يبلغ السيد أوكادا خمسةً وثلاثين عاماً وهو طويل كلاعبِ بيسبول.

«أنا أشعر بالإطراء وممتن لكَ كثيراً. لكن أتعلم، أظنّ أنّ بعض المدراءِ الآخرين..».

«اخرس أيها الصبي، أنا أدرك ما أفعل. أنتَ أذكى منهم جميعاً وتعرف كيفَ تتكفّل بحل الأمور بنفسك. وعندما أكون مشغولاً في تفقّدِ الصالات الأخرى، أحتاج منك أن تكون ذكياً في عملكَ، فهذا هو المتجر الأهم من بين جميع متاجري».

«لكن الصالة السابعة تحتاج إلى خمسين عاملاً تقريباً. كيف سأعثر عليهم؟».

«تحتاج في الحقيقة إلى ستين رجلاً على الأقل وعشرين شابةً جميلةً للعمل خلف شبابيك توزيع الجوائز».

«حقاً؟» ساندَ موزاسو دائماً مخططات غورو الغريبة، لكن هذه الخطّة بدت مستحيلةً حتى بالنسبة إليه.

«كيفَ سأعثر..».

«ستجد حلاًّ، أنتَ دائماً تفعل. وتستطيع توظيفَ أيَّ فتاةٍ تريدها؛ من الأوكيناوا، البوراكومين، اليابانيين أو الكوريين، لا يهم، المهم أن يكن فاتناتٍ وجذّابات. لكن لا توظّف فتياتٍ فاسقاتٍ كثيراً كي لا يفزعَ الرجال منهن. فوجود الفتيات مهمّ للغاية».

«لم أدرك أنّ السكن يتّسع لكلّ هذا العدد..».

«لهذا السبب بالتحديد ستكون مثالياً لمنصب المدير؛ لأنكَ تقلق كثيراً بشأن كل شيء» ابتسم غورو ابتسامةً عريضةً.

فكّرَ موزاسو بقول رئيسهِ ووافقه الرأي، فلا يهتمّ أحد بالمتاجر مثله.

تناقشَ غورو في المصارعة مع السائق في رحلتهم إلى مشغل السيدة توتوياما بينما جلسَ الصبي ساكناً، وفكّرَ في جميع الأشياء التي تحتاجها الصالة السابعة. وبينما تأمّلَ ملياً من منَ الرجال سيستبدل من الصالات الأخرى، أيقنَ أنه قد يكون في نهاية الأمر جاهزاً ليصبحَ مديراً وجعلته هذه الفكرة يبتسم قليلاً. لا يخطئ غورو أبداً وربما لم يخطئ في اختياره له أيضاً.

لم يكن موزاسو ذكياً بقدر أخيه الذي يدرس الأدبَ الإنجليزي في جامعة

واسيدا في طوكيو، والذي يستطيع الآن قراءةَ رواياتٍ ضخمة مكتوبة باللغة الإنجليزية ومن دون الاستعانة بقاموس. يطمح نوا للعمل في شركةٍ يابانية، ويظنّ أنه من الأفضل لـموزاسو أن يعمل مع العائلة بعد شراء متجر الحلويات، فهو كمعظم اليابانيين، يرى أنّ العمل في صالات الباتشينكو ليس مشرّفاً.

توقّفت السيارة أمام مبنى مشيد من الطوب الأحمر، استخدمَ سابقاً قبل الحرب كمعملٍ لتصنيع القماش. وظللت شجرة الكاكي الضخمة البوابة المعدنية الرمادية. جمعت توتوياما بصفتها الخياطة الرسمية للسيد غورو، ما يكفي من المال لنقل عملها إلى هذا المشغل بالقرب من شارع إيكاينو. تعيش هي وولداها هاروكي ودايسوكي في ثلاث غرفٍ في الجزء الخلفي من المبنى، واستعملت المساحة المتبقية للعمل. وظّفت ست فتياتٍ للعمل ستةَ أيامٍ في الأسبوع. وتزايد الطلب عليها من رجال الأعمال الكوريين في أوساكا، وأصبحت مسؤولة عن صنعِ بذلات موحّدة لمطاعم اللحم المشوي وصالاتِ الباتشينكو الأخرى في كانساي. لكن غورو يأتي في المقدّمة فهو من ساعدها وأخبر الجميع عنها.

استقبلتهما توتوياما بنفسها عندما قرعَ غورو جرسَ الباب. وأحضرت لهما إحدى الفتيات المبتدئات فناجين من الشاي العَطِر الساخن وبسكويت القمح المستورد على صينيةٍ مَطْلية. رافقت توتوياما الفتى إلى المرآة من أجل أخذ قياساته، وبدأت بقياسِ عرضِ ذراعيه بينما وضعت دبابيس في فمها.

قالت له: «أصبحتَ نحيلاً يا سيد موزاسو».

فأجابها: «أنتِ محقّة. يخبرني السيد غورو أنه عليّ أن آكل المزيد».

أومأ له غورو بينما التهم قطعَ البسكويت وشربَ فنجاناً آخر من الشاي. كان يجلس على كرسيّ مصنوعٍ من خشب الأرز ومنجد بأقمشة نيليّة، وشعرَ بالهدوء بينما راقبَ عملَ توتوياما. يغمره شعور جيّد عندما يحلّ بعض المشاكل كما حدثَ مع أوكادا عندما اكتشفَ أنه مخادع وطرده، ومسرور لأنه سيقوم الآن بترقية موزاسو في عمله.

مؤخراً طلي المشغل الكبير، لكن الأرضية لا تزال باليةً وقديمة، تنظّف الأرض كلّ يومٍ بالرغم من تناثر قطع القماش والخيوط حول طاولات العمل في الصباح التالي.

ظهرَ عمود من الغبار المتطاير في الهواء مع انحدار ضوء الصباح من نافذة السقف، اصطفّت ست آلاتٍ للخياطة في الغرفة الطويلة، وخلفَ كلّ واحدةٍ منها فتاة. حاولت الشابات أن يشحنَ بنظرهن عن الرجلين، لكن لم يستطعن مقاومة الفتى الذي يأتي إلى المشغل مرّةً من كل سنة. فقد ازداد موزاسو جاذبيةً وورثَ نظرةَ والده الصارمة وابتسامته المرحّبة. أحد الأشياء التي يحبها غورو في الفتى هي ضحكته الدائمة، فهو مندفع ولا يميل إلى الكآبة والمزاجية. ارتدى موزاسو بذلة مصنوعةً في هذا المشغل بالذات ومن قِبل الفتيات نفسهن، فشعرنَ برابطٍ خفيّ يجمعهن معه بطريقةٍ ما، لكنهن بالكاد يمكن أن يعترفن بالأمر، رغم أنهن يعلمن أنه غير مرتبط بحبيبة.

«هناكَ شخص جديد هنا» قال غورو وتكتّفَ. دقق في الفتيات وابتسم، ثم نهضَ ومشى إليهن، وانحنى لهن بشدّة، فبدا الأمر مضحكاً، لأنه يعتبر شخصيةً مهمةً للغاية، فوقفت الشابات في آنٍ واحدٍ وانحنَينَ له. هزّ غورو رأسه وأظهر تعابير مضحكة على وجهه وقال: «اجلسن، اجلسن».

يمتلك غورو نوعاً من الموهبة الفكاهية بالإضافة إلى جسد مطواع، فهو يستطيع المشي، وهزّ كتفيه بهدفِ إضحاك النساء. وهو رجل صغير ذو جسدٍ ممتلئٍ، لديه حركات مضحكة، ويحب مغازلة جميع النساء، وهو شخص لا ينسى وترغب النساء بنيل إعجابهِ. عندما يقوم غورو بتأدية حركاتٍ سخيفةٍ، قد تنسى أنه رجل أعمالٍ كبيرٍ وثريّ لدرجةِ أنه يمتلك سبعَ صالات باتشينكو، ولديه سلطة كافية لطردِ أيّ رجلٍ من أوساكا إلى الأبد.

«الآنسة إريكو، الآنسة ريكو، الآنسة ميدوري، الأنسة هاناكو والآنسة موتوكو، صحيح؟» تلا غورو أسماءهن بإتقانٍ ثمّ توقّفَ عند الفتاة الجديدة وقدّمَ نفسه «اسمي غورو. يداكِ جميلتان».

فأجابته بانزعاج لأنه قاطع عملها «أدعى يومي».

فنظرت إليها توتوياما وعبست. تحيك يومي بشكلٍ متقنٍ أكثر من الأخريات، لكنها منعزلة في أغلب الأوقات؛ فهي تتناول وجبتها بمفردها، وتقرأ خلال الاستراحة بدلاً من الثرثرة. لكن بالرغم من كل ذلك، فهي مجبرة على احترامِ السيد غورو وملاطفته إن اضطر الأمر. فبالنسبة إلى توتوياما، السيد غورو رجل

عظيم وطيّب. وبالرغم من ممازحته الفتيات لكنه لا يتصرّف بقلة أدبٍ. ولم يطلب في حياته موعداً من إحداهن، أو فعلَ شيئاً سيئاً معهن كما يحاول أن يفعلَ بقية الزبائن. بدأت يومي العملَ لديها منذ شهرين، وتعرف توتوياما من خلال أوراق يومي أنها كورية لكن الفتاة تستعمل اسمها الياباني ولا تذكر شيئاً عن أصولها. لا تأبه توتوياما بخلفية أي موظّفٍ لديها طالما أنه ينجز عمله على أكمل وجهٍ. يومي شابة راقية، تتمتع ببشرةٍ رائعة وصدرٍ مشدودٍ وجسدٍ جذّابٍ يحبه الرجال. لذلك فمن الطبيعي أن يلاحظ السيد غورو وجودها.

سألته توتوياما: «أصحيح أنّ السيد موزاسو هو المدير الجديد للصالة السابعة يا سيد غورو؟ لا بدّ من أنه أمر رائع بالنسبة إلى فتى مثله».

فأشاحَ موزاسو بنظرهِ، خجِلاً من الفتيات اللاتي نظرنَ إليه بفضولٍ واندهاش، باستثناء يومي التي تابعت عملها.

«نعم. ويحتاج الفتى إلى ثلاث بذلات داكنة، أرجوكِ أن تصنعيها من قماشٍ جيّدٍ، بالإضافة إلى ربطاتِ عنقٍ. يحتاج إلى شيءٍ أنيقٍ يميّزه عن الآخرين ويجعله يبدو أكبرَ عمراً».

لاحظَ موزاسو – بينما كان يقف أمام المرآة – الفتاة يومي وهي تعمل باجتهادٍ. وذكّره شكلها بصورةِ بجعةٍ رآها على علبةِ منظّفٍ، فهي تمتلك كتفين نحيلتين وعريضتين ورقبةً طويلة.

عندما أنهت السيدة توتوياما أخذَ القياسات، اتجهَ الرجلان إلى السيارة.

قال له غورو: «الفتاة الجديدة يومي جميلة جداً ومؤخرتها مثيرة».

أومأ موزاسو رأسه، فضحكَ غورو: «اهتمَّ الفتى المجتهد أخيراً بفتاةٍ ما! إنها تناسبكَ جداً».

عندما عادَ موزاسو بمفرده إلى المشغل في الأسبوع التالي لجلسة القياس الأولى، كانت توتوياما مشغولةً معَ زبونٍ لكنها على وشكِ الانتهاء، فطلبت من يومي أن تحضرَ له بذلته. فسلّمته يومي البذلة التي لم تنتهِ بعد، وأشارت إلى غرفة التبديل خلفَ ستارةٍ نيليّةِ اللون.

قالَ لها باليابانية: «شكراً».

لم تتفوّه الفتاة بشيءٍ، ووقفتَ هناك بسكونٍ، في انتظار أن يتم صرفها إلى عملها. انتظرت يومي أمام المرآة إلى حين خروج موزاسو من الغرفة، وفي يدها وسادةً قرمزيةَ اللون مليئةً بالدبابيس، في حين لا تزال توتوياما مشغولةً مع الزبون في جزءٍ آخر من الغرفة. ألقت الفتاة نظرةً على خط العنقِ، وأمالت رأسها فلاحظت أنّ طيّة الصدر بحاجةٍ إلى قليلٍ من العمل بعد.

«أدعى موزاسو بوكو. سررت بمقابلتك».

عبستَ يومي عندَ رؤية طيّة السترة، ووضعتَ دبوساً على المكان الذي يحتاج إلى تعديلٍ.

«لن تخزيني، صحيح؟». قال لها ضاحكاً. التفتت يومي حوله لتفقّد الياقة والكتفين من الخلف.

«لن تتحدثي إليّ؟ حقاً؟».

«ليست وظيفتي أن أتكلّمَ معكَ. وظيفتي أن أتفقّدَ البذلة إن كانت تلائمكَ».

«إن دعوتك إلى العشاء، ربما قد تجدين حينها بعض الكلمات لي» قال موزاسو مردداً جملةً يستخدمها غورو مع النساء. فهو لم يطلب في حياته من أيّ فتاةٍ الخروج في موعدٍ معه. وفكّرَ أنه بعدَ أن أصبحَ الآن مديراً للصالة السابعة، قد تعجب النساء بهذا الأمر.

«لا أريد عشاءً، شكراً».

«يجب أن تأكلي» وهذه أيضاً واحدةً أخرى من جملِ غورو «أنتِ تنهين عملكِ قرابة الساعة السابعة والنصف، أعرف ذلكَ لأنني قد جئت إلى هنا مسبقاً لاستلام الملابس».

«لديّ مدرسة بعدَ العمل ولا أملك الوقت لمثل هذه التفاهات».

«أتعتبرينني تفاهةً؟».

«نعم».

ابتسمَ لها موزاسو، فهو لم يلتقِ بأحدٍ يتحدّث مثلها من قبل: «ماذا تدرسين بجميع الأحوال؟».

«اللغة الإنجليزية».

«أستطيع مساعدتك فأنا أعرف الإنجليزية».

«كلا، أنتَ لا تعرف».

فردد بعض الجمل التي تدرّبَ عليها مع نوا من كتب الإنجليزية «مرحباً أيتها الآنسة يومي. أدعى موزس بارك. كيفَ حالكِ؟ كيفَ هو الطقس في تولسا، أوكلاهوما؟ ماطر أم جاف؟ أنا أحب الهامبرغر، هل تحبّينها؟ وأنا أعمل في مكانٍ يسّمى الجنة».

سألته: «أينَ تعلّمتَ هذا؟ أنتَ لم تكمل المدرسة الثانوية حتّى».

«كيفَ عرفتِ؟». ابتسم

«لا يهمّ» أجابته عندما رأت توتوياما تتجه نحوهما.

«هل تحبين الروايات المذهلة للكاتب تشارلز ديكنز يا آنسة يومي؟ فهو المفضّل لدى أخي. أما أنا فأعتقد أنّ رواياته طويلة للغاية ولا تحتوي على أيّ صورٍ».

ابتسمت الفتاة قليلاً، ثمّ انحنت عند وصول مديرتها، وأشارت لها إلى الأشياء التي تحتاج إلى التعديل والإصلاح، ثمّ انحنت مجدداً وعادت إلى مكانها لمتابعة عملها.

«أنا أعتذر على جعلكَ تنتظر يا سيد موزاسو. كيفَ أحوالكَ وأحوال السيد غورو؟».

أجابَ موزاسو على سؤالها بكلّ أدبٍ، وعندما قاربت الانتهاء من إصلاح البذلة، التفتَ الفتى وعطسَ بقوّةٍ وحنى ظهره إلى الأمام عن قصد بهدفِ تمزيق الخيوط المحاكة بإتقانٍ.

«أوه أنا أعتذر، كم أنا غبي» قالَ وهو ينظر إلى يومي التي حاولت أن تضبطَ ضحكتها.

«هل أعود غداً أو اليومَ الذي يليه؟ قد أتمكّن من المرور قبل أن تغلقي المشغل».

«آه نعم، من فضلك» قالت له توتوياما بينما حاولت تقدير حجمَ الضرر الذي حلّ بالسترة، ولم تنتبه إلى الشابَين يتأملان أحدهما الآخر.

«ستجهز بحلول عشية يوم غد».

17

أكتوبر 1961

استندَ موزاسو إلى شجرة القيقب مقابل مشغل السيدة توتوياما، ولم يخفِ جذع الشجرة إلاّ جزءاً صغيراً منه. فهذا هو مكان لقائهما المعتاد، حيث يلتقي موزاسو بـيومي لثلاثِ ليالٍ في الأسبوع. لقد مر على ترافقهما أكثر من عامٍ إلى حصّة اللغة الإنجليزية في الكنيسة، ثمّ يعودان إلى شقّتها المستأجرة وتحضّر يومي عشاءً بسيطاً لكليهما، ثم يمارسان الحب في أغلب الأوقات قبل عودة موزاسو إلى عملهِ في الصالة السابعة، حيث يعمل حتّى ساعة الإغلاق ويخلدَ إلى النوم في مسكنهِ في المبنى المخصص للموظفين.

لقد حلّ شهر تشرين الأول ولم تفقد نسمات الهواء دفء الصيف بعد، وبدأت تتلوّن أوراق الأشجار بلونٍ ذهبيّ مشرقٍ. وبدت الشجرة الطويلة التي يقف موزاسو تحتها كقماشٍ مطرّزٍ يلمع في سماء الليل الضبابية. رجعَ العمّال ورجال الأعمالِ في ذلك الوقت إلى منازلهم واستقبلهم أطفالهم الصغار عند عتبة الباب.

لقد تحسّنت أحوال الشارع الذي يقع فيه مشغل توتوياما خلال العام الماضي، فقد انتقلت العائلات إلى منازلَ مهجورةً بجانب النهر، وجنى بائع للخضار كثيراً من أرضهِ التي كانت قاحلةً في السابق، وتمكّنَ من استئجار الأرض المجاورة ليعملَ فيها أخ زوجته في بيع الأقمشة والمنسوجات. وحققَ المخبز الجديد الذي يبيع كعكاتٍ إسفنجية مصنوعة على الطريقة البرتغالية والتي تعبق رائحتها اللذيذة في أنحاء الشارع، شهرةً في أوساكا ما جعلَ الناس ينتظرون أمامه كلّ صباحٍ في صفوف طويلة، للحصول على القليل منها.

عملت الخيّاطات في ذلك اليومِ حتّى وقتٍ متأخرٍ على غير العادة، فقضى موزاسو وقتَه في قراءة قائمةٍ من الكلمات المكتوبةِ على ورقةٍ متجعّدة والتي

يتوجب عليه دراستها. وأدركَ أنه يستطيع حِفظَ كلماتٍ وعباراتٍ باللغة الإنجليزية بشكلٍ جيّدٍ، فهو لم ينتبه إلى قوّة ذاكرته عندما كان في المدرسة. لقد ساعده هذا الأمر في إثارة إعجاب يومي. لا تهتم حبيبته إلاّ بالتعلّم على خلاف أغلب الفتيات اللواتي لا يرغبن إلاّ في الحصول على الهدايا والمال، والفساتين والمجوهرات. أكثر ما يسعدها هو عندما يجيب موزاسو على أسئلة الكاهن جون ماريمان بشكلٍ صحيح. واعتقدت يومي أن عليها تعلّم اللغة الإنجليزية في حال رغبت بالسفر والعيشَ في أمريكا في يومٍ من الأيام. قرأ موزاسو ورقته في ضوء النهار المتبقي، لكن ظلّ رجلٍ ظهرَ فجأةً حجبَ الضوءَ بالكامل ولم يعد باستطاعته رؤية الكلمات. فنظرَ موزاسو إلى الأعلى عندما لاحظ وجود حذاءٍ رسميّ لرجل يقف على بعد بضع خطواتٍ منه.

«هل من المعقول أنكَ تدرس يا مو؟ كيف ذلك؟».

فصاحَ موزاسو: «هاروكي؟ هل هذا أنت؟ لم أركَ منذ زمنٍ بعيد». فصافحه بحرارةٍ «أسأل والدتكَ عنك باستمرارٍ. هي فخورة بكَ جداً، ولا أقصد بذلكَ أنها تتباهى بالأمر لكنها تفتخر بطريقتها الخاصة بهدوءٍ وأدب. وانظر إليك! الضابط هاروكي!» صفّرَ موزاسو من دهشته لرؤية بذلة صديقه الأكاديمية «أنتَ تبدو مهماً للغاية وتجعلني أرغب في ارتكابِ جريمة. لن تخبرَ عني، صحيح؟».

ابتسمَ هاروكي ولكم كتف موزاسو لكمة خفيفة، وأحسَّ بالخجل أمام صديقه القديم. ابتعد هاروكي عن موزاسو في الآونة الأخيرة بالرغم من صعوبة الأمر لأنّ مشاعره تجاهه كانت قويّةً للغاية. كان لدى هاروكي خلال السنوات الماضية بعضَ العلاقاتِ العابرة مع أشخاصٍ لا يعرفهم. وأعجبَ مؤخراً بزميلٍ له في الأكاديمية يدعى كوجي؛ شابّ قويّ ومضحك. لكنه ابتعدَ عنه أيضاً كما حدثَ مع موزاسو لأنه يعرف تماماً أنه من الأفضل أن يفصل بين ما هو علني وما هو خاص وسرّي.

«ماذا تفعل في هذه الأرجاء بحق الجحيم؟ هل تسكن في مكانٍ قريبٍ من الأكاديمية؟».

أومأ هاروكي: «لديّ عطلة هذا الأسبوع».

«إذاً، متى ستصبح ضابطاً؟ أعني فعلياً». ضحك موزاسو وتظاهرَ بالانحناء

له بطريقةٍ رسمية.

لم يستطع هاروكي تركَ صديقه في تلكَ اللحظة، فرؤيته غمرته بكثير من المشاعر. فقد أحبّه كثيراً عندما كانا صغيرين لأنه أنقذه من معاناته في المدرسة. وشعرَ بألمٍ كبيرٍ عندما اختفى موزاسو من حياته بعدَ أن تركَ المدرسة للعمل لدى السيد غورو. ثمّ أجبره وجود الأولاد الأشرار في المدرسة الثانوية على الهروب إلى أيّ ملجأ متوفّر، لذلك قضى فترات استراحته يرسم بقلم الرصاص على دفتره في صفّ أستاذةِ رسمٍ لطيفة. أما منزله فبقي على حاله؛ أخوه الصغير لا يكبر أو يتغيّر، ووالدته تعمل من دون انقطاعٍ. اقترحت أستاذة الرسم على هاروكي أن يلتحق بالأكاديمية بما أنّ زوجها وإخوتها يعملون كمحققين في الشرطة. ولم تكن نصيحةً سيئة، فقد أحبّ هاروكي أكاديمية الشرطة بكلّ قوانينها ومستوياتها، وأطاعَ الآخرين وأجادَ عمله. وشعرَ أنه من الأفضل له البدء في مكانٍ جديدٍ لا يعرف فيه أحداً.

«لماذا تقف هنا؟». سأله هاروكي الذي تأثّرَ بلون السماء الملتهبِ بينما الشمس على وشكِ الغروب.

«أنا أنتظر يومي، فهي تعمل لدى والدتكَ. ولا يجب على أحدٍ أن يعلمَ بعلاقتنا. لكني لا أظنّ أنّ والدتكَ قد تهتم للأمر، فأنا لست سيئاً».

«لن أتفوّه بشيءٍ». قال هاروكي وفكّرَ كيفَ أصبحَ موزاسو أكثرَ جاذبية. فقد أعجبَ دائماً بتكاوينه؛ بجبينه الناعم، وأنفه الحاد وأسنانه البيضاء والمنتظمة. لكنه بدا الآنَ رجلاً ناضجاً ومسؤولاً في هذه البذلة التي يرتديها، ورغبَ هاروكي في أن يتّبعَ خطاه.

لا تزال أنوار المشغل مضاءةً، واستمرت الفتيات في العمل. تخيّلَ موزاسو كيف تلامس أصابعَ يومي النحيلةَ القماش، وقدرتها على العمل لساعاتٍ طويلة من دون أن يصرفَ انتباهها شيء. وكيف أنه لا يستطيع تخيّل نفسه هادئاً وساكناً هكذا طوال الوقت، فهو يحبّ صَخَبَ صالة الباتشينكو وكلّ شيءٍ يخصّ عمله.

آمنَ والده القس بوجودِ مخططٍ إلهيّ لهذا العالم، بينما آمن موزاسو بأنّ هذه الحياة أشبه بلعبةٍ يتحكّم فيها اللاعب، لكن هنالكَ بعضَ الأشياء التي لا يستطيع

السيطرةَ عليها. لذلك تفهّمَ الفتى السبب الذي يدفع زبائنه للعبِ بآلاتٍ قد تبدو واضحةً ومفهومة لكنها تترك أيضاً مجالاً للصدفة والأمل.

أشار موزاسو إليها بيده وهو يشعر بالفخر: «أتراها؟ إنها هناك في المقعد الرابع من جهة..».

فأجابه هاروكي: «الآنسة يومي. لقد سبق لي أن قابلتها، إنها خيّاطة ماهرة وفتاة راقية، أنتَ محظوظ للغاية. كيفَ أحوال عملكَ؟ هل حققتَ ثروةً؟».

«يجب أن تزورني، أنا أعمل الآن في الصالة السابعة. تعالَ في الغد، أنا هناك طوال الوقت تقريباً، باستثناء الوقت الذي ألتقي فيه بـيومي وأصطحبها إلى الصف».

«لا أدري إن أمكنني ذلك، فعليّ أن أرى شقيقي».

«لقد سمعت أنه يشعر مؤخراً بقليلٍ من الاكتئاب».

«لهذا السبب أتيت، فقد أخبرتني والدتي أنه يتصرّف بغرابة. لا يسبب لها المشاكل لكنه لم يعد يتحدّث كالسابق. ولا يعلم الأطباء ما العمل. يعتقدون أنه سيكون سعيداً في العيش في مؤسسةٍ تحتوي على أشخاصٍ مثله، لكني أشكّ في الأمر. فتلكَ الأماكن..» تنفّسَ هاروكي بينما أطبقَ على أسنانه بشدّة «لن تسمحَ والدتي بإرساله، بالتأكيد. فأخي ولد مطيع للغاية». قال هاروكي بهدوءٍ، فهو يعرف أنّ دايسوكي سيصبح من مسؤولياته في يومٍ من الأيام في حال أصبحت والدته عاجزةً عن الاعتناء به. والفتاة التي سيتزوجها يجب أن تكونَ على استعدادٍ للاهتمام بأخيه ووالدته المسنّة وأن تعاملهما بلطفٍ.

«تقول يومي أنّ أمريكا ستكون مكاناً مناسباً له، وللجميع أيضاً. فاليابان لا تتقبّل الاختلاف، على عكس أمريكا» يعتقد موزاسو أنّ حبيبته متحيّزةً لأمريكا وأيّ شيءٍ تابع لها بشكلٍ لا منطقي. فهي تظنّ أيضاً، تماماً كأخيه نوا، أنّ اللغة الإنجليزية هي أهمّ لغةٍ في العالم وأنّ أمريكا هي أفضل دولة. «وتقول أيضاً إن فيها أفضل الأطباء» هزّ موزاسو كتفيه: «ربما هي محقّة بشأن هذا الأمر».

ابتسم هاروكي فقد تمنّى كثيراً العيش في مكانٍ آخر بعيد عن الناس جميعاً.

تعرّفت يومي من بعيدٍ على ابن مديرتها الكبير بينما كانت تتجه إلى نقطة اللقاء، لكنها استمرت في المشي، فقد شعرت أنه من غير اللائق الالتفاف والعودة

الآن.

فابتسمَ موزاسو وقال: «أتعرفين السيد هاروكي؟ صديقي الوحيد من المدرسة الثانوية. إنه يكافح الجريمة الآن».

أومأت يومي رأسها وابتسمت بارتباك.

«سعيد برؤيتكِ مجدداً يا آنسة يومي. وأنا ممتنّ لكِ، فقد تمكّنت من رؤية صديقي بعد كلّ هذه السنين بسببك».

«هل عدتَ من الأكاديمية يا سيد هاروكي؟» سألته بينما وقفت بطريقةٍ رسميةٍ ومتّزنة.

أومأ هاروكي، ثمّ استأذنهما للذهاب لرؤية أخيه، ووعدَ موزاسو بزيارته في صالة الباتشينكو في صباح الغد.

عقدَ صف اللغة الإنجليزية في غرفة المؤتمرات الضخمة في الكنيسة الكورية الجديدة التي تمّ إنشاؤها مؤخراً بمساعدة تبرعاتٍ هائلة من العائلات التي تمتلك مطاعم اللحم المشوي. كانَ المدرّس جون ماريمان كورياً بالرغم من امتلاكه اسماً أجنبياً، فقد تبناه المبشرون الأميركيون عندما كان صغيراً. لذلك فإنّ الإنجليزية هي لغته الأم. وهو رجل طويل للغاية، يبلغ طوله قرابة الست أقدامٍ، ويرجع السبب إلى حميته الغنية بالبروتين والكالسيوم. يحدِث جون جلبةً أينما ذهبَ، فهو أشبه بعملاقٍ هبطَ من السماء. وبالرغم من أنه يعرف اللغتين الكورية واليابانية بإتقانٍ لكنه يتحدث بلهجةٍ أمريكية، وهو يحبّ ممازحة أشخاصٍ لا يعرفهم، ويضحك بصوتٍ مرتفعٍ عند حدوثِ شيءٍ مضحكٍ.

ولو أنّ زوجته الكورية الصبورة التي تأقلمت مع وضعه لم توضح للآخرين أنّ هذه هي طبيعته ولا يدرك ما يفعل، لتعرّضَ جون للكثير من المشاكل بسبب زلاّته التي تتعلّق بالثقافة. بدا جون مرحاً للغاية بالنسبةِ إلى كاهنٍ في الكنيسة المشيخية. وهو رجل صالح، يتمتع بذكاءٍ وإيمانٍ لا يتزعزعان. أرسلته والدته سينثيا ماريمان؛ وريثةَ شركةٍ لتصنيع إطارات السيارات، إلى جامعة برينستون ومدرسة ييل اللاهوتية، وقراره في العودة إلى آسيا لنشر كلمةَ الله أسرَّت والديه. يتمتع جون ببشرةٍ زيتونية اللون وجذبت عيناه السوداوان الداكنتان ونظرته المليئة

بالدهشةِ النساء من حوله.

أعجبت يومي بأستاذها واحترمته بالرغم من أنها صعبة الإرضاء، لقد نادى الطلاب الأستاذ بالقس جون. يمثّل جون بالنسبة إليها شخصاً كورياً ينتمي إلى عالمٍ أفضل من الذي تعيش فيه، وحيث لا يكون الكوريون فيه مجرد فتياتٍ عاهراتٍ، أو مجرد رجالٍ سكارى أو لصوص.

والدتها بائعة هوى ومدمنة على الكحول، وقد أقامت علاقات جنسية مع كثير من الرجال من أجل المال أو المشروب، ووالدها يعمل قواداً وهو عنيف ويشرب بكثرة، وقد سجنَ مرّاتٍ عديدةٍ بسبب أعماله الإجرامية. وشعرت أنّ أخواتها غير الشقيقات الثلاث الأكبر منها لا يختلفنَ عن حيواناتِ المزرعة من الناحية الجنسية.

توفي شقيقها الصغير عندما كان طفلاً، وبعد تلك الحادثة بقليل، هربت يومي عندما بلغت الرابعة عشرة من العمر مع شقيقتها الصغيرة، وتمكّنت من تأمين لقمة العيش من خلال العمل في معاملٍ للنسيج، ومن ثمّ توفيت أختها أيضاً. أصبحت يومي خيّاطةً ماهرةً خلال كلّ تلك السنوات، ولا تعترف بوجود عائلتها التي تعيش في أقذر الأجزاء من أوساكا، وإذا لمحت امرأةً في الطريق تشبه والدتها بشيءٍ بسيط، تنتقل إلى الجهة الأخرى أو تلتفت وتبتعد. خططت يومي بعدَ مشاهدتها للأفلام الأمريكية أنها ستعيش في كاليفورنيا يوماً ما وستصبح خياطةً لنجوم هوليوود. تعرف الفتاة أشخاصاً كوريين رجعوا إلى شمال كوريا وآخرين إلى جنوبها، لكنها لا تمتلك أيّة مشاعرٍ تجاه أي من الدولتين. فهي تعتقد أنّ كون الشخص كورياً ليس إلاّ عبئاً، الأمر أشبه بكونك فقيراً أو تنتمي إلى عائلةٍ سيّئة السمعة ولا تستطيع التحرر من ذلك، لذلك لم تجد سبباً يحملها على العودة إلى أي من الكوريتين. لكنها لا تستطيع أيضاً البقاء في اليابان، فهي تشبه زوجةَ أبٍ ترفض محبَّتك ولهذا السبب تحلم بالرحيل إلى لوس أنجلوس. لم تقم يومي أيَّ علاقةٍ مع أيّ رجلٍ من قبل إلى حين التقت بموزاسو الذي يمتلك أحلاماً كبيرة وتعلّقت به، لذلك ترغب في السفر معه إلى أمريكا لبدء حياةٍ جديدة حيث لا ينبذان أو يهانان. وهي تعرف أنه لم يعد يجد بيئة مناسبة لتربية أيّ أطفالٍ هنا.

يضم صف اللغة الإنجليزية خمسةَ عشرَ طالباً، ويقام لثلاثِ ليالٍ كلّ أسبوع.

كانت يومي الطالبة المفضّلة لدى القس جون إلى حين مجيء موزاسو، فهو يمتلك أفضليةً كبرى، فقد اعتاد أن يدرس الإنجليزية بغير قصدٍ مع أخيه لسنواتٍ طويلة كونه شريكاً في الاختبارات المنزلية. لكن يومي لم تمانع الأمر، بل أحسّت بالراحة كونه أفضل منها ويجني مالاً أكثر منها ولأنه لطيف معها طوال الوقت.

يطرح القس جون في بداية كل صف مجموعة من الأسئلة باللغة الإنجليزية على كل طالبٍ.

«يا موزس، كيفَ أحوال صالة الباتشينكو؟ هل جنيتَ كثيراً من المال اليوم؟».

ضحكَ موزاسو: «نعم أيها القس جون، لقد جنيت كثيراً اليوم وسأجني أكثر في الغد. هل تحتاج إلى قليلٍ من المال؟».

«كلا، شكراً. لكن أرجوكَ لا تنسَ مساعدة الفقراء يا موزس، فهناك الكثير منهم».

«أموال الصالة التي أجنيها ليست لي أيها القس جون. رئيسي ثريّ، لكني لم أصبح غنياً بعد. (سأغنى) ذات يوم».

فصححَ له «ستصبح (غنيّاً)».

«نعم، سأصبح (غنيّاً) أيها القس. فيجب أن يمتلك الرجل مالاً».

ابتسمَ جون له، راغباً في تحريره من هذه الأفكار الدنيوية، لكنه التفتَ إلى يومي بدلاً من ذلك.

«كم زيّاً صنعت اليومَ يا يومي؟».

ابتسمت الفتاة خجلاً: «صنعت سترتين أيها القس جون».

تنقّلَ جون بين الطلاّب وشجّعَ الخجولين منهم على التحدّث مع بعضهم ومع الآخرين في الصف. فقد رغبَ أن يتعلّمَ الكوريون التحدّثَ باللغة جيّداً، كي لا ينظرَ الآخرون إليهم بازدراءٍ. تخلّى جون عن حياتهِ المريحة في برينستون نيوجيرسي، لأنه شعرَ بالأسى على أبناء جنسهِ المساكين الذين يعيشون في اليابان. وخلال طفولته الجميلة والمليئة بدفءِ محبّة والديه، حَزِنَ كثيراً على فقدان الكوريين لدولتهم إلى الأبد، فأشخاص كموزس ويومي لم يروا كوريا من قبل. وتحدّثَ الكوريون كثيراً عن العودة في يومٍ من الأيام، لكنهم جميعاً فقدوا فكرة

الوطن بطريقةٍ ما، ولم تعد هذه الفكرة موجودةً في ذاكرتهم.

تبنّاه والداه بمفردهِ ولا يملك أيّ أنسباءٍ على حدّ علمهم. أحسَّ جون بالسعادة معهما لكنه شعرَ بالذنب أيضاً لأنّ كثيرين غيرهم لا يحظون برغد الحياة مثله. ما السبب؟ تمنّى لو أنه يعرف. وبالتأكيد هناك بعض حالاتِ التبنّي التي لم تنجح والتي يعاني الأطفال فيها، لذلكَ فإنّ قدرَه كان أفضل من الكثيرين.

استعملت والدته دائماً كلمةَ المختار عندَ التحدّثِ إليه.

«اخترناكَ أنتَ يا عزيزي جون. فأنتَ تملك أجملَ ابتسامةٍ حتّى عندما كنتَ صغيراً. وأحبّت جميع النساء في دار الأيتامِ حملكَ لأنكَ كنتَ طفلاً رقيقاً للغاية».

تعليم اللغة الإنجليزية لا علاقةَ له بعملهِ كقسّ، ولم يحاول هِداية تلاميذه فمعظمهم لا ينتمون إلى ديانة. أحبَّ جون وَقعَ الكلماتِ الإنجليزية وطريقة تحدّثِ الأمريكيين. وأرادَ أن يقدّمَ هذا الشيء لهم، كي يتقنوا لغةً ثانيةً غير اليابانية.

ولدَ جون في اليابان كحالِ جميع طلاّبهِ ولأبوين كوريين. تخلّى عنه والداه الحقيقيان لمالكِ الشقّةِ التي عاشوا فيها، ولا يعرف كم كان يبلغ من العمر وقتها. سَجّله والداه في التبني في العاشر من تشرين الثاني الذي يتوافق مع عيد ميلاد مارتن لوثر. وكلّ ما يعرفه جون عن والديه الحقيقيين أنهما تركاه وحده في الشقّة ورحلا في ساعات الصباح الأولى من دون دفعِ بدل إيجار.

تخبره والدته في كلّ مرةٍ يسألها جون عنهما، أنّه لا بدّ أن يكون السبب وراء تخلّي والديه عنه هو أنّ المالك يملك مالاً وملجأً، وربما لم يكن بمقدورهما تأمين هذه الأشياء له في المكان الذي ذهبا إليه. لذلكَ فإنّ تضحيتهما تعبّر عن حبهما الكبير له. ويتساءل جون كلّما رأى عجوزين كوريين بعمرِ والديه تقريباً إن كانا والديه الحقيقيين، وهو شيء لا يستطيع التحكّمَ فيه. وتمنّى لو أنّ باستطاعتهِ مساعدتهما الآن وتأمين مسكنٍ وطعامٍ لهما لأنه يملك الكثير من الأموال.

بينما مازحَ القس جون الأختين اللتين تجلسان في الخلف لولعهما بالحلويات، نكزَ موزاسو ركبةَ يومي بركبته. فهو يمتلك فخذين طويلين ولا يحتاج إلى تحريكهما كثيراً حتى يتمكّن من إزاحةِ تنورتها عن ساقيها الجميلتين. فنقرته بدورها تعبيراً عن قليلٍ من الإنزعاج لكنها لم تمانع الأمر.

سألَ القس جون الأختَ الصغيرة عمّا فعلته عندما أمطرت السماء، وعوضاً عن الاستماعِ لها تتعثّر في اللغة الإنجليزية بحثاً عن كلمةِ مظلّة، حدّقَ موزاسو في يومي. فهو يحبّ الاستغراقَ في النظرِ إليها، وكيفَ تلتقي وجنتاها مع عينيها الداكنتين والحزينتين.

«كيفَ ستتعلّم الإنجليزية يا موزس إن كنت تقضي وقتكَ في التحديق إلى يومي؟» سأله جون ضاحكاً.

احمرّت يومي خجلاً وهمست له في اليابانية «تأدّب».

صرَخَ الشاب: «لا أستطيع التوقّفِ أيها القس جون، فأنا أحبّها».

فصفّقَ الأستاذ من شدّةِ فرحه، وأشاحت الفتاة بنظرها خجلاً.

«هل ستتزوجان؟» سأل جون.

فاندهشت يومي من سؤاله بالرغم من أنه لا يفترض بها ذلك، فليسَ من الغريب أن يتفوّهَ القس جون بأشياءَ كهذه.

فأجابَ موزاسو: «ستتزوجني، أنا واثق من ذلك».

«ماذا؟». صرخت يومي

انهارت الفتيات في المقاعد الخلفية من الضحك، وقرعَ شابان في المنتصفِ على مقاعدهما وهتفا بصوتٍ مرتفعٍ.

«هذا ممتع. نحن نشهد الآن على عرض زواجٍ» كرر القس جون الكلمة ببطءٍ «عرض الزواج يعني أن تطلبَ من أحدٍ الزواج بك».

«بالطبع ستتزوجينني يا يومي، فنحن نحبّ بعضنا. سنتزوج وسترين ذلك» قال لها برقّةٍ باللغة الإنجليزية «فقد أعددت خطّةً».

فقلبت يومي عينيها.

يعرف موزاسو أنها ترغب في الرحيل إلى أمريكا، لكنه يريد هو أن يبقى هنا ويفتتحَ صالةً للباتشينكو بعد عدة سنواتٍ. وينوي شراءَ منزلٍ كبيرٍ لعائلته عندما يصبح غنيّاً. وفي حالِ رغبت عائلته في العودة إلى الوطن، فسيعمل على كسبِ كثير من المال حتّى يبنيَ لهم قصوراً هناكَ. أما في أمريكا فليس بإمكانه جني هذا القدر من المال، ولا يستطيع التخلّي عن عائلته أيضاً وتعرف يومي هذا الشيء.

«نحن نحبّ بعضنا. فماذا تقولين يا يومي؟». ابتسم لها موزاسو وأمسكَ بيدها.

صفّقَ الطلاب وركلوا الأرض بأقدامهم كما لو أنهم يشاهدون مباراةَ بيسبول.

حنت الفتاة رأسها إلى الأسفل، وشعرت بالخزي من تصرّفِهِ، لكنها لم تغضب منه، لا تستطيع ذلكَ فهو صديقها الوحيد في هذه الحياة.

فقالَ موزاسو: «علينا التخطيط لزفافٍ، إذاً».

telegram @ktabpdf

18

طوكيو، مارس 1962

«هل هو متزوّج؟» سألت أكيكو بينما كانت تترقّب جوابه.

«نعم. وزوجته ستنجب طفلاً بعد بضعة أشهرٍ» أجابها بصوتٍ باردٍ.

فتوسلت له «أرغب في معرفة المزيد عن عائلتكَ، هيّا أخبرني».

فنهضَ نوا ليرتدي ملابسه.

لم يكن الأمر بيدها، فهي تتخصص في علم الاجتماع وتحاول جمعَ البيانات من حولها، وحبيبها كان لغزها المفضّل. وكلما حاولت معرفةَ المزيد عنه، ازداد تحفّظاً. وعندما يجيب على أسئلتها بهذه الطريقة، تقول له: «حسناً، وماذا بعد؟» كما لو أنّ حياته مثيرة للغاية في نظرها. يأسرها كلّ شيءٍ يتعلقّ به، لكن كلّ ما يرغب فيه نوا هو أن يكون معها دائماً. لا يمانع عندما تستجوب حبيبته الغرباء، فهو يستمتع بمشاهدتها تحاول إزالة الغموض عنهم.

نوا هو حبيبها الكوري الأول، وعندما يكونان في السرير تطلب منه أن يتحدّثَ إليها باللغة الكورية.

«كيفَ تقول كلمةَ جميلة بالكورية؟» سألته منذ بضع ساعاتٍ. وعندما أجابها، بدت هذه الكلمة البسيطة غريبةً جداً في طريقة لفظه.

أكيكو فتاة فاتنة للغاية وكلمة جميلة لا تكفي لوصفها. وتوجّبَ عليه أن يقول لها أحبّكِ بدلاً من ذلك، لكنه لم يفعل. ولم تسأله هي عنها لأنها خبيرة في مجالها وتعرف أنه قد يتردد قليلاً في ترجمتها.

لا يرغب في أن يكونَ نموذجاً لدراساتها، لذلك لا يتحدّث أبداً عن والدته التي عملت في الكيمتشي، ثمّ في الحلويات، حتّى ترسله إلى المدرسة، أو والده الذي توفي بسبب المعاملة السيئة التي تلقّاها في السجن في فترة الاستعمار. فقد

حدثت هذه الأمور منذ زمن بعيدٍ. ولا يتحدّث بهذا الأمر ليس لأنه يشعر بالخزي من ماضيه، بل لأنه يستاء من فضولها الزائد.

أكيكو فتاة يابانية ترعرعت في مقاطعة مينامي أزابو، وتنتمي إلى عائلةٍ من الطبقة الأرستقراطية؛ فوالدها يمتلك شركةً للتجارة وتلعب والدتها التنس في نادٍ خاص. تعشق أكيكو الجنس العنيف، والكتب الغربية والتحدّث. وهي من لاحقته ولم يفهم نوا، الذي لم يحظَ بحبيبةٍ من قبل، سببَ تصرّفها هذا.

«عد إلي». قالت له مغازلةً وهي تلامس كنزتها القطنيةَ البيضاء.

فعادَ نوا إلى الفراش.

يتسكّع الاثنان بعد ممارسة الحب في غرفة نوا في أوقات الفراغ بين الحصص. غرفته كبيرة للغاية بالنسبة إلى طالبٍ جامعي؛ ولها نافذتان مربعتان تدخل أشعة الشمس منهما، وأرضية شاسعة تحتوي على فراشٍ مزدوجٍ وسجّادةٍ بلون البيج مكسوّة بالفرو. تكوّمت الروايات على مكتبه المصنوع من خشب الصنوبر؛ ديكنز، وتولستوي، وبلزاك وهوغو. وكان المصباح الكهربائي الأخضر مطفأً.

لم يتخيّل نوا أن يسكنَ في غرفةٍ جميلةٍ كهذه، مؤثثة بأشياء جديدة وراقية؛ مثاليةٍ لطلاب الأدب الإنجليزي. بالإضافة إلى أنّ إيجارها قليل للغاية وذلك لأنّ المالكَ صديق لـهانسو. ولم يحضر نوا معه إلاّ ثيابه موضّبة في حقيبة والده القديمة.

تقول أكيكو أنه لا يمتلك أي طالب آخر غرفةً لطيفةً كهذه حتّى ولو كان من قاطني طوكيو، أما هي فتعيش في شقةٍ جميلةٍ في مينامي أزابو مع عائلتها لكن مساحة غرفتها تبلغ نصفَ مساحة غرفتهِ. تقضي أكيكو أوقات فراغها في هذه الغرفة، وأشياؤها مبعثرة في أنحائها؛ على المكتب، في الحمام وفي خزانته. ولا ينطبق عليها الاعتقاد السائد بأنّ الفتياتَ أكثر تنظيماً من الشباب.

بالرغم من محاولات أكيكو لممارسة الحب معه مرةً أخرى لكنه لم يستطع فعلها مجدداً، فشعر بالإحراج ونهضَ لينهي ارتداء ثيابه، ونهضت هي بدورها لتحضّرَ لنفسها كوباً من الشاي.

لا مطبخ في الغرفة، لكن نوا يمتلك إبريقاً كهربائياً ابتاعه له هانسو. كلّ ما

يتوجب على نوا فعله هنا هو الدراسة كما قال له هانسو «تعلّم بقدر استطاعتكَ. تعلّم من أجل الكوريين أجمعين، ومن أجل كلّ كوريّ لم يستطع الالتحاق بجامعةٍ مثل واسيدا». دفعَ هانسو الأقساط في بداية كلّ فصلٍ دراسي، ودرسَ الشاب باندفاعٍ من دون أن يقلقَ بشأن المال. قرأ نوا كتبه مرّةً أخرى ودرسَ مقالاتٍ في النقد بقدر الإمكان، وقضى أوقات فراغه مع هذه الفتاة الرائعة التي وقعَ في حبّها، فهي ذكية، وخلاّقة، وشهوانية.

«كيفَ يبدو؟» سألته أكيكو وهي تنثر أوراقَ الشاي في إبريقٍ حديدي.

«من؟».

«كوه هانسو؛ المتبرع. ستذهب بعدَ عشر دقائق للقائه كما تفعل في اليوم الأول من كلّ شهرٍ».

لقد خمّنت هذا الأمر من تلقاء نفسها، فهو لا يخبرها بشيءٍ. لكنها ترغب في لقائه، لذلكَ سألت نوا مراتٍ عديدةٍ إن كان بإمكانها الذهابَ معه لكنه لم يجد الأمرَ ملائماً.

«لقد أخبرتكِ أنه صديق للعائلة. والدتي وجدّتي تعرفانه من كوريا، فهو من جيجو؛ مدينة قريبة من بوسان. وهو يمتلك شركةً للبناء».

«هل هو وسيم؟».

«ماذا؟».

«مثلكَ. فالرجال الكوريون وسيمون للغاية».

ابتسمَ نوا لأنه لم يجد ردّاً مناسباً. فالرجال الكوريون هم مجرّد رجال، منهم الوسيم ومنهم القبيح. تحبّ أكيكو أن تطلقَ أحكاماً إيجابيةً عامة على الكوريين وغيرهم من الأجانب، وتحتفظ بكلماتها القاسية للأثرياء من اليابانيين.

وضعت أكيكو كوبها ودفعت نوا بشكلٍ عابث على الفراش، فسقطَ على ظهره. جلست في حضنهِ وخلعت قميصها، كانت ترتدي ملابسَ داخلية بيضاء. فكّرَ في نفسهِ كم تبدو فاتنةً. وتهدّلَ شعرها الأسود حول وجهها كريشٍ متقزّحٍ لامع.

«هل يشبهك؟». حرّكت جسدها فوقه.

«لا، لا. لا نشبه بعضنا أبداً». تنهّدَ نوا وأبعدها عنه برفقٍ، وشَغَلَ نفسه بجوابه «أنا أقصد.. لا أعرف حقاً. هو رجل كريم، وقد أخبرتكِ في السابق أنه لا يملك ابناً، وبناته لا يرغبنَ في الالتحاق بالجامعة. لذلك هو يساندني، وأنا أنوي إعادة الأموال له. وقد وقفَ إلى جانبنا في أصعب الأوقات. إنه المتبرّع، هذا كلّ ما في الأمر».

«لمَ عليكَ أن تعيدَ له المال؟ أليسَ ثرياً للغاية؟».

«لا أعلم». اتجهَ نوا إلى الخزانة لإحضار جوربه.

«ألا ترغب في البقاء معي؟». خلعت أكيكو صدريتها.

«أنتِ تثيرينني يا جميلتي، لكن عليّ الذهاب. أراكِ في الغد، اتفقنا؟».

وفكّرَ أنه لا يملك الوقتَ لممارسة الحب مرّةً أخرى حتّى ولو استطاع جسدياً.

«ألا أستطيع مرافقتكَ لمقابلتهِ يا نوا؟ متى سأتمكّن من لقاء عائلتكَ؟».

«إنه لا ينتمي إلى العائلة. ولا أعرف متى، فأنا لم أقابل عائلتكِ أيضاً».

«لا أنصحك بلقاء والِديّ، فهما عنصريان».

«أوه» قال نوا «حسناً، سأراكِ غداً. لا تنسي إقفال الغرفة أرجوكِ».

يبعد مطعم السوشي أقل من ميلٍ عن مسكنهِ، وقد اعيد تزيين جدرانه الداخلية بألواح جديدة من خشب الأرز والتي عبقت رائحتها في المطعم. فضّلَ هانسو لقاءَ نوا مرّةً من كل شهرٍ في هذه الغرفة المنعزلة التي تقع في خلفية المطعم، حيث لا أحدَ يزعجهما باستثناء من يحضر لهما أطباقاً شهيّة معدّة من أجود أنواع الأطعمة التي يتم إحضارها من قرى الصيد البعيدة في اليابان.

يتحدّث الرجلان عادةً عن صفوف نوا، لأنّ هانسو يشعر بالفضول لمعرفة المزيد عن هذه الجامعة المذهلة. فهو لم يلتحق أبداً بالمدرسة الثانوية أو الجامعة. علّمَ هانسو نفسه قراءة اللغة اليابانية والكورية وكتابتهما من خلال الكتب، ثمّ وظّفَ مدرّسين خصوصيين، عندما أصبح قادراً على دفعِ أجورهم، لتعليمهِ لغة الكانجي والأحرف الصينية المستعملة في اللغة الكورية حتى يتمكّنَ من قراءة الصحف المكتوبة بلغةٍ صعبة. وبالرغم من أنه يعرف كثيراً من أنواع الرجال لكنه لم يكن مهتماً إلّا بالرجال المثقفين الذين يكتبون بطريقةٍ جيّدة. وأعجبَ بأفكار الصحفيين

البارزين وآرائهم حول إصدارات الصحف اليومية لذلك سعى لكسب صداقاتهم. يؤمن هانسو بالعلم والثقافة، ولا يؤمن بأيّ من الأفكار الأخرى كالوطنية، والدين أو حتّى الحب. وآمنَ أنه من واجب الإنسان أن يتعلّمَ باستمرارٍ فوق كلّ شيءٍ آخر ولم يكن يحب إضاعة الوقت على أشياءَ تافهة. عندما تخلّت بناته عن الدراسة من أجل التجمّل والثرثرة، كرِهَ زوجته لأنها سمحت بحدوث ذلك. فهنّ يتمتعن بذكاء جيد وبكثير من الموارد، لكنها سمحت لهن بالرغم من ذلك بالتخلّي عن هذه الأشياء. صحيح انه فقدَ الأمل من تعليم فتياته لكنه الآن يملك نوا. شعرَ بسعادةٍ عارمة لأنّ نوا يملك القدرة على قراءة اللغة الإنجليزية وكتابتها بطريقةٍ جميلةٍ للغاية؛ وهي لغة أساسية في هذا العالم. وقرأ هانسو الكتبَ التي نصحه نوا بقراءتها لأنه يرغب في الاطلاع على الأشياء التي يعرفها ابنه.

يعرف هانسو أنه يتوجب عليه مساندته في دراسته، ولم يكن متأكداً مما يريد لـنوا أن يفعله بعد التخرّج، لكنه لم يتفوّه بالكثير لأنّ الشاب يمتلك آراءه الخاصة. ويرغبَ في دعمهِ كما يدعم مشاريع العمل الجيّدة.

تربّعَ الاثنان على أرضٍ مغطّاةٍ بالحصائر، تفصل بينهما طاولة خشبية منخفضة.

«عليكَ تناول المزيد من قنافذ البحر، فقد أحضرها الطاهي البارحةَ من هوكايدو خصيصاً لنا». قال هانسو بينما استمتعَ بمشاهدة ابنهِ، الطالب الفقير، يتناول أشياءَ نادرةٍ كهذه.

فأومأ نوا ممتناً، وأنهى حصّته بالرغم من أنه لا يستمتع بالأكل بهذه الطريقة أو حتّى بهذه الأنواع من الأطعمة. لكنه يعرف كيف يتصرّف اليابانيون بلباقةٍ ويستطيع تقليدهم بشكلٍ جيّد، لذلك تناول طعامه شاكراً. يفضّل نوا تناولَ طبقٍ من الطعام البسيط المغذّي، وإنهاءه بسرعة. فهو يتناول طعامه كما يفعل أغلب العمال الكوريين؛ الأغذية اللذيذة هي مجرّد وقودٍ للجسم لإعطائهم الطاقة الكافية للعمل مجدداً. يعتبر اليابانيون الأثرياء هذا النوع من الطعام وطريقة تناوله من العادات الشعبية المبتذلة. يقلّد نوا سلوكيات الطبقة الحاكمة من اليابانيين في حضور هانسو، فهو لا يرغب في أن يخيّبَ أمله، لكن في الحقيقة لا يهتمّ كثيراً بالأكل أو بالجلوس لأوقاتٍ طويلةٍ خلال الوجبات. لقد مازحته أكيكو بشأن هذا

الأمر أيضاً، لكن علاقتهما لا تتمحور حول الذهاب إلى مطاعم فاخرة. يحب نوا قضاء الوقت مع هانسو، لكن مشاهدة شخصٍ يشرب بكثرة بينما لا يأكل إلاّ القليل يشعره بالضجر. من الواضح أنّ هانسو يستطيع بطريقةٍ ما شربَ كمياتٍ كبيرةٍ من الكحول وإدارة شركةٍ ناجحةٍ في الوقت ذاته. لكن نوا لا يحبّذ أيّ نوعٍ من المشروب، ففي صِغرهِ اعتاد أن يرى كثيراً من الرجال السكارى نائمين في الطرقات. وعندما عملَ كمحاسبٍ في شركةٍ للعقارات في إيكاينو، شاهدَ العديد من العائلاتِ تطرد من منازلها لأنّ الآباء لا يملكون مالاً كافياً لدفعِ الإيجار، وتبدأ هذه المشكلة دائماً بعدّة كؤوسٍ غير ضارّة قبل ان يدمنوا على معاقرة الشراب. ويتجمّد الكوريون المشرّدون السكارى كلّ شتاءٍ من شدّة البرد على ضفاف نهر سوميدا.

لا يشرب نوا الكحول، لكن هانسو يشرب كثيراً ولكنه لا يثمل. لذلكَ سكبَ نوا لـهانسو كأساً بعدَ كأسٍ، تبعاً لتقليدٍ كوري. الأمر الذي أسهم في إطالةِ وقتِ اللقاء.

وبينما سكبَ نوا المشروب في الكأس، أجفلته نقرة خفيفة على الباب.

«تفضّل». قال هانسو

«المعذرة يا سيد كوه» قالت النادلة الشابة التي لا تضع أي نوعٍ من مساحيق التجميل، وترتدي ثوباً يابانياً بسيطاً نيليَّ اللون وحزاماً عريضاً عند خصرها.

«نعم؟».

ابتسمَ نوا للنادلة التي تبدو وتتصرّف كطفلةٍ مهذّبة.

«هناكَ سيّدة في الخارج ترغب في إلقاء التحية عليكَ».

«حقاً؟». قال هانسو «عليَّ أنا؟».

«نعم». أومأت الفتاة رأسها.

«حسناً». أجاب هانسو

لا يعرف كثيرون أنه يتناول الطعامَ في هذا المطعم. ومن المحتمل أن يكون أحد العاملين لديه قد أتى لإيصالِ رسالةٍ سرّية له. لكن الغريب أنّ الشركة ترسل عادةً رجالاً لإنجازِ مهمّاتٍ كهذه. وسائق هانسو وحارسه الشخصي ينتظران في

الخارج، ولن يسمحا لأيّ شخصٍ خطيرٍ بالاقتراب منه. لا بدّ أنهما تفحّصاها قبل السماحِ لها بالدخول.

أغلقت النادلة الباب خلفها وبعد عدّةِ دقائق قرعَ مجدداً

فنهضَ نوا ليفتحه بنفسهِ وشعرَ بالتحسّنِ لتحريكه ساقيه قليلاً.

«أكيكو!». قال نوا مندهشاً

«مرحباً». وقفت بجانب النادلة، تنتظر دعوتها للدخول.

« هل هذه صديقتكَ يا نوا؟». سألَ هانسو بينما ابتسمَ لهذه الفتاة اليابانية الفاتنة.

«نعم».

«أهلاً، اجلسي من فضلكِ. هل أردتِ رؤيتي؟».

قالت مبتسمة: «أصرّ نوا أن أمرَّ وألقي التحية على متبرعهِ».

قال نوا: «نعم». ولم يعرف لماذا أكد صحة ما قالته، ولكنه في الوقت نفسه لم يدر في باله جواب آخر.

«كان يجب أن أذكرَ أنّ أكيكو قد تأتي لزيارتنا. أنا أعتذر إن فاجأتكَ بالأمر».

«على الإطلاق. أنا مسرور للقاءِ أحد أصدقاء نوا. عليكِ الانضمام إلينا لتناول الطعام».

نظرَ هانسو إلى النادلة التي تقف بالقرب من الباب «جهّزي مكاناً إضافياً، وأحضري كوباً من المشروب لصديقة نوا من فضلك». قال ذلك، وهو يشعر بالفضول والسعادة لأن الشاب يريده أن يقابلَ حبيبته، ورغبَ في الترحيب بها.

تمّ على الفور تحضير مكانٍ لها ووضعَ كأس النبيذ أمامها. أحضرَ الطاهي بنفسهِ طبقاً من المحّار المقلي المتبّلِ بملحٍ إنجليزي. وسكبَ نوا النبيذَ لهانسو والذي بدوره ملأَ كأسَ أكيكو.

«رفعَ هانسو كأسه وقال: «نخبَ الأصدقاء الجدد».

19

وقفَ الشابان بالقرب من باب المطعم، بينما صعدَ هانسو في سيارته، وانحنيا له بعد أن جلسَ في المقعد الخلفي. أغلقَ السائق الباب، ثمّ انحنى لهما، وجلس خلفَ المقود لإيصال هانسو إلى لقائه التالي.

«لماذا أنتَ مستاء إلى هذه الدرجة؟» سألته أكيكو بينما لا تزال تبتسم كطالبةٍ يابانية مؤدّبة بالرغم من رحيل هانسو. «السيد كوه مذهل. أنا مسرورة بلقائه».

«لقد كذبتِ» قال نوا بصوتٍ مرتجف، لم يرغب في التكّلم خوفاً من التفوّه بشيءٍ مروّع، لكنه لم يستطع إيقاف نفسه. «أنا لم أدعُكِ، لماذا أخبرت كوه هانسو بهذا؟ كان من المحتمل أن تسوء الأمور. إنه شخص مهمّ لعائلتنا وهو يموّل تعليمي. أنا أدين له بالكثير».

«لم يحدث شيء. كان غداءً طبيعياً في مطعمٍ فاخرٍ للسوشي مع بعض الأقارب. إنه ليس بالأمر الهام. أنا معتادة على ذلك وقد أحسنت التصرّف. لقد أحبني». قالت له مندهشةً من سبب غضبه. فهي تثق بقدرتها على التعامل مع البالغين وجعلهم يحبّونها.

«هل تخجل بي؟» سألته وهي تضحك، مسرورةً على نحوٍ غريبٍ أنها تتشاجر مع نوا، الذي يتّصف عادةً بالهدوء والصمت، لدرجة أنها لا تعرف ما يجول في رأسه. بالإضافة إلى ذلك، إنه خطأه، فقد شعرت أنها مجبرة على اقتحام هذا اللقاء بسبب غموضه ولأنه لا يخبرها شيئاً، وهي لم تكن تسعى لإغضابه. وكان من المفترض أن يكون سعيداً لأنه يهمّها لدرجة أنها ترغب في التعرّف إلى أصدقائه.

«لم أخطئ في المجيء، لأنك لم تكن ستوافق على ذلك أبداً». لمست ذراعه فابتعد عنها.

«لماذا يا أكيكو؟ لم عليك أن تكوني على حقّ دائماً؟ وأن تكوني المسيطرة دائماً؟ لم لا تتركين لي القرار في اختيار الوقت والمكان المناسبين لمقابلة

شخصٍ يهمّني؟ لو كنت مكانك لاحترمت خصوصيتك». خرج اللعاب من فمه وهو يتكلّم، فأطبق بيده على فمه. حدّقت أكيكو إليه ولم تستوعب ما حدث، فليست معتادة أن يرفض أحد طلباً لها. احمرّت وجنتاه من شدّة الغضب، وتلعثم في إخراج الكلمات. بدا نوا مختلفاً عن الرجل الذي يساعدها عادةً على فهم النصوص الصعبة في علم الاجتماع أو حلّ الواجبات الإحصائية. فحبيبها الرقيق والواعي كان غاضباً.

«ما السبب؟ هل تخجل من كونك كورياً؟».

«ماذا؟». رجع نوا خطوةً إلى الخلف، ونظر حوله ليتأكّد من أنّ لا أحد يسمعهما.

«ماذا تقصدين؟». نظر إليها وكأنها شخص مختل.

هدأت أكيكو، وتكلّمت على مهلٍ.

«أنا لا أخجل بك لكونك كورياً، أعتقد أنه شيء رائع. قد يزعج الأمر أشخاصاً جهلة أو حتى والديّ العنصريين، لكنه لا يزعجني. الكوريون أذكياء ومجتهدون في عملهم والرجال وسيمون للغاية» قالت له مبتسمةً وكأنها تغازله: «أنت غاضب مني. حسناً، استمع، أستطيع أن ارتّب لقاءً مع عائلتي إن رغبت في ذلك. وسيكون من حسن حظّهم أن يقابلوا شخصاً كورياً رائعاً مثلك، سيغيّر هذا من طريقة..».

هزّ رأسه: «كلا، لا أرغب في المزيد من هذه الأمور».

اقتربت منه، ومرّت بجانبهما امرأة عجوز ورمقتهما بنظرةٍ، لكن أكيكو لم تهتمّ لها.

«لمَ غضبت مني هكذا يا نوا؟ أنت تعرف أنني أراك الأفضل بين الجميع. لنعد إلى المنزل، وبإمكانك ممارسة الجنس معي».

حدّق نوا إليها، فهي تنظر إليه دائماً على أنه شخص آخر لا يشبه طبيعته، هذه الفكرة الوهمية لشخصٍ لا ينتمي إلى عالمها. وتشعر بأنها مميزة لأنها تنازلت لترتبط بشخصٍ يكرهه الجميع، ما يثبت للآخرين أنها شخص صالح، مثقّف ومتحرر.

لا يهتمّ نوا لجنسيته عندما يكون معها، وهو في الحقيقة لا يأبه بكونه كورياً

أو يابانياً. فكلّ ما يرغب به هو أن يكون على طبيعته، أن يكون نفسه، وتمنّى أحياناً لو يستطيع نسيان نفسه وانتمائه، لكن الأمر مستحيل في وجودها.

«سأوضّب لك أشياءك وأرسلها إلى منزلك. لا أرغب في رؤيتك بعد اليوم. أرجوك لا تأتي لرؤيتي مجدداً».

«ماذا تقصد يا نوا؟» سألته في اندهاشٍ «هل هذا نوع من الطباع الكورية التي لم أرها من قبل؟». ضحكت.

«علاقتنا لن تنجح».

«لماذا؟».

«لأنها لن تنجح!» لم يستطع التفكير في ردّ آخر ولم يَرغب في جرحها بالحقيقة التي أدركها للتو؛ بأنها لا تختلف كثيراً عن والديها، وأنّ رؤيته كشخصٍ كوريّ فقط لا يختلف عن رؤيته كشخصٍ كوريّ سيئ. فهي لا ترى إنسانيته، وأيقن أنه لا يرغب بشيءٍ آخر باستثناء أن يعامل كإنسان.

سألته أكيكو: «إنه والدك، صحيح؟ إنه يشبهك كثيراً. لقد أخبرتني أنه توفي لكن هذا غير صحيح. أنت فقط لم ترغب في أن ألتقي بوالدك حتى لا أعرف حقيقة كونه رجل عصاباتٍ. وإلاّ فكيف تفسّر امتلاكه سيارةً كتلك وسائقاً خاصّاً؟ أو استئجار تلك الشقة لك؟ حتّى والدي لا يستطيع دفع تكاليفها، بالرغم من أنه يمتلك شركةً للتجارة! فبحقّك يا نوا، لم تغضب مني في حين أن كلّ ما أردته هو أن أتعرّف إليك أكثر؟ أنا لا آبه بأعمال والدك، لا يهمني ذلك، ولا أمانع كونك كورياً. ألا ترى ذلك؟».

التفت نوا وابتعد عنها حتى لم يعد بإمكانه سماعها تنادي باسمه. سار بهدوءٍ متصلّباً وكأنه لا يصّدق أنّ شخصاً أحببته – نعم، أحبّها – قد تدرك فجأةً أنك لم تعرفه قط. وربما عرف هذا الشيء عنها طوال تلك الفترة لكنه لم يرغب في رؤيته أو الاعتراف به. وعندما وصل إلى المحطّة، اتجه إلى منصّة القطار بهدوءٍ وشعر بأنه على وشك الوقوع أرضاً. استقلّ أول قطارٍ متجهٍ إلى أوساكا.

* * *

وصل إلى منزله في وقتٍ باكرٍ ذلك المساء. واندهشت العمة كيونغي عندما

فتحت الباب، فقد بدا مهتاجاً ورغب في التكلّم مع والدته. نام عمّه يوسب في الغرفة الخلفية، أما والدته فكانت تحيك في الغرفة الأمامية من المنزل. رفض نوا خلع معطفه، وعندما وصلت والدته إلى الباب، طلب منها الخروج من المنزل للتحدّث.

«ماذا؟ ما المشكلة؟» سألته سونجا وهي تنتعل حذاءها، لكنه لم يجبها، وخرج لانتظارها. ثمّ أخذها بعيداً من الأسواق إلى مكانٍ قليل الازدحام.

سألها: «هل الأمر صحيح بما يخصّ كوه هانسو؟».

لم يكن قادراً على لفظ الكلمات لكنه يريد أن يعرف الحقيقة.

«لماذا يدفع أقساطي؟ ولماذا يقف دائماً إلى جانبنا؟ كنتما معاً..» من الصعب قولها بطريقةٍ أخرى.

توقّفت سونجا عن السير بينما كانت تزرر معطفها الصوفي الباهت وحدّقت إلى ابنها. وفهمت حينها أنّ كلام يوسب صحيح، وأنه كان عليها عدم السماح لـهانسو بدفع أقساط الفتى، لكن لم يكن هنالك طريقة أخرى. فقد عمل نوا يومياً واحتفظ بكلّ سنتٍ جمعه، ودرس باجتهادٍ كلّ ليلة حتّى استطاع اجتياز امتحان قبول جامعة واسيدا.

فكيف بإمكانها أن تحرمه من ذلك؟ لا يوجد قروض لهذا الأمر، ولا يستطيع أحد آخر تقديم مساعدةٍ كهذه. خافت سونجا دائماً من فكرة وجود هانسو في حياة ابنها، فهل سترتبط الأموال بينهما؟ وهل كان من المعقول ألا تقبل بالمال وتحطّم آمال ابنها؟

يستحقّ فتى مثل نوا، درس وعمل باجتهادٍ، أن يحقق حلمه في التعلّم ليصبح شخصاً مهمّاً. أخبره أساتذته خلال حياته أنه تلميذ مثاليّ وأذكى من الآخرين بكثيرٍ، وأنه فخر لبلده. وقد أسرّ هذا الأمر زوجها أيزاك كثيراً، لأنه يعرف أنّ اليابانيين ينظرون إلى الكوريين بازدراءٍ، وعلى أنهم ملائمون فقط للأعمال القذرة والخطيرة. وقال أيزاك إنّ نوا سيساعد شعبه يوماً ما لأنه يتمتّع بشخصيّةٍ رائعة وبراعةٍ في العمل، ولن يتمكّن أحد من إهانته حينها. وحثّه والده على تعلّم كلّ شيءٍ، ونوا؛ كونه ابناً مطيعاً، فعل ما باستطاعته ليصبح الأفضل. وأحبّ أيزاك

الفتى كثيراً.

عجزت سونجا عن التفوّه بشيءٍ وشعرت بجفاف فمها، ولم تستطع التفكير بشيءٍ باستثناء طيبة أيزاك في إعطاء نوا اسماً وحمايته.

«كيف يمكن لهذا أن يحدث؟» هزّ نوا رأسه «كيف استطعت خيانته؟».

عرفت أنه يقصد أيزاك بكلامه، فحاولت أن توضح له.

«لقد عرفت هانسو قبل أن أعرف والدك. كنت مجرد فتاةٍ اعتقدت أنه سيتزوج بها، لكنه لم يفعل لأنه كان قد سبق له أن تزوج. مكث والدك أيزاك في نزلنا عندما كنت حاملاً بك، وتزوجني بالرغم من أنه عرف الحقيقة، ورغب أيزاك في أن تصبح ابنه. القرابة لا تهمّ، هل تفهم ذلك؟ قد ترتكب أخطاءً شنيعةً في شبابك وتضع ثقتك في الأشخاص الخطأ، لكني أشكر الله على كونك ابني وأنا ممتنة لوالدك على زواجه بي..».

سألها ببرودة: «كلا» نظر لها بازدراءٍ «لا أستطيع تفهّم غلطةٍ كهذه. لمَ لمْ تخبريني من قبل؟ من يعرف بالأمر أيضاً؟».

«لم أعتقد أنه من الضروري أن أخبر أحداً. استمع إليّ يا نوا، أيزاك هو الذي اختار أن يكون والدك..».

تظاهر نوا بعدم سماعها.

«هل يعرف أيّ من العم يوسب أو العمة كيونغي بهذا؟» لم يتقبل فكرة أن الجميع أخفوا الأمر عنه.

«لم نتناقش في الموضوع».

«ماذا عن موزاسو؟ هو ابن أيزاك بايك، صحيح؟ فهو لا يشبهني».

أومأت رأسها.

لقد نادى نوا والده باسم أيزاك بايك، وهو شيء لم يفعله من قبل.

«إنه أخي غير الشقيق إذاً..».

«لقد التقيت بـهانسو قبل أن ألتقي بوالدك. لم أخن أيزاك؛ زوجي الوحيد، في حياتي. وعثر علينا كوه هانسو بعد أن دخل والدك السجن، لأنه قلق من كوننا لا نملك المال».

خاف جزء منها دائماً من أن يكتشف نوا الحقيقة. لكن حتّى مع حدوث هذا الاحتمال، فقد وثقت أنه سيتفهّم الوضع لأنه شاب ذكيّ، واعتاد أن يكون طفلاً سلساً ولم يتسبب لها بالمشاكل. أما الشاب الذي يقف أمامها الآن، فكان أشبه بمعدنٍ باردٍ وصلب، ونظر إليها بطريقةٍ وكأنه لا يتذكّر من تكون.

وقف نوا ساكناً وأخذ نفساً عميقاً ثمّ أخرجه لأنه أحسّ بدوار شديد.

«لهذا السبب يساعدنا في كلّ شيءٍ؛ لهذا السبب أرسلنا إلى تلك المزرعة خلال الحرب، وأحضر لنا أشياءً».

«لقد أراد أن يتأكد من أنك على ما يرام ويساعدك. لا علاقة للأمر بي، أنا فقط مجرّد شخصٍ يعرفه منذ زمنٍ بعيد».

«هل تعلمين أنه رجل عصاباتٍ؟».

«لا، لا. لا أعلم بذلك. ولا أعرف ما طبيعة عمله. فعندما تعرّفت إليه عندما كان سمسار بيع الأسماك بالجملة ويعيش في أوساكا، كان رجل أعمالٍ يبتاع الأسماك من كوريا لصالح شركاتٍ يابانية. وهو الآن يملك شركةً للبناء وسلسلةً من المطاعم، أظنّ ذلك. ولا أعرف ما يفعل غير ذلك، فأنا بالكاد أتحدث إليه. أنت تعرف..».

«رجال العصابات هم من أقذر البشر في اليابان، هم سفّاحون ومجرمون؛ يهددون التجار، يبيعون المخدرات، يتحكّمون في الدعارة، ويؤذون الأبرياء. وجميع الأشخاص الكوريون السيئون ينتمون إلى تلك الجماعات. هل ظننت حقاً أنه أمر مقبول أن آخذ مالاً من رجل عصاباتٍ لإكمال دراستي؟ لقد تلطّخ اسمي بهذه القذارة. يبدو أنك لست ذكيةً للغاية. كيف يمكن لشيءٍ قذرٍ أن ينتج شيئاً نظيفاً؟ وقد لطّختني الآن بهذه القذارة» قال نوا بهدوءٍ وكأنه أدرك الأمر بينما كان يقوله لها: «لقد أخبرني اليابانيون طوال حياتي أنّ دمي كوريّ، وأنّ الكوريين مجرمون يتّصفون بالغضب والعنف والمكر والخداع، وتحمّلت هذا الأمر طوال حياتي. وحاولت أن أقلّد أيزاك بايك وأن أكون صادقاً ومتواضعاً مثله، ولم أرفع صوتي على أحد. لكن هذا الدم الذي يجري في عروقي كوريّ وأعلم الآن أنه ينتمي إلى رجل عصاباتٍ، ولا يمكنني تغيير هذه الحقيقة مهما فعلت. أتمنى لو

أنني لم أولد. كيف استطعت تدمير حياتي هكذا؟ أو أن تتصرفي بطيشٍ؟ أنا ابن لوالدةٍ حمقاء وأبٍ مجرمٍ، لا بدّ أنني ملعون».

نظرت إليه سونجا مندهشةً من كلامه. لم يعد بإمكانها أن تطلب منه الصمت أو أنّ يهتمّ بشؤونه فقط ولا يقلل من احترام والديه، فهو لم يعد طفلاً صغيراً بعد الآن. كيف ستتمكن من الدفاع عن رجال العصابات؟

تعرف سونجا أنّ هنالك الكثير منهم منتشرين في كلّ مكانٍ، وأنهم يقترفون أشياء شنيعة، لكنها تعرف أيضاً أنّ العديد من الكوريين مجبرين على العمل لدى تلك العصابات بسبب انعدام الوظائف الأخرى. ولا توظّف الحكومة والشركات الجيّدة الكوريين، أو حتّى المثقفين منهم. هناك العديد من هؤلاء الرجال يعيشون في ذات الحيّ معهم وهم لطفاء ومحترمون أكثر من أيّ رجلٍ عاطلٍ عن العمل. لكنها لا تستطيع إخبار ابنها بذلك لأنّ نوا درس واجتهد وتعب ليخرج نفسه من هذا الحيّ وليرفع نفسه في المجتمع، ويعتقد بأنّ الرجال الذين لم يفعلوا ذلك، هم أغبياء. لذلك لن يتفهّم ولدها ذلك ولن يشفق أبداً على الأشخاص الذين لم يحاولوا على الأقل.

قالت سونجا: «سامحني يا نوا. والدتك آسفة. كلّ ما أردته هو أن تذهب إلى الجامعة لأنني أعرف كم يعني لك هذا الأمر، وأعرف كم اجتهدت..».

«أنتِ.. أنتِ دمرتِ حياتي. أنا لا أشعر بنفسي بعد الآن» قال موجّهاً إصبع الاتهام إليها، ثمّ التفت ومشى مبتعداً باتجاه المحطّة.

20

أوساكا، نيسان 1962

لا تتلقّى العائلة كثيراً من الرسائل، وعندما تأتي واحدة، يجتمع الأفراد حول فراش يوسب للاستماع إلى الرسالة. استلقى يوسب على ظهره وأسند رأسه بوسادةٍ محشوّةٍ بحنطةٍ سوداء. وميّزت سونجا خطّ ابنها على المغلّف، فهي تستطيع التعرّف إلى اسمها وعلى التواقيع باللغة الكورية واليابانية بالرغم من أنها أمّيّة. تقرأ كيونغي عادةً الرسائل أمام الجميع وتطلب مساعدة زوجها في حال لم تفهم بعض الحروف الصعبة. فرؤية يوسب قد تدهورت ولم يعد بإمكانه قراءة صحفه المفضّلة لذلك تقرأها كيونغي له. ويستطيع أحياناً أن يخمّن الحرف من سياق النص في حال وصفت له زوجته شكله.

قرأت كيونغي الرسالة بصوتٍ مفهومٍ وناعم، وشحب وجه سونجا من شدّة الخوف، بينما حدّقت يانغجين إلى الورقة، متسائلةً عن محتواها. وأغلق يوسب عيناه بينما لا يزال مستيقظاً.

أمي..

لقد انسحبت من جامعة واسيدا وتركت الشقّة. أنا أعيش الآن في مدينةٍ جديدةٍ ووجدت عملاً هنا.

أعرف أنّ ما سأطلبه منك صعب لكني أرجوك ألاّ تأتي للبحث عني. لقد فكّرت في الأمر كثيراً، ووجدت أنّ هذه هي الطريقة الوحيدة حتّى أتمكّن من العيش مع نفسي والمحافظة على نزاهتي. أرغب في بدء حياةٍ جديدة، ولا توجد طريقة أخرى لفعل ذلك.

أنفقت أموالي في بداية الطريق على بعض الفواتير، لكن بمجرّد أن أجني

المزيد، سأرسل لك بعض الأشياء كلّ حينٍ وآخر، لن أهمل واجباتي تجاهك أبداً. وسأعمل على إعادة الأموال لـهانسو. وأرجوك احرصي على عدم السماح له بالتواصل معي، فلا أرغب بمعرفته.

أرسل تحياتي لك، للعم يوسب، العمة كيونغي، جدّتي وموزاسو. وأعتذر أنّ الفرصة لم تسنح لأودعكم بشكلٍ لائق، لكني لن أرجع أبداً. أرجوك لا تقلقي بشأني. لا شيء سيغيّر قراري.

ابنك نوا.

كتب نوا هذه الرسالة القصيرة بلغةٍ يابانيةٍ سهلة عوضاً عن الكورية التي لا يعرف كتابتها بشكلٍ جيّدٍ. لم يتفوّه أحد بشيءٍ عندما أنهت كيونغي قراءتها، وربتت يانغجين على ركبة ابنتها ثمّ نهضت لتحضير العشاء في المطبخ. وضمّت كيونغي سونجا؛ التي بدت شاحبةً وعاجزةً عن الكلام، لمواساتها.

تنهّد يوسب متسائلاً، هل هنالك شيء بإمكانهم فعله لإعادة الصبي؟ لا يظنّ ذلك. لقد خسروا الكثير في هذه الحياة. وقد تعهّد يوسب بتربية الولدين عندما توفي أخيه، وبالرغم من أنهما ليسا ولديه لكن الأمر لا يهمّ. فقد أراد أن يكون رجلاً صالحاً من أجلهما، لكنه أسلم نفسه للموت بعد إصابته في الحرب، ولم يتطلّع إلاّ إلى مستقبل الولدين. فلم يكن أمام هذا القلب الأحمق الذي يملكه خياراً غير الأمل. وثابرت عائلته وقاومت بالرغم من أنه كان معزولاً عن الآخرين ومقيّداً في فراشه من دون حيلة، واستمرت الحياة.

بدا نوا بالنسبة إلى يوسب تماماً كأخيه أيزاك لدرجة أنه نسي أحياناً أنّ والد الصبي الحقيقي هو شخص آخر، شخص يختلف بالكامل عن أخيه الرقيق أيزاك. لكن الشاب المسكين عرف بطريقةٍ ما أنه ينحدر من سلالةٍ أخرى، لذلك قرر معاقبتهم بالرحيل بعيداً. وبالرغم من أنّ يوسب يتفهّم غضب الشاب لكنه رغب بفرصةٍ أخرى للتكلّم معه، ليخبره أنه من واجب الرجل أن يتعلّم المسامحة ويدرك ما هو مهمّ في هذه الحياة، وأن عيش الإنسان من دون مغفرةٍ أشبه بالموت بينما

لا يزال على قيد الحياة. لكن يوسب لا يملك القدرة على البحث عن ابن أخيه الذي هو بمثابة ابنه، فهو لا يستطيع حتّى النهوض من فراشه.

«هل من المعقول أنه ذهب إلى الشمال؟» سألت كيونغي زوجها. «لن يقدم على شيءٍ كهذا، صحيح؟».

حدّقت سونجا إلى يوسب

«لا، لا» أصدرت وسادته صوتاً خشناً بينما حرّك رأسه من جهةٍ إلى أخرى.

غطّت سونجا عيناها، فجميع من رحلوا إلى الشمال لم يعودوا. لكن لا يزال هناك قليل من الأمل في إيجاده في حال لم يذهب بعد.

عندما رحل كيم تشانغو في آخر شهرٍ في السنة من عام 1959، لم يصلهم منه خبر إلاّ مرتين خلال أكثر من سنتين. وبالرغم من أنّ كيونغي لا تتحدّث معه كثيراً، لكن من المنطقي أن يذهب تفكيرها أولاً إلى مكان وجوده؛ بيونغ يانغ.

«ماذا عن موزاسو؟ ماذا سنخبره؟» سألت كيونغي وهي تمسك برسالة نوا في يدٍ وتربت على ظهر سونجا بيدها الأخرى.

«انتظري حتّى يسأل هو عنه، فالفتى مشغول بما في الكفاية. وعندما يسأل، أخبريه أنك لا تعرفين شيئاً. وإن اضطررت لاحقاً إلى إخباره، قولي له إنّ أخاه قد هرب». قال يوسب وعيناه لا تزالان مغمضتين «أخبريه أنّ الجامعة كانت حملاً ثقيلاً على نوا، لذلك ترك طوكيو ورحل، ولم يستطع العودة إلى هنا لأنه شعر بالخجل من الاستسلام بعد كلّ مساعيه للالتحاق بها. ولا نعرف.. قد يكون هذا هو السبب في الحقيقة» شعر يوسب بالتوعّك بينما لفظ هذه الكلمات، لذلك لم يتفوّه بشيءٍ آخر.

عجزت سونجا عن الكلام. لن يصدّق موزاسو هذا أبداً، لكنها لا تستطيع أن تخبره بالحقيقة لأنه قد يذهب للبحث عنه، ولا يمكنها إخباره أيضاً بحقيقة هانسو. فهو بالكاد ينام مؤخراً لأنه غارق في مسؤوليات العمل، وأجهضت زوجته منذ فترةٍ قصيرة، لذلك لا ينقصه أيّة هموم أخرى.

فكّرت سونجا كثيراً بالذهاب إلى طوكيو للتحدّث مع ابنها منذ تلك الليلة، لكنها لم تستطع. ومرّ شهر تقريباً على تلك الحادثة والآن حدث هذا. لقد أخبرها

أنها دمّرت حياته، لذلك ترك الجامعة نتيجةً لذلك. فجأةً شعرت سونجا بعجزها عن التفكير أو حتّى التقاط أنفاسها. ولا ترغب بشيءٍ آخر إلاّ برؤية نوا مجدداً. وإذا كان الأمر مستحيلاً، فالموت أهون لها.

عادت يانغجين من المطبخ بينما مسحت يديها على مئزرها، لتخبرهم أنّ العشاء قد أصبح جاهزاً. وحدّقت المرأتان إلى سونجا.

«عليك أن تتناولي شيئاً». قالت لها كيونغي

فهزّت سونجا رأسها: «عليّ أن أذهب للبحث عنه».

أمسكت كيونغي بذراعها لكنّ سونجا أفلتت منها ونهضت.

قال يانغجين: «دعيها تذهب إليه».

اكتشفت سونجا أنّ هانسو يعيش على بعد ثلاثين دقيقةً في القطار فقط. وعندما وصلت إلى ذلك الحي الهادئ، برز منزله الضخم أمامها كلوحةٍ فنّية. تمركز بابان من الأبواب الطويلة، المصنوعة من خشب الماهوغني المنحوت والمحاطة بنوافذ هائلة، في منتصف المبنى المؤلف من طابقين، وحجبت ستائر سميكة داخل المنزل ما جعل رؤيته مستحيلة. لقد أقام دبلوماسيّ أمريكيّ في هذا المنزل بعد الحرب. لطالما فكرت سونجا عندما كانت فتاةً كيف يبدو منزل هانسو، لكنها لم تتصوّر شيئاً كهذا، فهو يعيش في قصرٍ، وأكدّ لها سائق الأجرة من أنه العنوان الصحيح.

فتحت شابّة ذات شعرٍ قصيرٍ الباب قليلاً، كانت ترتدي مئزراً ناصع البياض، وأخبرتها باليابانية أنّ صاحب المنزل غير موجودٍ.

«من هذا؟» سألت امرأة كبيرة في السن، ظهرت من الردهة الأمامية. ونقرت بيدها على الخادمة قليلاً للابتعاد جانباً. وفُتح الباب على مصراعيه مظهراً المدخل الهائل والفخم.

أيقنت سونجا من تكون هذه المرأة.

«أرجوك أرغب في رؤية كوه هانسو من فضلك». حاولت التكلّم بلغةٍ يابانيةٍ جيّدة بقدر استطاعتها.

«من أنتِ؟».

«أدعى سونجا بوكو».

أومأت مييكو؛ زوجة هانسو برأسها. لا بدّ أنّ هذه المتسوّلة كورية وترغب في المال. تزايدت أعداد الكوريين بعد الحرب وأصبحوا بلا خجلٍ، فهم يستغلّون طيبة زوجها وشفقته تجاه أبناء بلده. لم تحقد المرأة على كرم زوجها يوماً، لكنها استنكرت وقاحة المتسوّلين.

التفتت مييكو إلى الخادمة: «أعطها ما ترغب به ودعيها تذهب. هنالك طعام في المطبخ أيضاً في حال كانت جائعة».

هذا ما قد يفعله زوجها لو كان هنا.

انحنت الخادمة لها بينما ابتعدت عنهما.

«لا، لا. لا أرغب في مالٍ أو طعام. أريد التحدّث مع كوه هانسو فقط. أرجوك، أرجوك». قالت سونجا باليابانية وضمّت يديها سويّاً كما لو أنها تصلّي.

عادت مييكو أدراجها بتأنّ. يمكن للكوريين أن يكونوا لجوجين كأطفالٍ عنيدين. وهم صاخبون ويائسون، ويختلفون كليّاً عن هدوء اليابانيين ووداعتهم. وبالرغم من أنّ بناتها تجري في عروقهنّ دماء كورية لكن لحسن الحظ، لا يمتلكن أيّ عاداتٍ قذرة أو يرفعن أصواتهن. أحبّ والدها هانسو لأنه رأى أنه لا يشبه الآخرين من جنسه، وأنه من الأفضل لابنته الزواج به لأنه رجل حقيقيّ وسيعتني بها. ولم يخطئ والدها في ذلك، فالمنظمة ازدادت قوّةً وثراءً تحت إشراف زوجها. وتمتلك هي وبناتها ثروةً ضخمةً في سويسرا، بالإضافة إلى أكياسٍ لا تُحصى من الأموال، مخبأة في جدران هذا المنزل.

«كيف تعرفين زوجي؟ ومنزله؟».. سألتها مييكو

هزّت سونجا رأسها، فهي لم تفهم ما قالته المرأة باستثناء كلمة زوج.

زوجته بالتأكيد يابانية، في أوائل الستينات من العمر. هي جميلة للغاية؛ تمتلك شعراً قصيراً رمادياً، وعينين داكنتين كبيرتين ورموشاً طويلةً بشكلٍ استثنائي. وارتدت ثوباً يابانياً أخضر اللون فوق جسدها الرائع، ووضعت أحمر شفاهٍ أرجواني، فبدت كعارضة أزياءٍ.

«أحضري الصبي الذي يعمل في الحديقة، فهو يتحدّث الكورية» أشارت

زوجة هانسو لسونجا كي تنتظر بالقرب من باب المنزل. ولاحظت ثياب المرأة القطنية المهترئة ويديها المتعبتين والملطّختين من كثرة العمل خارج المنزل. لم تكن المرأة الكورية مسنّةً للغاية لكنّ شبابها قد مضى بالرغم من أنها لا تزال تمتلك شيئاً من الجمال في عينيها. وليست جذّابةً كفايةً لتكون إحدى عاهرات هانسو، فخصرها عريض نتيجة الحمل وإنجاب الأطفال. وبحسب علمها، جميع عاهراته مضيفات طيرانٍ يابانيات وبعضهن أصغر عمراً من بناتها، ولا يمتلكن الجرأة للاقتراب من المنزل.

أتى الصبي من الفناء الخلفي حيث كان يقطف الأعشاب الضّارة من الحديقة، متجهاً إلى مقدمة المنزل.

«نعم يا سيدتي». انحنى لها.

قالت له: «إنها كورية. اسألها كيف تعرف عنوان منزل سيّدك».

نظر الصبي إلى سونجا التي بدت خائفةً. هي أصغر من والدته، وترتدي معطفاً رقيقاً رماديّ اللون فوق ملابسها.

«سيدتي». قال لها بهدوءٍ حتّى لا يخيفها «كيف بإمكاني مساعدتك؟».

ابتسمت له سونجا، وبدأت بالبكاء عندما رأت القلق في عينيه، فلم يكن بقسوة الخادمة أو الزوجة. «أنا أفتّش عن ابني، وأعتقد أنّ سيّدك يعرف مكانه. يجب أن أتحدّث..» اضطرت إلى التوّقف عن الكلام حتّى تأخذ نفساً بين شهقات بكائها.. «إلى سيّدك. هل لديك فكرةً عن مكان وجوده؟».

«من أين تعرف أنّ زوجي يعيش هنا؟». سألت ميكو مجدداً بهدوءٍ.

وقد نسي الصبي مطلب سيّدته، لأنّ همّه كان مساعدة هذه المرأة البائسة.

«تسأل سيّدة المنزل من أين أتيت بعنوان المنزل. يجب أن أزوّدها بجوابٍ، هل تفهمين يا سيّدتي؟» نظر الصبي إليها.

«عملت لدى كيم تشانغو في مطعمٍ لسيّدك. وأعطاني كيم العنوان قبل أن يرحل إلى الشمال، إلى بيونغ يانغ. هل تعرف السيد كيم؟».

أومأ الصبي رأسه عندما تذكّر الرجل الطويل الذي يضع نظارةً سميكة، فقد اعتاد أن يعطيه المال لشراء الحلوى وأن يلعب معه كرة القدم في الفناء الخلفي

للمنزل. اقترح السيد كيم اصطحاب الصبي معه في رحلة سفينة الصليب الأحمر إلى الشمال، لكنّ هانسو رفض الأمر بتاتاً. لا يتحدّث السيّد عن كيم أبداً، ويغضب في حال ذكر أمامه.

حدّقت سونجا إلى الصبي متوسّلةً وكأنّ بإمكانه إيجاد ابنها. «قد يعرف سيّدك مكان ابني وعليّ أن أجده. هل تستطيع أن تخبرني أين هو؟ أمتواجد في المنزل الآن؟ أعرف أنه سيقبل بلقائي».

أخفض الصبي رأسه وهزّه نافياً، بينما رفعت سونجا رأسها وبدأت تتأملّ جمال المنزل من الداخل، بدت الردهة الهائلة والفخمة أشبه بردهة محطّة قطارٍ قديمة بجدرانها البيضاء الباهتة وأسقفها العالية. وتخيّلت هانسو ينزل على الدرج الخشبي المنقوش ليسأل عن المشكلة. لكنها ستتوسل له هذه المرّة بطريقةٍ مختلفة لم تفعلها مسبقاً، وسترجوه من أجل أن يوّظف مصادره ومعارفه، وستبقى بجانبه حتّى إيجاد نوا.

ترجم الصبيّ لسيّدته حديث سونجا، فدققت زوجة هانسو بالمرأة التي تبكي.

«أخبرها أنه ليس هنا ولن يعود قبل فترةٍ طويلة» التفتت ميكو وقالت بينما تمشي بعيداً «إن احتاجت إلى ثمن تذكرة القطار أو الطعام، خذها إلى الخلف وأعطها ما تشاء، وإلاّ أرسلها بعيداً من هنا».

«هل أنت بحاجةٍ إلى مالٍ أو طعامٍ يا سيدتي؟».

قالت سونجا: «لا، لا. أرغب في التحدّث إلى سيّدك فحسب. أرجوك يا بني، ساعدني».

هزّ الصبي كتفيه لأنه لا يعلم مكانه. ووقفت الخادمة التي تأتزر بمئزر أبيض يلمع في أضواء الردهة الباهية، كحارسةٍ على باب المنزل وأشاحت بنظرها بعيداً لإعطائهما بعض الخصوصية.

«أعتذر منك يا سيدتي، لكن سيّدة المنزل طلبت أن تغادري. هل ترغبين في الذهاب إلى المطبخ في الجزء الخلفي من المنزل؟ يمكنني أن أحضر لك شيئاً تأكلينه. لقد قالت السيّدة..».

«لا، لا».

ظلّ الصبي خارج المنزل بينما عادت الخادمة إلى الداخل، وأغلقت الباب وراءها بهدوءٍ. فهو لم يدخل في حياته من الباب الأمامي ولم يتوقّع حدوث ذلك.

التفتت سونجا واتجهت إلى الشارع المعتم، وأضاء السماء الداكنة قمر هلال.

عادت السيّدة إلى قاعة الاستقبال لقراءة مجلاّتها، واستكملت الخادمة عملها في حجرة المؤن. راقب الصبيّ سونجا من المنزل بينما مشت باتجاه الشارع الرئيسي، ورغب في إخبارها أنّ سيّده يعود بين حينٍ وآخر إلى المنزل لكنه نادراً ما ينام فيه. وأنه يسافر كثيراً حول البلاد من أجل عمله. وبالرغم من أنّ السيّد والسيّدة يتعاملان بتهذيبٍ وأدبٍ لكنهما لا يشبهان الأزواج الحقيقيين. فكّر الصبي أنه ربّما تكون هذه طريقة الأثرياء، فهم يختلفون تماماً عن والديه. والده كان نجّاراً قبل أن يصاب كبده بالمرض ويموت، لقد أحبّت والدته، التي تعمل من غير انقطاعٍ، زوجها بالرغم من أنه لم يجن أيّ مالٍ في حياته. يعرف الصبي أنّ سيّده يقيم أحياناً في فندقٍ في أوساكا، ويتحدّث رئيس الخدم والطاهي عن شقّته الفخمة في طوكيو لكن لم يزرها أحد منهم من قبل باستثناء ياسودا؛ سائق هانسو. ولم يفكّر الصبيّ بالأمر مسبقاً لأنه لم يذهب في حياته إلى طوكيو أو أيّ مكانٍ آخر باستثناء أوساكا؛ مكان ولادته، وناغويا؛ حيث تسكن عائلته الآن. والشّخصان الوحيدان اللذان يعرفان مكان وجود السيّد بالضبط هما سائقه ياسودا وحارسه الشخصي القوّي تشيكو، لكن لم يخطر في ذهن الصبي من قبل أن يسألهما عنه. فكل ما سمعه عنه أنه يسافر أحياناً إلى كوريا أو هونغ كونغ.

ركض الصبي مسرعاً ليلحق بالمرأة الكورية التي تمشي وحيدةً في تلك الشوارع باتجاه محطّة القطار.

«سيدتي، سيدتي. أين تسكنين؟».

توقّفت سونجا والتفتت باتجاه الصبي، وتساءلت إن كان يعرف شيئاً مهمّاً.

«في إيكاينو. هل تعرف شارع الأسواق؟».

أومأ رأسه بينما حنى ظهره وأمسك بركبتيه ليلتقط أنفاسه، وحدّق إلى وجهها الدائري.

«أعيش على بعد ثلاثة مبانٍ من شارع الأسواق، بالقرب من الحمام العمومي

الكبير. أُدعى سونجا بايك أو سونجا بوكو، وأعيش مع والدتي، شقيق زوجي يوسب بايك وزوجته كيونغي تشوي. ويمكنك أن تسأل أيّ أحدٍ عن عنوان المرأة التي تبيع الحلوى. أبيع الحلويات أيضاً مع والدتي في السوق بجانب محطّة القطار، أنا أتواجد هناك دائماً. هل ستأتي للبحث عني في حال عرفت شيئاً عن مكان كوه هانسو؟ وهل ستخبره أنني أحتاج إلى رؤيته عندما تراه؟» سألت سونجا.

«نعم، سأبذل جهدي. فنحن لا نراه كثيراً» أوقف الصبي نفسه، فليس من حقّه أن يخبرها أنّ هانسو نادراً ما يأتي إلى المنزل. وقد مرّت عدّة أشهرٍ وربما حتّى سنةً منذ أن رآه آخر مرّة. «سأخبره أنك مررت لزيارته عندما أراه، ومتأكد من أنّ السيّدة ستخبره أيضاً».

بحثت سونجا في محفظتها حتّى تكافئ الصبي ببعض المال.

«لا، لا. أشكرك. أنا على ما يرام ولا ينقصني شيء». نظر الصبي إلى نعل حذائها المطاطي المهترئ، فهو يشبه حذاء والدته الذي تنتعله إلى السوق.

«أنت شابّ طيب». قالت له سونجا وبدأت بالبكاء مجدداً، لأنّ نوا كان مصدر سعادتها وقوّتها في هذه الحياة وخاصّةً في الأوقات العصيبة.

«تعمل والدتي في السوق في ناغويا، حيث تساعد سيّدةً في بيع الخضار» وجد نفسه يخبرها، فهو لم ير والدته وأخواته منذ حلول رأس السنة. ولا يتحدّث بالكورية هنا إلاّ مع سيّده.

«لا بدّ أنها ترغب في رؤيتك أيضاً» ابتسمت له قليلاً بينما شعرت بالحزن عليه. ووضعت يدها على كتفه ثمّ تابعت طريقها نحو محطّة القطار.

مكتبة

الكتاب الثالث

باتشينكو

1989-1962

أقترح التعريف التالي للأمة: إنها مجتمع سياسي مُتخيَّل - هذا المتخيل يفيد أنها مجتمع محدود طبيعياً ومهيمن في الوقت عينه.
نقول مُتخيَّل لأنه حتى أفراد أصغر أمة لن يعرفوا أقرانهم أو يلاقوهم أو حتى يسمعوا بهم، لكن مع ذلك يعيش عقل كل فرد صورة مجتمع أسلافه.
تُصوّر الأمة على أنها محدودة لأنه حتى أفراد أكبر أمة، التي من الممكن أن تضم مليارات البشر، لديها نهاية لحدودها بحيث يكون وراء تلك الحدود أمم أخرى. تُصوّر على أنها مهيمنة لأن ذلك المفهوم قد وُلِد في عصر حيث كان فيه التنوير والثورة يطيحان بشرعية السلالة الهرمية المقدسة فرضاً...
وأخيراً، تُصوّر على أنها مجتمع لأنه، وبغض النظر عن اللامساواة والاستغلال اللذين من الممكن أن يسودا، دائماً ما تُفهم الأمة كعلاقة صداقة وطيدة. في النهاية إنها أخوية، على مر القرنين الماضيين، جعلت ملايين الناس يموتون في سبيل تلك المُتخيَّلات المحدودة.

- بينيديكت آندرسون

مكتبة

1

ناغانو، نيسان 1962

لم يرد نوا التسكع في المقهى بالقرب من محطة قطار ناغانو، لكنه لم يكن يعلم إلى أين يتجه بالضبط، ولم يكن هذا من عادته، لكن بعد أن غادر واسيدا، تحسنت حاله بعض الشيء. راكو تاكورا، وهي معلمة مرِحة للمرحلة الإعدادية كانت لطيفة معه وكانت من ناغانو، ولسبب ما دائماً ما كانت تعتبر مسقط رأسها مكاناً يقطنه أشخاص يابانيون أخيار طيبون. تذكر قصص الطفولة التي كانت ترويها معلمته عن العواصف الثلجية الهوجاء القاسية جداً التي كانت تحجب أضواء الشوارع. كان تساقط الثلوج قليلاً في أوساكا لكن لم يكن هناك شيء يشبه العواصف من قصص تاموراسان. لطالما أراد أن يزور مسقط رأس معلمته الذي كانت الثلوج تغطيه على الدوام. في هذا الصباح، سأله الرجل الواقف عند شباك التذاكر عن وجهته فأجاب: «إلى ناغانو من فضلك». وأخيراً وصل، وشعر بالأمان. كانت تاموراسان قد تحدثت عن الرحلات المدرسية إلى معبد زينكوجي المشهور حيث كانت تتناول خارجاً طعامها المعلّب مع زملاء صفها.

جلس إلى طاولة قريبة من المنضدة، وشرب نوا شايه البني، وتناول بضع لقمات من طبق العجة أمامه وقد راح يفكر بزيارة المعبد. كان قد ترعرع مسيحياً، لكنه كان يجلّ البوذيين، وخاصة أولئك الذين تخلوا عن ملذّات الحياة. وفقاً لما تعلمه نوا، كان الرب في كل مكان، لكن هل للرب أن يبتعد عن المعابد والمقامات؟

هل كانت تلك الأماكن تسيء إلى الرب أم أن الرب يتفهّم أولئك الذين يميلون إلى عبادة غيره؟

كالعادة، تمنى نوا لو أن أيزاك عاش مدة أطول. كانت ذكراه تحزن نوا،

وذكرى هانسو – والده البيولوجي – تخجله. لم يكن كو هانسو يؤمن بأي شيء عدا جهوده. لم يؤمن بالرب ولا بالمسيح أو بوذا ولا حتى بالإمبراطور.

مرّ النادل المكتنز ومعه إبريق من الشاي.

سأل النادل نوا وهو يعيد ملء الكوب: «هل كل شيء بحسب رغبتك؟ ألا يعجبك الطعام؟ أنا دائماً أخبر الطباخ أن يكثر من الـ...».

«إن الأرز شهي جداً، شكراً لك». أجاب نوا مستدركاً أنه قد مر بعض الوقت منذ أن كلم أحداً آخر مرة. بدا النادل بشوشاً بابتسامته العريضة التي كشفت عن أسنان متعرجة، أما أذناه فكانتا كبيرتين وشحمتاهما ملحمتين، وهي ملامح يطمح إليها كلّ بوذيّ. حدّق النادل إلى نوا بالرغم من أن معظم اليابانيين كانوا ليشيحوا بنظرهم من باب الاحترام.

«هل زيارتك طويلة في البلاد؟» سأله النادل محدقاً إلى الحقيبة القابعة على الكرسي بجانبه.

«ماذا؟». قال نوا متفاجئاً بالسؤال الفضولي للنادل.

قال النادل ضاحكاً: «أعتذر عن فضولي، كانت أمي دائماً تقع في المشاكل بسبب فضولي. سامحني، فأنا مجرد قروي ثرثار. أنا لم أرك هنا من قبل. أعتذر منك على سكون المقهى. عادة ما يكون لدينا زبائن أكثر، زبائن محترمون ومشوقون في الحقيقة. لا يسعني سوى أن أنكب بالأسئلة عن أي شخص جديد ألتقيه. لكنني أعلم أنه لا ينبغي عليّ أن أسأل تلك الأسئلة».

«لا لا. إنه أمر طبيعي أن ترغب بمعرفة بعض الأشياء، أنا أتفهم ذلك. أنا هنا في زيارة، وسمعت كثيراً من الأشياء الشيقة حول ناغانو لدرجة أنني أفكر بالانتقال للعيش هنا». تفاجأ نوا من نفسه عندما سمع ما تفوه به. فقد شعر بالراحة وهو يتحدث إلى هذا الغريب. لم يخطر بباله من قبل أن يعيش في ناغانو، لكن ما المانع؟ لم لا يعيش هنا لعام واحد على الأقل؟ فهو لن يعود إلى طوكيو أو أوساكا، هذا ما آل إليه قرار نوا.

قال النادل بفخر: «ستنتقل لتعيش هنا؟ كم هذا رائع، فناغانو مكان مميز جداً، عائلتي بأكملها تنحدر من هنا. لطالما كنا في هذا المكان. ثمانية عشر جيلاً ولكن

آخر أفراد هذه السلالة هم أكثرهم حمقاً. هذا المقهى الصغير لي. ابتاعته لي أمي لأبقى بعيداً عن المشاكل». ضحك النادل وتابع قائلاً: «أدعى بينغو. إنه اسم لعبة أميركية. لقد لعبتها مرة».

قال نوا مبتسماً: «أدعى نوبو. نوبو بان».

«السيد بان، السيد بان». قال بينغو ضاحكاً بفرح. وتابع: «أحببت مرة فتاة قصيرة من طوكيو تدعى تشي بان، لكنها لم تبادلني الحب طبعاً. فالفتيات الجميلات لا يحببنني. زوجتي الطويلة ليست جميلة لكنها تحبني». وضحك مجدداً ثم تابع: «أتعلم، إنها خطوة ذكية منك أن تنتقل للعيش في ناغانو. لقد سبق لي أن زرت طوكيو مرة واحدة، ولم أعد الكرة، فالحياة فيها مكلفة فضلاً عن أنها وسخة، والطعام...» أوقف النادل نفسه ثم قال: «أنت لست من طوكيو أليس كذلك؟».

«لا، أنا من كانساي».

«أنا أحب كانساي، فقد زرت كيوتو مرتين وبالرغم من أنها مدينة باهظة لشخص مثلي، لكنني معجب بطبق شعيرية أدون الشهي وأعتقد أنه يمكن للمرء أن يتناول هذا الطبق الشهي بسعر معقول. أنا أفضل النوع الطري من شعيرية أدون».

ابتسم نوا. فقد كان التكلم مع بينغو أمراً لطيفاً.

سأله النادل: «حسناً.. ماذا ستفعل بشأن العمل؟ كما تعلم لا بد للمرء أن يعمل، هذا ما تقوله والدتي دائماً». وضع بينغو يده على فمه مُحرجاً لأنه تمادى في الكلام، لكنه لم يتمكن من كبح نفسه عن الثرثرة. بدا ذلك الغريب شيقاً ومتواضعاً وكان بينغو يحب الأشخاص الهادئين. سأل رافعاً حاجبه: «هل كان لديك عمل تحبه في كانساي؟».

نظر نوا إلى وجبته التي بالكاد تناول منها لقمة أو اثنتين وقال: «عملت محاسباً. وبإمكاني أن أقرأ وأكتب الإنكليزية. وربما سيحتاج أحد المتاجر محاسباً مثلي. أو ربما تكون شركة تجارية كبيرة بحاجة إلى من يترجم لها المستندات.

«مجالات العمل لشاب مثلك كثيرة... دعني أفكر». وضع سبابته على ذقنه وكست ملامح الجد وجهه، وتابع قائلاً: «تبدو ذكياً جداً».

ابتسم نوا قائلاً: «لست متأكداً بهذا الشأن، لكنه لطف منك أن تقول هذا».

همهم النادل مغيّراً ملامحه تلك وقال: «لا أعلم يا سيد إن كنت تقبل بأي شيء أم لا، لكن هناك صالة باتشينكو توظف أشخاصاً من خارج المدينة. فالوظائف المكتبية لم تعد متاحة كالسابق».

«باتشينكو؟» سأل نوا محاولاً ألا يبدي ملامح الإهانة. هل اعتقد النادل أنه كوري؟ لم يخطر في بال معظم اليابانيين أنه كوري حتى يخبرهم بكنيته الكورية، «بوكو». كانت بطاقة هويته تقول إنه من واسيدا واسمه عليها نوبو باندو. لم يكن نوا متأكداً ما إذا كان تغاضى عن نهاية كنيته «دو» عندما عرّف عن نفسه إلى بينغو لكن كان الأوان قد فات ليغيّر ما حدث. «أنا لا أعرف الكثير حول صالات الباتشينكو. لم يسبق لي أن...».

أنا حقاً آسف، لم أقصد الإهانة. سمعت أنهم يدفعون رواتب جيدة. إن تاكانو سان، مدير أفضل صالة في ناغانو، رجل خلوق جداً. ربما لن تعمل في صالة باتشينكو عادية، لكن كوزموس باتشينكو منشأة كبيرة جداً تديرها عائلة محلية. غالباً ما يبدلون آلاتهم، لكنهم لا يوظفون الأجانب».

«ماذا؟».

«إنهم لا يوظفون الكوريين أو الصينيين، لكن هذا لا يهم بما أنك ياباني». ثم أومأ بينغو برأسه عدة مرات.

وافقه نوا قائلاً: «أجل بالطبع».

«دائماً ما يبحث تاكانو سان عن عمال أذكياء، وهو يدفع رواتب مغرية جداً لكن لا يمكنه أن يوظف الأجانب». هزّ بينغو برأسه مجدداً.

قال نوا بنبرة تعاطف: «أجل، أجل». ليبدو وكأنه فهم. كان قد تعلم منذ زمن أن يومئ برأسه حتى عندما لا يكون موافقاً على ما يقوله الآخر، لأنه لاحظ أن تلك الحركة وحدها كانت تدع الناس يتابعون الكلام.

«إن تاكانو سان زبون دائم لدينا. يأتي إلى هنا كل صباح ليتناول قهوته عند الطاولة بالقرب من النافذة». قال بينغو مشيراً. «القهوة السوداء مع مكعبين من السكر. لا يطلب الحليب معها أبداً. قال لي هذا الصباح 'الصداع لا يفارقني يا

بينغو سان، لأنه من الصعب أن تجد عمال جيدين. فالحمقى هنا لديهم بطيخ بدل رؤوسهم'». شبك النادل أصابعه المكتنزة وراء رأسه مقلداً تاكانو سان المتألم.

قال بينغو مبتسماً: «مهلاً! لم لا تذهب إلى هناك وتقول لتاكانو سان إنني من أرسلك». كان هذا أكثر شيء يحب فعله، أن يساعد الناس ويدبر لهم لقاءات من كافة الأنواع. ومنها أنه كان قد دبّر ثلاث زيجات لأصدقائه من المدرسة الثانوية.

أومأ نوا برأسه وشكره. فهكذا، بعد عدة سنوات يمكن لبينغو أن يخبر الجميع أنه كان أول صديق للسيد بان في ناغانو.

كان مكتب تاكانو سان يقع في مبنى آخر منفصل عن صالة الباتشينكو الواسعة، بحيث يفصل بينهما حيّان كاملان. المظهر البسيط للبناء الآجري لا يمكن أن يدل على وظيفة ذلك المكتب، فكان يمكن لنوا أن يفوّت الأمر برمته لو أن بينغو لم يرسم له خريطة على ورقة ملاحظات. عدا عن الرقم، لم يكن للبناء أي إشارة أو علامة.

كان مدير الصالة، هيديو تاكانو، شاباً يابانياً في العقد الثالث من عمره، أنيق الهيئة. يرتدي بذلة كحلية جميلة مع ربطة عنق أرجوانية ومنديل جيب باللون ذاته. في كل أسبوع يدفع لصبي من الحي ليلمّع له أحذيته الجلدية. كان يتأنق لدرجة أنه كان يبدو بمظهر تاجر ملابس يعمل في مكتب ما. خلفه خزانتان سوداوان بحجم الباب. كان مكتبه الضخم مجاوراً لعشرات المكاتب المتوسطة الحجم، كل منها مليء بالموظفين الذين يرتدون القمصان البيض، معظم هؤلاء هم من الشباب والفتيات، ويبدون بملامح عادية ظهر عليها الروتين الوظيفي. كان لتاكانو انتفاخ صغير على عظمة أنفه، أما عيناه السوداوان فتعبران عن مكنوناتهما بوضوح تام عند التكلم.

قال تاكانو: «تفضل اجلس. قالت مساعدتي إنك أتيت بحثاً عن وظيفة».

«اسمي نوبو بان ديسو. قال بينغو سان الذي يعمل في المقهى إنك تبحث عن عمال. لقد وصلت إلى طوكيو حديثاً يا سيدي».

«حسناً، بينغو هو من أرسلك. لكنني لا أريد المزيد من عمال سكب القهوة هنا». ومن وراء مكتبه المعدني الكبير انحنى بكرسيه إلى الوراء وتابع قائلاً: «بينغو

يستمع إلى مشاكلي. ظننت أنني أنا من كان يستمع لمشاكله طوال الوقت».

ابتسم نوا. بدا ودوداً جداً. لم يبدُ شخصاً كارهاً للكوريين، امتن نوا لأنه يرتدي قميصاً أبيض وربطة عنق. كان كو هانسو قد ذكر أنه ينبغي على الرجل أن يظهر بأبهى حلة في كل يوم. بالنسبة إلى الكوريين، كان لهذا أهمية خاصة. النظافة شيء مهم للغاية. وقال إنه في كل المواقف، حتى في المواقف حين يكون لديك الحق لتغضب، على الكوري أن يتكلم بمهابة وهدوء.

سأل تاكانو: «حسناً، ماذا يمكنك أن تفعل يا صديق بينغو سان؟».

عدّل نوا جلسته وقال: «عملت في المحاسبة، كما أنني كنت جابي إيجارات في كانساي. كنت أجمع الأجور الشهرية للمنازل، وأعمل في المحاسبة قبل دخولي الجامعة...».

«حقاً؟ الجامعة؟ أي جامعة؟».

أجاب نوا: «أجل جامعة واسيدا. لكنني لم أنهِ دراستي لأنال شهادة الأدب. فقد بقيت في الجامعة لثلاث سنوات فقط».

هز تاكانو رأسه قائلا: «الأدب؟ أنا لا أحتاج لموظف سيمضي وقته بقراءة الكتب بدلاً من أن يمضي وقته في العمل. أنا بحاجة إلى محاسب ذكي ومرتب ونزيه. عليه أن يأتي إلى العمل في الوقت المحدد من كل صباح، وألا يأتي وهو ويعاني من آثار الشرب أو يحاول حل مشاكله مع الفتيات أثناء العمل. لا أريد المزيد من الفاشلين. فأنا أطرد الفاشلين».

بدا نوا محترماً جداً، وكان قد بدأ تاكانو يفهم لم أرسله إليه بينغو.

«أجل بالطبع يا سيدي. أنا محاسب دقيق جداً وأنا ضليع بكتابة الرسائل يا سيدي».

«كم أنت متواضع».

لم يعتذر نوا بل قال: «سأبذل قصارى جهدي إذا ما وظفتني يا سيدي».

«قل لي ما اسمك مجدداً؟».

«نوبو بان».

«أنت لست من ناغونو».

«لا يا سيدي. أنا من كانساي».

«لمَ تخليت عن دراستك؟».

«توفيت أمي، ولم يكن لدي المال الكافي لأكمل دراستي. كنت آمل أن أجني المال الذي أكفل به عودتي إلى الجامعة».

«وماذا عن والدك؟».

«متوفٍ».

لم يكن تاكانو يصدق عندما يخبره الأجانب أن أهاليهم متوفون، لكنه لم يكن ليكترث بجميع الأحوال.

«حسناً، قل لي لم عليّ تدريبك في حين ستترك العمل عندما تجني المال الكافي وتعود إلى الجامعة لتدرس الأدب؟ أنا لست مهتماً بمساعدتك على إنهاء دراستك الجامعية. أنا بحاجة إلى محاسب دائم، هل يمكنك فعل هذا؟ في البداية، لن أدفع لك كثيراً، لكنك ستتدبر أمرك. لكن قل لي، ما الذي ستجنيه من الأدب على أية حال؟ فهو لن يدر عليك المال. أنا لم أنهِ دراستي الجامعية قط، ومع ذلك بإمكاني أن أوظفك أو أطردك مئات المرات. إن جيلك تغلب عليه الحماقة».

لم يجب نوا. كانت عائلته تظن أنه يريد أن يعمل في شركة ما، لكن لم يكن ذلك صحيحاً بشكل كامل. كان حلمه الخاص أن يكون أستاذاً ثانوياً. اعتقد أنه عندما يتخرج من واسيدا، سيسهل عليه العمل في مدرسة خاصة، لم ترض المدارس الحكومية بتوظيف الكوريين، لكنه يعتقد أن القانون سيتغير يوماً ما. حتى وأنه فكر في أن يحصل على الجنسية اليابانية. كان يعلم أنه يمكنه أن يعمل مدرساً خصوصياً في أسوأ الأحوال.

«حسناً. الآن لا تملك المال لتدرس في الجامعة، وأنت بحاجة للعمل وإلا لما كنت جالساً على هذا الكرسي. أين تعيش؟».

«وصلت اليوم إلى ناغانو. كنت سأبحث عن نزل».

«يمكنك النوم في المهجع خلف المتجر. عليك مشاركة الغرفة مع أحدهم في البداية. التدخين ممنوع داخل الغرف، ولا يسمح بإدخال الفتيات. يُسمح لك بثلاث وجبات في اليوم في الكافتيريا ومن الأرز ما تشاء. ستقدم لك اللحمة مرتين

في الأسبوع. أما بالنسبة للفتيات فهناك فنادق مخصصة لتلك اللقاءات. لا أكترث لما تفعله في وقت فراغك، لكن أولويتك يجب أن تكون منصبة على هذه الشركة. أنا مدير سخي جداً، لكن لا تعبث معي لأنه حينها ستفصل فوراً من دون راتبك».

تساءل نوا إن كان أخوه الصغير يتكلم بهذه الطريقة مع موظفيه.

الصدمة الأولى تلقاها حين علم أنه سيعمل ضمن صالة باتشينكو مثله مثل موزاسو، وهو ولد قد رسب في المدرسة الابتدائية.

«يمكنك أن تبدأ في العمل اليوم. ابحث عن إيكيدا سان، أشيب الشعر في المكتب المجاور لمكتبي. افعل ما يطلبه منك. إنه رئيس المحاسبين لدي. سأختبرك لمدة شهر، وإذا أبليت حسناً سأدفع لك راتباً يليق بعملك في نهاية الشهر. ليس لديك نفقات إضافية، لذا يمكنك ادخار كثير من المال.

«شكراً لك يا سيدي».

«من أين تنحدر عائلتك؟».

أجاب نوا: «من كانساي».

«أجل، أعلم فقد قلتَ هذا مسبقاً. أقصد من أين في كانساي؟».

أجاب نوا: «كيوتو».

«ماذا يعمل والداك؟».

أجاب نوا آملاً أن يكون هذا السؤال خاتمة سلسلة الأسئلة تلك. «إنهما متوفيان».

«أعلم. فقد قلت لي هذا. ماذا كانا يعملان؟».

«كان والدي يعمل في محل لبيع شعيرية الأدون».

«وماذا أيضاً؟». بدا تاكانو محتاراً.

«أتقول إن بائعاً للنودلز أرسل ابنه إلى جامعة واسيدا؟ حقاً؟».

لم ينطق نوا بكلمة واحدة متمنياً لو أنه كان كاذباً محترفاً ليلفّق كذبة أفضل من تلك.

«أنت لست أجنبياً أليس كذلك؟ أتقسم؟».

«لا يا سيدي أنا لست أجنبياً». قال نوا محاولاً أن يبدي استغرابه لمثل هكذا

سؤال.

أجاب تاكانو: «هذا جيد، هذا جيد. والآن أخرج من مكتبي واذهب إلى إيكيدا سان».

كان في مهجع صالة الباتشينكو ستون موظفاً نائماً. في ليلته الأولى، نام نوا في واحدة من أصغر الغرف، وتشاركها مع عامل أكبر منه في السن يشخر وكأنه محرك سيارة معطل. في غضون أسبوع، اعتاد على روتين المكان. عند الاستيقاظ، يغسل نوا وجهه بسرعة لأنه يكون قد استحم في الليلة الماضية في حمام عام، ومن ثم يذهب إلى الكافتيريا حيث كان الطاهي يقدم الأرز وسمك الماكريل والشاي. عمله الجاد، حظي برضى إيكيدا سان الذي لم يكن قد التقى قبلاً بمحاسب بهذا الذكاء. عندما انتهى شهر الاختبار، أخذ الموافقة على بقائه في العمل. وبعد عدة سنوات علم نوا أن صاحب الصالة أحبه منذ البداية. في نهاية الشهر الأول، أمر صاحب الصالة تاكانو أن يعطي نوا علاوة، وغرفة أفضل في نهاية العام، لأنه إن كان أقدم على فعل هذا الأمر قبل ذلك، فإن العمال الآخرين سيثيرون جلبة، بسبب تمييزه له، شك المالك بأن نوبو سان كوري، لكنه لم يقل شيئاً ولم يعطِ الأمر كبير أهمية.

2

أوساكا، نيسان 1965

خلال ثلاث سنوات، خسرت يومي جنينين، ووجدت نفسها حبلى مجدداً. وخالفت رأي ونصيحة زوجها موزاسو، فقد كانت تعمل خلال الحملين السابقين. وبطريقتها الهادئة والمنتظمة، كانت رئيسة يومي في العمل، توتوياما سان، تصر على أن تعمل من منزلها أثناء هذا الحمل. أبت يومي قبول الأمر.

«يا يومي، ليس هناك عمل كثير هذا الموسم وأنت بحاجة إلى الراحة». هذا ما كانت تقوله توتوياما، ولكن يومي نادراً ما كانت تعود إلى المنزل قبل حلول الظلام.

في إحدى أمسيات الربيع، شعرت يومي بألم في أسفل بطنها، ما إن أنهت طلبية ربطات عنق من أجل الزي الرسمي لأحد الفنادق. هذه المرة رفضت توتوياما أن تسمع كلمة اعتراض من يومي. فراسلت موزاسو الذي جاء ليأخذ زوجته إلى طبيب توليد مشهور أكثر من طبيب يومي الموجود في إيكاينو، كانت عيادته وسط أوساكا، وقد ذاع صيته في طول البلاد وعرضها.

قال الطبيب بهدوء: «سيدة بوكو، لديك ضغط دم عال. فامرأة مثلك غالباً ما تسقط حملها».

مشى بعيداً عن طاولة الفحص، وعاد إلى مكتبه حديث الطلاء، والتي فاحت رائحته في الغرفة. عدا عن مجسم طبي للجهاز التناسلي للمرأة، كان كل شيء في مكتبه أبيض أو فضياً.

لم تقل يومي شيئاً، وفكرت بما قاله الطبيب. أيعقل أن يكون هذا صحيحاً؟ تساءلت في نفسها. أيعقل أن تكون قد أجهضت الجنينين السابقين لأنها حاربت الحمل؟

«أنا لست قلقا بشأن الإجهاضين السابقين. إنه أمر محزن لكن يكشف الإجهاض عن حكمة الطبيعة. من الأفضل ألا تنجبي إن كان في ذلك خطر على صحتك. يُشير الإجهاض إلى أن المرأة من الممكن أن تنجب فالأمر لا علاقة له بالخصوبة. لكن في هذا الحمل لا أرى أي خطر على الجنين، لكن الخطر الوحيد هو على الأم، وللحفاظ على الجنين يجب أن تبقي مسترخية في السرير».

قالت يومي بذعر: «لكن عليّ أن أعمل». هز الطبيب برأسه.

قال موزاسو: «يومي يا عزيزتي، عليك أن تصغي لما يقوله الطبيب».

«يمكنني أن أخفف من العمل. سأعود إلى المنزل باكراً كما تريد مني توتوياما».

«يا بوكو سان من المحتمل أن تموت الأم من شيء يدعى تسمم الحمل. وكطبيبك لا يمكنني أن أسمح لك بالعمل. يجب على مرضاي تنفيذ ما أقول وإلا لن نستطيع العمل سوية».

أشاح الطبيب نظره عنه، متظاهراً بقراءة بضعة أوراق على مكتبه، وهو واثق من أن يومي ستمتثل لنصائحه وسيكون طبيبها، فاختيار طبيب غيره سيكون ضرباً من الغباء.

دوّن بضع ملاحظات لحمية خاصة، ونصحها بالابتعاد عن الحلويات وعدم الإكثار من الأرز. عليها ألا تكسب وزناً بما أنها ستكتسب كميات كبيرة من الماء وسيكون الجنين كبيراً جداً كي يولد طبيعياً.

«أرجو منك أن تتصلي بي في أي وقت تشعرين فيه بعدم الارتياح. هذا شيء ضروري جداً. إذا كان علينا أن نقوم بعملية الولادة مبكرا علينا أن نأخذ حذرنا. يا بوكو سان ليس عليك أن تتكلفي الهدوء. فهذا الهدوء سيأتي بعد إنجابك للطفل. من حق المرأة أن يكون لديها جوها الخاص قبل إنجابها لطفلها الأول». ابتسم الطبيب للزوجين وتابع قائلاً: «أحدثي جلبة حول وحامك أو عن الوسائد الإضافية أثناء الليل».

أومأ موزاسو برأسه ممتناً لحسّ الدعابة لدى الطبيب ولنبرته الحاسمة. أي طبيب جيد سيطابق عناده عناد زوجته. لم يكن لدى موزاسو أي سبب لئلا يوافق

على كل ما هو ضروري، لكنه تساءل ما إذا كان سبب عدم قيامه بهذا سابقاً لأنه كان يشعر أنها لن تستمع إليه على أي حال.

عاد الزوجان إلى المنزل، استلقت يومي على فراش الفوتون، وتناثر شعرها الأسود على الوسادة. جلس موزاسو على السرير متربعاً بالقرب منها من دون أن تكون لديه أدنى فكرة عما سيقوله لزوجته التي لم ترد لا كأس ماء ولا أن تأكل أي شيء. عندما يكون إلى جانبها كان يشعر وكأنه أبله مقارنة بذكائها وجرأتها. دائماً ما كانت أهدافها تبدو مذهلة. كان يتساءل أحياناً كيف سمحت لنفسها بأن تحلم بالكثير. لم يكن قد رآها تبكي أو تتأفف من أي شيء صعب من قبل. كان واثقاً من أنها لا ترغب بالبقاء في المنزل وحدها من دون عمل ومن دون دراسة اللغة الإنكليزية.

سألها: «هل تريدين كتبك الإنكليزية؟».

«لا». أجابت من دون أن تنظر إليه. وتابعت: «عليك الذهاب إلى عملك أليس كذلك؟ سأكون بخير. يمكنك الذهاب».

«هل تريدينني أن أحضر لك شيئاً؟».

«لم لا يمكننا الذهاب إلى أمريكا؟ يمكننا أن نحظى بحياة جيدة هناك».

«أتذكرين ما الذي قاله محامي الهجرة. هذا أمر شبه مستحيل».

«قال القس ماريمان سان أنه يمكن أن يكفلنا».

«ولم قد يفعل هذا؟ فلا أنا ولا أنت سنصبح مبشرين دينيين. حتى أنك لا تؤمنين بالرب. وما الذي سأفعله أنا في أميركا لجني ما أجنيه هنا؟ لن أعود إلى الجامعة. فأنا لم أعد فتى جامعياً؛ أنا عبء أحمق عليك. فأنت تعرفين أنني أعتمد عليك في الأمور التي تحتاج تفكيرنا وقريبا ستفكرين عن ثلاثة بدل اثنين». ضحك آملاً أن تبتسم.

«يا يومي تشان، قريباً جداً سأفتتح صالة باتشينكو جديدة في يوكوهاما، وإذا حققت نجاحاً، سأجني من المال أكثر مما يجني عشرون خريجاً جامعياً. أعدك أنك ستحبين يوكوهاما؛ إنها مدينة كوزموبوليتانية. وفيها العديد من الأميركيين. حالما تنجبين الطفل ويعطينا الطبيب موافقته سآخذك لزيارة المكان. يمكننا الإقامة

في فندق جميل، وسترين كيف سيكون الأمر. وسيكون من الأسهل لك أن تدرسي الإنكليزية هناك. يمكننا أن نجد مدرساً خصوصياً أو يمكنك الذهاب إلى صف دراسي، الخيار لك». هذا ما قاله موزاسو بالرغم من أنه حاول ألا يفكر بنوا لأن ذكراه كانت تحزنه، فقد ترك أخوه جامعة واسيدا وهرب من دون أن يعطي تفسيراً أو تبريراً لخطوته تلك.

«إن اليابانيين لا يحبوننا. كيف سيعيش ابننا هناك؟» سألت يومي.

«بعض اليابانيين يحبوننا كثيراً. ستعيش الطفلة معنا هناك». منذ الحمل الأول كان موزاسو يتعامل مع الأمر على أساس أن الجنين أنثى. طفلة أنثى مثل يومي.

مسّد موزاسو جبينها. كانت يده الداكنة هائلة الحجم مقارنة بجبينها الشاحب الصغير. وبالنسبة إلى شابة بعمرها، كان الضغط المترتب عليها يسمها بصفات المعمر مئات السنين، وذلك حين تبرز قدرتها في التغلب على معظم المهام الصعبة الملقاة على عاتقها. لكن عندما تحزن تظهر على وجهها ملامح الطفل المقهور التائه المحروم. كان يحب وجهها الذي لا يخفي أي شعور من مشاعرها؛ وبالرغم من صمتها فهي لم تكن قادرة على إخفاء ما يعتمل في نفسها عن الآخرين.

نظر موزاسو إليها وسألها: «ماذا يمكننا أن نفعل غير الذهاب إلى أميركا؟». لم يكن يعرف ولم يفهم ما الذي قد تجده هناك. أحياناً كان يتساءل إن كان نوا قد ذهب إلى أميركا؛ والتي هي حلم كثير من الكوريين القاطنين في اليابان.

«ماذا تريدينا أن نفعل أيضاً يا يومي تشان؟».

رفعت كتفيها وقالت: «لا أريد أن أبقى في المنزل بانتظار أن أنجب الطفل. لا أريد أن أكون كسولة».

«لن تكوني كسولة أبداً. هذا مستحيل». ضحك ثم تابع قائلاً: «عندما تأتي الطفلة، وهذا الأمر قريب جداً، ستركضين وراءها طوال الوقت. ستكونين أنتِ وهي أسرع النساء في أوساكا... ولن تضطري للالتزام بالمنزل».

«موزاسو، أنا أشعر بالطفلة تتحرك. لم نخسرها!».

«بالطبع لم نخسرها. قال الطبيب أن الطفلة بخير. طفلة تشان ستشبهك تماماً. سنؤمن لها منزلاً رائعاً وستكونين أماً مذهلة».

ابتسمت غير مقتنعة لكنها تمنت أن يكون محقاً.

«اتصلت بوالدتي وهي قادمة هذه الليلة».

قلصت عينيها مجعدة إياهما بقلق.

«أنت تحبينها أليس كذلك؟».

«أجل». وبالفعل، كانت يومي تحترم حماتها ومعجبة بها، لكن بالرغم من ذلك كانتا غريبتين عن بعضهما. لم تكن سونجا كمعظم الحموات، فهي لم تكن يوماً متطفلة، وكانت قد بدأت تعبر عن مشاعرها فقط بعد اختفاء نوا. عندما طلب موزاسو ويومي منها ومن جدة موزاسو الانتقال إلى منزلهما، رفضت سونجا قائلة إنه من الأفضل للزوجين أن يعيشا من دون أن تزعجهما امرأة عجوز.

«ظننت أنها تريد أن تبقى مع والدتها ومع الخالة الكبرى كيونغي».

«أجل، لكن أرادت أن تساعدنا. ستأتي من تلقاء نفسها. ولن تكون هنا دائماً. ستسكن جدتي مع الخالة كيونغي لتساعدها في المتجر. وأنا سأوظف بضع فتيات لمساعدتهما بدلاً من والدتي عندما تكون والدتي هنا لبعض الوقت».

بعد أسبوعين من الراحة السريرية، شعرت يومي أنها ستفقد عقلها. كان موزاسو قد ابتاع لها تلفازاً، لكنها لم تكن مهتمة بمشاهدته، وكانت الحرقة تشتتها عن القراءة. تورم كاحلاها ومعصماها لدرجة أنها إذا ما ضغطت بإصبعها على معصمها تشكلت طية مكان إصبعها على جلدها. أبقت حركة الطفل المتكررة يومي في فراشها، ومنعتها من مغادرة المنزل. منذ وصولها، بقيت حماتها وحدها في الغرفة الصغيرة بالقرب من المطبخ متجاهلة عدد المرات التي أصرت فيها يومي على أن تستقر في الغرفة الأكبر غير المستخدمة بالقرب من غرفة النوم الرئيسية. كانت سونجا تتولى أمور الطبخ والتنظيف. فإذا ما عاد موزاسو إلى المنزل، وفي أي ساعة كانت، فإن عشاءه سيكون جاهزاً.

كانت فترة الصباح عندما طرقت سونجا على باب يومي لتدخل إليها الفطور. قالت يومي: «تفضلي». لم تكن والدتها قادرة على إعداد الأرز أو الشاي على عكس والدة موزاسو التي كانت تدعم عائلتها من خلال صنعها للطعام.

كالعادة، حملت سونجا صينية مليئة بتشكيلة من الأطباق الشهية مغطاة بقماش

أبيض نظيف مبتسمة لزوجة ابنها. شعرت يومي التي اعتادت أن تتلذذ بأشهى الأطباق، بالحزن لأن كل ما استطاعت تناوله مؤخراً لم يكن غير حساء الأرز.

«أشعر بالسوء لأنني مستلقية على السرير بينما تعملين طوال الوقت». هذا ما قالته يومي آملة أن تتكلم معها سونجا. تابعت سائلة: «هل تناولت الفطور؟».

«أجل. لقد أكلت. إنك تعملين بجهد طوال الوقت. لكن عليك الآن أن تستريحي، فالحمل ليس أمراً سهلاً. أجهضت أمي ست مرات قبل أن تنجبني. أرادت أن تأتي معي وتعتني بك لكنني طلبت منها أن تبقى في المنزل».

«ستة إجهاضات! أنا لم أجهض سوى مرتين».

أجابت سونجا: «إن إجهاضين ليسا بالأمر السهل. عليك تناول فطورك الآن. يحتاج جنينك إلى الغذاء».

قومت يومي جلستها لبرهة وقالت: «غادر موزاسو إلى يوكوهاما باكراً صباح هذا اليوم».

أومأت سونجا برأسها. كانت قد أعدت له الفطور قبل أن يغادر إلى قطار الصباح.

«رأيته قبل أن يغادر». أبدت يومي إعجابها بالصينية قائلة: «يبدو هذا شهياً».

أملت سونجا أن تتناول زوجة ابنها الطعام. أرعبتها فكرة أن تجهض مجدداً، لكنها لم ترد أن تظهر قلقها. ندمت على ذكرها لعدد عمليات الإجهاض التي حدثت لوالدتها. كان القس في الكنيسة قد حذر من خطايا زلات اللسان؛ فخير الكلام قليله، هذا ما فكرت به سونجا.

«شكراً لك على اعتنائك بنا».

هزت سونجا برأسها قائلة: «لا شكر على واجب. فأنت ستفعلين الشي ذاته مع أولادك».

على عكس النساء المتزوجات بشعرهن القصير الأسود المجعد، لم تكن سونجا قد صبغت شعرها الأشيب أو قصته مثل قصات شعر الرجال. كان قدّها معتدلاً، لم تكن طويلة ولا قصيرة. كانت قد عملت خارج المنزل لسنوات عديدة، وتركت الشمس أثارها عميقاً على وجهها الدائري الأسمر. وكراهبة بوذية، لم

تكن سونجا تضع مساحيق التبرج ولا حتى المرطبات. بدا الأمر وكأنها قررت قبلاً أنها لن تعتني بمظهرها لكن مع الحفاظ على نظافتها، وكأنها تدفع تعويضاً عن اهتمامها بهكذا أمور في السابق، لكنها في الحقيقة لم تكن قد اهتمت بهذه الأمور في يوم من الأيام.

قالت يومي وهي تلتقط الملعقة: «هل أخبرك موزاسو يوماً عن والدتي؟».

«أجابت سونجا: «أخبرني أنها عملت في إحدى الحانات».

«كانت بائعة هوى. ووالدي قوادها. لم يتزوجا يوماً». أومأت سونجا برأسها، وحدقت إلى الطعام في الصينية. عندما أخبرها موزاسو عن عائلة يومي، تخيلت سونجا الظروف، فالحرب والاحتلال أخلا بقيم الجميع.

«أنا متأكدة من أنها كانت شخصاً طيباً. ومتأكدة أيضاً من أنها كانت تهتم لأمرك كثيراً».

كانت سونجا مقتنعة فعلا بهذا. فقد أحبت هانسو بصدق ومن ثم أحبت أيزاك. لكن ما شعرت به تجاه ولديها نوا وموزاسو كان أكثر من الحب الذي شعرت به تجاه هذين الرجلين.. فحبها لولديها كان أشبه بالحياة والموت.

بعد أن غادر نوا، شعرت وكأنها نصف ميتة. لم تشك لبرهة أن كل أم كانت لتشعر بما تشعر به لو كانت مكانها.

«أمي لم تكن شخصاً طيباً. فهي كانت تضربنا دائماً. كانت تهتم بكسب المال أكثر من أي شيء آخر. بعد أن مات شقيقي، هربنا أنا وأختي، ولو لم نهرب لكانت أجبرتنا على العمل معها. لم تقل لي كلمة طيبة في حياتها». هذا ما قالته يومي ولم تكن قد أخبرت به أحداً من قبل.

«أخبرني موزاسو أن شقيقتك قد توفيت».

أومأت يومي برأسها. فبعد أن غادرت وشقيقتها المنزل وجدتا ملجأ في مشغل مهجور للخياطة. في الشتاء، مرضت كلتاهما وأصيبتا بالحمى الشديدة، وإثر ذلك توفيت شقيقتها أثناء نومها. نامت يومي بالقرب من جثة شقيقتها الهامدة منتظرة أن تموت وترافقها.

نقلت سونجا مكان جلوسها ودنت منها قائلة: «يا صغيرتي، كم عانيت».

لم تلد يومي طفلة. بل أنجبت طفلاً كبير الحجم يزن ما يقارب التسعة باوندات، حتى إنه كان أضخم من تصورات الطبيب له. أسمياه سولومون. استغرقت عملية الولادة أكثر من ثلاثين ساعة، واضطر الطبيب إلى أن يستعين بزميل له ليساعده أثناء الليل. كان الطفل قوياً وبصحة جيدة. في غضون شهر تقريباً، تعافت يومي كلياً، وعادت إلى ورشتها. في عيد ميلاده الأول أمسك سولومون بورقة نقدية غاضاً النظر عن فرشاة للتلوين والحبال والكعك. وكان هذا دليل على أنه سيقود حياة غنية.

3

يوكوهاما، نوفمبر 1968

عندما أتى مدير الطابق الذي يعمل فيه موزاسو ليخبره أن الشرطة بانتظاره في المكتب، ظن أنهم هناك من أجل طلب رخصة إحدى آلات الـباتشينكو. فكان هذا أمراً دورياً. عندما دخل إلى مكتبه عرف شرطيي تلك الدورية، ودعاهما للجلوس، لكنهما بقيا واقفين واكتفيا بالانحناء تحية دون النطق بكلمة في البداية. مدير الطابق، الذي بقي واقفاً عند الباب لم يستطع النظر إليه؛ ولانشغال باله لم ينتبه أن وجه المدير كان جاداً جداً.

قال القصير من الشرطيين: «إن عائلتك في المستشفى في هذه اللحظة، ونحن قد أتينا لنأخذك إلى هناك. كان القائد سيأتي بنفسه،... لكن».

«ماذا؟» قام موزاسو مسرعاً وتوجه إلى الباب.

«صدمت سيارة أجرة زوجتك وابنك هذا الصباح أمام مدرسة ابنك بالحي رقم واحد. كان السائق ثملاً وقد غفا أثناء القيادة».

«هل هما بخير؟».

كُسر كاحل ابنك وعدا عن ذلك فهو بخير».

«وزوجتي؟».

«توفيت وهي في سيارة الإسعاف قبل الوصول إلى المستشفى». ركض موزاسو خارج مكتبه دون أن يأخذ معه معطفه.

* * *

أقيمت الجنازة في أوساكا. ظل موزاسو يتذكر أجزاء منها وكان قد نسي بعضها الآخر. ظل طوال فترة التعزية ممسكاً بيد سولومون الصغيرة خائفاً أن يختفي إن تركه. وقف الصبي ذو الأعوام الثلاثة والنصف مستنداً على عكازيه مصراً على

أن يتقبل التعازي من كل شخص أتى ليعزي بوالدته. وبعد ساعة من الوقوف المتواصل وافق على الجلوس لكنه بقي بالقرب من والده. عدة شهود قالوا إن يومي كانت قد دفعت ابنها إلى الرصيف عندما فُقدت السيطرة على السيارة. أثناء التعزية، قال صديق طفولة موزاسو، هاروكي توتوياما، أنه لا بد وأن يومي كانت سريعة البديهة لتتصرف بتلك الحكمة في لحظة مربكة كتلك.

حضر مئات المعزين منهم من معارف موزاسو في عمله وكثيرون من كنيسة والده التي كانت والدته وكيونغي لا تزلان تقصدانها للتعبد والصلاة.

بذل موزاسو ما بوسعه ليرحب بالجميع، لكنه بالكاد كان قادراً على التكلم. بدا الأمر وكأنه نسي اللغتين الكورية واليابانية. لم يرد أن يستمر بالحياة من دون يومي، لكن لم يكن هذا شيء يمكن أن يصرح به أو يتكلم عنه. كانت حبيبته وصديقته الحكيمة، لن يجد لها بديلاً. وشعر أنه لم يكن من العدل أنه لم يخبرها بهذا يوماً. كان يتوقع حياة طويلة معها وليس فقط بضعة أعوام. لمن سيحكي إذا ما قام أحد الزبائن بشيء مضحك؟ لمن سيحكي أنه فخور جداً بولده الواقف على عكازيه يتقبل التعازي مثل الرجال وأنه كان أشجع من أي شخص في تلك الحضرة؟ عندما بكى الحاضرون على مشهد ذلك الصبي ببذلته السوداء الصغيرة، كان سولومون يقول «لا تبكوا». كان قد هدّأ من روع امرأة تجهش بالبكاء قائلاً: «أمي في كاليفورنيا». عندما احتارت تلك المرأة، لم يشرح لا موزاسو ولا سولومون ماذا كان ذلك يعني.

لم يكن قد أخذها إلى هناك، لكنهما ذات يوم خططا للذهاب. بالقليل من الصعوبات كان من الممكن أن يحصلا على جواز السفر، لكنهما لم يكلفا نفسيهما عناء الأمر. لم يكن معظم الكوريين الموجودين في اليابان قادرين على السفر. فإذا أردت جواز سفر يابانياً، والذي سيتيح لك بأن تدخل وتخرج إلى كوريا من دون متاعب، عليك أن تنال الجنسية اليابانية، وكان هذا شبه مستحيل بالإضافة إلى أنه لم يعرف أحداً قام بذلك من قبل. عدا عن ذلك، إذا أردت أن تسافر يمكنك أن تحصل على جواز سفر كوري جنوبي عن طريق ميندان، لكن كانت قلة قليلة من الذين أرادوا أن ينسبوا إلى جمهورية كوريا الجنوبية المستنزفة التي يحكمها حاكم

ديكتاتوري. لم يكن الكوريون الذين ينتمون إلى كوريا الجنوبية يستطيعون الذهاب إلى أي مكان. بالرغم من أن السفر إلى كوريا الشمالية كان مسموحاً به لبعضهم.

بالرغم من أن كل من عاد إلى كوريا الشمالية كان يعاني، كان عدد الكوريين الشماليين أكثر من الجنوبيين في اليابان. فقد كانت حكومة كوريا الجنوبية ترسل إليهم المال من أجل المدارس والجامعات. هذا ما يقوله الجميع. لكن لم يكن موزاسو يستطيع مغادرة البلاد التي ولد فيها. والى أين سيذهب بجميع الأحوال؟ لم تكن اليابان تريدهم. وإن يكن! كانت صورها تملأ رأسه، حتى أثناء تحدث المعزين إليه كل ما استطاع سماعه كان صوتها وهي تتدرب على الجمل الإنكليزية من كتبها. على قدر ما كان ينطق بالجمل التي تقطع أبواب احتمالات الهجرة إلى أميركا، لم تكن يومي قد فقدت الأمل يوماً في أنها ستعيش في كاليفورنيا. ومؤخراً كانت قد بدأت تقترح نيويورك.

«موزاسو، ألا تظن أن العيش في نيويورك أو سان فرانسيسكو سيكون رائعاً؟». هذا ما كانت تسأله دائماً، ولم يكن عليه سوى أن يقول إنه لا يستطيع الاختيار بين ساحلين.

«لن يهتم أحد هناك بأننا لسنا يابانيين».

كانت تقول باللغة الإنكليزية: مرحباً، اسمي يومي بايك، وهذا ابني سولومون، ويبلغ من العمر ثلاث سنوات ونصف. كيف حالك؟

في إحدى المرات سأل سولومون ماهي كاليفورنيا فأجابته: «إنها الجنة».

بعد أن غادر معظم المعزين، جلس موزاسو وسولومون في آخر صالة التعزية.

ربّت موزاسو على ظهر ولده وانحنى الفتى ليتكئ على ذراع والده اليمنى.

قال موزاسو باللغة اليابانية: «إنك ولد صالح».

«وأنت أب طيب».

«هل تريد أن تأكل شيئاً؟».

هز سولومون رأسه ونظر إلى الأعلى ليرى شخصاً كبيراً في السن يقترب منهما.

«هل أنت بخير يا موزاسو؟» سأله الرجل باللغة الكورية. كان رجولي الهيئة

في الستينات من عمره أو في أوائل السبعينات، ويرتدي بذلة باهظة الثمن بطية صدر ضيقة وربطة عنق سوداء.

كان وجهه مألوفاً لكن لم يتذكره موزاسو بالضبط. لم يكن قادراً على أن يرد عليه. ولكي لا يكون وقحاً اكتفى بالابتسام لكنه أراد أن يُترك بحاله. لعله كان زبوناً أو موظفاً في المصرف. لم يكن موزاسو قادراً على التفكير في ذلك الوقت.

«إنني كو هانسو. هل ظهرت عليّ علامات الكبر لهذه الدرجة؟» ابتسم هانسو وتابع: «وجهك لم يتغير بالطبع، لكنك أصبحت رجلاً الآن. هل هذا ولدك؟» مسد هانسو رأس الصبي. طوال اليوم ربت الجميع تقريباً على رأس سولومون ذي الشعر الكستنائي اللماع.

هبّ موزاسو من مقعده وقال: «بالطبع أعرف من أنت. لقد مر وقت طويل. أمي تبحث عنك منذ مدة، لكنها لم تستطع الوصول إليك. كانت تريد أن تسألك إذا كنت تعرف مكان نوا. فقد اختفى».

«لقد مر وقت طويل». قال هانسو مصافحاً. «هل سمعت شيئاً عن نوا؟».

«كلا ونعم في الوقت نفسه. يرسل لوالدته المال شهرياً لكنه لا يخبرنا بمكانه. في الواقع هو يرسل كثيراً من المال، لذا لا أظن أن وضعه سيئ. أتمنى لو نعرف أين هو...».

أومأ هانسو برأسه وقال: «أرسل لي المال أيضاً. من أجل أن يرد لي الجميل. أردت أن أعيده لكن هذا مستحيل. فكرت في أن أعطي المال لوالدتك لتبقيه معها من أجله».

سأل موزاسو: «هل تقيم في أوساكا؟».

«لا. أنا أعيش في طوكيو الآن. أعيش بالقرب من بناتي».

أومأ موزاسو برأسه. شعر بالوهن فجأة وأراد أن يجلس مجدداً. عندما ظهر سائق هانسو، وعد هانسو أن يتصل به في يوم لاحق.

«سيدي، أعتذر على إزعاجك، لكن هناك مشكلة صغيرة في الخارج. تقول الصبية إنها حالة طارئة».

أومأ هانسو برأسه ومشى خارج المبنى مع سائقه.

عندما اقترب هانسو من السيارة أومأت إليه فتاته الجديدة من الداخل.

صفقت الجميلة ذات الشعر الطويل بيديها عندما رأته يفتح الباب. لمع طلاء أظفارها الوردي على أطراف أصابعها.

«أتى 'عمو'». صرخت بفرح.

سأل هانسو: «ما الأمر؟ كنت مشغولاً».

أجابت: «لا شيء، كنت ضجرة واشتقت إلى عمو. خذني لنتسوق رجاء. لقد انتظرتك وقتاً طويلاً، لذا عد إلى السيارة. السائق مسل جداً على فكرة. أخبرني أصدقائي من جينزا أن هناك مجموعة حقائب جميلة قد وصلت هذا الأسبوع».

أغلق هانسو باب السيارة. ابتلع زجاج النافذة المضاد للرصاص ضوء النهار. أنارت الأضواء الداخلية لسيارة المرسيدس وجه نيروكو البيضوي.

«أرسلت بطلبي لتخبريني أنك تريدين أن تتسوقي؟».

«أجل يا 'عمو'». أجابت بلطافة بالغة ومدت كفيها الجميلين إلى حضنه وكأنهما مخالب قطة صغيرة.

كان زبائنها الأغنياء يحبون تمثيلية ابنة الأخ النكدية الطبع. أراد الرجال أن يبتاعوا للفتيات أشياء جميلة. وإذا أراد 'عمو' أن ينزع لها سروالها الداخلي القطني الأبيض يجب عليه أولاً أن يشتري ما يحلو لها من الأشياء الثمينة من فرنسا لأشهر عديدة. كان كو هانسو أهم زبون للحانة التي تعمل فيها نوريكو. كانت قوادة عمل نوكيرو الـماما سان) قد وعدتها أن كو هانسو يحب أن يدلل فتياته الجديدات. كان هذا موعدهما الثاني، وفي أول موعد بينهما كان قد اشترى لها حقيبة كريستيان ديور قبل الغداء. نوريكو ابنة الثمانية عشر عاماً، مشاركة سابقة في مسابقات الجمال، لم تكن معتادة على أن تبقى منتظرة في السيارة. كانت قد ارتدت أغلى فساتينها، فستاناً حريرياً وردي اللون، وانتعلت حذاء عالي الكعب باللون نفسه ووضعت عقداً من اللؤلؤ الحقيقي كانت قد استعارته من الماما سان.

سألها: «هل درست في المدرسة الثانوية؟».

أجابته مبتسمة: «لا يا 'عمو'. فأنا لم أكن جيدة في المدرسة».

«بالطبع بالطبع، فأنت غبية وأنا لا أحتمل الغبيات».

ضرب هانسو وجه الفتاة بقوة لدرجة أن الدماء تدفقت من فمها الوردي الصغير.

«عمو، عمو!» قالت بينما كانت تضرب قبضته الثخينة.

ضربها مرة أخرى وأخرى وضرب رأسها على الأضواء الجانبية في السيارة إلى أن اختفى صوتها. غطى الدم وجهها وجزءاً من فستانها التفاحي. نُثرت نقاط الدم الصغيرة على حبات اللؤلؤ. كان السائق جالساً من دون أن يأتي بحركة واحدة إلى أن انتهى هانسو.

«خذني إلى المكتب، ومن ثم أعدها إلى الماما سان، وأخبرها أنه لا يهمني مدى جمال الفتاة، فأنا لا أحتمل الفتاة التي لا تمتلك عقلاً. كنت في عزاء، ولن أعود إلى الحانة إلى أن يختفي هذا الشيء الغبي عن ناظري».

«أنا آسف يا سيدي فقد قالت إنها حالة طارئة. وإن عليها أن تكلمك وإلا بدأت بالصراخ. لم أعلم ماذا أفعل».

«لا تُعطى بائعة الهوى الأفضلية على العزاء، أبداً. إذا كانت مريضة خذها إلى المستشفى، وعدا عن ذلك فلتصرخ لتشبع. وماذا سيحدث إذا صرختْ أيها الأبله؟».

كانت الفتاة لا تزال على قيد الحياة، ملتوية في زاوية المقعد الخلفي الواسع نصف واعية مثل الفراشة المسحوقة.

بدا السائق مرعوباً لأنه لا يزال هناك احتمال بأن يُعاقب. ما كان عليه أن يلبي طلب فتاة صغيرة من الحانة وأن يصغي إلى قصصها. أحد الذين يعرفهم ويسلمهم مسؤولية أمنه، فقد جزءاً من بنصره أثناء التدريب لأنه أخفق في صف أحذية الضيوف أمام شقة كو هانسو.

«أنا آسف يا سيدي. حقاً آسف. أرجوك سامحني».

«اخرس وتوجه إلى المكتب». أغمض هانسو عينيه وأرجع رأسه إلى الخلف متكئاً على مسند الرأس الجلدي. بعد أن أوصل السائق هانسو، أخذ نوريكو إلى الحانة حيث تعمل. أخذتها الماما سان مرعوبة إلى المستشفى. وحتى بعد أن أنهى الجراحون عملهم لم يعد أنف الفتاة كما كان سابقاً. أُفسدت نوريكو إلى الأبد. لم

تكن الماما سان تستطيع تحمل نفقاتها لذا أرسلتها إلى أحد نزل التوروك حيث سيتوجب عليها أن تغسل الرجال العراة إلى أن تصبح كبيرة على هذا العمل. فسيفي نهداها ومؤخرتها بالغرض لستة أعوام أخرى، ومن ثم سيتعين عليها إيجاد عمل آخر.

كانت سونجا توصل حفيدها إلى المدرسة ستة أيام في الأسبوع وتعود لتأخذه. ارتاد سولومون مدرسة ابتدائية دولية لا يُنطق بها بغير اللغة الإنكليزية. كان يتحدث الإنكليزية في المدرسة واليابانية في المنزل. حدثته سونجا بالكورية ولكنه كان يجيبها باليابانية مع الاستعانة ببعض الكلمات الكورية. كان ولداً مرحاً يريد أن يسعد المعلمات وكبار السن. أينما ذهب، كانت تلاحقه سيرة وفاة والدته محيطة إياه بهالة من الأمن؛ فكانت المعلمات وأمهات رفاقه يهتممن به أكثر من غيره لهذا السبب. كان سولومون متأكداً من أن والدته في الجنة، وهو مؤمن بأنها تراقبه دائماً. كانت تزوره في أحلامه، وقال إنها أخبرته أنها اشتاقت لضمّه إلى حضنها.

في المساء، كانت الجدة والأب والابن يجلسون معاً على العشاء، حتى لو كان على موزاسو العودة إلى العمل بعد تناوله الطعام مباشرة. جاء صديق موزاسو، هاروكي توتوياما، مرتين من أوساكا لزيارته ومرة ذهبوا إلى أوساكا لزيارة العائلة لأن العم يوسب كان أوهن من أن يسافر.

كان يوم مدرسي آخر قد مضى، وكانت سونجا تنتظر بصبر خارجَ المدرسة مع مربيات الأطفال الفليبينيات اللطيفات والأمهات الغربيات اللواتي كن ينتظرن اصطحاب أطفالهن. لم تستطع سونجا التكلم معهن لكنها كانت تبتسم وتومئ لهن. وكالعادة، كان سولومون من أوائل الذين يخرجون من الباب. صاح مودعاً معلماته، ثم ركض إلى الخارج ليحضن جدته قبل أن ينضم إلى باقي الصبية عند متجر الحلويات عند الزاوية. حاولت سونجا أن تماشي سرعته. لم تكن على دراية بهانسو الذي كان يراقبها من داخل سيارته.

كانت سونجا ترتدي معطفاً صوفياً أسود اللون، لم يكن هناك شيء باهظ الثمن أو مبهرج في مظهرها. بدا لباسها وكأنها ابتاعته من المتاجر وليس على

مقاسها. وبدت علامات تقدم العمر عليها بوضوح، وشعر هانسو بالأسى لحالها. لقد بدت أكبر بكثير من عمرها الذي يقارب الخمسين، في صباها كانت فتاة ذكية وممشوقة القوام وجذابة جداً، لقد أثارته ذكرى حيويتها ونشاطها. سنوات من التعرض للشمس جعلت بشرة وجهها غامقة، وتركت بقعاً بنية على يديها. تذكر هانسو نهديها الكبيرين وحلمتيها ورديتي اللون. لم يكونا قد قضيا أكثر من بضع ساعات سوية وكان حلمه الدائم أن يمارس معها الجنس أكثر من مرة خلال اليوم. تجاربه مع النساء والفتيات أكثر من أن يحصيها، لكن براءتها كانت تثيره أكثر من بائعات الهوى اللواتي كن مستعدات لفعل أي شيء.

لقد حافظت عيناها الجميلتان على لمعانهما القديم، فبدتا كأحجار النهر عندما تعكس الضوء، أحب بشغف حالة الرجل الكبير الذي كانه؛ وقد أحب هذا الرجل فتاة صغيرة وهو يتوق إلى أن تعيد له بشبابها وحيويتها شبابه، أحبها بنوع من الامتنان، وأدرك أنه لم يحب أنثى مثلها، لم تعد جذابة، ولكنها لا تزال تثيره، وكلما تذكر علاقتهما في الغابة أثير، ولو كان وحيداً في السيارة لما توانى عن الاستمناء، كان يفكر بها مرات ومرات طوال اليوم. ويتساءل ماذا تفعل الآن؟ هل هي بخير؟ هل تفكر فيه؟ لقد شغلت باله كما شغله نوا. عندما علم هانسو أنها كانت تبحث عنه لتعرف مكان نوا، لم يتصل بها لأنه لم تكن لديه أخبار. لم يستطع تخيل أنه سبب حزنها. كان قد استعان بجميع مصادره ليحدد مكان نوا، لكن جهوده ذهبت أدراج الرياح. لم يترك نوا أثراً خلفه، ولو أنه لم يبحث في قوائم الجثث بشكل دوري كان ليظن أنه مات. علم أثناء العزاء أن نوا يرسل المال إلى والدته. بعث هذا الخبر الإطمئنان في نفسه فهو يعيش في مكان ما من اليابان، لم يخطط هانسو لإيجاد نوا أولاً ثم يكلم سونجا، لكن موت يومي ذكره أن الوقت ليس دوماً في صالحه. في الشهر الماضي شخّص الطبيب إصابته بسرطان البروستات.

بينما كانت سونجا تعبر بالقرب من سيارته، أنزل هانسو زجاج النافذة وقال: «سونجا، سونجا!».

شهقت متفاجئة.

قال هانسو للسائق أن ينتظر، ثم فتح باب السيارة وترجل منها.

«انظري، وصلت إلى عزاء يومي متأخراً. قال موزاسو أنك رحلت. إنك تسكنين معه الآن صحيح؟».

وقفت سونجا على الرصيف وحدقت إليه. لم يكن التقدم بالعمر قد ترك أثره عليه. هل حقاً مرت إحدى عشرة سنة منذ آخر مرة رأته فيها؟ عندما ذهبت ونوا إلى مكتبه، يوم تناولوا العشاء الفاخر احتفاء بقبول نوا في جامعة واسيدا. كان قد مر على غياب نوا ستة أعوام. نظرت سونجا باتجاه حفيدها الذي كان يركض نحو المتجر مع باقي الأولاد ليطلعوا على المجلات المصورة وليقرروا أياً من الحلويات سيبتاعون. مشت سونجا نحو سولومون دون أن تنطق بكلمة واحدة. كان موزاسو قد ذكر أن هانسو قد أتى إلى العزاء وأنه عندما سأل عن نوا لم يقل شيئاً.

«أيمكنك التوقف للحظة والتكلم معي؟ الولد بخير فهو في المتجر. يمكنك رؤيته عبر الزجاج».

«لقد توسلت إلى زوجتك لتقول لك إنني كنت أبحث عنك. أنا متأكدة من أن البستاني قد أوصل إليك رسالتي إذا لم تكن زوجتك قد فعلت ذلك. منذ أن عرفتك، فعلت كل ما بوسعي لئلا أكون عبئاً عليك. لم أطلب منك شيئاً. وها قد مرت ست سنوات منذ أن ذهبت إلى منزلك. ست سنوات».

فتح هانسو فمه ليتكلم لكن سونجا تابعت: «هل تعلم أين هو؟».

«لا».

مشت سونجا نحو متجر الحلوى.

لمس هانسو ذراعها لكن سونجا أبعدتها بقوة بكفها موقفة إياه لبرهة. ركض السائق والحارس الشخصي اللذان كانا واقفين بالقرب من السيارة نحوه لكنه أشار لهما أن يبقيا بعيدين.

قال لهما من بعيد: «أنا بخير».

قالت له: «عد إلى سيارتك. عد إلى حياتك المختلة».

«سونجا».

«لماذا أنت هنا الآن؟ ألا يمكنك أن ترى أنك دمرت حياتي؟ لم لا تدعني

وشأني؟ لقد ضاع نوا مني. لم يعد هناك ما يربطنا».

رمشت بعينيها المليئتين بالدموع ولمعتا كالمصباح. لمع وجهها الفتي من خلال وجهها القديم.

«أتسمحين لي أن أوصلك إلى المنزل؟ أو ربما يمكننا أن نحتسي فنجاناً من القهوة؟ فأنا بحاجة لأتحدث إليك».

نظرت سونجا إلى قطعتي الإسمنت تحت قدميها غير قادرة على إيقاف دموعها.

«أريد ولدي. ما الذي فعلته به؟».

«لم أفعل شيئاً أستحق أن أُلام بشأنه، كل ما سعيت إليه أن أرسله إلى الجامعة».

أومأت سونجا برأسها وقالت: «كان خطأي أنني عرّفته إليك، إنك شخص أناني وتأخذ ما يحلو لك أياً تكن العواقب، يا ليتني لم أعرفك يوماً».

استمر الناس بالتحديق إلى أن رمقهم هانسو بإحدى نظراته مجبراً إياهم على أن يكفوا النظر.

«أنت الأسوأ على الإطلاق، لا تكل ولا تمل قبل أن تنال مبتغاك».

«سونجا... أنا مريض».

4

جلس سولومون محتضناً نسخته من تيتسوان أتومو وألتراماان بهدوء بين سونجا وهانسو في المقعد الخلفي للسيارة.

سأله هانسو: «كم عمرك الآن؟».

رفع سولومون ثلاثة أصابع.

«وهل ستقرأ هذين الكتابين الآن؟» سأل هانسو مشيراً إلى كتابيه المصورين. «هل تستطيع القراءة؟».

هز سولومون برأسه وقال: «سأنتظر إلى أن يعود توتو هذه الليلة لكي يقرأ لي». فتح حقيبته الحمراء ووضع كتابيه فيها.

سأل هانسو: «من هو توتو؟».

«إنه صديق والدي منذ الطفولة. إنه شرطي ياباني حقيقي، يقبض على المجرمين واللصوص. أنا أعرفه منذ أن وُلدت».

سأل هانسو مبتسماً: «حقاً؟ طوال الوقت؟». أومأ الصبي بحماس.

سأل سولومون: «ماذا ستعدين لعشاء توتو؟».

أجابت سونجا: «سمك جيون ودجاج يوريم».

كان هاروكي توتوياما سيصل في المساء ليبقى خلال عطلة الأسبوع، وكانت قد خططت مسبقاً لجميع الوجبات.

«لكن توتو يحب البولغوغي. إنها وجبته المفضلة».

«يمكنني أن أعد هذا مساء الغد. فهو باق إلى مساء يوم الأحد».

بدا سولومون قلقاً.

قال هانسو الذي كان يراقب سولومون عن كثب: «أنا أحب دجاج يوريم. فهذا طبق يمكنك أن تحصل عليه فقط في منزل جميل. فأي أحد يمكنه أن يتناول طبق البولغوغي في المطعم لكن جدتك الوحيدة التي يمكنها أن...».

«هل تريد أن تقابل توتو أنت أيضاً؟ فهو صديقي الكبير المفضل». هزت سونجا برأسها رافضة لكن هانسو تجاهلها.

«أنا أعرف والدك منذ أن كان صبياً في عمرك. يشرفني أن أتناول العشاء معكم. شكراً لك يا سولومون».

عند الباب، خلعت سونجا معطفها وساعدت سولومون في خلع معطفه. ركض الصبي إلى غرفة المعيشة رافعاً يده اليمنى إلى الأعلى بينما كانت اليسرى ملتصقة بجذعه، ليشاهد تيتسوان أتومو. تبع هانسو سونجا إلى المطبخ.

سكبت رقائق الروبيان في سلة صغيرة وجلبت علبة اللبن من الثلاجة ووضعتهما في صينية دائرية.

نادت: «يا سولومون».

أتى الصبي إلى المطبخ ليأخذ الصينية وحملها بحذر إلى غرفة المعيشة ليتابع برامجه.

جلس هانسو بالقرب من الطاولة الغربية التصميم وقال: «إنه منزل جميل».

لم تجب سونجا.

كان منزلاً من ثلاث غرف نوم في قسم الغربيين من يوكوهاما. وبالطبع كان هانسو قد مر بالقرب منه من قبل، ورأى المظهر الخارجي لكل بناء قطنت فيه. ما عدا المزرعة في فترة الحرب، كان هذا أول منزل يدخله. كان داخله يشبه داخل المنازل في الأفلام الأمريكية؛ من الأرائك المنجدة إلى طاولات الطعام الخشبية والثريات الكريستالية والكراسي الجلدية. خمّن هانسو أنهم ينامون على أسرة وليس على الأرض على فرش الفوتون. لم يكن هناك أشياء قديمة في المنزل... لا أثر لأي شيء من كوريا أو من اليابان. كان المطبخ الفسيح يطل على حديقة الجيران.

لم تكلمه سونجا ولكنها في الوقت نفسه لم تبدُ غاضبة. كانت تدير ظهرها إليه وتنظر إلى الفرن، لم يستطع هانسو تبين شكل جسدها الحالي من السترة البنية الفاتحة والسروال الصوفي البني الغامق. في أول مرة لاحظها فيها، كان قد لاحظ صدرها تحت الكنزة الكورية التقليدية. كان يفضل الفتاة كبيرة الصدر

وممتلئة المؤخرة. لم يكن قد رآها عارية تماماً من قبل، فعندما مارسا الجنس في الهواء الطلق كانت دوما ترتدي الشيما. لم تكن زوجته ذات الجمال الذائع الصيت تملك لا ثديين كبيرين ولا ردفين كبيرين، وخشي مضاجعتها لأنها لم تكن تحب أن تلمس، لقد فرضت عليه الاستحمام قبل النوم وما أن ينتهيا من ممارسة الجنس كانت تستحم طويلاً أياً كان الوقت. بعد أن أنجبت ثلاث فتيات، تخلت عن محاولة إنجاب صبي. حتى أن حماه، الذي كان يحبه هانسو، لم يقل شيئاً عن عشيقاته.

لقد أدرك كم كان أبله لأنه لم يتخذها زوجة له في كوريا، فما الضير إن كان متزوجاً في اليابان. لو تزوجا لكان اعتنى بها وبنوا، وربما أنجبا مزيداً من الأطفال، وما كانت لتعمل في السوق أو في مطبخ المطعم، ولكنه بالرغم من حمقه إلا أنه يعرف أنها تستحق الاحترام، فهي لم تقبل منه المال الذي كان مستعداً ليغدقه عليها عن طيب خاطر، وهذا ما يميزها عن فتيات هذه الأيام والأيام الخوالي.

في مطبخها استمتع هانسو باسترجاع الذكريات، بينما كانت سونجا تتلظى بنار الأسى لرؤيته جالساً إلى طاولة فطورها. منذ اللحظة الأولى التي التقته فيها شعرت بحضوره حولها طوال الوقت. كان عبارة عن ذكرى دائمة غير مرغوب فيها. وبعد أن اختفى نوا بدت مسكونة بذكرى الأب والابن.

كان هانسو في مطبخها منتظراً اهتمامها بصبر. سيبقى لتناول العشاء، طوال السنوات الماضية لم يتناولا وجبة واحدة معاً فتساءلت لماذا أتى؟ متى سيرحل؟ فمن عادته الظهور والاختفاء فجأة في الوقت الذي غلت فيه سونجا الماء لأجل الشاي، فكرت أنها عندما ستستدير سيكون قد رحل ولكن السؤال ماذا بعد؟

فتحت سونجا علبة زرقاء من الكعك المستورد، ووضعت بعضها منه في الطبق، وملأت إبريق الشاي بالماء الساخن، ووضعت فيه كمية من أوراق الشاي، سهل عليها تذكر تلك الأوقات التي لم يكن لديها وقت للشاي، ولم تمتلك المال لشرائه.

قالت: «في الأول من كل شهر يرسل لي نوا المال ورسالة قصيرة يقول فيها

إنه بخير. والختم البريدي يتغير على الدوام».

«لقد بحثت عنه، من الواضح أنه لا يريد أن يقتفى أثره، لم أكف عن البحث عنه، إنه ولدي يا سونجا».

كان هانسو قد قال منذ بعض الوقت: لم أفعل شيئاً أستحق أن أُلام بشأنه.

سكبت له الشاي واستأذنت خارجة. أحزنها انعكاسها الذي رأته في المرآة. كانت في الثانية والخمسين من العمر.

كيونغي، زوجة شقيق زوجها أصرت على ارتداء القفازات واعتمار قبعة لتحمي نفسها من بقع الشمس وخطوطها، تبدو كيونغي أصغر منها سناً بالرغم من أن كيونغي أكبر منها بأربعة عشر عاماً. لمست سونجا شعرها الأشيب القصير. لم تكن يوماً جميلة، وبالأخص الآن، لم تكن تعتقد أن رجلاً قد يرغب فيها. فكان هذا الجزء من حياتها قد انتهى مع والد موزاسو. كانت ملامحها بسيطة ومليئة بالتجاعيد؛ كان خصرها ثخيناً وكذلك وركاها. وكان وجهها يدل على أنها امرأة مجتهدة كما تدل يداها. ومهما كان لديها من المال في حقيبتها حالياً، لن يكون هناك شيء ليحيلها إلى امرأة مرغوب فيها. منذ وقت طويل، أرادت هانسو أكثر من حياتها نفسها. حتى عندما انفصلت عنه، أرادته أن يعود إليها ويحبها ويبقيها معه.

هانسو في السبعين من العمر، لكنه لم يكن قد تغير إلا قليلاً، وكان هذا التغيير تحسناً في ملامحه. لا يزال يشذب أطراف شعره بدقة ويمسده بالزيوت المعطرة؛ وببذلته الصوفية وحذائه المصنع يدوياً، بدا هانسو رجلاً مهماً وفي غاية الوسامة. لم يكن أحد ليفرّقه عن زعيم إحدى عصابات الياكوزا. لم ترغب سونجا بمغادرة الحمام. قبل أن تغادر المنزل، لم تتكبد عناء النظر إلى المرآة. لم تكن بشعة أو ذات هيئة مخجلة، لكنها وصلت إلى مرحلة من حياتها كامرأة حيث لا يلاحظ أحد دخولها أو خروجها من الغرفة.

فتحت سونجا الصنبور وغسلت وجهها. بالرغم من كل شيء، أرادته أن يميل إليها قليلاً، لقد أحرجتها رغبتها هذه. مر في حياتها رجلان وكان هذا أفضل من لا أحد؛ وكان أكثر من كافٍ، على حد افتراضها. جففت سونجا وجهها بالمنشفة وأطفأت الضوء.

كان هانسو في المطبخ يتناول البسكويت: «هل أنت مرتاحة بإقامتك هنا؟».
أومأت برأسها بالإيجاب.
«الصبي حسن التصرف».
«يتفقده موزاسو طوال الوقت».
«متى سيأتي؟».
«قريباً. يستحسن أن أبدأ بإعداد العشاء».
«هل أستطيع مساعدتك؟» تظاهر هانسو بأنه يخلع سترته. ضحكت سونجا.
قال: «وأخيراً. اعتقدت أنك نسيت كيف تبتسمين». ضحك كلاهما.
سألت: «هل أنت حقاً مريض؟».
«إنه سرطان البروستات. لدي أفضل الأطباء ولا أظن أنني قد أموت بسببه. على الأقل لن أموت عما قريب».
«كنت تكذب إذاً».
«لا يا سونجا، كلنا سنموت في النهاية».
شعرت بالغضب لأنه يكذب، لكنها كانت ممتنة في الوقت عينه. فسونجا تحبه ولم تكن لتحتمل فكرة أن يكون خارج حياتها نهائياً.
غرق سولومون في السعادة عندما فُتح الباب. رفع كميّ سترته بسرعة وأومأ بيده اليسرى شكل المسدس، وأسندها على يده اليمنى وبدأ بإصدار أصوات التشويش التي تدل على الحزم الليزرية التي تخرج من يده اليسرى ووقف بوضعية شرسة.
سقط هاروكي على الأرض وتأوّه ومن ثم قلّد صوت الانفجار.
صرخ سولومون بينما يقفز على هاروكي: «آآآه، لقد هُزم الوحش كايجو».
قال موزاسو لهانسو: «أهلاً بك مرة أخرى. هذا صديقي توتوياما هاروكي».
«تشرفت بالتعرف إليك».
عاد سولومون إلى وضعيته.
«ارحمني يا ألترامان. يجب على الوحش كايجو توتو أن يلقي التحية على جدتك».

قالت سونجا: «أهلاً بك».

«شكراً لك على استضافتي».

وقف سولومون بين سونجا وهاروكي وصرخ: «كايجو توتو!».

«أجل».

اشترى لي البارحة أبي لعبة ألترامان جديدة».

ادعى هاروكي الغيرة وقال: «يا لك من محظوظ!».

قال سولومون: «هيا تعالَ... سأريك إياه». وجر هاروكي الذي اندفع بحركات درامية نحو غرفة سولومون.

أبقى هانسو ملفاً عن كل شخص يدخل حياة سونجا، وبالتالي كان يعرف كل شيء حول المحقق هاروكي توتوياما والذي هو الابن البكر لخياطة تمتلك مشغلاً في أوساكا. كان له أخ مضطرب عقلياً ولم يكن لديه أب. كان هاروكي شاذاً ومخطوباً لامرأة أكبر منه سناً تعمل لدى والدته. وبالرغم من صغر سنه كان هاروكي يُقّدر تقديراً كبيراً في وحدته في الشرطة.

عندما جهزت مائدة الطعام بدت باعثة على السعادة.

سأل سولومون هاروكي: «لم لا يمكنك الانتقال إلى يوكوهاما معنا؟».

«مممم، هذا عرض مغر. فحينها سأتمكن من لعب لعبة ألترامان كل يوم. لكن والدتي سورو تشان وأخي يسكنان في أوساكا، لذا أعتقد أنه علي أن أعيش هناك أيضاً».

تنهد سولومون بحزن: «أوووه. لم أعرف أن لك أخاً. اهو أكبر منك ام أصغر؟».

«أصغر».

قال سولومون: «أود مقابلته. يمكن أن نصبح أصدقاء».

«صحيح، لكنه خجول جداً».

أومأ سولومون برأسه وقال: «إن جدتي خجولة أيضاً».

هزت سونجا برأسها وابتسم موزاسو.

قال سولومون بهدوء: «أتمنى لو أنك تستطيع الانتقال إلى هنا مع أخيك».

أومأ هاروكي برأسه. قبل أن يولد سولومون لم يكن مهتماً بالأطفال. منذ عمر صغير، جعله أخوه المعاق يأخذ على عاتقه مسؤولية الاعتناء بشخص آخر.

قال هاروكي: «حبيبتي أيومي تفضل طوكيو على أوساكا. ربما ستسعد هنا أكثر».

قال سولومون: «ربما يمكنك أن تنتقل إلى هنا بعد أن تتزوج». ضحك موزاسو. «هذا صحيح».

عدّل هانسو وضعيته.

قال هانسو عارضاً خدمة لهاروكي: «رئيس شرطة يوكوهاما صديق لي. رجاء أعلمني إذا ما أردت أن تنقل مكان عملك». سحب بطاقة له وأعطاها للشرطي الشاب، استلمها هاروكي بكلتا يديه وحنى رأسه امتناناً.

رفع موزاسو حاجبيه تعجباً.

سونجا التي كانت هادئة طوال الوقت، استمرت في مراقبة هانسو. كان من الطبيعي أن تشك بأمر مساعدته. فهانسو لم يكن شخصاً عادياً. وكان قادراً على القيام بأفعال لم تفهمها ولا تنظر إليها باهتمام.

5

ناغانو، كانون الثاني 1969

شكّلت الخزائن المكتبية والمكاتب المعدنية متاهة من دهاليز للعاملين في مكاتب كوزموس باتشينكو. كانت ريزا إيوامورا، رئيسة الأرشيف، تجلس غافلة في كرسيها الجلدي الكبير. وفقاً للمقاييس الاعتيادية كانت ريزا ملفتة للنظر بوجهها وهيئتها. لكن طبعها المتحفظ شكل سداً منيعاً تجاه أي حميمية يسعى إليها الطرف الآخر، بدت ريزا وكأنها تتعمد أن يكون وهجها خافتاً للحد من أية احتمالية أن ينجذب أحد إليها أو يتنبه إلى وجودها. كانت ترتدي قمصاناً بيض وتنانير سوداء باهظة الثمن تغطي الركبتين، وكانت تنتعل أحذية جلدية للنساء الكبيرات في السن. في الشتاء، كانت تضع إحدى سترتيها الرماديتين على كتفيها الرقيقتين، مثل الرداء. زينتها الوحيدة هي عبارة عن ساعة يد فضية تتفقدها دائماً لكن لم يبدُ أن لديها أي مكان تنتظر الذهاب إليه. في أثناء تأديتها لمهامها لم تكن ريزا بحاجة إلى كثير من الإرشاد، فلطالما توقعت احتياجات موظفيها، وكانت تلك التوقعات تصيب دائماً، وكانت تنفذ المهمات من دون أي تذكير.

طوال سبع سنوات، عاش نوا في ناغانو على أنه شخص ياباني يدعى نوبو بان. كان قد عمل باجتهاد ومواظبة لصاحب كوزموس باتشينكو وكان قد استقر في حياة بسيطة خفية.

كان موظفاً مقدّراً، لذا تركه المالك بحاله، في شهر كانون الثاني من كل سنة عندما يعطيه العلاوة كان يرفقها بمحاضرة رأس السنة التي مؤداها أنه يجب على الرجل في سنه ومنصبه أن يكون لديه عائلة؛ زوجة ومنزل وأولاد. استلم نوا منصب رئيس المكاتب التجارية منذ أن انتقل تاكانو، الرجل الذي وظفه إلى

ناغويا ليدير عدة مكاتب لكوزموس. لكن نوا استمر بالعيش في مهاجع صالات باتشينكو ويأخذ وجباته بانتظام من عمال كافتيريا الـباتشينكو. وبالرغم من أن نوا قد وفّى هانسو حقه من أجل أقساط جامعة واسيدا، استمر نوا يرسل المال إلى والدته شهرياً. فكان تقريباً لا يصرف شيئاً على نفسه إلا الحاجيات الضرورية.

بعد محاضرة رأس السنة هذه، فكر نوا مطولاً بنصيحة رئيسه. لقد لفتت ريزا انتباهه. بالرغم من أنها لم تتكلم بالأمر مسبقاً، لكن كان الجميع يعرف أنها تنحدر من عائلة من الطبقة الوسطى ولوالدها قصة محزنة. فعندما كانت ريزا في الرابعة عشرة، زوّد والدها، الذي كان طبيباً محبوباً، مريضين بأدوية غير صالحة خلال موجة الزكام، الأمر الذي أدى إلى وفاتهما. بعد تلك الحادثة بقليل، انتحر الطبيب مفقراً عائلته وواصماً سمعتها. لم تكن ريزا مرغوبة للزواج بما أن هناك حادثة انتحار في عائلتها، لأن الانتحار يشير إلى سريان أمراض عقلية في دمها. والأسوأ أن والدها كان يُرى بأنه قد فعل شيئاً مخزياً للغاية لدرجة أنه شعر بالحاجة للانتحار. لم يأت الأقارب إلى الجنازة، وقطعوا علاقتهم بـريزا ووالدتها. لم تتعافَ والدة ريزا من الصدمة، ولم تعد تخرج من المنزل ولا حتى من أجل المواعيد الضرورية. بعد أن أنهت ريزا مرحلة الدراسة الإعدادية، وظّفها تاكانو، أحد مرضى والدها السابقين، لتقوم بالأعمال المكتبية. لاحظ نوا جمال خطها على الملفات قبل أن يلاحظها هي كشخص، من المحتمل أنه وقع بحب كيفية كتابتها للرقم اثنين.

حتى لو كتبت ريزا كتابة عادية على إحدى الفواتير، كان نوا يعيد قراءة المكتوب مراراً وتكراراً وليس لما يحويه من معنى، بل لأنه كان يشعر أن للذي كتب هذه الأحرف الأنيقة والخلابة روحاً راقصة. عندما سألها نوا أن تخرج معه في موعد في إحدى ليالي الشتاء، سألته مصدومة: «حقاً؟».

كان نوبو بان سيرة على ألسنة الموظفين، لكن بعد العديد من السنين وبالقليل من التغيير في شخصيته، كانت الفتيات المهتمات به قد قطعن الأمل منه. لم تحتج ريزا لأكثر من موعدين لتقع في حب نوا، وقبل انتهاء الشتاء كانا قد تزوجا.

في ليلة عرسهما، سألته ريزا مرعوبة: «هل سأتألم؟».

«يمكنك أن تقولي لي متى أتوقف، فأنا مستعد لأن أؤذي نفسي على أن

أسبب لك أي أذى يا زوجتي».

لم يكن قد أدرك كلاهما الوحدة التي عاشها كل منهما لوقت طويل إلى أن قاطعت العاطفة الجياشة تلك الوحدة.

تركت ريزا وظيفتها عندما عرفت بحملها، وبقيت في المنزل لتربي أولادها بالكفاءة نفسها التي كانت تدير فيها ملفات باتشينكو الرابحة. في البداية أنجبت ريزا فتاتين توأم وبعد عام أنجبت صبياً وبعدها بعام آخر أنجبت فتاة أخرى.

في كل شهر كان نوا يسافر من أجل العمل لمدة يومين، وعدا عن هذين اليومين كان قد حافظ على جدول يسمح له بأن يعمل لستة أيام في الأسبوع لدى شركة كوزموس لإعالة عائلته. لم يكن يحتسي الكحول أو يذهب إلى النوادي الليلية حتى ليمتّع رجال الشرطة أو ليتسلى مع باعة آلات الباتشينكو.

كان نوا شاباً صادقاً وأنيقاً، وكان أهلاً ليتعامل مع أي تعقيد مهني من الضرائب إلى رخص الآلات. وفضلاً عن ذلك لم يكن جشعاً. كان مالك كوزموس يحترم تجنب نوا الملاهي الليلية. بطبيعة الحال، كانت ريزا ممتنة، لأنه من السهل جداً أن تغوي إحدى النادلات في إحدى الحانات بحبيبها.

كجميع الأمهات اليابانيات، تطوعت ريزا في مدرسة أولادها، وفعلت ما بوسعها لتتأكد من أن أولادها بخير وأمان. حال عدد أولادها الصغار من التعامل مع الأشخاص خارج دائرة عائلتها. كان انتحار والدها قد أقصاها من دائرة الطبقة الوسطى، لكنها كانت قادرة وبجدارة من أن تشكل دائرتها الخاصة.

كان زواجهما مستقراً ومرت ثمانية عشر عاماً بلمح البصر، لم يتجادلا خلالها مرة واحدة. لم يحب نوا ريزا كما أحب صديقته الجامعية، لكن كان هذا باعتقاده أمراً جيداً. أقسم أنه لن يضعف أمام شخص آخر، وبقي نوا محتوياً عائلته الجديدة بحذر.

بالرغم من تقديره لزوجته وأولاده ورؤيته فيهم فرصة ثانية، لكنه لم ير حياته كالبعث من جديد. حمل نوا قصته الكورية معه كصخرة سوداء ثقيلة بداخله. لم يمر يوم من دون أن يخاف من أن يكشف أمره، الشيء الوحيد الذي حافظ عليه من حياته قبل ناغونو هو المواظبة على قراءة رواياته المكتوبة باللغة الإنكليزية.

بعد أن تزوج، لم يعد يأكل في كافيتيريا الموظفين. فحينها سمح لنفسه أن

يتناول الطعام في مطاعم فخمة لوحده. على الغداء، كان يعيد قراءة روايات ديكنز وترولوب وغوته لمدة ثلاثين دقيقة مستذكراً شخصيات هذه القصص الرئيسية.

في أحد أيام الربيع عندما بلغ التوأم سن السابعة، ذهبت العائلة إلى قلعة ماتسوموتو في نزهة يوم الأحد. خططت ريزا لرحلة في الهواء الطلق لتفرح والدتها التي كانت معتكفة على نفسها. كانت السعادة تغمر الأطفال حين ابتاعوا المثلجات في طريق العودة.

لم تكن إيوامورا سان، أرملة الطبيب، امرأة جديرة. في الواقع كثيراً ما كانت مغلوبة على أمرها. بقيت بوجه طفولي ناعم وشاحب وشفتين حمراوين وشعر مصبوغ بالأسود. ارتدت ثوباً فضفاضاً قشدي اللون مع سترة صوفية مُدبسة الزر الأول فقط. بدت ملامح وجهها كطفلة حزينة في يوم عيد ميلادها، ومع ذلك لم تكن جاهلة. كانت زوجة طبيب، وبالرغم من أن موته دمر طموحاتها الاجتماعية، إلا انها ظلت تحلم أن تكون حياة ابنتها مزدهرة، وساءها كثيراً أنها تعمل في الباتشينكو، لكنها الآن تزوجت رجلاً يعمل في تجارة دنيئة مثبّتاً نزعتها في الحياة. في أول لقاء لها مع نوبو بان، كان لديها شك أن في ماضيه شيئاً رهيباً وما عزز من شكوكها أن لا عائلة له تعرفها، كان غريباً من دون شك. شعرت بالريبة والشك بشخصيته لكن كان هناك أيضاً شيء حزين وراء سلوكه الحسن، بحيث أن ما يقوم به يذكرها بزوجها العزيز الراحل لدرجة أن تلك الأرملة شعرت بحاجة ملحة إلى أن تعرف شيئاً عن خلفيته بما أنه لم يسبق لأحد أن عرف عنها أي شيء.

تشكّل حشد متفرق أمام ماتسوموتو جو. كان دليل سياحي مشهور على وشك أن يلقي محاضرة حول أقدم قلعة يابانية. جلب الرجل، ذو الحاجبين الأبيضين الرفيعين والحدبة الخفيفة معه مرسماً، وكان يجهز صوره كبيرة الحجم على اللوح بالإضافة إلى وسائل الإيضاح الأخرى. اندفع ابن نوا الثالث، الذي لم يكن قد تناول شيئاً سوى نصف كرة من الأرز، من مقعده نحو الدليل. في الوقت الذي كانت ريزا توضب علب الطعام الفارغة طلبت من نوا أن يبقى بالقرب من كويتشي، الصبي الصغير ذي السنوات الست والوجه المنحوت. لم يكن يخاف الغرباء وكان يتحدث إلى واحد من هؤلاء الذين احتشدوا.

ذات مرة في المتجر تحدث إلى أحد باعة الخضار، وأخبره أن والدته أقرت الأسبوع الفائت وجبة الباذنجان. لقد أحب الكبار الاستماع والتحدث إلى كويتشي.

«المعذرة، المعذرة» كان الولد يصرخ مندفعاً بين الحشود مستمعاً بانتباه إلى مقدمة الدليل عن القلعة. أفسح الناس المجال للصبي ليقف في المقدمة. ابتسم الدليل إلى كويتشي وتابع كلامه. فغر الصبي فاه من شدة الاستمتاع بالشرح، بينما وقف الأب في الخلف.

انتقل الدليل إلى الصورة التالية. كانت القلعة في الصورة باللونين الأبيض والأسود مائلة وكأنها ستنهار. شهق الحشد دهشة على غرابة الصورة الشهيرة. نظر السياح والأطفال الذين لم يسبق أن رأوها من قبل، إلى الصورة عن كثب. وقال الدليل فاتحاً عينيه اللتين تغطيهما طيات جفونه، كي يستطيع التحديق: «عندما بدأت هذه القلعة المذهلة بالميلان إلى هذا الحد، تذكر الجميع لعنة تادا كاسوكي!» هز سكان المنطقة رؤوسهم مدركين فهم يعرفون تلك المعلومة. لم يكن هناك أحد في ناغانو لا يعرف عن زعيم القرن السابع عشر الذي قاد ثورة يوكيو ضد الضرائب الجائرة والذي أُعدم مع سبعة وعشرين شخصاً آخر من ضمنهم ولداه الشابان.

سأل كويتشي: «ماذا تعني كلمة لعنة؟».

قطّب نوا حاجبيه امتعاضاً لأنه كان قد نبّه ولده ألا يطرح الأسئلة بشكل عشوائي كلما رغب في ذلك.

قال الدليل: «لعنة؟» ثم توقف صامتاً من أجل التأثير الدرامي. ثم تابع: «اللعنة هي شيء رهيب. واللعنة إذا ما أُضيفت إليها السلطة باتت أمراً فظيعاً. أعدم تادا كاسوكي ظلماً عندما كان يحاول إنقاذ الأخيار من ناس ناغانو من استغلال الذين كانوا يقطنون القلعة. وقبيل موته بلحظات، ألقى تادا كاسوكي لعنة على قبيلة ميزونو الجشعة».

تأثر الحشد بخطبته الصغيرة تلك.

أراد كويتشي أن يسأل سؤالاً آخر لكن قرصة اختيه التوأم اللتين كانتا واقفتين بالقرب منه، عند كوع يده اليمنى منعتاه من أن يطرح سؤالاً. كان على مويتشي أن يتعلم ألا يتكلم كثيراً لذا كانت ملاحقته بهذا الشأن جهداً عائلياً دائماً.

«بعد مضي ما يقارب المئتي عام على موت تادا كاسوكي، حاولت القبيلة

الحاكمة ما بوسعها لكي تُقنع روح الشهيد بإبطال اللعنة. لا بد وأن الأمر قد نجح لأن هيكل القلعة عاد واستقام مجدداً». رفع الدليل كلتا يديه بطريقة درامية نحو المبنى الموجود وراءه. ضحك الجمع أمامه.

حدّق كويتشي في الصورة الكبيرة للقلعة غير قادر على كبح نفسه وسأل: «كيف؟ كيف تبطل مفعول اللعنة؟».

داست أخته أومي على قدمه، لكن كويتشي لم يكترث.

«لتهدئ الأرواح، صرّحت القبيلة، أن تادا كاسوكي اعتبر شهيداً، وأعطي اسماً لما بعد الموت. وبنوا له تمثالاً. فلا بد للحقيقة أن تُنشر».

فتح كويتشي فمه مجدداً، لكن هذه المرة تقدم نوا وحمل ابنه بلطف، وأعاده إلى والدته التي كانت جالسة بالقرب من والدتها على المقعد. بالرغم من أنه كان يرتاد الحضانة، إلا أنه كان يحب أن يُحمل. ابتسم الحشد لذلك المشهد.

«كان هذا مشوقاً يا بابا، أليس كذلك؟».

أجاب نوا: «أجل».

عندما حمل ابنه تذكر موزاسو الذي كان يغفو بسرعة بين يديه ورأسه المدوّر متكئ على كتفه.

«هل يمكنني أن ألقي لعنة على أحد؟».

«ماذا؟ على من تريد إلقاء لعنة؟».

على أوميكو. فقد داست على قدمي عمداً».

«لم يكن تصرفاً لطيفاً منها، لكنه لا يستحق إلقاء لعنة عليها أليس كذلك؟».

«لكن يمكنني إبطال مفعول تلك اللعنة إذا أردت».

«إن الأمر ليس سهلاً كما يبدو يا كويتشي تشان. وماذا ستفعل إذا ما ألقى عليك أحدهم لعنة ما؟».

«معك حق». اقتنع كويتشي بالفكرة، ومن ثم رسم ابتسامة على وجهه، عندما رأى والدته التي تحبه أكثر من أي شخص. كانت ريزا تحيك سترة بينما تتحدث مع والدتها. كانت حقائب النزهة قابعة عند قدميها.

مشت عائلة بان حول أراضي القلعة وبدأ الأطفال يشعرون بالضجر. لذا، أخذهم نوا لتناول المثلجات كما وعدهم.

6

يوكوهاما، يوليو 1974

تزوج هاروكي من أيومي، رئيسة عمال مشغل والدته، لأن والدته أرادت هذا. وتبين أنه كان قراراً حكيماً. عندما شُخّصت والدته بسرطان المعدة ولم تعد قادرة على تدبر أمر المشغل ولا الاعتناء بأخيه دايسوكي، عرفت أيومي ماذا تفعل بالضبط. لمدة سنتين، تدبرت أيومي إدارة المشغل بمهارة واعتنت بحماتها المريضة ودايسوكي. عندما توفيت توتوياما سان بعد عناء طويل مع المرض، سأل هاروكي زوجته المرهقة ما الذي تريد فعله بمشغل والدته، وأتى جواب أيومي مفاجئاً إياه: «علينا أن نبيعه وننتقل إلى يوكوهاما. لا أريد العيش في أوساكا بعد الآن. وأنا لم أحب العمل في المشغل. كنت أقوم بالأمر فقط لأنني لم أرد أن أحزن والدتك. ليس علينا القلق بشأن المال بعد الآن. إذا كان هناك وقت فراغ فأنا أريد أن أتعلم الخبز. فدايسوكي يحب الكعك. سأبقى في المنزل وأعتني به».

لم يكن هاروكي يعرف ما الذي سيفعله، لكنه لم يستطع أن يرفض طلبها. اشترى بثمن المشغل وبمال الإرث، شقة من ثلاث غرف بالقرب من مقبرة قديمة في يوكوهاما. كان في الشقة فرن مزدوج من أجل أيومي. من اتصال إلى اتصال عن طريق موزاسو، وصل إلى رئيس الشرطة الذي عرض على هاروكي المنصب ذاته الذي كان له في أوساكا. بالطبع كان موزاسو وسولومون سعيدين جداً بانتقال هاروكي إلى يوكوهاما. لكن بالرغم من انتقال عائلة هاروكي، لم يُسمح لسولومون بزيارة منزل هاروكي أو أن يلتقي بأخيه الصغير الذي كان يهاب الأطفال.

دايسوكي في الثلاثين من العمر تقريباً، لكن عمره العقلي لم يكن أكثر من خمس أو ست سنوات. أغلب الأحيان لم يكن قادراً على الخروج من المنزل لأن الضجيج والحشود والأضواء كانت تحزنه. مرض والدته ووفاتها تركا أثراً كارثياً

عليه، لكن أيومي، العاملة القديمة لدى والدته، كانت قادرة على إبقائه هادئاً. كانت قد ابتكرت روتيناً جديداً له في منزلهم الجديد ولأنه كان هناك العديد من الأجانب في يوكوهاما، تمكنت أيومي من إيجاد مدرّسة أمريكية لذوي الاحتياجات الخاصة لتعمل معه خمسة أيام في الأسبوع. لم يكن دايسوكي قد ذهب إلى المدرسة في حياته ولم يحصل على عمل، آمنت أيومي أنه يمكن له أن يفعل أكثر من ذلك وأنه يجب أن يعرف أكثر من القليل المتوقع منه. امتن هاروكي لرعايتها تلك. لم يسعه سوى أن يعجب بقدرة زوجته على حل المشاكل، وتدبر تنفيذ العديد من الأشياء من دون أن تتذمر. أيومي أكبر من هاروكي بخمس سنوات ترعرعت في عائلة متحفظة بوذية واعتقد هاروكي أن تربيتها المتشددة تلك لها علاقة بقدرتها على التحمل. أخبرته والدته في عدة مناسبات أن أيومي تحبه بحق وهو لا يستحقها.

أخذ دايسوكي قيلولة بعد الظهر، وتناول الغداء، ومن ثم تلقى ثلاث ساعات من المدرسة المنزلية التي تضمنت دروساً وألعاباً وقصصاً من قبل معلمته الآنسة إيديث. أثناء الدرس، ذهبت أيومي إلى حمام عام، ومن ثم ذهبت لتسوق المواد الغذائية. كانت حرارة شهر تموز في يوكوهاما معتدلة أكثر مما هي في بلدتها، ولم تمانع أيومي في أن تتمشى بعد الحمام. كان غبار الشارع والرطوبة يعكران شعور النقاء الذي شعرت به بعد الحمام، لكنها تشعر بالسعادة عندما تكون وحدها. بقي نحو ساعة على مغادرة الآنسة إيديث لذا قررت أن تأخذ حماماً طبيعياً بين الأشجار، فتمشت في الحديقة القريبة من المقبرة. لم تكن الشمس قد غابت، وكان هناك بقية من اللون الأزرق في السماء. وتحت قبة أوراق الأشجار الخضر شعرت أيومي بالخفّة والنقاء والفرح. قررت أن تجلب معها بضعة أسياخ من الياكيتوري التي كان يحبها دايسوكي جداً، فكان يبيعها لزوجين كبيرين في السن يقيمان على بعد حيين من شقتها.

وبينما كانت تسير بالقرب من الأشجار الخضر سمعت ضجيجاً يصدر من الأغصان. كانت أيومي تحب العصافير منذ طفولتها، حتى الغربان السود الكبيرة التي كان يهابها معظم الأطفال، فاقتربت بحذر شديد من الأشجار الكثيفة. وبينما كانت تقترب أكثر فأكثر من الصوت، رأت رجلاً وسيماً متكئاً على جذع شجرة

كبير وعيناه مغمضتان. كان سرواله إلى الأسفل ورجل آخر أمامه راكع بينما رأسه يحوم فوق الفخذين الشاحبين للرجل الآخر. أجفلت أيومي مما رأت وتراجعت بهدوء إلى الطريق الرئيسي. لم يكن الرجلان قد رأياها. لم تكن في خطر، لكنها أسرعت الخطى، وبدأ قلبها يخفق أسرع فأسرع وكأنه سيخترق صدرها خارجاً. وخز العشب الجاف ما ظهر من قدميها. ثم ما لبثت أن ركضت إلى أن وصلت إلى حافة الرصيف حيث تمكنت من رؤية المشاة.

لم يلحظها أحد في الشارع المكتظ المقابل للمقبرة. مسحت قطرات العرق عن جبينها، متى كانت آخر مرة أرادها بها زوجها؟ فقد كان زواجهما من اقتراح والدته. في فترة علاقتهما الوجيزة كان هاروكي طيباً معها جداً، لم تكن عذراء عندما تزوجا، فقد مارست الجنس مع رجلين من قبل لكن كلاهما رفضا الزواج بها. وكان هناك رجل آخر يعمل كموزع للأقمشة، حيث لاحقها لأشهر، لكن عندما علمت أيومي أنه متزوج لم تجد جدوى من العلاقة معه، على عكس الرجال الآخرين، لم يكن هاروكي قد طلب منها الذهاب معه إلى أحد النزل قبل زواجهما، ظنت أنه سيكون أمراً محرجاً له بما أنها كانت تعمل مع والدته، وهذا ما حملها على الإعجاب بأخلاقه العالية، ومبادئه، ورزانته.

في البداية، عندما كانا يحاولان إنجاب طفل، عاشرها بشكل دوري، وكانت الممارسة سريعة ومن دون أي تعقيدات مع احترامه لرغباتها عندما يحين ذلك الوقت من الشهر. بعد عامين من محاولات الإنجاب، قال الأطباء أنها عقيمة، وكان من المنطقي أن يصبح دايسوكي ابنها. منذ ذلك الحين أصبحت العلاقة الحميمية أثراً بعد عين، لم تهتم يوماً أن تظهر بمظهر الفتاة المثيرة ولم يعد يتعامل معها على ذلك الأساس.

التزمت أيومي ببرنامج دايسوكي، فكانت تخلد باكراً إلى النوم بينما كان هاروكي يستيقظ في وقت متأخر ويخلد إلى النوم في وقت متأخر أيضاً. منعتهما أوقات نومهما المختلفة من أن يلتقيا في السرير. لم تهتم أيومي بممارسة الجنس، لكنها لم تكن على دراية أن الرجال عموماً بحاجة إلى الجنس، وأنه من المحبذ أن يمارس الزوج الجنس بانتظام مع زوجته. لامت أيومي نفسها بسبب عدم

ممارستهما.

كان وجهها المصفر عادياً مدوراً وكانت نحيلة القد. بهدف أن تكسب بعض الوزن كانت تأكل بقدر ما تستطيع وخاصة الحلويات لكن ذلك لم يجدِ نفعاً. في مرحلة نموها كان أخواها يغيظانها بأن صدرها مسطح أكثر من الأرض. لو أرادت لكان بإمكانها ارتداء ملابس لفتيات في المدرسة الإعدادية. من باب العادة، كانت ترتدي أيومي كل يوم أحد قمصانها العديدة القاتمة اللون التي كانت قد حاكتها بنفسها. كانت تلك القمصان طويلة وبجميع الألوان والأقمشة. في الصيف كانت قمصانها مصنوعة من الحرير أو القطن.

عندما وصلت أيومي إلى عربة بيع الياكيتوري، وجبة دايسوكي المفضلة، سحبت محفظتها من حقيبتها التي تحتوي على أغراض الحمام وطلبت من السيدة أن توضب لها وجبة من أجنحة الدجاج المشوية وقطعة من اللحم الأبيض مع البصل الأخضر. بينما كانت السيدة تعد الطلب، تذكرت أيومي الرجل المتكئ على الشجرة ووجهه المنتشي. هل أرادها هاروكي أن تركع أمامه؟ طبعاً. فكانت تعلم العديد من الأشياء التي يفعلها الرجل والمرأة معاً، لكن لم يسبق لها أن رأت شخصين يمارسان الجنس من قبل. كانت قد قرأت روايتين للروائي دافيد هيربرت لورنس. في عمر السابعة والثلاثين أرادت أيومي أن تعرف المزيد عن الأشياء التي لم يسبق أن قامت بها. هل سيخجل بها هاروكي؟

تفقدت أيومي ساعة يدها والتي كانت هدية من والدة هاروكي. لا يزال هناك أربعون دقيقة قبل أن يتوجب عليها العودة إلى المنزل. التفت أيومي متوجهة إلى ناحية الأشجار الخضراء، وكان الرجلان قد اختفيا لكن كان هناك خمسة أزواج آخرين. كان هناك رجال ونساء مستلقين سوية في تلك المنطقة المعزولة، وكان هناك رجلان لا يرتديان سرواليهما، يتلاطفان بينما يهمسان لبعضهما. كان زوجان آخران مستلقيين على ملاءة بلاستيكية حيث تصدر أصواتاً إثر حركتهما. عندما رأتها الفتاة الطويلة تحدق، لم تجفل بل أغمضت عينيها، وبدأت تتأوه، تابع الرجل أمامها بتمسيد نهديها الصغيرين. بدا الأمر وكأنها تريد أيومي أن تحدق إليهما أكثر وأكثر فتشجعت أيومي واقتربت أكثر. كانت أصوات الأنين الهادئة الصادرة عن

العاشقين كأنها أصوات عصافير المساء. تذكرت دايسوكي الذي حان موعد عشائه.

بعد ثلاثة أيام وبعد حمام طويل، توجهت أيومي مباشرة إلى الحديقة خلف المقبرة. لاحظت زوجين من المرة السابقة، وكان هناك أزواج آخرون لم يبد أنهم يمانعون وجودها وحيدة. فكل من هو موجود هناك ينتمي إلى سر الآخر وشعرت أيومي بالأمان بينهم. وبينما كانت تغادر، تقدمت نحوها فتاة جميلة.

«لمَ أتيت باكراً؟ فالجو يكون أبدع في المساء».

لم تعلم أيومي بما تجيب، لكنها شعرت أنه ليس من باب الاحترام ألا تنطق بشيء.

«ماذا تقصدين؟».

«يأتي العديد من الأشخاص في وقت لاحق إذا ما أردت القيام ببعض الأشياء». ضحكت الفتاة ثم تابعت: «ألا تحبين أن تعبثي قليلاً؟».

هزت أيومي برأسها وقالت: «أنا.. أنا.. لا».

«إذا كنت تملكين المال فيمكنني أن أفعل لك بعض الأشياء. فأنا أفضل العبث مع الإناث».

شهقت أيومي متفاجئة. أخذت الفتاة بيد أيومي اليسرى، وأزلقتها داخل قميصها. شعرت أيومي بحلمتي الفتاة الكبيرتين الناعمتين.

«أحب عظام عنقك وكتفيك. إنك جميلة جداً. تعالي لرؤيتي، أنا أكون هنا في المساء. بدأت اليوم باكراً لأنه لدي أحد لألتقيه، لكنه تأخر. عادة ما أكون عند الشجيرات تلك». قهقهت ثم تابعت: «أحب أن أضع الأشياء في فمي». رطبت شفتيها بلسانها الأحمر بلون الفراولة وقالت: «يمكنني أن أجلب لك بعض أدوات المتعة». وبعدها عادت إلى مكانها.

أومأت أيومي برأسها مصعوقة، ثم توجهت إلى البيت. شعرت بيدها اليسرى وكأنها تلتهب وبها مسدت عنقها، فلم يكن قد خطر ذلك الأمر في بالها مسبقاً.

بعد ثلاثة أشهر، كانت قد اعتمدت الطريق القديم إلى الحمام وبعده توجهت إلى السوق مباشرة. حاولت ألاّ تفكر بتلك الفتاة. لم تكن أيومي جاهلة بتلك الأمور؛ فحتى عندما كانت فتاة صغيرة كانت على دراية بأن الآخرين يقومون بأمور

تثير الفضول. وأكثر ما أثار حيرتها أنها في وقت متأخر من حياتها أرادت أن تعرف أكثر وأكثر، لكن لم يكن لديها أحد لتسأله عن الأمر. لم يطرأ أي تغيير على زوجها. فكان رجلاً مجتهداً ومهذباً ونادراً ما يكون في المنزل، وكان عطوفاً جداً على دايسوكي. في أوقات فراغه يذهب لرؤية صديقه الكوري موزاسو وابنه سولومون، أو كان يأخذ أخاه إلى الحديقة أو الحمام لإعطائها بعض الوقت لنفسها. في بعض الأحيان يذهبون معاً إلى المطعم الذي يقدم اللحم المشوي (الياكينيكو) حيث كان صاحب المطعم يعطيهم غرفة خاصة في الخلف. أحب دايسوكي طهو طعامه على المشواة. بعد خلود دايسوكي إلى النوم كان الصمت يعم لياليها، ولتسلي نفسها قرأت كتباً للوصفات والحياكة وحاكت بعض القطع.

بالرغم من جهودها لم تستطع أيومي نسيان تلك الفتاة، فلم تكن تبارح تفكيرها أثناء خبزها للكعكة الإسفنجية أو أثناء إزالة الغبار عن الأثاث. والذي أربكها أن الفتاة ذات القميص الأخضر كانت تبدو سليمة ومستمتعة ولم تكن أبداً مثل ما تراه في الأفلام حول النساء الساقطات. لقد بدت الفتاة شهية مثل البطيخ الغالي الثمن الذي يباع في المتاجر الكبيرة.

في ليلة سبت من أواخر تشرين الثاني، وبما أن دايسوكي نام أبكر من المعتاد، وكان هاروكي يعمل في مكتبه حيث لا يزعجه أحد، وجدت أيومي أنها مشتتة الأفكار وهي تقرأ كتاباً عن طرق الخبز الإنكليزية. أغلقت الكتاب وقررت أن تأخذ حماماً آخر، لكنها كانت قد أخذت حماماً قبلاً. كان دايسوكي يشخر مستغرقاً في النوم عندما غادرت المنزل.

في الحمام، غمرت نفسها بالماء الساخن خوفاً من أن يرى أحدهم الرغبة على وجهها. تساءلت ما إذا كانت لديها الجرأة لأن تطلب من زوجها أن يمارسا الجنس. عندما تجعدت أطراف أصابعها من الماء، ارتدت ملابسها وسرّحت شعرها. لمعت أضواء الشارع في الخارج وتلألأت الأرصفة في المساء. مشت أيومي نحو المقبرة.

بالرغم من البرد الشديد، وجدت العديد من العشاق. كانت الأجساد العارية تتضاجع تحت الأشجار الكبيرة. اصطف بعض الرجال واقفين بينما الآخرون

راكعون مواجهين لهم. مراقبتها لوجوه الرجال أثارت الرغبة فيها. أرادت أن يأخذها هاروكي بين يديه وأن يضاجعها بقوة. لم يكن هناك سوى ضوء باهت في سماء المساء وجزء صغير ظاهر من القمر ونفحة من نجوم الشتاء. مشت أيومي بين أزواج الرجال والنساء. تحت شجرة سنديان كبيرة، ورأت رجلان يعاشران بعضهما بقوة، ارتدى الرجل الطويل الذي يحيط بذراعيه الرجل الأقصر، سترة رمادية كالتي خاطتها لزوجها. نظرت أيومي عن كثب ورأته مغمضاً عينيه بينما يمسك بقوة القميص التحتي الأبيض القطني للشاب الذي كان يحاول التقاط أنفاسه. عادت أيومي إلى الطرف الآخر مصعوقة عندما شاهدت زوجها. نعم، لقد كان هاروكي.

عندما انتهى هاروكي والشاب ذو القميص الأبيض، ارتديا ملابسهما وغادرا دون أن يكلم أحدهما الآخر أو ينحنيا وداعاً. لم تر أيومي هاروكي يعطي الشاب أي مبلغ من المال، لكن كان من المحتمل أن يكون ذلك قد تم مسبقاً. لم تكن تعرف كيف تتم تلك الأمور. هل يهم إن دفع للشاب؟

جلست أيومي على جذور شجرة قديمة قريبة من ثنائي منقطع النفس إثر المضاجعة، وحدقت إلى أطراف أصابعها المتجعدة والتي باتت ناعمة الآن. لم يكن هناك خيار أمامها سوى أن تنتظر لأن يمر بعض الوقت، لكن إذا وصل إلى المنزل قبلها سيتعين عليها أن تخبره بأنها كانت في الحمام وهذا ليس صحيحاً.

«مرحباً».

إنها الفتاة وقد ارتدت قميصاً أبيض هذه المرة، وكانت متألقة في ظلمة المساء.

«هل جلبت المال؟». سألتها ثم جلست القرفصاء لتكون في مستواها، واقتربت من وجهها وكأنها تواسيها. فتحت قميصها وأخرجت نهديها من صدريتها. كانت تلك الفتاة جميلة جداً، وتساءلت أيومي لمَ لم يكن لها مثل تلك الملامح الجذابة، ثم ألقت نظرة على جسدها الهزيل الذي لم يكن قادراً على الإنجاب ولا أن يُحَب.

«بإمكانك أن تدفعي لي بعد أن ننتهي إن أردت» نظرت الفتاة إلى حقيبة أيومي وتابعت: «لقد استحممت مثل الطفل الشاطر. إنك نظيفة الآن. تعالي إلى والدتك. تعالي ويمكنك وضع فمك عليهما. فأنا أحب هذا، ثم سأفعل أنا ذلك لك. لماذا أنت خائفة يا عزيزتي؟ ستشعرين بشعور جميل جداً». أخذت الفتاة اليد اليمنى

لأيومي ووضعتها تحت تنورتها، وهنا كانت أيومي قد تحسست جسد امرأة أخرى للمرة الأولى في حياتها. كان الملمس ناعماً.

«هل هذا جيد؟».

اقتربت الفتاة على ركبتيها، وأخذت بيد أيومي اليسرى ووضعت إصبعها الوسطى في فمها، وصعدت إلى حضن أيومي. استنشقت رائحة شعرها الرطب وقالت: «أكاد أبتلع سائل الاستحمام عن شعرك. رائحتك أخّاذة. ستشعرين بحال أفضل عندما نبدأ. ستشعرين وكأنك في...».

استغرقت أيومي في دفء جسد الفتاة. في الوقت الذي فتحت فيه فمها، سحبت الفتاة حقيبة أيومي إلى جانبها. «هل تحملين المال هنا؟ فأنا أحتاج إلى كثير من المال. فأمك تحتاج لشراء الكثير من الأشياء من أجل حبيبتها الصغيرة». ارتعبت أيومي وأبعدت نفسها عن الفتاة دافعة إياها لتسقط أرضاً. نهضت قائلة: «إنك مقرفة.. مقرفة». صاحت الفتاة: «أيتها الحقيرة النحيلة». تمكنت أيومي سماع قهقهات ضحكتها من بعيد. «عليك أن تدفعي لي أيتها الساقطة». عادت أيومي إلى الحمام. وعندما عادت إلى المنزل، كان هاروكي يعد وجبة لأخيه. قالت بهدوء: «لقد وصلت».

«أين كنت يا أيومي؟» سأل دايسوكي وبدا القلق يتآكله.

كان رأسه مائلاً شاحباً ونحيلاً بعينين غريبتين تنتميان لطفل صغير عفوي قادر على التعبير عن الفرح. ارتدى ملابس نوم صفراء اللون كانت قد كوتها له في الصباح. أومأ هاروكي وابتسم لها. لم يكن قد وجد أخاه وحيداً من قبل. كان دايسوكي يبكي على سريره مطالباً بوالدته. لم يرد أن يخبر أيومي بهذا لكي لا يشعرها بالذنب لتأخرها.

«كنت في الحمام يا دايسوكي. أنا آسفة جداً لأنني تأخرت. ظننت أنك نائم وكان الجو بارداً لذا ذهبت لآخذ حمام آخر».

«كنت خائفاً... كنت خائفاً». قال دايسوكي وعيناه تدمعان مجدداً. «أريد ماما».

لم تشعر بأنها قادرة على النظر إلى هاروكي. لم يكن قد خلع سترته بعد.

توجه دايسوكي إليها تاركاً هاروكي بالقرب من المنضدة ليضع جانباً علبة

البسكويت المملح.

«أيومي نظيفة. لقد استحمت أيومي. أيومي نظيفة. لقد استحمت». بدأ دايسوكي يغني تلك الجملة، فقد أحب ترديد تلك الأغنية عند عودة أيومي من الحمام.

سألته: «هل أنت متعب الآن؟».

«لا».

«هل تريد مني أن أقرأ لك؟».

«أجل».

تركهما هاروكي في غرفة المعيشة لتقرأ أيومي له كتاباً مصوراً عن القطارات القديمة، أومأت له عندما قال لها: «تصبحين على خير».

7

يوكوهاما، مارس 1976

فشل أحد المحققين المقبلين على التقاعد بإنهاء ملف انتحار، فانتهى المطاف بذلك الملف على مكتب هاروكي. كانت قضية انتحار فتى كوري بعمر الثانية عشرة قفز عن سطح البناء الذي يسكن فيه. كانت الأم في حالة هيستيرية، لم تسمح لها بإكمال المقابلة في ذلك الوقت، لكن الوالدين أبديا استعداداً للتحدث إلى هاروكي الليلة بعد أن ينهي عمله. كانا يسكنان بالقرب من تشاينا تاون. الأب يعمل مساعد سباك والوالدة تعمل في مصنع للقفازات. كان لتيتسو كيمورا، المنتحر، أختان وهو البكر.

حتى قبل أن يُفتح باب الشقة، استُقبل في المدخل الرطب برائحة الثوم والصلصة وتوابل الميزو التي يفضلها الكوريون. جميع مستأجري الطوابق الستة في المبنى الذي يمتلكه شخص كوري، كوريون. دعته والدة الصبي ذات الوجه الحزين والمغلوب على أمرها، إلى الشقة المؤلفة من ثلاث غرف.

خلع هاروكي حذاءه، وارتدى خفّاً للمنزل أعطته إياه الوالدة. كان الوالد يرتدي لباس العمل النظيف، متربعاً على وسادة الأرض الزرقاء. جلبت الوالدة صينية رخيصة مليئة بأكواب الشاي والبسكويت المغلف، أما الولد فكان يحمل كتاباً مجلداً في حضنه. بعد أن أعطى الوالد بطاقته بكلتا يديه، جلس هاروكي على وسادة الأرض، بينما سكبت الوالدة الشاي له وجلست على ركبتيها.

قال الوالد مناولاً هاروكي: «لم تسنح لك الفرصة برؤية هذا، يجب أن تعرف ما حصل. يجب أن تتم معاقبة أولئك الصبية».

كان الوالد ذو الجذع الطويل والوجه الحنطي والحنك البارز، يكلّم هاروكي دون أن ينظر إليه. كان الكتاب عبارة عن ألبوم لصور الخريجين من المدرسة.

فتح هاروكي الكتاب السميك إلى الصفحة المحددة بقطعة ورق فارغة. كان هناك صفوف من الصور بالأبيض والأسود للطلاب بلباسهم المدرسي، منهم من كان مبتسماً مظهراً أسنانه باختلافات طفيفة. لاحظ فوراً صورة تيسو الذي كان له وجه والدته الطويل وفم والده الصغير؛ بدا صبياً لطيف الهيئة ضئيل الكتفين، هناك بعض الجمل مكتوبة بخط اليد فوق الصور.

«تيستو_ حظاً موفقاً في المدرسة الثانوية_ هيروشي نودا». «إنك رسام جيد_ كاياكو ميتسويا».

بدا هاروكي مرتبكاً لأنه لم يلحظ أي شيء غريب. ثم أشار عليه الوالد بأن يقرأ المكتوب في الصفحة الأولى.

«مت أيها الكوري القبيح».

«توقف عن أخذ المعاش منا. فالكوريون يدمرون هذه البلاد».

«رائحة الفقراء مثل رائحة الريح».

«إذا قتلت نفسك، ستتخلص مدرستنا الثانوية من أحد الكوريين القذرين».

«لا أحد يحبك».

«الكوريون يسببون الخراب، الكوريون خنازير، أخرجوا من هنا. لمَ أنتم هنا أصلاً؟».

«رائحتك مثل رائحة الثوم والقمامة».

«لو استطعت لقطعت لك رأسك لكنني لا أريد أن أنجس سكيني».

تنوعت الخطوط. بعض الأحرف كانت مائلة إلى اليسار، فالعديد من الذين كتبوا تلك الجمل اعتمدوا تلك الطريقة لإخفاء هوياتهم. أغلق هاروكي الكتاب ووضعه بالقرب منه على الأرض النظيفة. أخذ رشفة من الشاي وقال:

«هل ذكر ولدك يوماً أنه يتعرض للمضايقة؟».

أجابت الأم بسرعة: «لا. لم يتذمر يوماً. قال إن أحداً لا يهتم لأمره».

أومأ هاروكي برأسه.

«لم يكن ذلك لأنه كوري. بدأ الأمر منذ وقت طويل. والأمور أفضل الآن».

بالرغم من أنه أغلق الكتاب، استطاع هاروكي رؤية الكلمات في رأسه. كانت

المروحة الكهربائية تدور ناشرة الهواء الساخن.

سألت الوالدة: «هل تكلمتم مع معلماته؟».

كان المحقق المتقاعد قد فعل ذلك. وقالت المعلمات إن الصبي كان طالباً جيداً لكنه هادئ جداً.

قالت الأم: «كانت علاماته الأعلى والأولاد يغارون منه لأنه كان الأذكى. تعلم ولدي القراءة مذ كان في عمر الثلاث سنوات».

تنهد الوالد ووضع يده بلطف على ذراع زوجته ولم يقل شيئاً.

قال الوالد: «في الشتاء الماضي، طلب تيسو أن يتوقف عن الذهاب إلى المدرسة والعمل في متجر للخضار يمتلكه خاله، إنه متجر صغير بالقرب من الحديقة الصغيرة في نهاية الشارع. بحث عن صبي ليحمل الصناديق ويعمل في المحاسبة. قال تيسو إنه يريد أن يعمل لديه لكننا رفضنا. لم ننهِ أنا ووالدته دراستنا الثانوية، ولم نرده أن يسلك مسلكنا. لم يكن الأمر منطقياً أن يعمل في وظيفة كتلك وأن يترك دراسته وهو من الطلاب الأوائل. أخو زوجتي بالكاد يعيل نفسه، لذا لم يكن لولدي أن يكسب مالاً من ذلك العمل. أرادت زوجتي أن يستلم وظيفة في معمل للإلكترونيات. لو تخرج من المدرسة الثانوية كان...».

غطى الوالد رأسه بكفيه الضخمتين الخشنتين وقال: «العمل في أقبية المنازل والدكاكين وجرد المخزون ليس سهلاً لأي أحد كما تعلم. كان موهوباً. كان بإمكانه تذكر أي وجه ثم يرسمه ببراعة. استطاع القيام بكثير من الأشياء التي لم نكن نعرف عنها شيئاً».

بدورها قالت الأم بهدوء: «ولدي مجتهد وصادق، لم يؤذِ أحداً في حياته، لطالما ساعد أخته في وظائفها المدرسية...»، تهدج صوتها.

أدار الأب وجهه إلى هاروكي فجأة وقال: «يجب معاقبة الأولاد الذين كتبوا تلك الجمل، لا أقصد أن يدخلوا السجن، لكن يجب أن يكون واضحاً للجميع أن كتابة مثل هذه الجمل أمر غير مسموح به». أنهى جملته وهو يهز رأسه. «كان يجب أن يترك المدرسة. لو عمل في قبو أحد المتاجر أو عمل في تقشير البصل في مطاعم اللحم المشوي، ربما كان ولدي أمام ناظري، إننا نعامل بطريقة سيئة لا

لشيء إلا لأننا فقراء، الكوريون الأغنياء لا يجرؤ أحد على إزعاجهم أو الاقتراب منهم، ظننا أن الوضع سيتغير مع الجيل الجديد ولكن ها هو تيسو يذهب ضحية ذلك».

سأل هاروكي: «هل وُلدتم هنا؟». لم تكن لهجتهم تختلف عن لهجة اليابانيين من سكان يوكوهاما.

«أجل. أهلنا من أولسان ولكننا من مواليد يوكوهاما».

أولسان هي ما يعرف اليوم بكوريا الجنوبية، لكن توقع هاروكي أن العائلة قد انتسبت إلى حكومة كوريا الشمالية كالعديد من الأعراق الكورية.

لم تكن ميندان معروفة بهذا القدر. ربما لم يكن لأبناء كيمورا المال الكافي ليدفعوا الأقساط لمدارس كوريا الشمالية لذا أرسلوهم إلى مدارس يابانية حكومية.

«هل أنتم من الأقلية من الكوريين؟».

قال الأب: «أجل، لكن ما دخل هذا في الأمر؟».

«لا دخل له بالأمر. أعذرني». خطف هاروكي نظرة إلى الألبوم وقال: «هل المدرسة على دراية بالأمر؟ بأمر الألبوم؟ فلم يُذكر أي شيء في التقرير عن أي من الصبية الآخرين».

قال الوالد: «أخذت فترة ما بعد الظهيرة كعطلة لأذهب إلى المدير لأريه هذا الألبوم. قال إنه يستحيل عليه أن يعرف من كتب تلك الكتابات».

«حسناً، حسناً».

سألت الأم: «لم لا يمكن معاقبة الذين كتبوا تلك الكتابات؟» لماذا؟».

«رآه عديدون وهو يقفز دون أن يكون معه أحد على السطح. لم يدفعه أحد. لا يمكننا اعتقال أحد يقول أو يكتب شيئاً لئيماً».

«لم لا تسن الشرطة هذا القانون...» نظر الوالد مباشرة إليه، ثم رأى نظرة هاروكي المغلوبة، فوجه نظره إلى الباب فوراً. «أنتم يا شباب تعملون لتضمنوا ألا يتغير أي شيء. فكل ما أسمعه هو 'لا يسعنا فعل أي شيء'».

قال هاروكي وهو يغادر: «أنا آسف. أنا حقاً آسف».

كانت يوكوهاما مزدحمة في الساعة الثامنة مساء. جاءت فورة الأجراس

الصغيرة وضرب المطارق المصغّرة على الأواني المعدنية المصغرة وانطلاق الأضواء الملونة وصيحات الترحيب من قِبل الطاقم الخنوع، مثل الإعفاء المؤقت من الألم الصامت في رأسه. لم يمانع هاروكي دوامات الدخان التي تربعت فوق رؤوس اللاعبين الجالسين مقابل صفوف الآلات.

عندما وطأت قدم هاروكي الصالة هرع مدير الطابق إليه سائلاً إياه إن كان يرغب بكأس من الشاي. كان بوكو سان في اجتماع في المكتب مع بائع لآلات الباتشينكو وقال بأنه سينزل بأسرع ما يمكن. كان لهاروكي وموزاسو لقاء على الغداء كل خميس وكان هاروكي هناك ليصطحبه.

يمكننا القول إن جميع الموجودين في الصالة، أرادوا أن يكسبوا بعض المال من المقامرة. لكن العديد من اللاعبين أتوا ليبقوا بعيدين عن منازلهم الخالية من المشاعر حيث تنام الزوجات بالقرب من أطفالهن بدلاً من أزواجهن، وهرباً من زحمة القطارات الحارة حيث من المسموح أن تدفع الآخرين لكن من غير المسموح أن تكلم الغرباء. عندما كان هاروكي شاباً فتياً لم يكن مهتماً كثيراً بلعبة الباتشينكو لكن بعد أن انتقل إلى يوكوهاما، سمح هاروكي لنفسه بأن يتسلى قليلاً.

لم يتطلب الأمر وقتاً طويلاً إلى أن خسر آلاف الينات، لذا ابتاع لنفسه مجموعة أخرى من الكرات. لم يكن هاروكي غير مبالٍ بميراثه، لكن والدته كانت قد ادخرت كثيراً من المال لدرجة أنه حتى لو خسر كثيراً من المال وطرد من عمله لن يتأثر وضعه المالي بذلك. حتى أنه كان سخياً بالدفع للشبان ليمارسوا معه الجنس، ومن بين كل الموبقات التي كان يقترفها بدت الباتشينكو أمراً تافهاً.

كانت الكرات المعدنية الصغيرة تضرب من جهة اليمين إلى اليسار بتواتر منتظم على سطح الآلات المستطيل، وأدار هاروكي القبضة باطراد ليبقي اللعبة مستمرة. لا، أراد أن يخبر والد تيسو كيف يمكنني أن أبرهن ذنباً بجريمة غير موجودة؟ لا يمكنني أن أعاقب ولا يمكنني أن اكبح الجرائم. لا، لم يستطع قول تلك الأشياء. ليس لشخص آخر. هناك كثير لا يستطيع التفوه به. منذ أن كان صغيراً أراد هاروكي أن يشنق نفسه، ولا يزال يفكر بالأمر. ومن بين جميع الجرائم كانت جرائم الانتحار أكثر ما يتفهمها، ولو كان باستطاعته القيام بهذا الأمر لكان قد قتل

دايسوكي ثم قتل نفسه. لكنه لم يكن ليقتل دايسوكي أبداً. والآن لا يمكنه أن يفعل هذا الفعل الشنيع بزوجته. فهما بريئان.

توقفت الآلة فجأة. نظر إلى الأعلى ورأى موزاسو يمسك بمقبض الآلة. كان يرتدي بذلة عليها دبوس أحمر باسم صالة جنة يوكوهاما.

«كم خسرت اليوم أيها الأبله؟».

«الكثير. نصف راتبي على ما أظن».

سحب موزاسو محفظته، وناول هاروكي رزمة من المال، لكن هاروكي لم يقبلها.

«إنها غلطتي. فأنا أفوز أحياناً، صحيح؟».

«ليس كثيراً». وضع هاروكي رزمة المال في جيب معطف هاروكي.

في الحانة، طلب موزاسو الجعة وسكب لهاروكي شرابه الأول من الزجاجة الكبيرة. جلسا إلى المنضدة الطويلة على مقاعد خشبية. وضع الساقي أمامهما وعاء من حبات الصويا المملحة الطرية، فلطالما كانا يبدآن بهذا الطبق.

سأل موزاسو: «ما بالك؟ تبدو بحال مزرية».

«انتحر ولد قافزاً عن سطح مبنى، وكان عليّ أن أتحدث إلى والديه اليوم».

«يا للهول؟ كم كان عمره؟».

«في المدرسة الإعدادية».

«يا إلهي».

«كان عليك رؤية ما كتبه أولئك الأولاد الأوغاد في كتاب صور التخرج».

«ربما ذات الكتابات التي كتبها الأولاد على كتابي».

«حقاً؟».

«أجل. في كل عام طلبت مني مجموعة من الأوغاد أن أعود إلى كوريا أو أموت موتاً بطيئاً. مجرد كلام صبية لئيم».

«من؟ هل من أحد أعرفه؟».

«كان هذا منذ وقت طويل. وما الذي يمكنك أن تفعله؟ هل ستعتقلهم؟».

ضحك موزاسو ثم تابع: «إنك حزين جداً على هذا الصبي أليس كذلك؟».

أومأ هاروكي برأسه.

قال موزاسو مبتسماً: «إنك ضعيف تجاه الكوريين».

قال هاروكي باكياً: «أيها الغبي».

«مهلاً مهلاً! ما الأمر؟». قال موزاسو وربت على كتفه.

أشاح الساقي الواقف خلف المنضدة نظره ومسح مكان الزبون الذي رحل لتوه.

رمى هاروكي برأسه على المنضدة وراح يبكي وقال: «لم يستطع ذلك الصبي المسكين أن يحتمل أكثر من ذلك».

«اسمع، ما من شيء يمكنك القيام به، لن يتغير هذا البلد. فالكوريون مثلي لا يمكنهم المغادرة. فأين سنذهب؟ والكوريون الموجودون في بلادهم لن يتغيروا أيضاً. في سيوول، الناس مثلي يدعوهم اليابانيون بأولاد الحرام. وفي اليابان أنا مجرد كوري قذر آخر بغض النظر عن المال الذي أجنيه أو مدى لطفي. لذا لا يهم. كل من عاد إلى الشمال مات جوعاً أو خوفاً».

ربّت موزاسو على جيبه بحثاً عن علبة السجائر وقال: «البشر مريعون. اشرب. اشرب الجعة».

رشف هاروكي رشفة، وسعل إثر ابتلاعه بطريقة خاطئة: «عندما كنت صبياً أردت الموت».

«وأنا أيضاً، يومياً فكرت أن الموت هو الحل، ولكنني خشيت من دموع أمي، لم أشأ أن أجعلها ثكلى مفطورة القلب، بعد أن تركت المدرسة غادرتني تلك الأفكار، لكن بعد موت يومي شككت بمدى قدرتي على الاحتمال، ومرة أخرى كان سولومون الرادع فقد خشيت من دموعه، ولم أرد أن أجعله يتيم الأبوين. وكما تعلم، تغيّرت أمي بعد اختفاء نوا. ولا يمكنني أن أخذلها بهذه البساطة. قالت أمي أن نوا غادر لأنه لم يكن على قدر حمل جامعة واسيدا وكان محرجاً. لا أظن أن هذا صحيح. لم يكن هناك شيء يصعب عليه في الجامعة. أظن أنه يعيش في مكان آخر، ولا يريد أن تكتشف مكانه. أظن أنه تعب من محاولاته بأن يكون كورياً جيداً، لكن طفح به الكيل. لم أكن يوماً كورياً جيداً».

أشعل موزاسو سيجارته وتابع: «لكن الأمور تتحسن. الحياة سيئة لكن ليس طوال الوقت. إتسوكو عظيمة لم أعتقد أننا سنتأقلم سوية. سأساعدها لتفتح مطعماً».

«إنها سيدة لطيفة. لربما ستتزوج مجدداً». أحبَّ هاروكي حبيبة موزاسو الجديدة.

«لا تريد إتسوكو الزواج مجدداً. فأولادها يكرهونها. وسيكون الأمر في غاية السوء إن تزوجت كوريا، وأيضاً يعمل في الباتشينكو».

بقيت ملامح الحزن على وجه هاروكي.

«يا رجل، لا تكف الحياة عن تقاذف الناس، ولكن لا يمكننا ترك اللعبة».

أومأ هاروكي.

قال هاروكي: «ظننت أن حياتنا ستكون أفضل لو أن والدي لم يتركنا».

«انسَ أمره. فوالدتك كانت امرأة عظيمة وزوجتي تراها بأنها الأفضل. قوية وذكية وعادلة مع الجميع. كانت تعادل خمسة آباء معاً. قالت يومي إنها الشخص الوحيد التي قد تعمل لديه».

«أجل.. كانت امرأة عظيمة».

جلب الساقي لهما وجبة من المحار المقلي وطبقاً من فليفلة الشيشيتو. فمسح هاروكي عينيه بالمنديل الذي أمامه، ثم سكب له موزاسو كأس جعة أخرى.

«لم أعرف يوماً أن الأولاد قد كتبوا شيئاً كهذا على كتابك السنوي، فأنت من كنت أحتمي به، لم يخطر ببالي أمر كهذا».

«انسَ الأمر. أنا بخير. أنا بخير الآن».

8

ناغانو، أغسطس 1978

وجدها سائق هانسو عند البوابة الشمالية لمحطة يوكوهاما، كما قيل له، وأرشدها إلى السيارة السوداء حيث يجلس هانسو في المقعد الخلفي. جلست سونجا في المقعد المخملي، وشدت سترتها إلى الأسفل لتغطي انتفاخ بطنها الذي قد سببه التقدم في العمر. ارتدت فستاناً مستورداً من تصميم فرنسي وانتعلت حذاء جلدياً إيطالياً اختارته لها، إتسوكو، حبيبة موزاسو. وبعمر الثانية والستين، أوحت سونجا بما هي عليه تماماً؛ أمٌّ لرجلين وجدة وامرأة أمضت معظم وقتها تعمل في الخارج. وبالرغم من ارتدائها لملابس غالية من طوكيو، كانت التجاعيد والبقع التي تغطي جسدها وشعرها الأشيب القصير تظهرها بمظهر عادي ورثّ.

«إلى أين نحن ذاهبون؟».

أجابها هانسو: «إلى ناغانو».

«هل هو هناك؟».

«أجل. ويدعوه الناس نوبو بان. فهو هناك منذ ستة عشر عاماً، وهو متزوج من امرأة يابانية وله أربعة أولاد».

«لدى سولومون أربعة أولاد عم؟ لم لا يستطيع إخبارنا؟».

«لقد أصبح يابانياً ولا أحد في ناغانو يعرف أنه كوري. حتى زوجته وأولاده لا يعرفون. جميع من حوله يعرفون أنه ياباني الأصل».

«لماذا؟».

«لأنه لا يريد لأحد أن يعرف ماضيه».

«وهل هذا شيء يسهل القيام به؟».

«إنه سهل كفاية في عالمه، فلا أحد يكترث لكي يستقصي عن أي أمر».

«ماذا تعني؟».

«إنه يدير صالة باتشينكو».

«مثل موزاسو؟».

هناك العديد من الكوريين من جميع الأطياف الذين يعملون في تلك الصالات، ومنهم من مصنعي الآلات، لكنها لم تتوقع يوماً أن يعمل نوا وموزاسو بالعمل نفسه.

«أجل. كيف حال موزاسو؟».

«بخير». أومأت برأسها مستصعبة التركيز على ما يدور حولها. «هل عمله على ما يرام؟».

«اشترى صالة أخرى في يوكوهاما».

«وماذا عن سولومون؟ لا بد وأنه كبر الآن».

«يبلي بلاءً حسناً في المدرسة، ويجد في الدرس، أريد أن أعرف المزيد عن نوا».

«إنه على ما يرام». ابتسم هانسو.

«هل يعلم أننا قادمان لرؤيته؟».

«لا».

«لكن...».

«لا يريد أن يرانا. أو بالأحرى لا يريد أن يراني. من الممكن أن يرغب برؤيتك، لكن لو أراد ذلك لكان قد أعلمك منذ زمن».

«إذاً...».

«لا يجدر بنا التكلم إليه اليوم، لكن ظننت أنه إذا ما أردت رؤيته بعينيك فيمكنك ذلك. سيكون موجوداً في مكتبه».

«وكيف تعلم هذا؟».

«لي طرقي». قال هانسو مغمضاً عينيه وهو يتكئ على وسادة الرأس المغطاة بالقماش الأبيض. تناوله لعدة أدوية أشعره بالوهن.

كانت خطته أن ينتظر إلى أن يخرج نوا من مكتبه كما يفعل عادة ليتناول غداءه في مطعم النودلز في الشارع المقابل. في كل أسبوع كان يأكل وجبة غداء

بسيطة في مطعم مختلف، وفي أيام الأربعاء يأكل النودلز. لقد فصّل محققو هانسو الخاصون حياة نوا في ناغونو في تقرير من ستة وعشرين صفحة، وما كان مثيراً للانتباه هو حاجته المستمرة للروتين. لم يكن نوا يحتسي الكحول ولا يقامر أو يلهو مع النساء، لم يبدُ عليه أنه مدين، وكانت زوجته وأولاده يعيشون كعائلة يابانية من الطبقة الوسطى في منزل متواضع.

«هل تعتقد أنه سيتناول الطعام وحده؟».

«هو دائماً يتناول وجبة الغداء وحده. اليوم هو الأربعاء، لذا سيأكل نودلز الـزارو سوبا بأقل من خمس عشرة دقيقة، وسيقرأ قليلاً من رواياته الإنكليزية ثم يعود إلى مكتبه. وأعتقد أن هذا هو سبب نجاحه. لا يرتكب الأخطاء. فـنوا يمشي وفقاً لخطته الخاصة». كان هناك نوع من الكبرياء في نبرة صوته.

«هل تعتقد أنه سيراني؟».

«تصعب معرفة هذا. عليك أن تنتظري في السيارة وتلقي عليه نظرة من بعيد أولاً، ثم سيأخذنا السائق إلى يوكوهاما. يمكننا العودة الأسبوع المقبل إذا أردت. وربما يمكنك أن تراسليه أولاً».

«وما الفرق بين اليوم والأسبوع المقبل؟».

ربما إذا رأيته وعلمت أنه بخير، لن تكوني بحاجة ملحة لأن تريه. فقد اختار حياته يا سونجا، وربما هو يريد منا احترام قراره».

«لكنه ابني».

«وابني أيضاً».

«نوا وموزاسو هما حياتي».

أومأ هانسو برأسه. لم يكن قد شعر بهذا الشعور تجاه بناته.

قالت: «أنا أعيش فقط من أجلهما».

وكان هذا فعلاً خاطئاً. فالقس في الكنيسة لطالما وعظ مشيراً إلى أن اهتمام الأمهات الكبير وعبادتهن لعائلاتهن هو نوع من الوثنية. فعلى الإنسان ألا يفضّل عائلته على الله. وقال أيضاً إنه لا يمكن للعائلة أن تقدم ما يقدمه الرب. لكن كون الأم تحب أولادها كثيراً هو أمر قد ساعدها قليلاً على فهم ما يخص الرب. كان

لنوا أولاده الآن، وربما يمكنه فهم كم عانت والدته من أجله.

قال هانسو: «انظري إنه قادم».

لقد تغيّر وجه نوا بعض الشيء، فاجأها شعر سوالفه الأشيب قليلاً، لكن نوا كان في الخامسة والأربعين من عمره ولم يعد طالباً جامعياً. كان يضع نظارة ذهبية دائرية العدستين، شأنه شأن أيزاك، وكانت بذلته السوداء تغطي جسده الممشوق، وجه نوا نسخة طبق الأصل عن هانسو، لم تتمالك سونجا مشاعرها ففتحت الباب وهرعت نحوه صارخة «نوا».

التفت إلى الوراء وحدّق إلى والدته التي وقفت بعيدة عنه بضع خطوات.

«أمي». اقترب نوا منها ولمس ذراعها.

لم يكن قد رأى والدته تبكي منذ جنازة أيزاك. لم تكن من النوع الذي يبكي بسهولة، وشعر بالأسف عليها، لطالما تخيل مثل هذا اليوم، وكان مستعداً له، لكنه، وأمام حضورها الطاغي، فوجئ بمقدار الارتياح الذي أحس به دفعة واحدة.

«لا تحزني يا أمي، علينا الدخول إلى مكتبي. كيف وصلتِ إلى هنا؟».

لم تستطع سونجا التحدث فقد خنقتها العبرات، حاولت أخذ نفس عميق وقالت: «أوصلني كو هانسو. فقد وجدك وجلبني إلى هنا لأنني أردت رؤيتك. إنه في السيارة».

«حسناً. ليبقَ حيث هو إذاً».

عند عودته إلى مكتبه، انحنى له الموظفون بينما تبعته سونجا. طلب منها أن تجلس وأغلق الباب.

«تبدين بخير يا أمي».

«لقد مر وقت طويل، لقد قلقت عليك».

برؤيتها لملامحه المتألمة أوقفت نفسها وقالت: «لكن رسائلك كانت تسعدني، لقد خبأت كل المال الذي أرسلته. كان ذلك لطفاً منك».

أومأ نوا.

«أخبرني هانسو أنك متزوج ولديك أولاد».

ابتسم نوا وقال: «صبي وثلاث بنات. إنهم أولاد طيبون جداً. جميعهم

يدرسون ما عدا الصبي فهو لاعب بيسبول ماهر. إنه المفضل لدى زوجتي. إنه يشبه موزاسو ويتصرف مثله أيضاً».

«أعرف أن موزاسو سيرغب برؤيتك. متى يمكنك القدوم لزيارتنا؟».

«لا أدري. ولا أدري ما إذا كنت أستطيع القيام بذلك أصلاً».

«ألم نهدر كثيراً من الوقت حتى الآن؟ كل تلك السنوات. الرحمة يا نوا.. الرحمة. كنت فتاة صغيرة عندما قابلت هانسو. لم أكن أعرف أنه متزوج، وعندما علمت بالأمر رفضت أن أكون عشيقته، وعندها تزوجني والدك ليكون لك كنية. كنت وفية لوالدك، بايك أيزاك، طوال حياتي، فقد كان رجلاً عظيماً. حتى بعد موته كنت أمينه لـ...».

قال نوا بخمود: «أنا أفهم ما فعلته. لكن والدي الحقيقي هو كو هانسو. ولا يمكن تغيير هذا».

«أجل».

«أنا كوري وأعمل في تجارة قذرة. وأعتقد أنه عندما يجري حس مافيا الياكوزا في دمك يبدأ بالتحكم فيك. ولا يمكنني التخلص منه أبداً. هذه هي لعنتي». قال ضاحكاً.

قالت معترضة: «لكنك لست من الياكوزا. أليس كذلك؟ يمتلك موزاسو صالة باتشينكو وهو نزيه جداً. دائماً ما يقول كيف أنه من الممكن أن تكون موظفاً صالحاً وكيف يمكنك أن تتجنب الأشخاص السيئين، لطالما...».

هز نوا برأسه وقال: «يا أمي، أنا شخص نزيه، لكن هناك العديد من الأشخاص الذين لا يمكن تجنبهم في هذه المهنة. فأنا أدير شركة كبيرة وأقوم بما يترتب عليّ من واجبات». لاحت على وجهه نظرة مرارة.

قالت: «إنك فتى صالح يا نوا أعرف أنك...»، ثم شعرت بالحماقة لتناديه بالفتى «أقصد أنني متأكدة من أنك رجل أعمال ناجح ونزيه».

جلس الاثنان بصمت. غطى نوا فمه بيده اليمنى. كانت والدته تبدو كامرأة عجوز منهكة.

سألها نوا: «أتريدين الشاي؟». على مر السنوات تخيل نوا والدته وأخاه يأتيان إلى منزله بدلا من مكتبه المشمس. كانت قد سهّلت عليه الأمور بقدومها إلى هنا

بدلاً من منزله. تساءل ما إذا كان هانسو سيأتي إلى مكتبه تالياً. كان قد تطلب الأمر وقتاً أطول مما كان يعتقد حتى استطاع هانسو أن يجده.

«أتريدين تناول شيء؟ يمكنني أن أطلب...».

هزت سونجا برأسها وقالت: «عليك أن تأتي إلى المنزل».

ضحك قائلاً: «هذا هو بيتي. فأنا لست صبياً صغيراً».

«أنا لست نادمة على إنجابي لك. إنك كنز بالنسبة إليّ. لن أغادر إلا...».

«ما من أحد هنا يعلم أنني كوري».

«لن أخبر أحداً. سأتفهم الأمر. سأفعل ما...».

«زوجتي لا تعرف. لم تكن والدتها لتتقبل الأمر. حتى أولادي لا يعرفون ذلك ولا أنوي إخبارهم. سيطردني رئيس عملي إذا ما علم بالأمر. فهو لا يوظف الأجانب. يا أمي لا أحد يجب أن...».

«وهل هو عار أن تكون كورياً؟».

«إنه عار بالنسبة إليّ».

هزت سونجا رأسها وتكتفت.

«لقد صليت لأجلك. يا نوا لقد صليت لأن يحميك الرب. إنه كل ما يمكن للأم أن تفعله، أنا ممتنة لأنك على خير ما يرام».

في كل صباح، كانت تذهب إلى صلاة الفجر في الكنيسة، لتصلي لوليديها وحفيدها. كانت قد صلت من أجل هذه اللحظة».

«ما أسماء أولادك؟».

«وماذا يهم هذا؟».

«أنا آسفة يا نوا. أحضرنا والدك إلى اليابان ومن ثم، كما تعلم، لم يعد بإمكاننا المغادرة بسبب الحرب هنا، وبعدها الحرب هناك. لم يعد لدينا حياة هناك لنعود إليها والآن فات الأوان. حتى بالنسبة إليّ».

«لقد عدت».

«ماذا تقصد؟».

«أنا مواطن ياباني الآن ويمكنني أن أسافر. لقد زرت كوريا الجنوبية لأرى

مسقط رأسي».
«أنت مواطن ياباني؟ حقاً؟ كيف؟».
«إن هذا ممكن. لطالما كان هذا أمراً ممكناً».
«وهل ذهبت إلى بوسان؟».
«أجل. لقد زرت يونغدو. كانت صغيرة لكن جميلة». اغرورقت عينا سونجا بالدموع.
«عندي اجتماع الآن يا أمي. أنا آسف لكن لمَ لا نلتقي الأسبوع القادم؟ سآتي. أريد أن أرى موزاسو مجدداً. لكن عليّ أن أتولى بعض الأمور المستعجلة الآن.
«حقاً؟ ستأتي؟» سألته سونجا مبتسمة. حسناً. شكراً لك يا نوا. أنا ممتنة جداً، إنك ولد...».
«من الأفضل أن تغادري الآن. سأتصل بك لاحقاً الليلة عندما تصلين إلى المنزل».
نهضت سونجا بسرعة، وأوصلها نوا إلى النقطة حيث التقيا دون أن ينظر إلى سيارة هانسو.
«سنتكلم لاحقاً». قال عابراً الشارع نحو مقر عمله.

* * *

شاهدت سونجا ولدها يدخل إلى مقر عمله، ثم دقت باب سيارة هانسو. نزل السائق وفتح لها الباب.
أومأ هانسو.
ابتسمت سونجا شاعرة بالخفة والأمل.
نظر هانسو إلى وجهها متمعناً ثم عبس. «ما كان ينبغي عليك رؤيته».
«لقد مضى الأمر على ما يرام. سيأتي إلى المنزل الأسبوع القادم. سيسعد موزاسو كثيراً».
قال هانسو للسائق أن ينطلق. استمع إلى حديثها عن اللقاء.
في ذلك المساء، عندما لم يتصل نوا، استدركت أنها لم تعطِهِ رقم المنزل في يوكوهاما. في الصباح، اتصل هانسو بها. كان نوا قد انتحر مطلقاً الرصاص على نفسه بعد مغادرتها مكتبه بدقائق قليلة.

9

يوكوهاما، 1979

كانت إتسوكو ناغاتومي تحب أولادها الثلاثة، لكن لم يكن حبها لهم متساوياً. فكونها أماً، علمها أن هذا النوع من عدم التساوي في المشاعر شيء حتمي. في أواخر الصباح، كانت إتسوكو قد أنهت كل ما عليها فعله من أجل حفلة سولومون وجلست في مؤخرة المطعم الفسيح. كانت في الثانية والأربعين من العمر ابنة مدينة هوكايدو التي انتقلت إلى يوكوهاما منذ ستة أعوام بعد طلاقها. حافظت على جمال الصبا، ورأت أنه شيء مهم لها كصاحبة مطعم. رفعت إتسوكو شعرها الأسود مظهرة وجهها البيضوي المليء بالحياة. من بعيد يمكن أن تبدو قاسية الملامح، لكن وجهها عن قرب مفعم بالحيوية، ولم تكن عيناها الصغيرتان تفوتان شيئاً. كانت تضع تبرجها باحتراف حيث أنها كانت تضع أحمر الشفاه الأحمر والبودرة منذ أيام المدرسة الإعدادية، وكانت بذلة سانت لوران التي اشتراها موزاسو لها قد زادت من جاذبية جسدها النحيل.

بالرغم من أنها عادة تسبق جدول مهامها اليومي، كانت اليوم متأخرة على غير العادة. استمرت بالتحديق إلى الرسالة الهاتفية التي أرسلتها لها ابنتها من رقم غريب. كيف وصلت هانا إلى هناك من هوكايدو؟ الاتصالات مع ابنتها قد تستغرق خمس دقائق فما فوق، وكان موزاسو على وشك أن يأتي ليقلها، كثيرة هي الأمور التي يبدي موزاسو صبراً تجاهها لكنه كان يحب الدقة في المواعيد. إلا أن إتسكو كانت قد طلبت الرقم، ورفعت هانا السماعة من الرنة الأولى.

«لقد انتظرت كثيراً».

«أنا آسفة، لقد وصلتني رسالتك للتو». كانت إتسوكو خائفة من ابنتها البالغة من العمر خمسة عشر عاماً، وقد حاولت أن تبدو أكثر حزماً، كما هي حازمة مع

موظفيها.

«أين أنت؟».

«أنا حامل بالشهر الرابع».

«ماذا؟».

تخيلت إتسوكو عيني ابنتها التي لا يرف لهما جفن وهي تقول ما قالته. تشبه هانا الفتيات في المجلات المصورة برأسها المدور الجميل وجسدها الأنثوي الصغير. لطالما ارتدت ملابس لافتة للنظر؛ تنانير قصيرة وقمصان شفافة وأحذية عالية الكعب، وبالتالي لفتت انتباه جميع أنواع الرجال. كان هذا قدرها. فكّرت إتسوكو أن زوجها رفض فكرة القدر واعتبرها عذراً كسولاً للقرارات السيئة التي نتخذها. لكن الحياة قد برهنت معتقدها بأنه ليس هناك سياق محدد لها. بالنسبة إلى إتسوكو وثقت أن هذا ما سيحل بابنتها، وهذا حصل لها عندما كانت بعمر ابنتها تقريباً. عندما كانت في السابعة عشرة حملت بـتاتسو، الأخ الأكبر لهانا.

«أنا في طوكيو عند صديقتي».

«من؟».

«إنها نسيبة أحد معارفي تسكن هنا. اسمعي.. أريد أن آتي إلى منزلك فوراً».

«لماذا؟».

«وماذا تظنين؟ عليك مساعدتي».

«هل والدك يعلم؟».

«هل أنت غبية؟».

«هانا...».

«أعرف كيف أصل إليك. وأملك المال. سأتصل بك عند وصولي». ثم أغلقت هانا السماعة.

بعد سنتين من طلاقها، كانت هانا في الحادية عشرة من عمرها، وكانت قد سألت أمها إن كانت تستطيع التحدث إليها كصديقة وليس كأم، وافقت الأم على ذلك، بل وكانت ممتنة لأن ابنتها كانت تكلمها في الأساس. بالإضافة إلى أن إتسوكو وافقت على ذلك، فهي عندما كانت شابة صغيرة كانت تكذب على والديها

حول كل شيء. وكونها أماً منعزلة فقد ترتب عليها أعباء إضافية. لم يكن يُسمح لها أن تسألها أسئلة خصوصية أو أن تتدخل بشؤونها وإذا بدت قلقة جداً (وهو شيء كانت تكره هانا كثيراً) كانت تغلق السماعة في وجهها ولا تكلمها لعدة أسابيع.

ندمت إتسوكو على كثير من الأشياء في حياتها في هوكايدو، لكن أكثر ما ندمت عليه ما تركته سمعتها من اثر على أولادها. أبى أولادها البالغون أن يكلموها، وما زاد الطين بلة استمرارها بمواعدتها لموزاسو. أصرت أختها ماريو ووالدتها على أن تنهي تلك العلاقة. كان مجال عمل الباتشينكو قذراً وقالتا إن لتجارة الباتشينكو رائحة الفقر والإجرام. لكنها لم تستطع التخلي عنه. كان موزاسو قد غيّر حياتها. كان الرجل الوحيد الذي لم تخنه؛ وهذا أمر لم تعتقد إتسوكو أنه شيء قابل للتحقق.

في الربيع الذي سبق عيد ميلادها السادس والثلاثين عندما كانت متزوجة وتعيش في هاكايدو، أغوت إتسوكو أحد أحبائها من المدرسة الثانوية. لقد خاضت سلسلة من العلاقات طوال ثلاث سنوات تقريباً مع رجال تعرفهم من مرحلة مراهقتها. كانت المرة الأولى صعبة، لكنه شيئاً فشيئاً اكتشفت سهولة جعل الأخرين يسيرون في ركبها، فالرجال لا يمانعون تلقي الدعوات من النساء المتزوجات، وكل ما تطلبه الأمر منها أن تتصل برجل عاشرته منذ عشرين عاماً وتدعوه إلى منزلها للغداء عندما يكون أولادها في المدرسة. مكتبة

في ذلك الربيع، بدأت بمواعدة أحد أحبائها من السنة الأولى للمدرسة الثانوية. لقد أصبح رجلاً في غاية الوسامة، وهو زير نساء متزوج ولا يزال يميل إلى كثرة الكلام. في إحدى الأمسيات، في غرفة المعيشة الصغيرة في هوكايدو، وبينما كان ذلك الزير يرتدي ملابسه ليعود إلى مكتبه، تذمر بشأن عدم تركها لزوجها الذي كان يفضل قضاء وقته مع شركائه في العمل على رفقتها. وضع رأسه بين نهديها الصغيرين وقال: «يمكنني هجر زوجتي. فقط قولي لي وأنا سأنفذ فوراً». لم تجبه، لم تنوي إتسوكو هجر نوري وأولادها. لم تقل إن زوجها مضجر أو أنه يغيب كثيراً عن المنزل. لم يكن نوري شخصاً سيئاً. كان الأمر فقط أنها كانت لا تشعر به بحميمية كزوج بعد مرور تسعة عشر عاماً على الزواج. وكانت تشك بأن

تلك الحميمية ستأتي يوماً. لم يبدُ أنه يحتاج إليها إلا لتكون زوجته وأماً لأولاده. كان هذا كافياً لنوري.

لم يكن هناك عذر مقنع لتصرفها ذاك، كانت تعلم هذا، لكن في المساء، عندما يجلس نوري إلى طاولة المطبخ ليتناول عشاءه الذي برد لأنه تأخر بالعودة إلى المنزل مرة أخرى، كانت تنتظر حدوث شيء، دليل أو شعور ما. وبينما تشاهده وعيناه مثبتتان على إناء الأرز أرادت أن تهزه لأنه طوال حياتها لم تكن تتصور هذا القدر من الوحدة. وفي تلك الفترة، أعطاها أحدهم إعلاناً ورقياً عندما خرجت من أحد المتاجر. على الوجه الرقيق كان هناك صورة لامرأة نصفها هيكل عظمي والنصف الآخر طبيعي. وفي أسفل الصفحة كُتب: «في كل يوم تقتربين خطوة إلى موتك. من أين تأتي هويتك؟» رمت الإعلان فور استلامها إياه تقريباً لكن علقت الصورة في ذهنها طوال الوقت.

في آخر مرة رأت فيها الزير، أعطاها مجموعة من القصائد كان قد كتبها لها. وأثناء عبورها باب المطبخ، اعترف أنه لم يحب سواها. اغرورقت عيناه بالدموع، عندما قال لها إنها قلبه وحياته. طوال اليوم تجاهلت أعمال المنزل لتقرأ وتعيد تلك القصائد الجياشة والشهوانية. لم تستطع القول ما إذا كانت تلك القصائد جيدة أم لا، لكنها استمتعت بها. تعجبت إتسوكو من الجهد الذي بذله في كتابة تلك القصائد، ورأت أنه لا بد وأنه أحبها فعلاً ليريها حبه بطريقة كهذه. في النهاية، أعطتها تلك العلاقة الغرامية ما أرادته من جميع من حولها؛ تأكيد على أن ما قدمته في صباها لم يختفِ أو يذهب سدى.

في تلك الليلة، عندما كان الجميع نياماً، استلقت إتسوكو في حوض الاستحمام وتمتعت بذلك الشعور الذي كان أشبه بالنصر بالنسبة إليها. بعد الحمام، ارتدت ثوب نومها الأزرق والأبيض، وتوجهت إلى غرفة النوم حيث كان زوجها البريء يستغرق في النوم مطلقاً غطيطه. شيء محزن واحد بدا جلياً أمامها: إن أرادت أن يستمر كل الرجال الذين أحبوها بحبهم لها، توجب عليها أن تقسم نفسها عليهم، وتستمر بخيانتهم طوال الوقت وبهذا لن تصبح يوماً شخصاً طيباً وأخلاقياً. واتضح لها أنها لم تتخل يوماً عن مبدأ أن تكون شخصاً صالحاً بعد

كل ما فعلته. هل ستموت وهي تعيش هذه العيشة؟ في صباح اليوم التالي أخبرت الزير أنه لا يمكن أن يتصل بها بعد الآن. وبالفعل، لم يتصل. لكنه انتقل إلى ربة المنزل التي تأتي في المرتبة الثانية في الجمال بالبلدة.

بعد عدة أشهر، وجد نوري القصائد التي كان عليها أن تتخلص منها، وحينها ضربها للمرة الأولى في حياتهما الزوجية. حاول أبناؤها منعه وهانا التي كانت بعمر التسع سنوات شرعت بالصراخ دون توقف. في ذلك المساء، طردها نوري من المنزل فقصدت منزل شقيقتها. لاحقاً، قال لها المحامي إنه لا جدوى من محاولتها الحصول على وصاية لها على الأطفال، بما أن لا عمل لديها ولا خبرة. سعل من باب التهذيب معبراً عن عدم ارتياحه، وقال أيضاً إنه لا جدوى من تلك المحاولة بسبب ما فعلته. أومأت إتسوكو برأسها، وقررت أن تتخلى عن أولادها لكي لا تسبب لهم المشاكل، ولا تكون عبئاً عليهم بعد الآن.

عندما قرأت إعلاناً عن مطعم بحاجة إلى نادلة، انتقلت إتسوكو إلى يوكوهاما حيث لم تكن تعرف أحداً. أرادت إتسوكو أن تؤمن بأن موزاسو قد غير من طبيعتها تلك، الميالة إلى الخيانة. واتخذت من إخلاصها له جنسياً دليلاً على صحة ما تؤمن به.

حاولت مرة أن تشرح هذا الأمر لأختها، فأجابتها ماري: «قد تغير الأفعى جلدها لكنها ستبقى أفعى». ووالدتها، وبعد أن علمت أن موزاسو يريد الزواج منها قالت: «هذا لا يعقل! كيف؟ أن تتزوجي كورياً يعمل في مجال الباتشينكو؟ ألم تفعلي ما يكفي بأولادك؟ لم لا تقتليهم بدلاً من أن تفعلي ذلك بهم؟».

يجب دفع ثمن العقوبات، التي تتراكم على الأخطاء التي قمت بها، إلى أفراد عائلتك. لكنها لم تكن مقتنعة أنها قادرة على تحمل تلك المبالغ.

في المساء، أتى موزاسو ليأخذها، كانا سيذهبان لأخذ سولومون من مدرسته ليحصل على بطاقة تسجيل للأجانب. كان على الكوريين الذين ولدوا في اليابان بعد عام 1952 أن يبلّغوا إحدى الدوائر المحلية في منطقتهم في عيد ميلادهم الرابع عشر ليطلبوا إذناً للبقاء في اليابان. كل ثلاث سنوات على سولومون أن يقوم بهذا

الإجراء إلا إذا غادر اليابان نهائياً.

فور صعودها السيارة ذكّرها موزاسو بأن تضع حزام الأمان. كانت إتسوكو تفكر في هانا. قبل أن تغادر كانت قد اتصلت بالطبيب وقد حُدد موعد في نهاية الأسبوع.

أمسك موزاسو بيدها. وفكرت إتسوكو أن في وجهه وعنقه الممشوق قوة ما. لم تعرف كثيراً من الكوريين قبله، لكنها تخيلت أن ملامح وجهه المربع كانت كورية؛ من فكّه العريض إلى أسنانه البيضاء، ومن شعره الكثيف الأسود إلى عينيه الضيقتين المبتسمتين. قوامه النحيل وليونته، كل ذلك ذكرها بأصولها. كان يمارس معها الحب بانضباط، وكأنه غاضب، ووجدت أن مثل هذا السلوك يزيد من شعورها بالمتعة. كلما قرأت عن أحد أو شيء كوري تساءلت عن كوريا وكيف تبدو. كان والد موزاسو، القس المسيحي الراحل، من شمال كوريا، ووالدته التي كانت تعمل في تجارة الحلويات من الجنوب. والدته الصريحة بسيطة الأسلوب والملبس لدرجة أنه يمكن أن تخلط بينها وبين ربة منزل بسيطة أكثر من كونها والدة المليونير الذي يمتلك صالة باتشينكو.

كان موزاسو يحمل هدية بحجم قطعة توفو مغلفة بورق فضي من محل المجوهرات المفضل لديه.

«هل هذه لسولومون؟».

«لا. إنها لك».

«لماذا؟».

كانت ساعة ذهبية مرصعة بالألماس موضوعة في صندوق مخملي.

«إنها ساعة يد للعشيقات، اشتريتها الأسبوع الفائت. لقد أريتها لـكوبودا سان، الرئيس الليلي للطابق، وقال إن هذه الساعات الباهظة تُقدم للعشيقات لأنها تساوي خاتم الزواج الذي لا يمكنك أن تقدمه لها بما أنه قد حدث وتزوجت».

تفقّدت إتسوكو لترى ما إذا كان الزجاج بينهما وبين السائق مغلقاً. كان بالفعل مغلقاً. بدأ وجهها بالاحمرار:

«اجعله يوقف السيارة».

«ما الأمر؟».

سحبت إتسوكو يدها. أرادت أن تقول إنها لم تكن عشيقته لكنها أخذت تبكي ولم تقل شيئاً.

«لماذا تبكين؟ على مدى الأعوام الثلاثة الماضية كنت أجلب لك في كل عام خاتم ألماس أكبر من الذي قبله، ودائماً كنت ترفضين. فأعود إلى بائع المجوهرات ونبدأ باحتساء الشراب. لم يتغير شيء بالنسبة لي». تنهد ثم تابع: «أنت التي ترفض الأمر. ترفضين ياكوزا الباتشينكو».

«أنت لست من الياكوزا».

«أنا لست كذلك. لكن الجميع يعتبر الكوريين من المافيات».

«وهذا لا يعني لي شيئاً. لكن المشكلة هي عائلتي».

نظر موزاسو إلى خارج النافذة وعندما رأى ابنه، لوّح له.

توقفت السيارة وصعد سولومون في المقعد الأمامي. فُتح الزجاج الفاصل وأطل برأسه ليلقي تحية. اقتربت إتسوكو لتسوي ياقة قميصه الأبيض.

قال: «أريغاتو شكراً جزيلاً». دائماً ما خلط كلمات من عدة لغات في جملته من باب الدعابة. عاد إلى مقعده، وأغلق الزجاج لكي يتحدث مع السائق ياماموتو سان، عن مباراة فريق تايغرز الليلة السابقة. كان مدير أعمال فريق تايغرز لهذا العام أمريكياً وكان سولومون يأمل خيراً بهذا الموسم الطالع. إلا أن ياماموتو لم يكن كثير التفاؤل.

أمسك موزاسو بمعصمها برفق ووضع عليه الساعة: «إنك امرأة مضحكة. لقد جلبت لك هدية، قولي شكراً وانتهى الأمر. لم أقصد بكلامي أنك...».

بدأ أنفها يؤلمها وظنت أنها ستبكي مجدداً.

«اتصلت هانا. وهي قادمة إلى يوكوهاما اليوم».

«هل هي بخير؟».

كانت إتسوكو تذهب إلى هوكايدو مرتين كل عام لترى أولادها. لم يكن موزاسو قد التقى بهم قبلاً.

قال موزاسو: «ربما يمكنها الذهاب إلى حفلة سولومون. وأن ترى المغني

المشهور».

أجابت إتسوكو: «لا أعرف ما إذا كانت تحب هيرومي سان». لم يكن لإتسوكو أدنى فكرة ما إذا كانت هانا تحب موسيقى البوب. عندما كانت طفلة، لم تكن من الأطفال الذين يرقصون أو يغنون. حدقت إتسوكو إلى مؤخرة رأس السائق ذي الشعر الأشيب. كان السائق يهز برأسه إلى كلام موزاسو. بدا الأمر لطيفاً جداً. تمنت لو أن هناك شيئاً مثل حديث البايسبوا ذاك لتتكلم به مع هانا_ وفي ظنها أن مثل هذا الحديث هو موضوع آمن يمكن التطرق إليه من دون احتداد في الحديث.

أخبرت إتسوكو موزاسو أن لدى هانا موعداً مع الطبيب في يوكوهاما. عندما سألها إن كانت مريضة، نفت أمامه هذا الأمر.

هكذا كانت الحياة. كان تاتسو، ابنها البكر ذو الخمسة والعشرين عاماً قد استغرقه الأمر ثماني سنوات ليتخرج من الجامعة التي تطلب أربعة أعوام. ابنها الثاني تاري، رسب في امتحانات القبول في الجامعة ويعمل بائعاً لبطاقات السينما. لم يكن لها الحق بأن تتمسك بطموح أفراد الطبقة الوسطى، بأن يتخرج أولادها من جامعة طوكيو ليحصلوا على وظيفة مكتبية في مصرف اليابان التجاري أو أن يتزوجوا من أشخاص ينحدرون من عائلة مميزة. لقد جعلت منهم منبوذين قرويين، ولم يكن هناك مجال لهم لأن يكونوا مقبولين على الإطلاق.

فتحت إتسوكو قفل الساعة وأعادتها إلى الصندوق المخملي. وضعتها في الفراغ بينهما على الجلد المخرم الأسود للمقعد. أعادها موزاسو إليها.

قال: «إنها ليست خاتماً. أرجوك اعفيني من الرحلة إلى محل المجوهرات مرة أخرى».

حملت إتسوكو صندوق الساعة في يدها، وفكرت كيف أنهما بقيا سوية دون أن يتخلى عنها ومن دون أن ترضخ له.

كان مكتب يوكوهاما عبارة عن مبنى هائل الحجم بيافطة غامضة. أول موظف رأوه كان رجلاً طويلاً بوجه رفيع وشعر محلوق عن الجوانب. حدق إلى إتسوكو من دون حياء وعيناه مثبتتان على نهديها وردفيها وأصابعها المليئة بالمجوهرات. كانت متأنقة أكثر من موزاسو وسولومون اللذين يرتديان قميصين

أبيضين وسروالين أسودين وينتعلان حذائين باللون ذاته. بدوا مبشرين مورمونيين راقيين اعتادا التجول على دراجتيهما في قريتها عندما كانت فتاة صغيرة.

«الاسم...» ألقى الموظف نظرة إلى الاستمارة التي كان يملأها سولومون: «سورومون. ما هذا الاسم؟».

«إنه من الإنجيل. كان ملكاً. ابن الملك داوود. كان رجلاً حكيماً. سماني عمي بهذا الاسم». ابتسم الصبي للموظف، وكأنه يخبره بسر. كان صبياً مهذباً، لكن بسبب ارتياده مدرسه دولية يرتادها أمريكيون وأجانب من بلدان أخرى كان أحياناً يتفوه بكلمات لم يكن لياباني أن يتفوه بها.

«سورومون. ملك حكيم» قال الموظف مبتسماً. «ليس للكوريين أي ملوك الآن».

سألت إتسوكو: «ماذا قلت؟» أرجعها موزاسو إلى الوراء فوراً فرمقته بنظرة. كانت حدة انفعاله أسوأ من حدة انفعالها. في إحدى المرات عندما حاول أحد ضيوف المطعم أن يجعلها تجلس معه، وصادف أن كان موزاسو هناك، فمشى إليه وحمله ورماه خارج المطعم محطماً أضلاعه. لم تكن تتوقع منه رد فعل أقل من الآن لكن موزاسو حوّل نظره عن الموظف وثبته إلى يد سولومون اليمنى.

ابتسم موزاسو وقال ببرودة أعصاب: «عذراً يا سيد. إننا على عجلة من أمرنا ونريد العودة إلى المنزل بأسرع ما يمكن من أجل عيد ميلاد الفتى. هل هناك أي شيء آخر علينا فعله؟» ثم تكتّف موزاسو أمامه. «أشكرك على تفهمك».

التفت سولومون مشوّشاً إلى إتسوكو التي رمقته بنظرة تحذير.

أشار الموظف إلى آخر القاعة، وطلب من موزاسو وإتسوكو أن يجلسا. بقي سولومون واقفاً أمام الموظف. في الغرفة المستطيلة التي تشبه مقطورة القطار بكوّات مصفوفة على الطرفين، هناك ستة أشخاص يجلسون على المقاعد يقرأون جرائدهم أو مجلات المنغا. تساءلت إتسوكو ما إذا كانوا جميعهم كوريين. كان بإمكان إتسوكو وموزاسو مراقبة سولومون من مقعدهما وهو يكلم الموظف لكن لم يكن باستطاعتهم سماع أي شيء.

جلس موزاسو ثم وقف مجدداً. سأل إتسوكو ما إذا كانت تريد علبة من

الشاي من آلة البيع فهزت رأسها بالإيجاب. شعرت بأنها تريد صفع الموظف على وجهه. ففي المدرسة الإعدادية كانت قد صفعت فتاة متسلطة وبالفعل شفى ذلك غليلها. عندما عاد موزاسو مع الشاي شكرته وقالت: «كان عليك أن تعلم...» توقفت لبرهة عن الكلام ثم تابعت: «كان عليك أن تحذره. أقصد هل أخبرته أن اليوم لن يكون سهلاً؟». لم تقصد أن تنتقده لكن بعد أن خرجت الكلمات منها بدت قاسية جداً وندمت قليلاً.

أجاب: «لا، لم أقل له شيئاً». ثم بدأ يفتح ويغلق قبضته بتواتر. ثم تابع: «أتيت إلى هنا أول مرة لأسوّي أوراقي مع أمي وأخي نوا. كان الموظف عادياً بل إنه كان لطيفاً. ولهذا طلبت منك المجيء. ظننت أن وجود امرأة معه في هذا اليوم سيساعده»، تنهد. «كان من الغباء مني أن أتوقع اللطف في هذا المكان».

«لا لا. لم تكن لتتمكن من تحذيره. ولم يكن ينبغي عليّ قول ما قلت بتلك الطريقة».

«لا مفر. لا يمكن تغيير قدره. إنه كوري. عليه أن يحصل على تلك الأوراق، وأن يتبع جميع الخطوات القانونية بحذافيرها. ذات مرة في إحدى الدوائر الحكومية أخبرني أحد الموظفين أنني ضيف في بلده».

«أنت وسولومون ولدتما هنا؟».

«أجل. حتى أخي نوا ولد هنا. لكنه توفي». غطى موزاسو وجهه بيديه.

تنهدت إتسوكو.

«أياً يكن الأمر. لم يخطئ الموظف وهذا شيء على سولومون فهمه. من الممكن أن يتم ترحيلنا. ليس لدينا وطن، إن الحياة مليئة بالأشياء التي لا يمكننا التحكم بها، لذا فعلينا أن نتأقلم مع مثل هذه الأمور. فعلى ولدي أن يبقى حياً».

عاد سولومون إليهما، ثم أُخذت له صورة، وبعدها توجب عليه الذهاب إلى غرفة أخرى من أجل البصمات. وبعدها غادروا. كانت آخر موظفة امرأة ربيبة. كان زيها الأخضر يسطّح نهديها وكتفيها المدورتين. أخذت بسبابة يده اليسرى وغمستها بلطف في إناء الحبر الأسود. ضغط سولومون بيده على البطاقة البيضاء، وكأنها لوحة لأحد الأطفال. أزاح موزاسو نظره وتنهد على نحو مسموع، فابتسمت

الموظفة للصبي، وأخبرته أن يستلم بطاقة التسجيل من الغرفة المجاورة.

«لنجلب لك رقعة الكلب خاصتك».

«ماذا؟».

«إنه ما يتوجب علينا نحن الكلاب أن نحصل عليه».

ظهرت علامات الغضب على الموظفة فجأة وقالت:

«إن البصمات وبطاقات التسجيل هي أشياء أساسية من أجل السجلات الحكومية. ليس في الأمر ما يحملك على الشعور بالإهانة، إنه إجراء يُطلب من المهاجرين...».

تقدمت إتسوكو إلى الأمام خطوة وقالت: «لكنك لا تدعين ولدك يبصم على أوراق يوم عيد ميلاده أليس كذلك؟».

احمرت عنق الموظفة وقالت: «ولدي ميت».

عضت إتسوكو على شفتها. لم ترد أن تظهر شعور التعاطف أو الاعتذار تجاه الموظفة، لكنها كانت تعرف ما الذي يعنيه أن تخسر أولادها، كأن الأم وقعت تحت لعنة ما وليس هناك شيء في العالم يمكنه أن ينسيها ذلك الأسى.

قالت إتسوكو: «يقوم الكوريون بالكثير من الأشياء التي يمكن تقديرهم عليها. فهم يؤدون الأعمال الصعبة التي يأبى اليابانيون القيام بها؛ ويدفعون الضرائب ويطيعون القانون، ويربون أولادهم أحسن التربية و-».

أومأت الموظفة برأسها موافقة وقالت: «أنتم الكوريون دائما تقولون هذا».

قال سولومون مندفعاً: «إنها ليست كورية».

وضعت إتسوكو يدها على ذراعه ومشى الثلاثة خارج القاعة المغلقة. أرادت أن تزحف خارج المبنى الرمادي لترى الشمس مجدداً. شعرت بالحنين إلى جبال هوكايدو البيضاء.. رغم أنها لم تعرف تلك الجبال في طفولتها، لكنها أرادت أن تتمشى في الغابات البيضاء المثلجة تحت الأشجار العارية.. في حياة المرء كثير من الإهانات والصدمات ولم يكن لديها خيار إلا أن تستجمع ما كان لها. لكنها الآن تمنت لو أنها تستطيع أن تضيف خجل سولومون إلى كومة خجلها التي كانت من أسباب ما عانته سابقاً.

10

قدمت لها إحدى النادلات التي تعمل لدى والدتها، مشروباً غازياً، جلست هانا بالقرب من المنضدة تلعب بقشة الشرب. بعد أن أقلعت عن تمويج شعرها الذي بات متهدلاً بلونه الأسود المحمر، بدا بطوله المتساوي متراقصاً على كتفيها الصغيرين. ارتدت قميصاً قطنياً أبيض مكوياً مع تنورة سوداء مطوية تصل إلى ركبتيها مع جورب صوفي رمادي وانتعلت حذاء مدرسياً. لم تكن قد ارتدت مثل ذلك منذ أن كانت في المدرسة الابتدائية. كان بطنها مسطحاً، وبدا نهداها الصغيران أكثر امتلاء، كان من الصعب ملاحظة مظاهر حملها.

كان المطعم محجوزاً بمجمله بسبب مناسبة شخصية، وقاعة الطعام مجهزة من أجل الحفلة. غطى القماش الحريري الأبيض اثنتي عشرة طاولة مدورة وفي منتصف كل منها قبع شمعدان أنيق وتشكيلة من الزهور، وقف منظم الطاولات عند الباب ينفخ البالونات من علبة غاز الهيليوم فطارت كلها نحو السقف.

دخلت إتسوكو وسولومون إلى المطعم بهدوء، لقد أصر على المرور بالمطعم أولاً ليلقي التحية على ابنتها قبل أن يتوجه إلى المنزل ليبدل ملابسه. عند دخوله فتح فمه اندهاشاً بالزينة والتحول الكبير الذي طرأ على الصالة. وبعد أن رأى الفتاة جالسة على الطاولة الفارغة سأل: «هل هذه ابنتك؟».

«أجل».

قابلتهما هانا بابتسامة حياء.

تبادل سولومون وهانا السلام بتحفظ. بدا فضولهما المشترك واضحاً، أشارت هانا إلى البالونات التي تغطي السقف، وقبل أن تنطق إتسوكو أجاب سولومون بسرعة باللغة اليابانية: «إنه عيد ميلادي. لم لا تأتين إلى الحفلة؟ سيكون هناك عشاء على الطريقة الأمريكية ثم سنذهب إلى الديسكو».

أجابت هانا: «إذا كنت مصراً. سأحاول أن آتي».

عبست إتسوكو. أرادت أن تحدّث رئيس الطهاة حول لائحة الطعام، لكنها ترددت مخافة أن يظن بهما الظنون إن رآهما أحد منفردين. عندما عادت من المطبخ بعد عدة دقائق، كانا يتهامسان وكأنهما شابين عاشقين. تفقدت إتسوكو ساعة يدها، وألحّت على سولومون أن يذهب إلى المنزل. صاح قائلاً: «سأراك في الحفلة». ابتسمت هانا ولوحت له كما تلوح العاشقات الولهات.

«لم جعلته يذهب؟ كنت أستمتع بوقتي».

«عليه أن يجهز نفسه للحفلة».

«لقد ناقشت أمور الحفلة». قالت هانا بينما كان يطرف نظرها إلى المساحة قرب المدخل. كان هناك مئات الأكياس المليئة بأغراض الحفلة مصفوفة في أربعة صفوف، وكانت ستُنقل إلى الديسكو. كل كيس كان مليئاً بالأشرطة ومشغلة موسيقى من ماركة سوني ومجلات مراهقين مستوردة وصناديق من الشوكولا.

«يا ليت والدي كان من الياكوزا».

«هانا، إنه ليس...»، نظرت إتسوكو حولها لترى ما إذا كان من أحد يسمع حديثهما.

«لا يبدو ابن حبيبك نذلاً».

«حياته صعبة».

«ليست صعبة!؟ مدرسة أمريكية خاصة والملايين في حسابه في المصرف وسائق خاص، ما الذي تقولينه يا أمي؟».

«ذهب اليوم إلى إحدى الدوائر الحكومية ليطلب إذن بقاء في اليابان لثلاث سنين أخرى، لو أن طلبه رفض لكان عليه أن يرحل عن البلاد. عليه أن يحمل معه بطاقة تسجيل للأجانب أينما ذهب و...».

«حقاً؟ لكن لم يُرحل أليس كذلك؟ والآن سيحظى بحفلة فخمة راقية أجمل من معظم حفلات الأعراس».

«لقد ولد في هذا البلد، وكان عليه أن يبصم اليوم، في يوم عيد ميلاده وكأنه مجرم ما. إنه مجرد طفل. لم يرتكب خطأً».

«إننا جميعاً مجرمون. من كذابين إلى سارقين إلى عاهرات... هذا ما نحن

عليه». بدت عينا الفتاة السوداوان وكأنهما سرمديتان مثل الزمن: «ما من أحد بريء في هذا العالم».

«لم عليك أن تكوني قاسية القلب؟».

«أنا الوحيدة التي لا تزال تكلمك».

«لقد اعتذرت بما فيه الكفاية». حاولت إتسوكو أن تتحكم بمستوى صوتها لكن النادلات كن قد سمعن كل شيء، وفجأة لم يعد بينهما من حديث عن شيء مهم.

«لقد حددت موعداً». نظرت هانا إلى الأعلى. تابعت إتسوكو: «ستحل المشكلة بعد غد». نظرت مباشرة إلى وجه ابنتها الشاحب الغاضب. تابعت: «عليكِ ألا تكوني أماً. ليست لديك أدنى فكرة عن مدى صعوبة أن يكون لديك أولاد».

ارتجف الخط المستقيم لشفتي هانا، وغطت وجهها المدور الجميل بيديها وبدأت بالبكاء. لم تعرف إتسوكو ما إذا كان عليها قول شيء. وبدلا من أن تتابع كلامها وضعت يدها على رأس ابنتها. جفلت هانا، لم تنزع إتسوكو يدها بسرعة كما كان متوقعاً. فلقد مر وقت طويل منذ أن لمست شعر ابنتها الحريري البرّاق.

عندما عاشت إتسوكو في هوكايدو في منزل ضيق بسقفه الرشِح ومطبخه الصغير وغرفه الثلاثة الضيقة، كانت هناك بعض الأعمال التي أمدتها بالقليل من الصبر. في هذه اللحظة، مع نوع من الألم المتسرب، تذكرت إتسوكو مشاهدة ولديها يلتهمان الروبيان المكوم على الصحون الكرتونية الذي كانت قد قلته بنفسها من أجل الغداء. حتى في ذروة حر شهر تموز كان الأمر يستحق الوقوف أمام المقلاة الحامية لتسقط الروبيان المغطى بالطحين والبيض في زيت الفستق المغلي، لأن أولادها يجدون روبيان ماما ألذ وأشهى من الحلوى، وذلك بحسب قولهم. وفي هذه اللحظة تنبهت للأمر، وكأن غيمة ابتعدت لتكشف لها عن مشاعر دفينة، وكأن موجة هائلة غطتها، فكما كانت تحب تسريح شعر ابنتها المبلل بعد الحمام.

«أعلم أنك لم تريدينا. فقد أخبرني أخواي بهذا وأجبتهما بأنهما مخطئان بالرغم من أنني كنت أعلم أنهما محقان، بقيت معلقة بك لأني لم أردك أن تتخلي

عما بدأت به. كيف لك أن تقولي لي كم هو صعب أن يكون للمرء أولاد؟ فأنت حتى لم تحاولي أن تكوني أماً. بأي حق تقولين هذا؟ ما الذي يجعلك أماً؟».

صمتت إتسوكو مسمّرة تحت تأثير إدراكها أن الصورة التي ترى نفسها فيها هي ذاتها التي يراها فيها أولادها، لقد رأوها وحشاً.

«كيف يمكنك الاعتقاد أنني لم أردكم أنتم الثلاثة؟» تذكرت أن جميع الرسائل والهدايا والمال قد رفضه ولداها وأعاداه إليها. والأسوأ هو أنه عندما كانت تتصل بالمنزل لتطمئن عليهم كان والدهم يرد ولا يقول سوى «ألو» ومن ثم يعطي السماعة إلى هانا لأنها كانت الوحيدة التي تقبل التكلم مع المتصل. أرادت إتسوكو أن تبرر لنفسها، وأن تقدم لهم الدليل، كم من المحاولات باءت بالفشل.

لطالما كانت حريصة على أمومتها أكثر من أي شيء آخر، حتى أكثر من كونها زوجة وابنة وامرأة مطلقة وحبيبة وصاحبة مطعم. ومع ذلك فهي لم تستطع أن تقدم نفسها بالطريقة الصحيحة، فقد تغير داخلها إلى الأبد، رغم أنها أم إلى الأبد. من اللحظة التي ولد فيها تاتسو، غُمرت بالأسى والشك، لأنها لم تكن يوماً شخصاً جيداً كما يجب. وفشلها في أمومتها صار جزءاً من حياتها لن يزول حتى بعد مماتها.

«لكنني لم أتزوج من موزاسو. حتى أنني لا أسكن معه. وكل هذا كي لا أزيد الأمور سوءاً بالنسبة إلى أخويك».

أرجعت هانا رأسها إلى الوراء وبدأت بالضحك.

«ويفترض بي أن أشكرك على تضحيتك تلك. أليس كذلك؟ لم تتزوجي من زعيم عصابات كوري، وتريدينني أن أهنئك على هذا الأمر؟ لم تتزوجيه لأنك لم تريدي أن تعاني. أنت الشخص الأكثر أنانية الذي عرفته في حياتي. إذا أردت أن تعاشريه وتأخذي ماله لتفتتحي مطعمك الراقي هذا من دون أن تتزوجيه، فهذا قرارك. لم تفعلي هذا من أجل أخوي». جففت هانا وجهها بكم قميصها وتابعت: «لا تريدين أن يحكم عليك أحد. ولهذا لم تتزوجيه. ولهذا السبب غادرت هوكايدو_ لتختبئي في المدينة الكبيرة. وتعتقدين أنك ضحية مظلومة_ لكنك لست كذلك. غادرت لأنك خائفة وقد عاشرت جميع أولئك الرجال لأنك خائفة من

التقدم في العمر. إنك ضعيفة ومثيرة للشفقة. لا تحدثيني عن تضحياتك تلك لأنني لن أصدق هذا الهراء». عاودت هانا البكاء.

غرقت إتسوكو في كرسيّها. إذا ما تزوجت من موزاسو، فإنها ستؤكد للجميع في هوكايدو أن أي ياباني شريف بعد ذلك، لن يفكر بالاقتران بها أو بأي امرأة من مثيلاتها. فهي ستحمل لقب زوجة الياكوزا. ولن تُعرف بعدها على أنها صاحبة المطعم الناجح الأفضل في يوكوهاما_ صورة لم تصدق سوى نصفها. لا بد وأن موزاسو اعتقد أنها كانت شخصاً أفضل مما هي عليه في الواقع، وأن هانا مخدوعة بالأمر. حملت إتسوكو حقيبة سفرها ثم نكزت ابنتها لتنهض وتنطلقا.

تقع شقة إتسوكو في مبنى فخم على بعد أربعة أحياء من المطعم. وفي طريقهما إلى هناك، قالت هانا إنها لم تعد تريد الذهاب إلى الحفلة. أرادت أن تبقى بمفردها والنوم حتى الصباح. فتحت إتسوكو باب شقتها، وأدخلت هانا إلى غرفة نومها. فإتسوكو كانت ستنام على الأريكة هذا الليلة.

تمددت هانا على الفراش، وسحبت الغطاء نحو جسدها النحيف، وأطفأت النور. تكورت هانا حول نفسها وعيناها لا تزالان مفتوحتين دون أن تنطق بكلمة واحدة. لم ترد إتسوكو أن تتركها، فبالرغم من كل شيء كانت تشعر بشيء من الرضى، فقد اجتمعتا مجدداً. أتت إليها هانا لترعاها. جلست إتسوكو على حافة السرير ومسدت شعر ابنتها.

قالت هانا بهدوء: «كان لديك عطر أتذكره... اسمه جوي صحيح؟».

«ولا أزال استعمله».

أجابت هانا: «أعرف». وحاربت إتسوكو إلحاح نفسها على شم معصميها.

«ليس العطر فقط.. بل جميع روائح المستحضرات التي تضعينها. كنت أتجول بين المحلات متسائلة عن تلك الرائحة. رائحة ماما».

أرادت إتسوكو قول كثير من الأشياء لكن أكثر ما أرادته هو ألا تقترف مزيداً من الأخطاء.

«هاناكو...».

«أريد أن أنام الآن. اذهبي إلى حفلة الفتى. دعيني وشأني». كان صوتها هادئاً

ولطيفاً هذه المرة.

أرادت إتسوكو أن تتكلم لكن هانا لوّحت لها لتبتعد. بعدها قالت إتسوكو إنها متفرغة يوم الغد. ربما يمكنهما أن تحضرا سريراً وخزانة.

قالت إتسوكو: «وحينها يمكنك دائماً القدوم لزيارتي. يمكنني تدبر غرفة لك».

تنهدت هانا لكن دون أن تظهر أية ملامح على وجهها.

لم تستطع إتسوكو أن تكتشف ما تريده ابنتها. «أنا لا أقول أن عليك المغادرة. خاصة بعد...».

وضعت إتسوكو أناملها على شفتيها وأزالتها بسرعة قائلة: «يمكنك البقاء هنا وحتى أن ترتادي المدرسة».

نقلت هانا رأسها عن الوسادة وتنهدت مبقية على صمتها. «يمكنني الاتصال بوالدك وطلب ذلك منه».

رفعت هانا الغطاء إلى ذقنها وقالت: «إذا كنت تريدين هذا».

توجب على إتسوكو العودة إلى المطعم، لكنها استلقت على الأريكة لدقائق. عندما كانت أماً شابة كانت هناك فترة واحدة في ساعات استيقاظها تشعر فيها بالسكينة، وكانت تلك الفترة هي عندما يخلد أولادها إلى النوم في المساء. كانت تريد رؤية ولديها كما كانا سابقاً: سيقانهما ممتلئة وبيضاء وقصات شعرهما على شكل القلنسوة، لأنهما لم يستطيعا أن يثبتا على كرسي الحلاقة. تمنت لو أنها تستطيع العودة بالزمن إلى الزمن الذي كانت توبخ فيه أولادها فقط لأنها متعبة، ذلك الزمن الذي لم يكن فيه كثير من العيوب أو الأخطاء. لو تسمح الحياة بالمراجعة لكانت سمحت لهما بأن يبقيا بحوض الاستحمام مدة أطول، ولكانت قرأت لهما قصة أخرى قبل النوم، ولكانت أعدت لهما طبق روبيان آخر.

11

الأولاد المدعوون إلى حفلة سولومون هم أولاد وبنات الدبلوماسيين وأصحاب المصارف والمغتربين من أمريكا وأوروبا.

تكلم الحاضرون الإنكليزية أكثر من اليابانية. لقد اختار موزاسو مدرسة دولية في يوكوهاما لأنه أحب فكرة الغرب. كانت لديه طموحات محددة لابنه: على سولومون أن يتكلم اللغة الإنكليزية بطلاقة كما اللغة اليابانية، عليه أن يربى مع أبناء الطبقة الوسطى وعليه أن يعمل لدى شركة أمريكية في طوكيو أو نيويورك_المدينة التي لم يسبق لموزاسو أن زارها، لكنه تخيل أنها المكان الذي إذا ما قصده المرء فإنه سيحظى بفرصته. أراد لولده أن يكون ذا علاقات دولية.

في الخارج، اصطفت مجموعة من سيارات الليموزين السوداء اللون أثناء مغادرة الأولاد المطعم، شكروا موزاسو وإتسوكو على العشاء اللذيذ الذي تناولوه. صف موزاسو الأولاد خارجاً وأرشدهم قائلاً: «السيدات أولاً». جملة كان قد حفظها من مشاهدة الأفلام الأمريكية. صعدت الفتيات إلى السيارات المضيئة في مجموعات من ستة وتوجهت بهن بعيداً. ثم تلاهن الصبية. ركب سولومون في آخر سيارة مع صديقيه المفضلين، نايجل، ابن صاحب مصرف أمريكي، وآيا ابن صاحب شركة شحن هندي. كانت أضواء الديسكو خافتة ينطلق نورها من السقف، ما يقارب العشرين كرة بلورية ملونة معلقة بأطوال مختلفة عكست ألوانها لتضيء الصالة بحركات تحاكي حركة الكرات. كان لتلك الكرات تأثير بأن كل من تحتها يبدو مثل السمك في الماء. بعد أن وصل الجميع، وجلسوا إلى الطاولات، وقف شاب فليبيني وسيم وارتقى على المسرح. كان صوته خلاباً.

«أعزائي أصدقاء سولومون بايك، رينغو يرحب بكم». توقف قليلاً ليهتف الأطفال ثم تابع: «من أجل حفلة عيد ميلاد سولومون يقدم لكم رينغو النجم الياباني كين هيرومي والأسياد السبعة».

لم يصدقه الأولاد. رُفعت الستارة لتكشف عن فرقة من سبعة أشخاص وظهر المغني من الخلف. وبدا هيرومي شخصاً طبيعياً، كان الأمر يشبه خيبة الأمل. فهو يرتدي ملابس رجل الأعمال الذي نسي ربطة عنقه ويضع نظارة بإطار سميك مثل التي على غلاف ألبومه. كان من المستحيل على من يراه بشعره المسرّح أن يقدر أنه تجاوز الثلاثين من العمر.

بقي سولومون يهز برأسه ومسروراً. كانت الفرقة صاخبة، وسارع الأولاد إلى خشبة المسرح ليرقصوا بجنون. عندما انتهت الموسيقى طلب مشرف الحفل من الجميع أن يجتمعوا حول خشبة المسرح، وأتى الطاهي، إيتشيرو، بطاولة مدولبة عليها كعكة على شكل قاعدة البيسبول واتجه نحو سولومون. شموع طويلة وسميكة أضاءت وجه القالب. صرخت إحدى الفتيات: «لا تنسَ أن تتمنى أمنية يا عزيزي».

وبنفخة واحدة، أطفأ سولومون جميع الشموع، وبدأ الجميع بالتصفيق والصراخ بصوتٍ عال.

أعطته إتسوكو السكين المزينة بالشرائط ليقطع القطعة الأولى. سُلطت عليه بقعة ضوء بينما كان ينزل النصل المشحوذ فوق الكعكة.

سألته إتسوكو: «هل تريد مساعدة؟».

«أنا بخير». قال مستخدماً كلتا يديه لتقطيعها.

«أوه!» قال بعد أن انتبهت لبقع الحبر الموجود تحت أظافره. كان قد أزال معظمه بالغسيل، لكن بقي القليل منه على أطراف أصابعه. نظر سولومون إلى الأعلى مبتسماً لما يفعله.

أرشدت إتسوكو يده بلطف لتعيده إلى ما كان يفعله. بعد القطعة الأولى، أعاد السكين إليها، فتولت هي أمر تقطيع باقي الكعكة، وزع النادل أطباق الكعك وكان هيرومي الجالس وحيداً قد أخذ قطعة. أعطى موزاسو سولومون ظرفاً أزرق مسطحاً مليئاً بالنقود، وطلب منه أن يعطيه إلى المغني.. طلب كين هيرومي من سولومون أن يجلس. في هذه الأثناء فكرت إتسوكو أن أحداً لن يلاحظ الحبر في ظل هذه الإضاءة الخافتة.

عزفت الفرقة مجموعة أخرى من الأغاني من أجل الأطفال. عند نهاية الحفلة شعرت إتسوكو بالإرهاق الذي أدّى إلى أن تكون راضية وهو الشعور نفسه الذي ينتابها بعد إنهاء أعمال المطعم وإغلاقه. جلس موزاسو إلى الطاولة يحتسي الشامبانيا لوحده فجلست بالقرب منه. أعاد موزاسو ملء كأسه وأعطاها إياه فشربته دفعة واحدة ثم ضحكت. أخبرها أنها أبلت بلاء حسناً مع سولومون، فهزت رأسها قائلة: «لا».

قالت من دون أي سابق تفكير: «أعتقد أنها كانت ستفرح اليوم».

بدا موزاسو مشوشاً وبعد لحظات استدرك الأمر فأومأ برأسه مجيباً: «أجل. أعتقد أنها كانت لتفرح من أجله».

«كيف كانت؟» أزاحت إتسوكو جسدها لترى وجهه. كان انعكاس المعينات الملونة يتراقص على ملامح وجهه الحادة.

«سبق لي أن قلت لك إنها امرأة لطيفة مثلك».

«لا. أريدك أن تخبرني أكثر عنها بالتفصيل». أرادت أن تعرف نقاط الاختلاف وليس نقاط التقاطع. «أريد أن أعرف المزيد».

«لماذا؟ فهي ميتة الآن». بعد أن قال جملته بدا متألماً. لاحظ أن سولومون كان يرقص مع فتاة صينية طويلة قصيرة الشعر، كانت جبهته تلمع بقطرات العرق بينما يتبع خطوات الراقصة تلك الفتاة الساحرة. حدقت إتسوكو إلى كأس الشمبانيا الفارغة.

قال: «أرادت أن تسميه سيونغ. لكن من تقاليدنا أن يسمي الجد حفيده. والدي متوفى لذا سماه عمي يوسب سولومون». توقف عن الكلام لبرهة ثم تابع: «كان سيونغ ملكاً في كوريا. هو من أوجد الأبجدية الكورية. أعطاه عمي اسم ملك من الإنجيل بدلاً من ذلك. أعتقد أنه فعل ذلك لأن والدي كان قساً». ثم ابتسم.

«لماذا تبتسم؟».

«لأن يومي...» قال موزاسو اسمها بصوت عال، وفاجأه أمر أن يسمع صوت هذين المقطعين الصوتيين «كانت فخورة به جداً. فخورة بابنها. أرادت أن تعطيه حياة الملوك. كانت مثل أبي وعمي، فخورة. كانت فخورة بي وبعملي. كان الأمر

لطيفاً. لكن الآن وبعد أن تقدمت في العمر أتساءل لماذا». بدا موزاسو كئيباً: «ما الذي يجعلنا... نحن الكوريين – فخورين إلى هذا الحد؟».

«إنه شيء جيد أن تفخر بأبنائك». قالت وهي تمسد تنورتها. عندما ولد أبناؤها شعرت بالذهول فقد تعجبت من شكلهم البشري المصغّر ومن صحتهم. لكنها لم تفكر يوما بأن تختار اسماً من التاريخ... اسم ملك ما. لم تكن يوماً فخورة بعائلتها ولا ببلدها، بل لطالما خجلت بهما.

«أتت إليّ إحدى الفتيات اليوم وقالت إن سولومون يشبه والدته». قالت مشيرة إلى مجموعة من الفتيات في زاوية الصالة. كن يرتدين قمصاناً قصيرة من دون أكتاف وتنانير ملتصقة بسيقانهن النحيلة.

«كيف علمت هذا؟».

«كانت تقصدكِ أنتِ».

«أوه!» قالت إتسوكو مستدركة الأمر. قالت: «يا ليتني كنت والدته».

«لا لا. لن تريدي هذا». قال موزاسو بهدوء وشعرت بأنها تستحق تلك الكلمات.

«أنا لا أختلف عن تلك الموظفة التي تعمل هنا هذا المساء، أليس كذلك؟».

هزّ موزاسو رأسه ووضع يديه على يديها.

لماذا رأت عائلتها تجارة الباتشينكو سيئة إلى هذا الحد؟ كان والدها بائعاً متجولاً يبيع وثائق التأمين على الحياة الغالية الثمن لربات المنازل الوحيدات اللواتي لم يستطعن تحمل تكلفتها، بينما كان موزاسو يفتتح الصالات التي تستقبل الراشدين والراشدات من النساء والرجال ليلعبوا بالكرات المعدنية مقابل المال. الرجلان حصّلا المال بعد صراع مع الحظ والخوف والوحدة. في كل صباح يتلاعب موزاسو ورجاله بالآلات، فكان من المهم بالنسبة إليهم التأكد من أن هناك قليلاً من الرابحين وكثيراً من الخاسرين. ومع ذلك فإنا نلعب على أمل أن نكون من المحظوظين. كيف يمكنك أن تغضب من الذين أرادوا بملء إرادتهم أن يشتركوا في هذه اللعبة؟ لقد فشلت إتسوكو في هذه الناحية المهمة؛ لم تكن قد علّمت أولادها الأمل، أو أن يؤمنوا حتى بالاحتمالات المستبعدة بأنهم قد يكونون

من الفائزين. الباتشينكو لعبة غبية لا تشبه الحياة من قريب أو بعيد.

خلعت إتسوكو ساعتها الجديدة، ووضعتها في يده وقالت: «من قال إنني لا أريد خاتماً...».

لم ينظر موزاسو إليها لكنه وضع الساعة في جيبه وقال: «لقد تأخر الوقت وعلى الأولاد العودة إلى المنزل».

وقفت إتسوكو لتوزع الأكياس على الأولاد. قبل أن تنتهي الليلة زعم سولومون أنه جائع لذا عاد الثلاثة إلى المطعم. كان المكان نظيفاً مجدداً وبدا جاهزاً للخدمة.

«القليل من كل شيء». هذا كان جوابه عندما سألته ما الذي يريد تناوله. بدا سعيداً جداً، وهذا ما أثلج قلبها، لقد كان هو كل سعادتها وهذا هو الذي مثله سولومون لإتسوكو وموزاسو.

في آخر صالة المطعم، جلس موزاسو إلى طاولة لأربعة أشخاص وفتح الجريدة المسائية. بدا رجلاً في منتصف العمر ينتظر بهدوء وصول قطاره. توجهت إتسوكو نحو المطبخ وخلفها سولومون. وضعت ثلاثة أطباق بيضاء على طاولة التحضير. سحبت من الثلاجة صينية من الدجاج المقلي ووعاء من سلطة البطاطا؛ كانت تلك الأطباق التي أعدها إيتشيرو وفقاً لكتاب الطهو الأمريكي.

«لم لم تأت هانا؟ هل هي مريضة؟».

«لا». لم تحبذ إتسوكو أن تجيب بالكذب رداً على مثل هذا السؤال المباشر.

«إنها جميلة».

«أجل. إنها فائقة الجمال. وهنا تكمن مشكلتها». قالت والدتها هذه الجملة مرة عنها، وذلك حين مدح صديق للعائلة جمالها.

سألته: «هل استمتعت الليلة؟».

«أجل. لا أستطيع تصديق الأمر. هيرومي سان كلمني شخصياً».

«ماذا قال لك؟» وضعت قطعتين من الدجاج في طبقي موزاسو وسولومون، وقطعة من فخذ الدجاج في طبقها. «هل كان لطيفاً؟».

«كان لطيفاً وظريفاً. قال إن أصدقاءه المقربين هم كوريون. وطلب مني أن أكون صالحاً وباراً بوالدي».

لم يتنكر لها سولومون بل كانت له بمنزلة والدته شيئاً لطيفاً، لكنه جعلها تشعر بالقلق أكثر فأكثر.

«أخبرني والدك اليوم أن والدتك كانت فخورة بك منذ لحظة ولادتك».

لم يقل سولومون شيئاً.

لم تعتقد أنه قد يحتاج لأم بعد الآن، فقد أصبح كبيراً، وهو أفضل من معظم الأولاد الآخرين الذين لا تزال أمهاتهم على قيد الحياة.

«تعال إلى المغسلة ومد يدك».

«هدية؟» ضحكت ثم وضعت يده اليسرى فوق المغسلة وفتحت الصنبور.

«بقي بعض الحبر على يدك».

«هل يمكنهم ترحيلي حقاً؟».

«كل شيء على خير ما يرام، لا تفكر بالأمر». أجابت بلطف بينما راحت تمسح أطراف أصابعه بروية بإسفنجة الجلي. «لا داعي للقلق يا عزيزي سولومون».

بدا جوابها مقنعاً له.

«أخبرتني هانا أنها أتت إلى يوكوهاما لتتخلص من مشكلتها الصغيرة. هل هي حبلى؟ فقد جعل نايجل حبيبته تحبل وقد خضعت للإجهاض».

«صديقك نايجل؟» ثم تذكرت ذلك الفتى أشقر الشعر الذي يلعب معه ألعاب الأتاري في عطل نهاية الأسبوع. وهو يكبر سولومون بعام واحد فقط.

أومأ برأسه. «تبدو هانا شخصاً جيداً».

«إن أولادي يكرهونني».

قال محاولا إزالة الحبر بيده: «أولادك يكرهونك لأنك بعيدة عنهم». بدا وجهه جدياً. «إنهم مشتاقون إليك».

عضت إتسوكو على شفتها السفلى من الداخل. كانت تشعر بالعضلات الموجودة داخل فمها، فتوقفت كي لا تنزف. كانت خائفة من أن تنظر في وجهه وبالرغم من أنها حاولت ضبط نفسها لكنها انهارت باكية.

سألها: «لماذا تبكين؟ أنا آسف». اغرورقت عينا سولومون بالدموع.

أخذت نفساً عميقاً هادئاً ثم قالت: «عندما ولدت هانا، طبعت الممرضة آثار قدميها على بطاقة بيضاء، لكنها لم تزل الحبر نهائياً، لذا أزلته لها عندما عدت إلى المنزل. لا أعتقد أنها كانت قادرة على رؤية أي شيء لأنها كانت حديثة الولادة، لكنني شعرت بأنها تنظر إليّ لأنني كنت أؤلمها فظلت تبكي وتبكي...».

«ستكون هانا بخير يا إتسوكو. فحبيبة نايجل بخير الآن. من المحتمل أن يتزوجا بعد الانتهاء من المرحلة الجامعية. هذا ما قاله...».

«لا لا. ليس الأمر هكذا. أنا آسفة لأنك ظننت أنني لا أريد أن أكون والدتك».

وضعت يدها على بطنها، وحاولت تنظيم تنفسها: «لقد آذيت العديد من الأشخاص. وأنت ولد صالح يا سولومون. أتمنى لو أنك ابني أنا».

تدلى شعره الأسود السبل فتركه على جانبي وجهه ولم يبعده. غسل القلق عينيه.

«لكنني ولدت في مثل هذا اليوم، أليس من المضحك كيف لا يستطيع المرء تذكر لحظة ولادته وتذكر من كان موجوداً في تلك اللحظة؟ يتم إخبارك بجميع هذه التفاصيل، التي هي خارج ذكرياتك الخاصة. إنكِ هنا الآن. إنك أم بالنسبة إليّ».

غطت إتسوكو فمها براحة يدها المفتوحة، وفتحت كلمات سولومون ممراً واسعاً لكل ما يمكن أن تقوله من كلام. في مرحلة ما بعد اعتذارها، لا بد أن يأتي يوم آخر، وحتى بعد صدور حكم إدانة ما، فلا بد من وجود خير في هذا الحكم. أخيراً، أغلقت إتسوكو صنبور المياه، ووضعت الإسفنجة جانباً على المغسلة. أطلق أنبوب المياه النحاسي قطراته الأخيرة، ثم حل الصمت في المطبخ. فتحت إتسوكو ذراعيها واحتضنت الفتى في يوم عيد ميلاده.

12

أوساكا، 1979

تركت سونجا ابنها وحفيدها سولومون في يوكوهاما، وعادت إلى أوساكا عندما علمت أن والدتها، يانغجين، مصابة بسرطان المعدة. خلال فصلي الخريف والشتاء، كانت سونجا تنام بالقرب من فراش والدتها لتزيح بعض العبء عن زوجة سلفها المنهكة، كيونغي، التي بدأت برعاية يانغجين بعد وفاة زوجها يوسب. تابعت يانغجين حياتها على فراشها القطني عاجزة عن الحركة في الغرفة الرئيسية التي أصبحت غرفتها الخاصة شيئاً فشيئاً. عبقت رائحة زيت الكينا وبرتقال اليوسفي في أكبر غرفة في المنزل، وكانت الأرضية قد غُطيت بسجادات قش جديدة، وبصفين من أحواض خزفية لنباتات خضراء تنيرها نافذتان. كانت السلة الكبيرة القابعة قرب الفراش مليئة بالكامل باليوسفي من جزيرة كيوشو، والتي كانت هدية باهظة الثمن من أحد رواد الكنيسة الكورية في أوساكا، الذي فاحت رائحته العطرة. كان التلفاز الجديد من ماركة سوني بشاشته الملونة، شغالاً بصوت منخفض، بينما تنتظر النساء الثلاث مشاهدة برنامج يانغجين المفضل آذر لاندز.

جلست سونجا على الأرض بالقرب من والدتها التي جلست بدورها بأفضل وضعية ممكنة، أما كيونغي، فبقيت في مكانها المعتاد على الأرض في الجهة الأخرى من فراش يانغجين بالقرب من رأسها. كانت سونجا وكيونغي تحيكان أجزاء من سترة صوفية زرقاء اللون من أجل سولومون.

بينما كانت أطراف يانغجين ومفاصلها تتوقف عن العمل، وتضمحل عضلاتها وترتخي لتصبح مثل مادة هلامية، كان عقلها منطلقاً وأصفى من أي وقت آخر. تخيلت أنها تغادر جسدها لتركض برشاقة مثل الغزال. لكنها في الحقيقة بالكاد كانت قادرة على أن تتحرك؛ وبالكاد تأكل أي شيء، وإذا ما أكلت فبكميات قليلة

جداً. مع ذلك، كانت النتيجة غير المتوقعة لهذا المرض وللمرة الأولى في حياتها أن فقدت الرغبة والحافز للقيام بالأعمال. لم يعد بإمكانها إعداد الوجبات، ولا أن تجلي الصحون أو تمسح الأرضيات أو تحيك الملابس أو أن تعتني بالأطفال أو أن تغسل الملابس أو أن تعد الطعام لتبيعه أو أن تقوم بأي شيء. كانت آخر مهمة لها على هذه الأرض هي أن ترتاح قبل أن تموت. لم يكن عليها القيام بأي شيء على الإطلاق. لم يبقَ لها سوى أيام قليلة لتعيشها.

لم تكن يانغجين على دراية بما سيحصل بعد انتهاء هذه الجلبة؛ لكنها استشعرت أنها قد تذهب للقاء أولئك الذين ماتوا قبلها أو إلى يسوع المسيح ومملكته. أرادت أن ترى زوجها، هوني، مجدداً. ذات مرة، سمعت في إحدى الخطب في الكنيسة أنه في الجنة يمكن للمشلول أن يمشي وللأعمى أن يبصر. كان زوجها يعارض تلك الفكرة عن الرب، لكنها أملت أنه إذا ما كان الرب موجوداً حقاً فسيعرف أن هوني كان صابراً على ما ابتلي به من قيود جسده، وهو يستحق الأفضل. في كل مرة تململت يانغجين من الحديث عن الموت كانت كيونغي وسونجا تغيران السيرة.

سألت يانغجين: «هل أرسلت المال إلى سولومون؟ فقد طلبت منك أن ترسلي عملات جديدة من المصرف مباشرة».

«أجل لقد أرسلتها البارحة». أجابت سونجا وهي تعدل وضعية وسادة والدتها لكي تتمكن من رؤية الشاشة بشكل أفضل.

«متى سيصل المال إليه؟ فأنا لم أسمع منه بعد».

«سيصله اليوم أو غداً يا أمي».

لم يكن سولومون قد اتصل بوالدة جدته هذا الأسبوع، لكن كان ذلك مقبولاً. فقد كان مشغولاً بحفلته الكبيرة البارحة. كانت سونجا من علمه أن يرسل رسالة أو أن يتصل شاكراً الأشخاص.

«لا بد وأنه قد انشغل بالمدرسة. سأتصل به لاحقاً».

سألت يانغجين: «هل ذلك المغني مشهور حقاً؟» كان موزاسو قد فرش المنزل بالأثاث، وزود السيدات بأجور الصيانة بعد أن أوقفن عملهن بالحلويات.

لقد صعب على يانغجين أن تفهم مقدار ما أصاب حفيدها من غنى ليتمكن من استئجار مغني بوب من أجل حفلة عيد ميلاد ولده.

«لا بد وأن الأمر كان مكلفاً جداً. هل هذا المغني هو حقاً شخص مشهور؟».

«هذا ما قالته إتسوكو». كانت سونجا تتحرق شوقاً لتعرف كيف تجري أمور سولومون. فقد حان وقت استلام هويته لأول مرة. كانت قلقة بشأن ذلك.

بدأ البرنامج، ونهضت كيونغي لكي تعدل الهوائي. تحسنت الصورة. دوت شارة البرنامج الياباني المشهور في الغرفة.

«إلى أين ستذهب هيغوتشي سان اليوم؟» قالت يانغجين مبتسمة.

في برنامج آذر لاندز، كانت مقدمته هيغوتشي سان امرأة شابة، رشيقة الحركة بشعر مصبوغ باللون الأسود، تسافر حول العالم لتقابل أشخاصاً كانوا قد جالوا في بقاع أخرى من الأرض. لم تكن مقدمة البرنامج تلك امرأة عادية بين بنات جيلها. كانت عزباء موهوبة جابت العالم، وكان بإمكانها أن تسأل أي سؤال خاص. كانت معروفة بأن دماءها كورية، وكانت تلك الشائعة وحدها كفيلة لتجد يانغجين وكيونغي أن شجاعة هيغوتشي سان ورغبتها بالتجول أمران يمتان إليهن بصلة. كانا يتابعانها باهتمام. عندما كانتا على رأس عملهما، كانتا تسرعان إلى المنزل حالما تغلقان المتجر كي لا تفوتا أي دقيقة من البرنامج. لم تهتم سونجا يوماً بالبرنامج، لكنها باتت الآن تجلس معهما من أجل والدتها.

«الوسائد!» صرخت يانغجين، فسارعت سونجا لتجليسها. بالرغم من جميع المعيقات كانت كيونغي تأمل أن تذهب هيغوتشي سان إلى كوريا الشمالية. كان كو هانسو قد أخبر زوجها أن أهلها وأهل زوجها قد ماتوا، ومع ذلك، فإنها بقيت تواقة لتسمع أخباراً من بلدها. وأرادت أيضاً أن تعرف ما إذا كان كيم شانغو سالماً. بغض النظر عن عدد القصص المحزنة التي سمعتها من الآخرين الذين عاد أفراد عائلاتهم إلى البلاد، فإنها لم تكن تستطيع أن تتخيل موت ذلك الوسيم ذي النظارة السميكة.

عندما انتهت شارة البرنامج، أعلن صوت أن هيغوتشي ستكون اليوم في مدينة ميدلين لتلتقي بعائلة من المزارعين الذين يملكون أكبر حظيرة دجاج في كولومبيا.

كانت هيغوتشي التي ترتدي معطفاً فاتح اللون وتعتمر خوذتها الخضراء الشهيرة، قد تعجبت كيف أن عائلة واكامورا كانت قد قررت الهجرة إلى أمريكا اللاتينية في القرن التاسع عشر وكيف أن هذه العائلة ربت أولادها ليكونوا أفراداً يابانيين أخياراً في هذا العالم الجديد. «هل يستطيع الجميع تحدث اليابانية؟!» سألت بنبرة تعجب مليئة بالإعجاب والتقدير.

اقتربت الكاميرا من السيدة واكامورا، الأم الناجية. امرأة متغضنة الوجه، تبدو أكبر من عمرها الذي يبلغ 67 عاماً. كانت عيناها الكبيرتان مغمورتين بطيات الجلد، مليئتين بالحكمة والتعقّل. وكإخوتها، ولدت في ميدلين.

«كانت الحياة صعبة جداً على والديّ. لم يتقنا اللغة الإسبانية، وكانا يجهلان أمور رعاية الدجاج. توفي أبي إثر ذبحة قلبية عندما كنت في السادسة من عمري وربتني أمي لوحدها. بقي أخي البكر هنا مع والدتي، لكن أخويّ الآخرين ذهبا للدراسة في مونتريال ثم عادا. أما أنا وأختي فبقينا هنا نعمل في المزرعة».

قالت هيغوتشي سان متعجبة: «لا بد وأن ذلك كان عملاً صعباً».

قالت السنيورا واكامورا: «تعاني المرأة كثيراً في المجتمع».

«هذا صحيح».

توسعت اللقطة لتشمل المزرعة الفسيحة، والتي كانت أرضها عبارة عن بحر من الريش الأبيض الذي شكلته آلاف الدجاجات المكتنزة؛ لوّنت أعرافها الحمراء سكون اللون الأبيض.

وبناء على طلب هيغوتشي سان الملِح، عددتَ السنيورا واكامورا عدداً من الأعمال اليومية التي تقوم بها منذ أن أصبحت بطول يسمح لها بأن تنثر العلف مع تفادي أن يتم نقرها من قبل الدجاجات.

«لا بد وأنه كان عملاً صعباً». قالت هيغوتشي سان وهي تحاول ألا تتقيأ بسبب الروائح.

هزت السنيورا واكامورا كتفيها. كانت قدرتها على الصمود لا جدال فيها، بعد أن عرضت لنا جميع أجزاء المزرعة وكيفية عملها متضمنة أعمال رفع الآلات الثقيلة، كانت تتحدث إلينا وهي تمشي متثاقلة في الحقول الطينية.

في نهاية البرنامج ذي الثلاثين دقيقة، طلبت هيغوتشي سان من السنيورا واكامورا أن تقول شيئاً للمشاهدين باللغة اليابانية.

التفتت المرأة إلى الكاميرا بخجل ثم نظرت بعيداً وكأنها تفكر.

«لم أذهب يوماً إلى اليابان». ثم عبست «لكنني آمل أنني مهما أكن ومهما أفعل، وفي كل الأحوال، فأنا ما كنت إلا يابانية صالحة. آمل أن لا أجلب العار لأبناء شعبنا».

دمعت عينا هيغوتشي سان ثم أنهت البرنامج. وبينما عرضت أسماء الذين ساهموا بإنجاز هذا البرنامج على الشاشة، قال المذيع أن هيغوتشي سان تتجه إلى المطار قاصدة وجهة جديدة من أجل حلقة جديدة من برنامج آذر لاندز.

قال المذيع بسلاسة: «إلى لقاء آخر».

نهضت سونجا، وأطفأت التلفاز. أرادت أن تتجه إلى المطبخ لتغلي بعض الماء لإعداد الشاي.

«يا لها من عيشة!» قالت سونجا بصوت مرتفع «يا لمعاناة المرأة».

أومأت كيونغي برأسها موافقة على شدة المعاناة: «أجل، أنت محقة».

طوال حياتها، كانت سونجا تسمع هذا الرأي من نساء أخريات، بأنهن عانين في صباهن ويعانين كزوجات وكأمهات أيضاً. «المعاناة» كانت هذه الكلمة قد أصابتها بالغثيان. وماذا أيضاً؟ كانت قد عانت من أجل أن تؤمن حياة أفضل لـنوا ومع ذلك فلم تكن معاناتها كافية. هل كان عليها أن تجعله يعاني من ذل أنها كانت سكيرة من الطراز الأول؟ في النهاية، رفض أن يعاني من ظروف ولادته. هل فشلت الأمهات بوظيفتهن بعدم إخبار أولادهن أن المعاناة قادمة في هذه الحياة؟

قالت يانغجين: «أنت حزينة على نوا. أعلم هذا. إنه كل ما تفكرين به. في البداية كان كو هانسو والآن نوا. إنك تعانين لأنك أردت ذلك الرجل الرهيب. لا يمكن للمرأة أن تخطئ خطأ كهذا».

«وماذا كان عليّ أن أفعل غير هذا؟» سألت سونجا ثم سرعان ما ندمت على كلماتها تلك.

هزت يانغجين كتفيها وكأنها تقلد حركة المرأة من المزرعة. «أنت من جلب

العار لولدك لأنك أنتِ اخترت ذلك الرجل ليكون والده. أنت سبب معاناتك. نوا ذلك الصبي المسكين أتى من بذرة قذرة. إنك محظوظة لأن أيزاك تزوجك. كم كان رجلاً مباركاً. أتى موزاسو من دم أنظف من دم نوا. ولهذا فهو مبارك جداً في عمله».

غطت سونجا فمها بكلتا يديها. قيل إن النساء الكبيرات بالسن يتكلمن كثيراً ومعظم كلامهن لا فائدة منه، لكن يبدو أن والدتها كانت تحتفظ بهذه الأفكار والأقوال من أجلها. كان ذلك بمثابة إرث لئيم من والدتها التي كانت تخطط لكي تعطيها إياه. لم تكن سونجا قادرة على مجابهتها. ما المغزى من ذلك؟

أغلقت يانغجين شفتيها وتنهدت. «ذلك الرجل سيء».

«هو من أحضرك إلى هنا يا أمي. لو أنه لم يأتِ بك...».

قالت يانغجين: «هذا صحيح.. هو من جلبني إلى هنا، ومع ذلك فإنه يبقى رجلاً سيئاً. ولا يمكنك تغيير هذا الأمر. لم يكن أمام الفتى فرصة أخرى».

«هل كل معاناة نوا ناتجة عن ضيق الفرص أمامه، وهل كان يتوجب عليّ أن أجد له فرصة عيش أفضل؟ ولنفترض أنني كنت غبية إلى هذه الدرجة، ولنفترض أنني قمت بالعديد من الأخطاء التي لا تغتفر، فهل يعني ذلك أن هذه نتيجة تلك الأخطاء؟» سألت سونجا. «أنا لا.. لا أريد أن ألومك».

نظرت كيونغي إلى يانغجين نظرة استجداء، لكن المرأة الكبيرة بدت جاهلة لاستجدائها الصامت.

قالت كيونغي بهدوء: «هل أجلب لك شيئاً يا أختي؟ أتريدين شرب شيء؟».

«لا».

نظرت يانغجين إلى سونجا مشيرة إلى كيونغي وقالت: «إنها بالنسبة إليّ أكثر من عائلتي. إنها تهتم بي أكثر منك. إنك لا تهتمين سوى بنوا وموزاسو. أتيت إلى هنا فقط عندما علمت أنني سأموت قريباً. إنك لا تهتمين بشأني. لا تهتمين بأحد سوى بولدك».

وضعت كيونغي يدها على ذراع يانغجين بلطف.

«يا أختي على سونجا أن تعتني بسولومون، وأنت تعلمين هذا. قلت ذلك

بنفسك عدة مرات. كان موزاسو بحاجة إلى مساعدة والدته بعد موت يومي. عانت سونجا الكثير، خصوصاً بعد أن قام نوا...». بالكاد استطاعت نطق اسم نوا «وأنت.. كنت تملكين كل ما تحتاجين إليه صحيح؟» قالت محاولة تهدئة الوضع قدر الإمكان.

«أجل أجل.. لطالما قمت بما هو لصالحي. أنا قلقة على من سيعتني بك بعد أن أموت. عليك الاعتناء بكيونغي يا سونجا. لا يمكنها البقاء وحدها. يا إلهي. لو أن كيم تشانغو لم يهرب ولم يقتل نفسه. ذلك الرجل المسكين مات من أجل لا شيء».

بدأت يونغجي بالتلوي.

قالت سونجا: «يا أمي، إن دواءك يجعلك تقولين أشياء مجنونة. لم يذهب كيم تشانغو إلى كوريا إلا لأنه لم يستطع أن يتزوج من كيونغي. ولم يكن يستطع احتمال المزيد من معاناة الانتظار». قالت يانغجين بعد أن توقفت عن البكاء. كان الأمر أشبه بمشاهدة رضيع لم يكن يستطيع التوقف عن البكاء.

«كان ألطف من يوسب. بعد ما اعتل، تحول يوسب إلى شبه رجل، أما كيم تشانغو فكان رجلاً بحق. كان ليسعد كيونغي العزيزة لكنه مات الآن. يا للمسكين كيم تشانغو. يا للمسكينة كيونغي.

بعد رؤية تعابير كيونغي المذهولة، قالت سونجا بحزم: «عليك الخلود إلى النوم الآن يا أمي. سندعك ترتاحين. لا بد وأنك متعبة الآن. لنعد إلى الغرفة كي ننهي الحياكة هناك». قالت سونجا وهي تساعد كيونغي على النهوض ثم أطفأت الضوء.

«أنا لست تعبة. ستتركونني مجدداً أليس كذلك؟ عندما تشتد الأمور تكون المغادرة من أسهل الأشياء. حسناً. سأموت وبعدها لن تضطري للبقاء هنا، عندها يمكنك العودة إلى موزاسو الغالي. لم أكن يوماً عبئاً عليك. في كل لحظة في حياتي، إلى أن خانني جسدي ولم أعد قادرة على الحركة، عملت لأعيل نفسي. لم آخذ يناً واحداً فوق حاجتي للطعام. لقد ربيتك عندما مات والدك الطيب القلب...».

بذكر زوجها، عاودت يانغجين البكاء، فسارعت كيونغي إليها غير قادرة على احتمال رؤيتها تعيسة إلى هذه الدرجة.

راقبت سونجا كيونغي وهي تربت على ظهر والدتها بلطف إلى أن هدأت. كانت أمها غريبة عنها في تلك الفترة، من السهل القول إن المرض غيرها، لكنه لن يكون أمراً بسيطاً أليس كذلك؟ أظهر المرض والموت أفكار والدتها الحقيقية، تلك الأفكار التي كانت تخفيها. لكن سونجا ارتكبت خطأ، وهي لم تكن مقتنعة أن ولدها أتى من بذرة فاسدة. يقول اليابانيون عن الكوريين بأن العصبية والحماوة تجري في دمائهم. البذور والدماء.. كيف يمكن للمرء محاربة أفكار كهذه؟ كان نوا طفلاً حساساً يؤمن أنه إذا ما اتبع القوانين فسيكون من أفضل البشر لكن بطريقة مختلفة، غيّر العالم الهمجي فكره. من المحتمل أن سبب موته كان بسبب سماحها له بأن يؤمن بأفكار قاسية كتلك.

ركعت سونجا بالقرب من فراش والدتها.

«أنا آسفة يا أمي. أنا آسفة.. أنا آسفة. لقد كنت بعيدة عنك. أنا آسفة بشأن كل شيء».

نظرت العجوز بوهن إلى ابنتها الوحيدة، حاقدة على نفسها. أرادت يانغجين أن تبدي أسفها لكن القوة زحفت خارج جسدها مجبرة إياها على أن تغمض عينيها.

مكتبة
telegram @ktabpdf

13

«سألت هانا سولومون: «أنت لست مسيحياً أليس كذلك؟». كانت تجلس بالقرب منه على مقعد الكنيسة. للتو أنهى الكاهن مراسم تأبين جدته الكبرى، وبدأ عازف الأرغن بعزف «يا ليسوع المسيح من رفيق». كانت الترنيمة ستنهي مراسم الجنازة وبعدها سيبدأ الدعاء.

حاول سولومون أن يُسكت هانا بطريقة لبقة لكن عنادها فاز: «إن الأمر أشبه بطقوس العربدة أليس كذلك؟ لكن لا يمكنك فعل أي شيء مسل مثل الركض عارياً في الشارع أو تقديم الرضع كقرابين أليس كذلك؟ قرأت مرة أن الأمريكيين يقومون بأشياء كهذه إذا كانوا مسيحيين حقيقيين.. لكن على الأغلب يتعين عليكم أنتم الأغنياء التبرع بالكثير من المال. صحيح؟».

همست هانا في أذنه باللغة اليابانية، وكان وجه سولومون جدياً وكأنه يحاول التركيز. لقد استطاع شم رائحة ملمع شفتيها الذي كان برائحة الكرز.

لم يكن يعلم بم يجيب. فبعض اليابانيين يؤمنون بالفعل أن المسيحية هي نوع من طقوس العربدة. لم يرَ أصدقاؤه الأجانب في المدرسة الأمر بتلك الطريقة، كما أنه لم يكن يعرف كثيراً من اليابانيين المسيحيين.

وكزته هانا بخنصرها وهي تنظر إلى الكورس. كان الكورس يرنم الترنيمة المفضلة لدى جدته الكبرى وقد كانت ترددها معظم الأوقات.

وكباقي أفراد العائلة، كان سولومون مسيحياً. كان جده لأبيه، بايك أيزاك، من أوائل قساوسة الكهنوت في أوساكا. عندما كان سولومون فتى أصغر، كان يلقبون جده بالشهيد لأنه سجن بسبب معتقداته الدينية، ولم يبرح أن مات بعد أن أُطلق سراحه. لقد واظب سولومون وموزاسو وسونجا على الذهاب إلى الكنيسة كل أحد.

«إنهم على وشك الانتهاء، أحتاج إلى كأس من الجعة يا سولومون. هلا

نذهب؟ فقد كنت فتاة مطيعة وبقيت جالسة طول المراسم».

خيراً قال: «هانا.. هذه جدتي الكبرى». تذكرها سولومون وهي عجوز لطيفة تفوح منها رائحة زيت البرتقال والبسكويت. لم تكن تتكلم اليابانية جيداً، لكنها كانت تحمل إليه الفكة والحلوى في جيوبها الزرقاء الداكنة.

«علينا أن نبدي الاحترام».

«الجدة في الجنة الآن. أليس هذا ما تقوله المسيحية؟». قالت ذلك محاولة تقليد المؤمنين والمسلمين بهذه القناعة.

«ومع ذلك.. فهي ميتة».

همست قائلة: «لكنك لا تبدو مستاء جداً. وجدتك سونجا لا تبدو مستاءة أيضاً. أياً يكن الأمر، أنت مسيحي أليس كذلك؟».

«أجل.. أنا مسيحي. ولم أنت مهتمة بهذا الأمر إلى هذه الدرجة؟».

«أريد أن أعلم ما الذي يحدث بعد الموت. ماذا يحدث للأطفال عندما يموتون؟».

لم يعلم سولومون بماذا يجيب.

بعد عملية إجهاضها، انتقلت هانا للعيش مع والدتها. كانت قد رفضت العودة إلى هوكايدو، وأمضت الوقت مع والدتها في مطعمها ضجرة ومنزعجة من كل ما حولها. لم تستطع التأقلم مع اللغة الإنكليزية في مدرسة سولومون وكرهت الأولاد الذين هم عمرها، وأبت أن ترتاد المدرسة الثانوية المحلية.

حاولت إتسوكو معرفة ما يجدر أن تقوم به هانا، لكن هانا جعلت من سولومون مشروعها، وباتت تلاحقه أينما ذهب متى سنحت لها الفرصة.

ومثل الجميع، ظن سولومون أن جمال هانا استثنائي، لكن إتسوكو حذرته أن ابنتها مشاغبة ومثيرة للمشاكل، وقالت إن عليه أن يبتعد عنها، وأن يرافق فتيات من مدرسته.

«وأخيراً! لقد انتهت الصلاة. هيا بنا. يمكننا أن نخرج قبل أن تكتظ المخارج».

وكزته بمرفقها بلطف، ثم سحبته من كرسيه وقبل أن تقوده خارج المبنى.

* * *

في الزقاق خلف الكنيسة، أسندت هانا ظهرها وإحدى ساقيها إلى الجدار، والأخرى على الأرض. كانت تدخن. ومجدداً، سألته لم لا يمكنهما شرب الجعة. فكان هناك العديد من الأولاد في مدرسته من الذين يحتسون الكحول، لكن سولومون لم يحب طعمها كثيراً، وكان أصدقاوه يقعون في المشاكل أحياناً بسبب شربهم. ولا بد أن والده كان سيغضب منه جداً لو أنه أقدم على مثل هذه الأمور، وبطريقة ما كان سولومون يرفض بحرية الإقدام على تلك الأمور في الحفلات، لأن الأمر لم يكن قضية كبيرة. لكن كان من الصعب رفض طلب هانا لأنها كانت عنيدة جداً عندما تريد شيئاً ما. وهذا ما جعل هانا ترى فيه شخصاً تقليدياً محافظاً.

سحبت هانا من سيجارتها سحبة كبيرة مخرجة كمية كبيرة من الدخان بعد تنهدها. «لا يشرب الجعة، يحترم جنازة جدته الكبرى ولا يغضب على والده. أووه يا سولومون، ربما ينبغي عليك أن تصبح كاهناً». ثم جمعت كفيها بوضعية الدعاء وأغمضت عينيها.

«لن أصبح كاهناً، لكن ماذا سأصبح عندما أكبر؟».

ذات مرة أخبره فتى في المدرسة أكبر سناً منه أن جميع النساء ساقطات وجميع الرجال قتلة. لا تهتم الفتيات بمستقبلك أو عملك لأنهن يردن الزواج برجال أغنياء.

ضحكت قائلة: «لا أدري يا أيها الكاهن باتشينكو. لا ينبغي على المسيحيين أن يمارسوا الجنس قبل الزواج، صحيح؟».

زرر سولومون سترته. كان الجو بارداً في الخارج، ومعطفه لا يزال معلقاً في خزانة الصالة في الأعلى.

قالت مبتسمة: «أنت لا تزال بتولاً، أنا أعلم. فأنت في الرابعة عشرة من عمرك فقط. هل تريد ذلك؟».

«ماذا؟».

«معي أنا. فأنا يمكنني القيام بالأمر كما تعلم». سحبت من سيجارتها مجدداً بقوة أكثر. «لقد مارست الجنس مرات عديدة. فأنا أعلم ما الذي ستحبه».

أمسكت هانا بربطة عنقه التي ربطها له والده صباحاً ثم أفلتت يدها ببطء.

أبى سولومون أن ينظر إلى وجهها.

فُتح باب الكنيسة ببطء. لوّحت إتسوكو لهما من حيث تقف. «الطقس بارد. لم لا تدخلان؟ عليك أن تذهب إلى والدك يا سولومون لتتقبل التعازي أليس كذلك؟».

استطاع سولومون سماع القلق في صوت إتسوكو. أطفأت هانا سيجارتها ثم تبعته إلى الداخل.

داخل الصالة، تابعت هانا ملاحقتها لسولومون. طلبت منه أن يحزر قياس صدريتها. لم تكن لدى سولومون أية فكرة عن الأمر، لكنه بدأ بالتفكير بنهديها الآن. تركهما المعزون الذين كان معظمهم من الكبار في السن، لوحدهما، لذا تابعا تجوالهما في الصالة.

«لنجلب الجعة من أحد محال سفن ألفن 7–Eleven. يمكننا أن نذهب إلى منزلي لاحتسائها أو يمكننا أن نقصد الحديقة».

«لا رغبة لي بشرب الجعة الآن».

«ربما ترغب في ولوجي».

«هانا!».

«يا إلهي.. أسكت.. أنا أعجبك.. أعرف ذلك».

«لم عليك التكلم بهذه الطريقة؟».

«لأنني لست فتاة لطيفة، وأنت لا تحب الفتيات اللطيفات، ولا أحد سيحب ذلك. لا أريد أن أتزوج منك يا سولومون ولا أحتاج إلى مالك».

«ما الذي تتكلمين عنه؟».

«تباً لك». قالت هانا مبتعدة. تبعها سولومون وأمسك بيدها.

ابتسمت له هانا ابتسامة خفيفة. بدا الأمر وكأنها تحولت إلى شخص آخر. كانت ترتدي فستاناً صوفياً أسود بياقة بيضاء جاعلاً إياها تبدو أصغر منه سناً.

ظهرت جدته سونجا.

«جدتي» قال سولومون مرتاحاً لرؤيتها. كان يشعر بالحماس عندما يكون بالقرب من هانا، لكنها في الوقت نفسه كانت توتره وتخيفه. أحس أنه من الأفضل

وجود شخص بالغ في حضرتها. فالبارحة رآها تسرق علبة البسكويت من أحد المتاجر.

عندما غادرت المتجر، انتظر قليلاً كي يحاسب الموظف بثمن البسكويت، خوفاً من أن يتورط الموظف في مشكلة ما. في مجال عمل والده، إذا ما فُقد غرض ما، فإن الموظف المسؤول عن ذلك يفصل مباشرة.

ابتسمت لهما سونجا. ثم أمسكت بزند سولومون الذي بدا مرتبكاً محاولة تهدئته.

«تبدو وسيماً جداً ببذلتك هذه».

قال سولومون: «هذه هانا؟» انحنت هانا احتراماً. أومأت سونجا برأسها. كانت الفتاة جميلة وجريئة جداً.

كانت سونجا في طريقها لتكلم موزاسو، فلم يكن من المحبذ تركه مع الفاتنة الجريئة.

سألته: «سأراك في المنزل صحيح؟» أومأ موزاسو برأسه بالإيجاب.

وحالما أدارت سونجا ظهرها، قادته الفتاة إلى خارج المبنى.

كان هانسو يمشي متكئاً على عكازه، وعندما رأى سونجا تمشي بشكل مائل في الصالة، ناداها.

سمعت سونجا صوته. كان صوت والدتها كبيراً، ويصعب أن تتحمله.

«كانت والدتك امرأة قوية. لطالما ظننت أنها أقوى منك».

حدقت سونجا إليه. في اللحظات التي سبقت موتها، قالت والدتها إن هذا الرجل قد دمر حياة سونجا. لكن هل فعل ذلك حقاً؟ كان قد أعطاها نوا، ولو أنها لم تحبل منه ما كانت لتتزوج أيزاك/ ومن دون أيزاك لما كانت قد حظيت بموزاسو وبحفيدها سولومون. لم تعد تريد أن تكرهه. ما الذي قاله يوسف لإخوته عمن باعه كعبد عندما رآهم مجدداً؟

«أنتم قصدتم أذيتي والله أراد أن يتم الذي يحصل الآن، إنقاذ الكثير من البشر». هذا ما قاله لها أيزاك عندما سألته عن شر هذا العالم.

«مررت إلى هنا لأطمئن عليك. وإذا ما كنت بحاجة إلى شيء ما».

«شكراَ».

«لقد توفيت زوجتي».

«يؤسفي سماع هذا».

«لم أتمكن من طلاقها لأن والدها هو رئيس عملي. فقد تبناني».

منذ وقت طويل كان موزاسو قد شرح لها كيف أنه بعد تقاعد حميّ هانسو، أصبح هانسو الرجل المسؤول في ثاني أكبر عائلة ياكوزا في كانساي.

«ليس عليك أن تشرح أي شيء. ليس لدينا أي شيء لنتكلم به أنا وأنت. شكراً على مجيئك اليوم».

«لم عليك أن تكوني جامدة معي هكذا؟ ظننت أنك ستقبلين الزواج بي».

«ماذا؟ هذه جنازة أمي. لم لا تزال مصراً على الوجود في حياتي بعد أن رحل نوا؟ حتى إنني لم أتمكن من الذهاب إلى جنازة ابني...».

«لقد كان وحيدي...».

«لا، لا، لا.. إنه ابني أنا. ابني وحدي».

مشت سونجا نحو الصالة تاركة إياه متكئاً على عكازه. لم تستطع التوقف عن البكاء، وعندما رأتها النسوة على هذه الحال أخذن بمواساتها. بدأت إحدى النسوة التي لم تكن تعرفها بالتربيت على ظهرها بلطف، ظناً منها أنها تنتحب على والدتها.

14

يوكوهاما، 1980

كان الأمر مثيراً جداً، لم يسبق لسولومون أن كان مع فتاة من قبل. كانت هانا تعرف كثيراً عن تلك الأمور. لذا، علّمته أن يفكر بأشياء أخرى، وأن يغلق عينيه إذا ما أثير كثيراً لأن عليه أن ينتظرها.... قام سولومون بكل شيء طلبته منه هانا، ليس لأنه كان منبهراً بها بل لأنه أراد أن يجعلها سعيدة. كان ليفعل المستحيل لإسعادها، لكن بالرغم من أنها كانت ذكية وجميلة جداً ومثيرة، إلا أنها بدت حزينة وقلقة.

لم تستطع البقاء هادئة، وكانت مدمنة يومية على الشراب والجنس. لذا، جعلت من ابن الخامسة عشرة حبيباً مثالياً لتلبية رغبات ابنة السابعة عشر الخبيرة والجامحة.

بدأ كل ذلك، بعد جنازة يانغجين، جلبت هانا الجعة وتوجهت إلى شقة إتسوكو. خلعت فستانها، ثم جردته من ملابسه، جرت إلى السرير واتخذت التدابير الوقائية كي لا تحمل مجدداً، وشرحت له ما عليه القيام به، أخذ جسدها بلبه، وكانت سعيدة بتأثير جسدها عليه، فقد بلغ الذروة سريعاً، وكانت قد توقعت ذلك وهي التي صارت باكراً خبيرة بهذه الأمور، وما أن انتهى حتى بدأت ببرمجة إيقاعه بما يناسبها.

كانت لقاءاتهما يومية في شقة إتسوكو، وبطاقة الشاب كانت ممارساتهما اليومية متعددة، لم تكن إتسوكو في المنزل، وكان سولومون يخبر جدته أنه مع أصدقائه، وعند حلول المساء كان عصفورا الحب يفترقان، فسولومون يعود إلى بيته لتناول العشاء مع أبيه، أما هانا فتذهب إلى مطعم والدتها لتناول وجبتها.

تواجدهما معاً، جعل من سولومون شخصاً مختلفاً، كان يدرك أنه لا يزال

صغيراً، ولكنه أعمل الفكر طوال الوقت ليجد طريقة يبقى معها ولا يقتصر الأمر فترة بعد المدرسة أو في الإجازة. لقد حاول إنجاز أكبر قدر من الفروض في المدرسة حتى يكون صافي الذهن عندما يكون معها ولا يشغله عنها شيء، لقد توقع والده منه علامات مرتفعة، وكان على قدر المسؤولية. لقد أسرت تفكيره، فعندما لا تكون معه يفكر فيها وبما تقوم به، ويخشى أن يخسرها لصالح شاب أكبر منه، لكنها لطالما طمأنته أن لا يقلق حيال ذلك.

لم يكن إتسوكو وموزاسو على دراية بما يقوم به سولومون وهانا، وكانت هانا قد أخبرت سولومون أنه يجب أن لا يعلم أحد بالأمر.

قالت له: «أنا فتاتك السرية وأنت فتاي السري، اتفقنا؟».

في أحد الأيام، بعد حوالى أربعة أشهر، أتى سولومون إلى الشقة ووجد هانا بانتظاره مرتدية ثياباً تحتية لحمية اللون وحذاء عالي الكعب. بدت وكأنها فتاة من غلاف على مجلة بلاي بوي.

«هل تملك المال يا سولومون؟».

«أجل.. لماذا؟».

«أريد بعض المال. عليّ أن أشتري أشياء لإثارتك. مثل هذه. أليست جميلة؟».

حاول سولومون أن يحضنها لكنها مدت يدها اليسرى بلطف وقالت: «المال رجاء».

أخرج سولومون محفظته وسحب منها ألف ين وسألها:

«لم تحتاجينها؟».

«أحتاج إليها وحسب. هل معك المزيد؟».

«بالطبع». سحب سولومون مبلغ خمسة آلاف ين التي يحتفظ به للضرورة خلف صورة أبيه. كان والده قد قال له أن يبقي معه مبلغاً احتياطياً في حال حدوث شيء ما.

«أعطه إلى هانا تشان رجاء».

أعطاها سولومون المال فوضعته على الطاولة إلى جانب الألف ين.

مشت هانا ببطء نحو الرف حيث تبقي إتسوكو المذياع، وقلبت بين الإذاعات

إلى أن وجدت أغنية بوب كانت تحبها. انحنت وبدأت تحرك ردفيها مع الموسيقى وهو يراقبها، مشى سولومون نحوها فاستدارت وحلت زر بنطاله. ومن دون أن تنطق بكلمة، دفعته على الكرسي بالقرب منها وركعت. لم يكن سولومون على دراية بما ستفعل.

أنزلت هانا شريطي صدريتها المخرمة عن كتفيها ومن ثم أخرجت نهديها مظهرة حلمتيها. حاول أن يلمسهما لكنها ضربته على يده. وبيديها تلامس مؤخرته، بدأت مداعبته بفمها.

عندما انتهى، رأى أنها تبكي. «ما الأمر يا هانا؟».

«عد إلى منزلك يا سولومون».

«ماذا؟».

«لقد انتهيت، فاذهب».

«أتيت إلى هنا لرؤيتك؟ لم كل هذه الجلبة؟».

«اذهب يا سولومون؟ إنك مجرد فتى يسعى وراء الجنس. أنا بحاجة إلى المال وهذا غير كافٍ. ماذا عليّ أن أفعل؟».

«عم تتكلمين؟».

«عد إلى منزلك وإلى دروسك. اذهب وتناول الغداء مع والدك وجدتك. فأنتم جميعاً متشابهون. أنا مجرد طفلة لأبوين مطلقين. وأنت تظن أنني تافهة لأن والدتي ذائعة الصيت بأنها بائعة هوى».

«ما الذي تقولينه؟ لم ولن أفكر هكذا يوماً يا هانا. يمكنك أنت أيضاً القدوم.. لكنني ظننت أنك تذهبين إلى مطعم والدتك بعد رحيلي».

غطت هانا نهديها وتوجهت إلى الحمام لتجلب رداءها. عادت مرتدية رداء ياكوتا أحمر اللون. بقيت هادئة جداً، ثم قالت له أن يجلب لها مزيداً من المال في اليوم التالي.

«إننا أصدقاء يا هانا. أنا أحبك. يمكنك الحصول على كل المال الذي أملكه. لدي بعض النقود في المنزل من هدايا عيد ميلادي، لكن جدتي تبقيه في درجها وليس بإمكاني أن آخذه كله دفعة واحدة. لم تحتاجينه؟».

«عليّ الرحيل يا سولومون. لا يمكنني البقاء هنا بعد الآن. عليّ أن أكون مستقلة».

«لماذا؟ لا.. لا تذهبي».

فكر كل صباح ومساء بما يمكنه القيام به ليتمكنا من العيش معاً. كانا صغيرين على الزواج، لكنه فكر أنه بعد التخرج من المدرسة الثانوية سيتمكن من أن يحصل على عمل ما ليعتني بها، لقد فكر بالزواج بها. ذات مرة قالت إنها إذا ما تزوجت لن تفكر بالطلاق أبداً. لأنها لن تقدم على الطلاق حفاظاً على أولادها. عومل أخواها بطريقة سيئة جداً بعد رحيل والدتها. لكن موزاسو أراده أن يلتحق بجامعة أميركية. كيف سيتمكن من تركها؟ تساءل ما إذا كانت تستطيع القدوم معه. ويمكنهما الزواج بعد الانتهاء من المرحلة الجامعية.

«يا سولومون.. سأذهب إلى طوكيو لأحظى بحياة حقيقية. لن أبقى في هذه الشقة أنتظر صبياً بعمر الخامسة عشرة كي يأتي و...».

«ماذا؟».

«علي أن أفعل شيئاً قيماً في حياتي. فيوكوهاما سخيفة، وأفضل الموت على أن أعود إلى هوكايدو».

«وماذا عن تلك المدرسة التي وجدتها لك والدتك؟».

«لا يمكنني ارتياد المدرسة. فأنا لست ذكية مثلك. أريد أن أظهر على التلفاز مثل الفتيات في الأفلام، لكنني لا أعرف شيئاً عن التمثيل ولا يمكنني الغناء، حتى أن صوتي رهيب».

«ربما يمكنكِ تعلم كيفية التمثيل والغناء. أليس هناك مدارس لتعليم هذه الأشياء؟ ألا يمكننا أن نطلب من والدتك أن تجد لك المدرسة المناسبة؟».

انبهرت هانا لوهلة، ثم سرعان ما عادت ملامح الحزن إلى وجهها. «ستظن أن الأمر سخيف. لن تساعدني. ليس في هذا الأمر. بالإضافة إلى أنني لا أجيد القراءة جيداً، وعليك في هذا المجال أن تكون قادراً على قراءة نصك وحفظه. شاهد تلك الممثلة البارعة على التلفاز في مقابلة لها قالت فيها إنها تعمل بجهد على القراءة والحفظ. أنا لا أنفع لشيء سوى للجنس. لكن ما الذي سأفعله عندما يزول جمالي؟».

«ستبقين جميلة دائماً يا هانا».

ضحكت ثم قالت: «لا أيها الأبله. فالنساء يفقدن جمالهن بسرعة. بدأت علامات الكبر تظهر على والدتي. من الأفضل لها أن تحافظ على والدك. فهي لن تحصل على أفضل من ذلك».

«ألا يمكنك العمل لدى والدتك؟».

«لا لا، أفضل الموت على أن أقوم بذلك. أنا أكره رائحة زيت الصويا التي تعلق في شعري. إنها مقرفة. لا أتخيل نفسي أنحني طوال اليوم لزبائن كسالى ببطون كبيرة يتذمرون بسبب أشياء تافهة. حتى هي فإنها تكره هؤلاء الزبائن. إلا أنها منافقة».

«إن إتسوكو ليست كذلك».

«هذا لأنك لا تعرف حقيقتها».

مسد سولومون شعرها، وفتحت هانا رداءها وأنزلت سروالها الداخلي.

سألته: «هل يمكنك القيام بالأمر الآن؟ مجدداً؟ فأنا بحاجة لأن تباضعني. المرة الثانية دائماً ما تكون أفضل.. لأنها تدوم لوقت أطول».

أجل.. كان سولومون قادراً على فعلها مجدداً.

كانت تطلب منه المال كل يوم، وكان يعطيها من مال عيد ميلاده الموجود في درج جدته حتى لم يتبقَ منه شيء. وعندما يأتي لزيارتها كانت تريد تجربة أشياء جديدة حتى عندما كان الأمر يؤلمها، لأنها أخبرته أنها تريد أن تبرع في الأمر. وحتى عندما لا تعجبه طريقة ما، كانت تجعله يتمرن عليها وأن يلعب بعض الأدوار. تعلمت كيف تتكلم مثل الفتيات في الأفلام الإباحية.

بعد انتهاء المال بأسبوع، وجد سولومون ورقة مخبأة في مقلمته تقول: «يوماً ما ستجد فتاة رائعة، ولن تكون مثلي. أعدك بهذا. لكن ما بيننا كان ممتعاً أليس كذلك؟ أنا زهرتك الشقية يا سورو تشان».

في عصر ذلك اليوم، هرع سولومون نحو شقة إتسوكو ليجد هانا قد رحلت. لم يرها مجدداً إلا بعد ثلاث سنوات في مطعم شهير للأوناغي (الإنقليس) في طوكيو لتعطيه سترة قبل أن يرتاد الجامعة في نيويورك.

15

نيويورك، 1985

«أين أنت؟» سأل سولومون باللغة اليابانية. «والدتك لا تعرف مكانك؟ الجميع قلق عليك».

أجابت هانا: «لا أريد أن أتكلم عنها. إذاً.. أخبرني.. هل لديك حبيبة الآن؟».

«أجل». أجاب سولومون دون تفكير. «هل أنت بخير يا هانا؟».

«أخبرني عنها. هل هي يابانية؟».

«لا». أراد سولومون أن يبقيها على الخط. منذ حوالى الخمس سنوات، بعد أن انتقلت من شقة إتسوكو، تنقلت بين عدة مطاعم وعملت نادلة في طوكيو دون أن تخبر أحداً بمكانها. كانت إتسوكو قد عجزت عن فعل المزيد، فقد عيّنت محققين من أجل إيجادها لكن لم يحالفهم الحظ بتعقبها.

«أخبريني أين أنت يا هانا، وأرجوك أن تتصلي بوالدتك...».

«اخرس أيها الفتى الجامعي، وإلا أنهيت المكالمة».

«أووه يا هانا.. لماذا؟» أرغمته على الابتسام، فكان قد افتقدها هي وطبيعتها النكدية. «لم أنت صعبة هكذا يا هانا تشان؟».

«ولم أنت بعيد كثيراً؟».

سكبت هانا لنفسها كأساً أصغر من النبيذ، فسمع سولومون صوت قرقرة السائل في الكأس.

كان الوقت صباحاً في طوكيو، وكانت تجلس على أرضية شقتها الصغيرة في روبونجي، حيث تشاركت الشقة مع ثلاث نادلات. اثنتان منهما كانتا نائمتين إثر ثملهما الليلة الفائتة والثالثة لم تكن قد عادت من موعدها بعد.

«اشتقت إليك يا سولومون. اشتقت إلى صديقي القديم. إنك صديقي الوحيد

أتعلم هذا؟».

«إنك تحتسين الكحول، هل أنت بخير؟».

«أنا أحب أن أثمل. فالثمالة تشعرني بالسعادة. أنا ماهرة». ضحكت ثم رشفت رشفة صغيرة من النبيذ. كانت تريد أن تدوم القارورة أكثر وقت ممكن.

«أنا ماهرة بالثمالة وبممارسة الجنس، هذا أكيد».

«أخبريني أين أنت رجاء؟».

«أنا في طوكيو».

ألا تزالين تعملين في الملهى في روبونجي؟».

«أجل لكن في ملهى آخر، وأنت لا تعرف في أي ملهى». كانت قد طُردت منذ ليلتين، لكنها كانت متأكدة من أنها ستجد عملاً آخر. «انا نادلة رائعة».

«أنا متأكد من أنك ستبرعين بأي شيء تقومين به».

«أنت لا توافق على طبيعة عملي، لكن هذا لا يهمني. فأنا لست بائعة هوى. أنا أسكب الشراب وأتحدث مع رجال مملين وأجعلهم يشعرون بالأهمية».

«لم أقل إنني لا أوافق».

«إنك تكذب».

«لم لا تذهبين إلى المدرسة يا هانا تشان؟ أعتقد أنك ستحبين الجامعة. إنك أذكى من معظم الشباب هنا. وربما يمكنك الدراسة في أمريكا؛ فتتعلمين الإنكليزية أولاً ثم تتقدمين بطلب إلى إحدى الجامعات هنا. والدتك ووالدي سيدفعان التكلفة. وأنت تعلمين هذا».

«لم لا أنهي دراستي الثانوية أولاً؟» أجابت هانا بنفحة من العصبية. «انتظر.. هل حبيبتك معك الآن؟».

«لا لكن عليّ أن ألتقيها بعد قليل».

«لا، لن تلتقيها. لأنك ستتكلم معي يا سولومون. فأنت صديقي القديم، وأنا أريد أن أكلم صديقي القديم الليلة. هل يمكنك أن تلغي موعدك؟ ومن ثم سأتصل بك».

«أجل، أجل سألغي الموعد ومن ثم سأعاود الاتصال بك».

«لن أعطيك رقمي. إلغ الموعد وسأعاود الاتصال بك بعد خمس دقائق».

«هل أنت بخير يا هانا؟».

«لم لا تقل إنك تفتقدني أنت أيضاً؟ فقد كنت تفتقدني كثيراً. هل تذكر؟».

«أجل.. أذكر كل شيء».

عندما التقيا على الغداء بعد انقطاع دام ثلاث سنوات، أهدته سترة من الكشمير قرمزية اللون من أحد محال بربري كهدية تخرج.

«الطقس بارد في مانهاتن أليس كذلك؟ إن السترة حمراء اللون وحامية مثل حبنا المشتعل». لم تقترب منه أثناء تناولهما للطعام. حتى أنها لم تلمس ذراعه. كان تفوح منها رائحة الياسمين وخشب الصندل.

«كيف لي أن أنساك؟» قال سولومون بهدوء. كانت فيبي ستمر عليه بعد دقائق قليلة، وكان مفتاح غرفته معها.

«ها هو ذا سولومون الذي عهدته. أستطيع استشعار أنك متعطش لجسدي».

أغمض سولومون عينيه. فقد كانت على حق. كان متعطشاً. لم يكن ألم فراقها سهلاً، ولم يكن هناك كلمات لوصف ذلك الفراق. كان يحب فيبي لكنه لم يكن الشعور ذاته الذي كان يشعره تجاه هانا.

«عليّ الذهاب الآن يا هانا تشان، لكن هل لي أن أتصل بك لاحقاً؟ هل لي أن آخذ رقم هاتفك؟».

«لا يا سولومون. لن تأخذ رقمي. سأتصل بك عندما أريد مكالمتك. وأنت لن تتصل بي. لا أحد يتصل بي».

قال: «وتغادرين عندما يحلو لك».

«أجل.. أغادر عندما يحلو لي، لكن يا سولومون.. لن تكلّ مني لأنني لن أطالبك بأي شيء. ما عدا اليوم. فأنا أريدك أن تكلمني لكي أتمكن من النوم. لم أعد أستطيع النوم يا سولومون. ولا أدري لماذا. هانا تشان تعبة للغاية».

«لم لا تدعين والدتك تساعدك. أنا في نيويورك. فكيف لي أن أساعدك وأنت لا تقبلين بأن تعطيني رقم هاتفك...».

«أنا أعلم أنا أعلم، فأنت تدرس لتصبح رجل أعمال.. هذا ما أراده لك والدك

الغني. وسولومون فتى مطيع وسيجعل والده رجل الباتشينكو فخوراً».

«عليك أن تنتبهي إلى كمية الكحول التي تحتسينها». قال سولومون محاولاً أن يبدو هادئاً. فكان على يقين أنها ستنهي المكالمة فوراً لو قدر أن يبدي أي انزعاج.

فُتح الباب، وكانت وراءه فيبي التي بدت سعيدة بداية ثم سرعان ما تحولت ملامحها وظهر الارتباك على وجهها لأنه كان على الهاتف.

ابتسم سولومون وأشار لها أن تجلس بالقرب منه، لم يكن في الغرفة سوى سرير ضيق ومكتب صغير، لكنه كان محظوظاً بأنه حظي بغرفة لشخص واحد. وضع إصبعه على فمه، فتمتمت سائلة ما إذا كان يجدر بها المغادرة. توقف عن الكلام ثم هز رأسه يميناً وشمالاً.

«هل ستلغي موعدك مع حبيبتك لتساعدني على أن أنام؟ لو كنت هنا كنت لتباضعني وكنت لأغفو بين ذراعيك. لم تتسنَّ لنا الفرصة لننام سوية في نفس السرير لأنك كنت صبياً صغيراً. أريد أن...».

«ماذا تريدينني أن أفعل يا هانا؟ كيف لي أن أساعدك؟».

«سولومون ألترامان.. عليك أن تغني. عليك أن تغني لي. فأنت تعرف تلك الأغنية عن شروق الشمس. أحب أغنية الأطفال تلك عن شروق الشمس».

«سأغني لك إذا أعطيتني رقم هاتفك».

«عليك أن تعدني بألا تعطيه لوالدتي».

«حسناً. ما هو الرقم؟» كتب سولومون الرقم على خلفية كتاب الاقتصاد.

«سأغلق الخط الآن وسأعاود الاتصال بك بعد قليل».

«حسنا». قالت بوهن. كانت قد أنهت اليوم ثاني قنينة نبيذ. كانت تشعر بالتثاقل وكأن أطرافها تطفو. «سأنهي المكالمة الآن. اتصل بي. أريد أن أسمعك تغني.

عندما أنهى المكالمة سألت فيبي: «ما الذي يجري؟».

«دقيقة واحدة فقط. أمهليني دقيقة واحدة. سأشرح لك». اتصل بوالده فأجاب موزاسو.

«أبي، هذا رقم هانا. أعتقد أنها مريضة. هل يمكنك أن تجد مكانها فقط

من هذا الرقم؟ هل يمكنك أن تسأل محققي هاروكي أو إتسوكو؟ عليّ أن أنهي المكالمة الآن. سأعاود الاتصال بها فيبدو أنها تحت تأثير الكحول أو المخدرات».

طلب سولومون الرقم. كان لمطعم صيني في روبونجي.

خلعت فيبي معطفها وملابسها واستلقت على الفراش.

«من كان المتصل؟».

«هانا، ابنة زوجة أبي».

«أي أختك غير الشقيقة؟ تلك التي تعمل مومساً!».

«إنها ليست مومساً. إنها نادلة».

«من اللواتي تأخذن المال مقابل الجنس أليس كذلك؟».

«لا، ليس دائماً».

«يا إلهي.. هناك فرق شاسع إذاً. وها نحن ذا، تحاضر مرة أخرى بأعرق سمات الثقافة اليابانية. أشكرك».

رن الهاتف وكانت هذه المرة إتسوكو.

«يا سولومون.. إن الرقم الذي أعطيتني إياه كان لمطعم صيني».

«أجل، أنا آسف، لكنني تكلمت مع هانا يا إتسوكو. كانت ثملة جداً وقالت إنها تعمل في ملهى آخر الآن. ألم تقل لها الماما سان السابقة أي شيء، ألا تعرف أين قد تكون الآن؟».

«لم نستطع إيجاد شيء. فقد تم فصلها من ملهيين آخرين بسبب إفراطها في الشرب».

«إذا ما علمت أي شيء جديد سأعلمك على الفور».

«إنه المساء هناك أليس كذلك؟».

«أجل. قالت هانا إنها لا تستطيع النوم. أنا قلق من إمكانية تناول المخدرات مع الكحول. فقد سمعت أن الفتيات يفعلن هذا في الملاهي الليلية».

قالت: «عليك الخلود إلى النوم الآن يا سولومون. قال موزاسو إنك تبلي بلاء حسناً في الجامعة. إننا فخوران بك. تصبح على خير يا سولومون تشان».

ابتسمت فيبي وقالت:

«حسناً، فقد خسرت عذريتك مع أختك غير الشقيقة المومس والآن هي في مأزق».

«كم أنت حنونة ومتعاطفة!».

«إنه من التفهم والانفتاح مني ألا أغضب من اتصال حبيبتك السابقة بك بينما هي ثملة وتعمل في الدعارة. إما أنا فوائقة من قيمتي لديك، أو قل عندي ثقة في علاقتنا، أو أنا جاهلة لحقيقة أنك ستؤذي مشاعري عندما تعود إلى حسنائك الواقعة في مأزق، والتي تبدو أك متلهف لإنقاذها».

«لا أستطيع إنقاذها».

«لأنك حاولت وفشلت ولأنها لا تريد مساعدتك. فهي تريد أن تموت».

«ماذا؟».

«أجل يا سولومون. هذا الشابة تواقة إلى الموت».

أبعدت شعره عن عينيه، وأمعنت النظر إليه بلطف. قبّلته على فمه وقالت: «هناك الكثيرات من الفتيات اللواتي يعانين من أزمات في هذا العالم. ونحن لا نستطيع إنقاذهن».

لم تعاود هانا الاتصال. لكن بعد عدة أشهر علمت إتسوكو أنها كانت تعمل في حمام تركي في كابوكيتشو حيث كانت تحمم الرجال مقابل المال. قال لها المحققون في أي وقت تنهي هانا ساعات عملها، فانتظرت إتسوكو خارج المبنى. خرجت العديد من الفتيات وآخرهن كانت هانا. لم تصدق إتسوكو كم كبرت. قال لها المحققون إنه من الممكن ألا تتعرف عليها لأنها تبدو أكبر في السن بشكل واضح. كان وجه هانا ذابلاً وجافاً. لم تكن تضع أياً من مساحيق التجميل ولم تكن ملابسها نظيفة.

قالت إتسوكو: «هانا!».

«رأتها هانا ثم مشت في الاتجاه الآخر. «دعيني وشأني».

«هانا أرجوك».

«اذهبي من هنا؟».

«هانا يمكننا أن ننسى كل هذا. لنبدأ من جديد. لم يكن ينبغي عليّ أن أجبرك

على الذهاب إلى المدرسة. أنا آسفة».

«لا».

«ليس عليك العمل هنا».

أنا لا أريد مال صاحب الباتشينكو. أستطيع كسب مالي بنفسي».

«أين تعيشين؟ هل يمكننا الذهاب إلى منزلك لنتكلم؟».

«لا».

«أنا لن أذهب إلى أي مكان».

«بلى ستذهبين، أنت أنانية».

وقفت إتسوكو هناك معتقدة أنها إذا ما استمعت وثبتت أمامها، فمن الممكن لها أن تنقذ ابنتها».

«أنا شخص رهيب. هذا صحيح. سامحيني. افعلي أي شيء سوى هذا يا هانا».

رمت حقيبتها الكبيرة عن كتفها وأصدرت زجاجتا النبيذ صوت طقطقة إثر ارتطامهما بالرصيف. بدأت بالنحيب وذراعاها متدليتان على جانبي جسدها، وإتسوكو راكعة تحتضن ركبتي ابنتها رافضة التخلي عنها.

16

طوكيو، 1989

كان سولومون سعيداً بعودته إلى المنزل. كان العمل في شركة ترافيس براذرز أفضل مما توقع، والراتب أكثر مما يستحق لوظيفة بعد التخرج بعام واحد، بالإضافة إلى العديد من المزايا بتوظيفه كمغترب وليس كمواطن محلي. موظفو الموارد البشرية وجدوا له سمسار عقارات، والذي بدوره وجد له شقة بغرفة واحدة في مينامي آزابو، والتي وجدتها فيبي أنه لا بأس بها. وقّع ترافيس، موظِّف الشركة، ككفيل على عقد الإيجار بما أن سولومون يُعد مهاجراً شرعياً إلى البلاد. عاش سولومون في يوكوهاما في منزل والده ولم يُضطر يوماً إلى استئجار شقة. كان من الشائع أنه على المستأجرين غير اليابانيين أن يكون لهم كفلاء، الأمر الذي أغضب فيبي.

بعد محاولات الإقناع العديدة قررت فيبي أن تذهب معه إلى طوكيو. فكرا بالزواج وكان الانتقال للعيش في اليابان خطوتهما الأولى. وبعد انتقالهما إلى هناك، شعر بالسوء حيالها. سولومون يعمل في شركة فرعية لمصرف استثمارات بريطاني، فهو يعمل لصالح البريطانيين والأمريكان والأستراليين وأشخاص من نيوزيلاندا وجنوب أفريقيا، بالإضافة إلى السكان المحليين الحاصلين على شهادات من الغرب، الذين كانوا أقلية من السكان الأصليين. وبالنسبة له ككوري ياباني يدرس في الولايات المتحدة، كان سولومون من السكان المحليين، وأجنبياً في الوقت عينه مع معرفة واسعة بالسكان الأصليين والمزايا المادية للمغتربين. لم تتمتع فيبي، كمغتربة، بمزاياه المادية. فقد أمضت أيامها في المنزل تقرأ وتتجول في أرجاء طوكيو متسائلة عن سبب قدومها إلى هذا المكان، إن كان سولومون نادراً ما يكون في المنزل. كان من المستحيل أن تحصل على تأشيرة عمل في البلد بما

أنهما ليسا متزوجين؛ فكرت أن تدرس اللغة الإنكليزية، لكنها لم تكن تعلم كيف تحصل على وظيفة. بين الحين والآخر، عندما كان أحد اليابانيين يسألها سؤالاً بريئاً مثل إذا ما كانت من كوريا الجنوبية، كانت تبالغ برد فعلها.

«في أمريكا ليس هناك مثل هذا التمييز، لم قد أكون من كوريا الشمالية أو من كوريا الجنوبية؟ هذا جنون! لقد ولدت في سياتل ولم يكن على زمن والديّ سوى كوريا واحدة». صرخت إحدى روايات القصص العنصرية. ثم تابعت: «لم لا تزال اليابان تفرق بين مواطني الدولتين بالنسبة إلى الأشخاص الكوريين الموجودين على أراضيها منذ أربعة أجيال. أنت ولدت هنا ووالدك ولد هنا.. فبحق السماء لماذا لا تزالان تحملان جوازات سفر كورية؟ أنت لست أجنبياً.. هذا غريب».

كانت تعلم أيضاً أنه بعد أن تم تقسيم كوريا، بدأ الكوريون المقيمون في اليابان بالانقسام إلى فئات مختلفة بعضها متطرف، الأمر الذي أثر على حالة إقامتهم. لا يزال من الصعب على الكوري أن يتجنس بجنسية مضطهده السابق. عندما أخبرت أصدقاءها في نيويورك عن هذا الخلل التاريخي وعن خلل الانحياز العرقي، لم يصدقوا بأن شعب اليابان المهذب والصدوق يمكن أن يعتقد بأنها مجرمة أو كسولة أو قذرة أو عدوانية، أو أي من تلك السمات السلبية للكوريين المقيمين باليابان. «يعرف الجميع أن الكوريين ليسوا على وفاق مع اليابانيين». هذا ما كان يقوله أصدقاؤها دائماً، وكأن المساواة تعم العالم. توقفت فيبي عن التكلم مع أصدقائها من الولايات المتحدة.

وجد سولومون أنه من الغريب أن تغضب فيبي بشأن تاريخ كوريا في اليابان. بعد ثلاثة أشهر من العيش في طوكيو ومن قراءة كتب التاريخ، استنتجت أن اليابان لن تتغير أبداً. «لا تزال الحكومة ترفض الاعتراف بالجرائم التي ارتكبتها». والغريب أن سولومون وجد نفسه يدافع عن اليابانيين.

خططا أن يزورا سيوول لمدة أسبوع بعد انتهاء الخطة الاقتصادية وركود العمل.

أملا أن تكون سيوول منطقة محايدة بالنسبة إليهما، وأن تكون مكاناً يشعران فيه بالحياة الطبيعية بما أنهما مهاجران كوريان. لقد ساعدهما نوعاً ما أن فيبي

كانت تتكلم الكورية بطلاقة، بينما لغة سولومون الكورية كانت ضعيفة حتى بأفضل حالاتها. لقد زار كوريا الجنوبية مع والده عدة مرات والجميع هناك عاملهما وكأنهما يابانيان. لم يشعرا بروح الوطن، لكن الزيارة كانت لطيفة. وبعد فترة سهل أمر أن يتماشيا كسائحين أتيا للاستمتاع بوجبات الشواء فذلك أسهل من أن يشرحا أمر أنهما كوريان صالحان لكن لغتهما الأم هي اليابانية.

سولومون مغرم بفيبي، فقد كانا في علاقة منذ أن كانا طالبين في السنة الثانية. لم يستطع تخيل حياته من دونها ومع ذلك، رؤيتها غير مرتاحة في تلك الظروف جعلته يستدرك كم أنهما مختلفان. كانا كوريي الأصل، وكلاهما قد ترعرع خارج كوريا، لكنهما لم يكونا متشابهين. على أرض اليابان، بدأت نقاط اختلافهما بالتبلور. لم يكن قد وطأها منذ أسبوعين. هل هذا ما سيؤول إليه الحال عند زواجهما؟ هل سيسوء الأمر؟ بدأ سولومون بطرح هذه التساؤلات بينما يتقدم خطوة تلو الأخرى في لعبة الحياة تلك.

الليلة هي ليلة البوكر الرابعة مع زملائه في العمل. طُلب من سولومون ولويس، شريك آخر، موظف في قسم الاندماج والاستحواذ من باريس، أن ينضما إلى الطاولة: كان بقية اللاعبين عبارة عن مدراء ومدراء تنفيذيين. كان الطاقم يتغير تغيراً بسيطاً بين الحين والآخر، لكن عادة ما يكون عدد اللاعبين ستة أو سبعة. لم يكن هناك أي فتيات أعضاء. سولومون لاعب بوكر ماهر. في اللعبة الأولى، لعب بسلاسة وكان على بر الأمان. في الجولة الثانية، وبعد أن تأقلم مع الجو أتى في المركز الثاني وبعد الجولة الثالثة خرج سولومون ومعه 35 ألف ين. انزعج الآخرون، لكنه ظن أن الأمر يستحق أن يؤكد نفسه.

هذه الليلة، قرر أن يرفع الرهان قليلاً. كان اللاعبون لا بأس بهم، ولم يكن هناك خاسرون متذمرون. أمل سولومون أن يبقي على اللعب معهم. ومن دون شك، فقد دعوه ظناً منهم أنه لا يعرف اللعب وأن ما حصل معه مجرد حظ المبتدئين، لكنهم لم يكونوا على دراية بأنه طالب اقتصاد في جامعة كولومبيا، وأنه حائز على شهادة في البوكر والبلياردو.

لعبوا الأناكوندا، والتي تعرف أيضاً باسم «Pass the Trash – مرر» لأنه

باستطاعتك أن تتخلص من أوراقك السيئة إلى اللاعب الجالس إلى يسارك – الأوراق الثلاثة الأولى ثم ورقتين وبعدها ورقة أخرى مع الرهان طوال الوقت. كان لأي أبله أن يفوز باللعبة لأن اعتماد تلك اللعبة على الحظ كبير، لكن سولومون كان يستمتع بالمراهنات. أحب مشاهدة الآخرين يراهنون أو ينسحبون. كان اللاعبون يلتقون في قبو مطعم في روبونجي.

كان صاحب المكان رفيق كازو سان_ رئيس عمال سولومون، والمدير الأول في شركة ترافيس، وسمح لهم أن يستخدموا الغرفة مرة في الشهر طالما أنهم يطلبون كثيراً من المشروب والطعام. في كل شهر كان أحدهم يتولى أمر الضيافة ويدفع الحساب. في البداية وجد المدراء التنفيذيون أنه ليس من العدل أن يدفع الموظفون المبتدئون، بما أن رواتبهم كانت منخفضة، لكن بعد أن فاز سولومون بالجولة الثالثة، قال عدد منهم: «يمكن لهذا الفتى أن يتولى أمر العشاء». كان سولومون هو المضيف هذه المرة.

كان عدد اللاعبين ستة والرهان كان 300 ألف ين. ولثلاث جولات أبقى سولومون نفسه على بر الأمان: لم يربح شيئاً ولم يخسر شيئاً أيضاً.

قال كازو: «ماذا هنالك يا سولي! هل هجرك الحظ؟».

كان كازو، رئيس عمله، يابانياً وطنياً تلقى تعليمه في كاليفورنيا وتكساس، وبالرغم من بذلاته الأنيقة المفصلة خصيصاً له ومن لكنة طوكيو العريقة، كان يتكلم بأسلوب فتى أمريكي من أخوية ما. كانت شجرة عائلته مليئة بالنبلاء والكونتات الذين سُحبت منهم ألقابهم بعد الحرب. وتنحدر عائلة والدته من عدة أطراف من عوائل الشوغان. كان كازو ناجحاً جداً. خمس من ست صفقات مصرفية مهمة حدثت العام الفائت بسبب جهود كازو. وهو الذي أحضر موزاسو إلى اللعبة. تذمر اللاعبون من خسارتهم أمام الفتى لكن كازو أسكتهم قائلاً إن تلك المنافسة هي شيء جيد للجميع.

أحب سولومون رئيس عمله. كان محظوظاً لكونه أحد رجال كازو، وبأنه دعاه إلى ألعاب البوكر الشهرية الشهيرة. كان في فريق كوزاسو أشخاص يعملون

في ترافيس منذ عشر سنوات، ومع ذلك لم يطلب منهم الحضور إلى تلك الألعاب. في كل مرة كانت تطلق فيبي فيها صفة العنصرية على الشعب الياباني كان سولومون يأتي على ذكر إتسوكو وكازو كأدلة حية وشخصية إلى طرفه من النقاش. كانت إتسوكو خير مثال عن الشخص الياباني طيب القلب وغير المنحاز عرقياً، لكن كانت فيبي بالكاد تفهم كلامها بما أن لغة إتسوكو الإنكليزية كانت رهيبة. كازو ياباني الجنسية، وكان أكثر لطفاً مع سولومون من معظم الكوريين الموجودين في اليابان الذين كانوا ينظرون إليه نظرة ريبة لأنه ابن رجل ثري، أو لأنه كان منافساً قوياً من الناحية الأكاديمية. أجل، ظن اليابانيون أن الكوريين هم حثالة البشر، لكن كان بعض الكوريين حثالة بالفعل، هذا ما قاله سولومون لفيبي. وهناك أيضاً بعض اليابانيين من الحثالة. لم يكن هناك داع لإعادة النقاش في ذلك التاريخ مراراً وتكراراً من دون جدوى. أمل سولومون أن تتخطى فيبي الأمر يوماً.

حان وقت رمي الأوراق وتوزيع أوراق جديدة ووضع الرهان. رمى سولومون ورقة تسعة ديناري لا فائدة منها، وورقة اثنين الكوبة، ثم سحب ورقة الشاب وورقة من الثلاثة كان يحتاجها لإتمام ورقه. لم يتخلَ الحظ عنه أبداً. في كل مرة كان سولومون يلعب فيها الورق كان يشعر بالقوة والسلاسة، وكأنه من المستحيل أن يخسر. تساءل ما إذا كان يشعر على هذا النحو لأنه لم يكن يكترث للمال. لقد أحب التواجد على تلك الطاولة، وأحب حديث اللاعبين الفارغ. كانت بيده فرصة قوية في ذلك الرهان والذي كان أكثر من 100 ألف ين. راهن سولومون على 30ألف ين. انسحب لويس ويامادا سان_الياباني الأسترالي_ تاركين سولومون وأونو وجيانكارلو وكازو. كان وجه أونو خالي المشاعر وجيانكارلو يحك أذنه.

راهن أونو على 20 ألف ين أخرى، ثم انسحب كازو وجيان على الفور. قال جيانكارلو ضاحكاً: «أنتما ثنائي منحط». أخذ رشفة كبيرة من الويسكي وتابع قائلاً: «هل هناك المزيد من تلك القطع على الأسياخ؟».

قال كازو: «تقصد الياكيتوري. أنت تعيش في اليابان يا صاح.. تعلم ما يسمى الدجاج على الأسياخ».

رفع جيانكارلو لهما إصبعه الوسطى مبتسماً مظهراً أسنانه القصيرة المستوية.

رفع كازو يده مستدعياً النادل وطلب منه الياكيتوري للجميع.

حان وقت كشف الورق ولم يكن بحوزة أونو سوى زوجين من الورق. كان يخدعهم.

كشف سولومون أوراقه. قال أونو: «ابن الساقطة».

قال ذلك وهو يجمع المال بتمهل وحرفية وإتقان: «عذراً يا سيدي».

قال كازو: «لا تعتذر أبداً عن الفوز يا سولي».

«يمكنه أن يعتذر على أخذه لمالي». رد جيانكارلو بحزم وضحك الآخرون.

قال أونو: «يا رجل.. أحب أن أشركك في إحدى صفقاتي. سيمتلئ حينها مكتبك بالأوراق التي عليك العناية بها طوال عطلة الأسبوع وسأضمن أنك لن تعمل سوى مع فتيات قبيحات». كان حاصلاً على شهادة دكتوراه في الاقتصاد من معهد ماساشوستس، وكان متزوجاً للمرة الرابعة. كل زوجة كانت أجمل من سابقتها. وكأحد كبار الموظفين المصرفيين في فترة ازدهار اليابان، كان قد جنى أموالاً طائلة، ولا يزال يعمل من دون توقف، قال أونو إن الهدف من الاجتهاد في العمل كان بسيطاً ألا وهو مباضعة الفتيات الجميلات وهو أمر يستحق كل ذرة جهد تُبذل.

«سأجد لك أسوأ صفقة لأجعلك منشغلاً ومنكباً على الأوراق. وهذا ما أراه مناسباً لك يا صديقي الصغير». قال أونو بينما كان يفرك راحتي يديه إحداهما بالأخرى.

قال جيانكارلو: «إنه أطول منك».

أجاب أونو: «بحجم الورقة الرابحة».

قال سولومون منحنياً بطريقة درامية: «أنا آسف يا أونو سان، أنا آسف».

قال كازو: «لا تقلق يا سولي. لدى أونو قلب من ذهب».

«قال أونو: «هذا ليس صحيحاً. فأنا أحقد وأنتقم عندما تسنح لي الفرصة».

رفع سولومون حاجبيه وارتعش وقال: «أنا مجرد فتى يا سيدي. ارحمني».

ثم تابع بتكديس المال أمامه وقال: «إنني مجرد فتى ثري يستحق بعض الرحمة».

قال جيانكارلو: «سمعت أنك ثري جداً. والدك يعمل في الباتشينكو أليس

كذلك؟».

أومأ سولومون برأسه مستغرباً كيف علم بالأمر.

قال جيانكارلو: «واعدت منذ فترة فتاة يابانية خلاسية مثيرة، وكانت تلعب الباتشينكو كثيراً. كانت عادة ما تتطلب مني الكثير من المال. لذا أفترض أنك ضليع بالمقامرة. لا بد وأن السبب هو دمك الكوري الذكي. يا رجل، كانت تلك الفتاة تتكلم باستمرار عن الأذكياء من الكوريين من أصحاب صالات الباتشينكو وتسخر من اليابانيين - لكن يا رجل، كانت تقوم بشي جنوني بنهديها عندما...».

قال كازو: «هذا مستحيل. أنت لم تواعد يوماً فتاة مثيرة».

«لقد كشفت أمري يا معلم. فأنا واعدت زوجتك سابقاً وهي ليست مثيرة. إنها...».

ضحك كازو: «ما رأيكم أن نلعب البوكر مثلاً؟» سكب الصودا فوق كأس الويسكي ليخفف من حدتها. «لقد فاز سولي بعدل وإنصاف».

«أنا لم أقل أي شيء سيئ. إنه مجرد إطراء. فالكوريون الموجودون هنا أذكياء جداً مثل فتانا هنا، سولومون. وهكذا، فأنا ما دعوته بالياكوزا. وهذا ما لا يقدم لك ذريعة أن تخطط لقتلي يا سولي، أليس كذلك؟» سأل جيانكارلو.

ابتسم سولومون متردداً. لم تكن تلك المرة الأولى التي يسمع فيها تلك الأشياء. لكن كان قد مر وقت طويل منذ أن ذكر أحدهم عمل والده. في أمريكا لم يكن أحد يعرف بأمر الباتشينكو. كان والده واثقاً من أنه لن يكون هناك عنصرية في مكاتب المصارف الغربية وشجعه على أن يقبل بالوظيفة. لم يقل جيانكارلو أي شيء مختلف عما يقوله اليابانيون من الطبقة الوسطى أو ما يتهامسون به. اقتطع لويس الورق مع كازو ثم وزعه على الشباب.

كان مع سولومون ثلاثة ملوك، لكنه تخلص منهم واحداً تلو الآخر على مر ثلاث جولات، ثم انسحب وخسر 10 آلاف ين. في نهاية السهرة دفع الحساب. قال كازو إنه يرغب في أن يتحدث إليه لذا مشيا خارجاً ليستقلا سيارة أجرة.

17

قال كازو لسولومون: «لقد خسرت عمداً. فقد رميت ثلاثة ملوك في ثلاث دورات». كانا واقفين خارج المطعم. أشعل سولومون سيجارة مارلبورو لايت

رفع سولومون كتفيه دون أن يجيب بشيء.

«كان هذا تصرفاً غبياً. إن جيانكارلو متخلف اجتماعياً. هو أحد أولئك الأشخاص البيض الذين عليهم العيش في آسيا، لأن البيض الموجودين في بلاده لا يريدونه. إنه موجود في اليابان منذ وقت طول لدرجة اعتقاده أنه عندما يذعن له الأشخاص اليابانيون يظن أنهم يفعلون ذلك لأنه شخص مميز بالنسبة إليهم. إنه يحلم. ومع ذلك فهو ليس شخصاً سيئاً. إنه عملي وحيوي. لا بد وأنك بت تعلم الآن أن الناس هنا، حتى من غير اليابانيين، يقول بعضهم أغبى الأشياء عن الكوريين، لكن عليك تجاهل ما يقولون. عندما كنت في أمريكا كان الناس يقولون أشياء سخيفة بحق الآسيويين مثل أن لغة كل الآسيويين هي الصينية، وأننا نتناول السوشي على الفطور. عند تدريس التاريخ الأمريكي يتجاهلون تماماً أمر المعتقلات وقنبلة هيروشيما. لكن هذا لا يهم، أليس كذلك؟».

«هذه الأشياء لا تؤثر فيّ». أجاب سولومون بينما جال بنظره على الشوارع المظلمة بحثاً عن سيارة أجرة. كانت القطارات قد توقفت عن العمل منذ حوالي النصف ساعة. «لذا، أعتقد أنني بخير».

قال كازو: «حسناً يا بطل. اسمع.. دائماً هناك ضريبة للنجاح».

«ماذا؟».

«إذا ما نجحت في شيء ما عليك التعويض على الذين لم يبلوا بلاء حسناً. ومن جهة أخرى إذا فشلت، فإن الحياة ستجعلك تدفع ضريبة ذلك. فالجميع يدفع ضريبة فشله أو نجاحه، الجميع يتوجب عليه أن يدفع بشكل أو بآخر».

نظر كازو إليه بثبات.

«هذا مؤكد. وأسوأ الضرائب هي ضريبة الذي يكون ما بين بين».

رمى كازو سيجارته وتكتف. «كن حذراً: إن الذين يدفعون ضريبة الفشل غالباً ما يكونون أشخاصاً قد ولدوا في المكان والزمان الخطأ ويتعلقون بهذا الكوكب بأظافرهم المتكسرة. وحتى إنهم لا يعلمون قواعد اللعبة. لا يمكنك أن تغضب منهم عندما يخسرون. فالحياة تضرب المغفلين من هذا النوع». عبس كازو شارداً وكأنه قلق من الجور والظلم، لكن ليس كثيراً. أخذ نفساً عميقاً وقال: «إذاً على أولئك الفاشلين أن يتسلقوا قمة جبل إيفرست ليخرجوا من الجحيم الذي يقيمون فيه. وربما واحد أو اثنان فقط من أصل خمسمئة هم الذين يصلون، لكن الباقين يستمرون بدفع ضريبة الفشل طوال حياتهم ومن ثم يموتون. وإن كان الرب موجوداً وهو عادل، فإن الحياة بعد الموت ستكون فكرة معقولة، إذ يحق للذين ظلموا في هذه الدنيا أن يحصلوا على المقاعد الأفضل فوق».

أومأ سولومون برأسه جاهلاً إلى أين سيصل كازو بحديثه.

استمر كازو بحديثه وتابع قائلاً: «لكن جميع أولئك المقتدرين جسدياً من الطبقة الوسطى يخافون من ظلالهم، وهم يدفعون الضرائب المتوسطة بأقساط ربع سنوية مع فوائد مركبة. وأنت عندما تلعب على بر الأمان فقط فهذا ما عليك أن تفعله يا صديقي. لذا لو كنت مكانك لما كنت ضيعت أية فرصة، وكنت أستغل جميع الامتيازات المتاحة لي. اهزم أي أحد يعترض طريق فوزك. لا ترحم أحداً وخاصة من لا يستحق الرحمة. اجعل أولئك السفلة الجبناء يبكون».

«إذاً ضريبة النجاح تأتي من الحسد وضريبة الفشل تأتي من الاستغلال. حسناً».

أومأ سولومون وكأنه بدأ يفهم المعادلة. «حسناً، ما هي الضريبة المتوسطة؟ وكيف يكون من الخطأ أن...».

«هذا سؤال جيد يا محارب الجداي الشاب. إن ضريبة متوسط النتائج تأتي منك ومن جميع الذين يعرفون أنك شخص عادي. إنها ضريبة أثقل مما تظن».

لم يكن سولومون قد فكر بشيء كهذا من قبل. لم يكن يرى نفسه مميزاً إلى درجة كبيرة، لكنه بالمقابل لم يرَ نفسه شخصاً عادياً أيضاً. ربما كان شيئاً يضمره

ولم يصرح به حتى لنفسه، لكنه لم يرد أن يلحظ الآخرون تميزه بأي شيء.

«انتبه لهذا أيها الجداي: لا أسوأ من أن تعرف أنك مثل الآخرين. يا لهذا الوجود غير المجدي. في دولة اليابان العظيمة هذه والتي هي موطن أسلاف هذه الأعراق جميعها ـ يريد الجميع أن يكونوا مثل بعضهم البعض. ولهذا هي مكان آمن للعيش لكنها أيضاً بلد الديناصورات. لقد انقرضت يا صديقي. جمّع قطعك واصرف مهاراتك في مكان آخر. إنك في ريعان الشباب وعلى أحد أن يخبرك حقيقة هذا البلد. اليابان ليست بلداً مضطرباً بسبب خسارتها الحرب أو بسبب قيامها بأفعال شنيعة، بل لأن الحرب انتهت، وفي وقت السلام يريد الجميع أن يكونوا أشخاصاً عاديين، ويكونون في الحقيقة خائفين من أن يظهروا أي اختلاف. الشيء الآخر هو أن نخبة اليابانيين تريد أن تكون من معشر الإنكليز ومن العرق الأبيض. وهذا مثير للشفقة ويتطلب نقاشاً آخر تماماً».

شعر سولومون أن بعض ذلك الكلام منطقي. فجميع معارفه من اليابانيين يظنون أنه من الطبقة الوسطى ولو لم يكن كذلك. الأولاد الأغنياء في مدرسته الثانوية الذين كان آباؤهم من أصحاب الملايين والملايين لا يزالون يعتبرون أنفسهم من الطبقة الوسطى. كان عمه نوا الذي لم يقابله في حياته انتحر لأنه أراد أن يكون يابانياً وأن يعيش حياة طبيعية.

اقتربت منهما سيارة أجرة فارغة، لكن سولومون لم يلاحظها فابتسم كازو.

«حسناً، أولئك السفلة يسعون وراء عملك، ولاحظوا أن والدك صاحب صالات باتشينكو. ولكن كيف علموا بذلك؟».

«أنا لم أتكلم يوماً عن الأمر».

«الجميع يعرف يا سولومون. في اليابان إما أن تكون كورياً غنياً أو كورياً فقيراً، وإذا كنت غنياً فلغناك علاقة بصالات الباتشينكو بطريقة أو بأخرى».

«والدي شخص عظيم ونزيه جداً».

«أنا متأكد من أنه كذلك». قال ناظراً إليه مباشرة ويداه مشبوكتان على صدره.

تردد سولومون بالنطق لكنه حسم أمره وقال: «إنه ليس رئيس عصابة أو ما شابه، وهو لا يقوم بالأعمال المافياوية. إنه رجل أعمال عادي، يدفع جميع ضرائبه

ويقوم بما تقره تعاليم الكتاب المقدس. وبالطبع هناك بعض رواد ذلك المجال من المنافقين لكن والدي دقيق وأخلاقي جداً. إنه يمتلك ثلاث صالات. وليس كـ...».

أومأ كازو برأسه موافقاً على كلام سولومون وعلى ثقته بصحة هذا الكلام. «لم يأخذ والدي يوماً شيئاً لم يكن ملكه، في الواقع أنه لا يكترث للمال. فهو يتبرع بمعظمه».

كانت إتسوكو قد أخبرته أن موزاسو دفع كل ما يتوجب على دار الرعاية أن يدفعه للموظفين القائمين على خدمة الفقراء.

«يا سولي يا صديقي، ليس عليك أن تشرح أي شيء. فليس الأمر وكأن لدى الكوريين خيارات كثيرة بين الوظائف. أنا متأكد من أنه اختار الباتشينكو لأنه لم يكن هناك شيء آخر متاح أمامه. وعلى الأرجح أنه رجل أعمال بارع. فهل تعتقد أن مهارتك في لعب البوكر أتت من العدم؟ ربما كان يمكن لوالدك أن يعمل في فوجي أو سوني لكنهم لم يكونوا ليوظفوا شخصاً كورياً أليس كذلك؟ أشك بأنهم سيوظفونك الآن يا خريج جامعة كولومبيا. لا تزال اليابان ترفض توظيف الكوريين ليكونوا أساتذة أو شرطيين أو في مجال التمريض في العديد من الأماكن. لا يمكنك حتى استئجار شقة في طوكيو مع أنك تجني كثيراً من المال. إننا في العام 1989 بحق السماء! أياً يكن الأمر، يمكنك التصرف بتهذيب حيال الأمر لكن هذا شيء مخز. إنني ياباني لكنني لست غبياً. لقد عشت في أميركا وأوروبا لوقت طويل، ورأيت كم هو مخزٍ ما فعله اليابانيون للكوريين والصينيين الموجودين هنا. مخزٍ يا رجل.. مخزٍ. عليكم أنتم كشعب أن تقوموا بثورة ما ضد هذه التصرفات. فأنتم لا تعترضون. أنت ووالدك من مواليد اليابان أليس كذلك؟».

أومأ سولومون برأسه جاهلاً سبب انفعاله هذا.

«حتى ولو كان والدك قاتلاً مأجوراً فلن يهمني الأمر، ولم أكن لأشي به».

«لكنه ليس كذلك».

قال كازو مبتسماً: «أعرف، بالطبع هو ليس كذلك. عد الآن إلى حبيبتك. سمعت أنها جميلة وذكية. هذا جيد. ففي النهاية عد إلى العقل فهو الأهم من أي شيء آخر، وأكثر مما تظن».

استوقف كازو سيارة أجرة وقال لسولومون أن يستقلها. الجميع يقولون إن كازو رئيس عمل مختلف عن غيره من الذين في منصبه. وكان هذا صحيحاً.

بعد أسبوع من تلك الليلة، وكلّ كازو سولومون بصفقة عقارية جديدة، وكان سولومون الأصغر في فريق تلك الصفقة. كانت نقلة نوعية يحلم بها جميع العاملين في المكتب. كان أحد زبائن ترافيس المصرفيين يريد شراء أرض في يوكوهاما لبناء ملعب غولف فخم.

تمت تغطية جميع التفاصيل تقريباً، وكانوا بحاجة إلى توقيع ثلاثة من أصحاب الأراضي المتبقين، من الممكن الحصول على اثنين من تلك التواقيع، لكن الأمر سيكون مكلفاً، أما التوقيع الثالث فكان مصيبة_ لم تكن العجوز مهتمة بالمال، ولم يكن من الممكن شراء موافقتها. من المفترض أن تكون أرضها هي الحفرة الحادية عشرة. في الاجتماع الصباحي وبحضور الزبون، قدّم اثنان من المدراء المصرفيين عرضاً تقييمياً قوياً حول الطرق النافعة في وضع خطط لتسديد أقساط الرهن، ودوّن سولومون ملاحظات هامة. قبيل انتهاء الاجتماع، ذكر كازو أن المرأة العجوز تلك لا تزال تعيق تقدم الصفقة. ابتسم الزبون وقال له: «لا شك من أنك ستتدبر الأمر. إننا واثقون من أنك ستتدبر الحل».

ابتسم كازو له من باب اللباقة.

غادر الزبون بسرعة، وتفرق الجميع خارج قاعة الاجتماعات بعده بقليل. أوقف كازو سولومون قبل أن يتسنى له أن يعود إلى مكتبه.

«ماذا ستفعل في استراحة الغداء؟».

«أفكر في أن أتناول شيئاً من الطابق السفلي. لماذا؟ ما الأمر؟».

«أريد أن نذهب بجولة في السيارة».

أخذهما السائق إلى أرض العجوز في يوكوهاما. كان المبنى الإسمنتي الرمادي في حالة جيدة وكانت الباحة التي أمامه مصانة بشكل جيد. لم يبد أن أحداً في المنزل. ظللت شجرة صنوبر واجهة المبنى المربعة. في السابق، كان المبنى معملاً لصبغ الأقمشة أما الآن فهو منزل تلك المرأة العجوز. أولادها متوفون وليس هناك من علامة تشير إلى أي وريث لها.

سأل كازو: «حسناً، قل لي كيف يمكنك أن تجعل تلك المرأة تغير قناعتها؟».

أجاب سولومون: «لا أعرف». كان قد استدرك أن تلك كانت رحلة لكازو، فأراد رئيس عمله أن يرافقه أحد الأشخاص. نادراً ما كان كازو يقصد أي مكان منفرداً.

هناك سيارة مركونة في الشارع العريض المغبر مقابل منزل العجوز. لو أنها في المنزل لكانت لاحظت السيارة السوداء القابعة على بعد عشرة ياردات من منزلها. لكن لم يخرج أحد من المنزل ولم يلحظ أي حركة في داخله.

حدّق كازو إلى المنزل.

«حسناً، هنا تعيش سونوكو ماتسودا. الزبون واثق من أنني أستطيع إقناع ماتسودا سان بأن تبيع الأرض».

سأل سولومون: «هل بإمكانك ذلك حقاً؟».

أجاب كازو: «أعتقد هذا، لكنني لا أدري كيف».

سأل سولومون: «سيبدو هذا سؤالاً سخيفاً، لكن كيف ستجعلها توقع إذا لم تكن تعلم كيف؟».

«سأتمنى أمنية يا سولي. فأحياناً هكذا تبدأ الأمور».

طلب كازو من السائق أن يأخذهما إلى مطعم للأوناغي لم يكن بعيداً عن موقعهما كثيراً.

18

يوكوهاما، 1989

صباح يوم الأحد، وبعد الصلاة، استقل سولومون وفيبي قطاراً من أجل تناول الغداء مع عائلته.

وكالعادة، كان الباب الأمامي للمنزل مغلقاً لكنه غير مقفول، فدخلا. كان أحد أصدقاء إتسوكو مصمم ديكور، وكان قد أجرى تحديثاً على المنزل مؤخراً. كان المنزل مختلفاً تماماً عن منزل طفولة سولومون المليء بالأثاث الأمريكي الغامق اللون. لقد أزال المصمم معظم جدران المنزل الأساسية الداخلية، وهدم النوافذ الخلفية الصغيرة، واستبدلها بألواح سميكة من الزجاج. والآن بات من الممكن رؤية الحديقة الأمامية للمنزل. ألوان الأثاث فاهية، وخشب الأرضية من خشب السنديان الأبيض والمصابيح الورقية الأنيقة المزخرفة تملأ المكان قرب مدفأة الحطب تاركاً غرفة المعيشة الضخمة المربعة الشكل بسيطة ومرتبة. في الزاوية الأخرى من الغرفة قبع وعاء رمادي خزفي تمتد منه أغصان طويلة مزهرة. بدا المنزل أشبه بمعبد بوذي.

خرج موزاسو من غرفة الجلوس لإلقاء التحية عليهم.

«وصلتما». قال لفيبي باللغة الكورية. عندما تلتقي فيبي بعائلة سولومون، كانوا يتكلمون جميعهم ثلاث لغات. فيبي تتحدث الكورية مع الكبار والإنكليزية مع سولومون، بينما سولومون يتحدث معظم الوقت باليابانية مع الكبار، وبالإنكليزية مع فيبي، وكل منهم يترجم قليلاً، تدبر الجميع أمرهم.

فتح موزاسو خزانة الأحذية وقدّم لهما أخفافاً للمنزل.

«انشغلت أمي وخالتي بإعداد الطعام طوال الأسبوع، آمل أنكما جائعان».

قالت: «هناك رائحة شهية. هل الجميع في المطبخ؟» ثم مسدت على تنورتها الزرقاء.

«أجل. عفواً، لا، فإتسوكو لم تستطع أن تكون هنا اليوم، وهي حزينة جداً لأنها لن تتمكن من أن تلتقي بك في هذا الوقت. وقد طلبت مني أن أعتذر منك».

أومأت فيبي برأسها، ونظرت نحو سولومون. لم يكن من اللباقة أن تسأل عن مكان إتسوكو، لكنها لم تفهم كيف أن سولومون لم يسأل والده عن مكانها. كانت إتسوكو تثير فضول فيبي، فهي الشخص الوحيد الذي لم تتمكن من التحدث إليه مباشرة، إذ لم تكونا تعرفان لغة مشتركة لتتحدثا بها. أرادت أيضاً أن تقابل هانا التي لم تلحظها في مثل تلك التجمعات ولو لمرة واحدة.

أمسك سولومون بيد فيبي وتوجها نحو المطبخ. كان يشعر حين تضمه عائلته بأنه أصغر أفراد تلك العائلة سناً، بل يعتريه شعور بأنه خفيف الظل والحضور كأن لا دور له فيها.

كانت روائح أطباقه المفضلة تملأ الممر بين الباب الرئيسي والمطبخ. صرخ قائلاً: «وصل سولومون». بالطريقة نفسها التي كان يعلن فيها عن وصوله من المدرسة عندما كان صغيراً.

توقفت كيونغي وسونجا عن العمل فوراً، ونظرتا إلى الأعلى مبتسمتين. ابتسم موزاسو بدوره لرؤية السعادة على وجهيهما.

قالت كيونغي: «وفيبي وصلت أيضاً يا سولومون». ثم مسحت يديها بمئزرها، وخرجت من وراء المنضدة الرخامية لتحتضنه.

تبعتها سونجا ولفّت ذراعيها حول وسط فيبي. كانت سونجا أقصر من فيبي.

قالت فيبي: «هذا لكما» وناولتها صندوقاً من الحلوى من فرع لمتجر شوكولاته فرنسية في طوكيو.

ابتسمت سونجا قائلة: «شكراً».

حلّت كيونغي عقدة مئزرها لتلقي نظرة على ما بداخل الصندوق. كان صندوقاً من الفاكهة المحلاة المغطسة بالشوكولا.

قالت والسعادة تغمرها: «يبدو هذا باهظ الثمن. أظن أنه في سنكما الآن عليكما البدء بادخار المال. لكن تبدو هذه الحلوى شهية جداً. شكراً جزيلاً».

استنشقت عبق الشوكولاتة بطريقة درامية.

«كم أنا سعيدة لوجودكما معنا». قالت سونجا ذلك باللغة الكورية بينما كانت تحتضن كتفي فيبي النحيلتين.

أحبت فيبي الوجود مع عائلة سولومون. فكانت عائلته أصغر من عائلتها بكثير، لكن الجميع مقربين من بعضهم، وكأن كل فرد مرتبط عضوياً بالآخرين، بينما عائلتها الكبيرة متناثرة وكأنها قطع من الليغو في وعاء كبير. لكل من والدي فيبي خمسة أو ستة أخوة، وكانت قد ترعرعت مع العديد من أقربائها في كاليفورنيا. هناك أنسباء في نيويورك ونيو جيرسي وواشنطن وتورونتو. لقد سبق لفيبي أن واعدت شابين من أصل كوري – أمريكي، وقابلت عائلتيهما، لكن عائلة سولومون كانت مختلفة؛ أجواؤها دافئة لكنها عائلة حذرة إلى حد كبير. لم يكن يفوت أحد أي شيء من شؤون تلك العائلة.

سألت فيبي: «هل هذا من أجل طبق الباجيون؟». كان وعاء التحضير مليئاً بمخفوق الفطائر فاهي اللون مع شرائح رفيعة من البصل الأخضر وقطع من الإسكالوب.

سألت كيونغي: «حسناً، أنت تحبين الباجيون. وكذلك سولومون. كيف تعده والدتك؟». كانت نبرتها عادية بالرغم من أنه كان لديها وجهة نظر ثابتة عن نسبة البصل الأخضر إلى المحار.

«والدتي لا تطهو». قالت فيبي باستحياء.

«ماذا؟» شهقت كيونغي مذعورة، ثم التفتت إلى سونجا التي شاركتها الصدمة.

ضحكت فيبي.

«لقد ترعرعت وأنا أتناول البيتزا والهمبرغر وكثيراً من وجبات الدجاج المقلي من كنتاكي. أنا أحب الذرة التي تقدم في KFC». ابتسمت ثم تابعت: «كانت والدتي تعمل في مكتب والدي الطبي كمديرة، ولم تكن تعود إلى المنزل قبل الساعة الثامنة».

أومأت كيونغي محاولة استيعاب ما تقوله.

«كانت والدتي تعمل طوال الوقت. تقوم بالأعمال المكتبية الطبية على طاولة الطعام بينما نقوم نحن الأولاد بفروضنا المدرسية. لا أظن أنها خلدت إلى النوم يوماً قبل منتصف الليل...».

«أهذا يعني أنك لم تتناولي الطعام الكوري في صغرك؟». لم تستطع كيونغي استيعاب الأمر.

«كنا نتناوله أثناء عطل نهاية الأسبوع في المطاعم».

تفهمت كيونغي أن الوالدة كانت مشغولة طوال الوقت، لكن ما لم تستوعبه أن أماً كورية لم تكن تعد الطعام لعائلتها. ماذا سيأكل سولومون إذا ما تزوج هذه الفتاة؟ ماذا سيأكل أولادهما؟

«لم يكن لديها الوقت. هذا يبدو معقولاً لكن هل تعرف والدتك كيف تطهو؟». سألت كيونغي بتردد.

«لم تتعلم يوماً كيفية الطهو، ولم تكن أي من أخواتها تطهو الطعام الكوري». قالت فيبي ضاحكة لأن حقيقة أن أحداً من عائلتها لا يعرف كيفية طهو الطعام الكوري كانت علامة استعلائها. كانت والدتها وخالاتها ينظرن نظرة دونية إلى النساء اللواتي يطهون طوال الوقت ويحاولن دائماً إطعام الآخرين. الأربع كن نحيلات مثل فيبي، كنّ ذلك النوع من النساء اللواتي يبدين غير مهتمات بتناول الطعام لأنهن منغمسات بأعمالهن.

«تطهو خالتي المفضلة في أيام عطل الأسبوع وعندما تدعو الناس فقط. عادة ما تعد الطعام الإيطالي. دائماً ما تجتمع عائلتنا في المطاعم».

وجدت فيبي أنها صدمتهما بتلك التفاصيل عن الحياة اليومية من طفولتها وبدا الأمر مضحكاً. ما الغريب في الأمر؟ لمَ على النساء الطهو بجميع الأحوال؟ هذا ما تساءلته فيبي. كانت والدتها الشخص المفضل لديها في العالم.

«لم يكن أخي وأخواتي يحبون الكيميشي. حتى أن والدتي لم تكن تضعه في الثلاجة بسبب رائحته».

«يا إلهي». تعجبت سونجا. «إنك أميركية بامتياز. هل خالاتك متزوجات من رجال أميركيين؟».

«خالاتي وخالي متزوجون من غير الكوريين. وأخي وإخوتي متزوجون من أشخاص كوريي الأصل، لكنهم أمريكيون مثلي. صهري المحامي، يتكلم اللغة البرتغالية بطلاقة لكنه لا يتكلم الكورية، فقد ترعرع في البرازيل. أميركا تعج

بالناس من شتى أصقاع الأرض».

قالت كيونغي متعجبة: «حقاً؟ ممن خالاتك متزوجات؟».

«أزواج خالاتي وزوجات أخوالي منهم بيض ومنهم سود، وهم من الدنمارك والفلبين والمكسيك والصين وبورتوريكو، وهناك زوج أحد خالاتي من أصل كوري أمريكي، وثلاث من زوجات أخوالي هن من أصل كوري أميركي. كثير من أقاربي هم نتاج زواج أعراق وجنسيات وأديان مختلفة». أضافت مبتسمة لتلك المرأة الكبيرة في السن التي ترتدي ذلك المئزر النظيف الخالي من البقع، والتي كانت موجهة كل انتباهها لما تقوله لها وكأنها تدوّن الملاحظات في رأسها.

«يكون الجو مسلياً جداً عندما نجتمع في المناسبات مثل عيد الشكر وعيد الميلاد».

«لقد التقيت العديد منهم». قال سولومون ذلك قلقاً، وخشي ألا توافق جدته وخالته على عائلتها بالرغم من أنه استشعر من أنهما كانتا فضوليتين أكثر من كونهما مؤنبتين. لم تقل أي منهما بأن عليه أن يتزوج من كورية، لكنه كان يعلم أن علاقة والده بإتسوكو لم تكن تعجبهما.

عندما وصلت حرارة المقلاة إلى الدرجة المطلوبة سكبت فيها سونجا قليلاً من مزيج فطائر البصل الأخضر. تفقدت الحواف ثم خففت من الحرارة. فيبي فتاة جيدة لسولومون، هذا ما كانت تفكر به. اعتادت والدتها القول إن حياة المرأة هي معاناة بمعاناة، لكن كان هذا الشيء الأخير الذي كانت تتمناه لهذه الفتاة الطيبة التي لم تكن ابتسامتها تفارق وجهها. وما الضير إن لم تكن تعرف كيف تطهو؟ ما دامت تعتني جيداً بسولومون فلا يهم أي شيء آخر، وأملت أن تكون فيبي راغبة بإنجاب الأولاد. مؤخراً، بدأت سونجا بالحنين لأن تحمل أطفالاً. كم هو جميل ألا يقلق المرء بشأن الحروب أو تأمين الطعام الكافي وإيجاد المأوى. لم يكن على سولومون وفيبي أن يعيشا بالطريقة نفسها التي عاشت فيها كيونغي، لم يكن عليهما سوى أن يستمتعا بأولادهما.

«متى ستتزوجين سولومون؟» سألت سونجا من دون أن تبعد نظرها عن المقلاة.

كان من حق المرأة الكبيرة في السن أن تسأل هذا النوع من الأسئلة، بالرغم

من أنها كانت خائفة من أن تسأله.

«أجل.. متى تنويان الزواج؟ ما الذي تنتظرانه؟ ليس لديّ وأختي أي شيء لنفعله. سننتقل إلى طوكيو لمساعدتكما على رعاية الأولاد وفي الطهو». قالت كيونغي ضاحكة.

هز سولومون رأسه وابتسم إلى النساء الثلاث أمامه.

«أعتقد أنه يجب عليّ أن أعود إلى غرفة الجلوس لأتحاور مع والدي في أمور تخص الرجال».

قالت فيبي: «شكراً لك سولومون».

لم تكن تمانع أسئلتهما لأنها كانت تدور في بالها أيضاً، ابتسم موزاسو، وغادر المطبخ مع سولومون.

جلس الأب والابن في منتصف الغرفة الضخمة. قبعت سلال مليئة بالفواكه والمكسرات على الطاولة المعدنية ذات السطح الزجاجي المقابلة للأريكة الطويلة. بقيت لفافة الجريدة اليومية نصف المقروءة على الطاولة. تحادث الأب وابنه، والتلفاز يعمل.

سأل موزاسو: «كيف حال العمل؟».

«أسهل من الجامعة بكثير. إن رئيس العمل رائع؛ إنه رجل ياباني، لكنه درس إدارة الأعمال في جامعة في كاليفورنيا».

«كاليفورنيا؟ كانت والدتك ستحب ذلك». عقّب موزاسو بهدوء. كان الفتى يشبهها كثيراً وخاصة عند الأنف والجبهة.

«أين إتسوكو؟» سأل سولومون محدقاً بالخلفية الزرقاء لشاشة الأخبار. كان المذيعون يتحدثون عن فيضان في بانكوك.

«هل للأمر علاقة بهانا؟ هل هي بخير؟».

تنهد موزاسو وقال: «ستوافيك إتسوكو بالأخبار. اتصل بها».

أراد سولومون أن يعرف أكثر، لكن والده لم يكن يعرف بما حصل بينه وبين هانا. لم يكن موزاسو يحب أن يتحدث عن هانا لأنها كانت تحزن إتسوكو كثيراً.

«جدتك وعمتك الكبرى تحبان فيبي وتريدانكما أن تتزوجا».

«أجل سمعت هذا منذ قليل». تقدم موزاسو نحو ولده وسأله: «هل تريد فيبي الاستقرار في اليابان؟».

«لا أظن ذلك. فهي مستاءة من أنها لا تعرف اللغة اليابانية».

«يمكنها أن تتعلم».

اعتلت ملامح الشك وجه سولومون. قال: «تريد أن تعمل. ليس من السهل أن تبدأ عملاً بعد الجامعة فوراً. بالإضافة إلى أنها ليست ملمة باللغة. والبقاء في المنزل ليس جيداً بالنسبة إليها».

أومأ موزاسو برأسه. كانت والدة سولومون هكذا أيضاً.

«هل أنت مرتاح مادياً؟».

«أجل يا أبي». كان سولومون معجباً بقلق والده عليه. تابع: «عملي جيد. بالمناسبة، هل تعرف امرأة تدعى سونوكو ماتسودو؟ إنها عجوز تقطن في معمل نسيج سابق في يوكوهاما، قريبة من منزل غورو سان.

«لا». قال موزاسو وهو يهز رأسه «لماذا؟».

«كازو، مديري في العمل، يحاول أن ينهي صفقة بيع عقارية وتلك السيدة، ماتسودو سان، لن تبيع ملكيتها. إنها تعيق الصفقة. ظننت أنك قد تعرف شخصاً ما يمكن أن يفيدنا بطريقة أو بأخرى. فأنت تعرف العديد من الأشخاص في يوكوهاما».

«لا أعرفها، لكن يمكنني أن أبحث في الأمر، الأمر ليس صعباً.. يريد مديرك أن يشتري حصتها صحيح؟».

«أجل. أرضها هي آخر جزء من الصفقة».

«حسناً. هذه الأمور تحدث طوال الوقت. سأسأل غورو سان أو هاروكي. لا بد أن أحداً منهما يعرفها. باع غورو لتوه آخر صالة باتشينكو لديه. والآن يتولى فقط أمور الهدم والبناء والعقارات. يريد مني أن أدخل معه في العمل، لكنني مشغول بدوري أيضاً. بالإضافة إلى أن الوقت تأخر بالنسبة إليّ لكي أبدأ عملاً جديداً. فأنا لا أفقه في مجال عمله كالذي أعرفه عن عالم الباتشينكو».

«لم لا تبيع المحلات أنت أيضاً يا أبي؟ أو ربما تتقاعد، فأنت جاهز لهذا

أليس كذلك؟ العمل في مجال الباتشينكو مرهق جداً».

«ماذا؟ أترك العمل؟ إن الباتشينكو هي ما وفر لك الطعام وأرسلك إلى الجامعة. إنني صغير على التقاعد».

هز كتفيه.

«وماذا سيحدث إذا ما بعت صالاتي؟ من المحتمل أن يفصلوا عمالي. والى أين سيذهبون؟ بالإضافة إلى أننا نؤمن العمل لمصنّعي آلات الباتشينكو. إن مجال الباتشينكو في اليابان أكبر من صناعة السيارات».

توقف موزاسو عن الكلام، ورفع صوت التلفاز. كان المذيعون يتحدثون عن قيمة الين.

أومأ سولومون برأسه، وحدق إلى الشاشة محاولاً التركيز على الأخبار المالية. لم يبد والده محرجاً من مجال عمله ولا قيد شعرة.

انتبه موزاسو إلى ملامح ولده القاتمة.

«سأتصل بغورو الليلة لأسأله عن تلك السيدة. يريدها رئيسك أن تبيع أليس كذلك؟».

«أشكرك يا أبي، سيكون هذا جيداً كفاية».

مساء يوم الإثنين، اتصل موزاسو بمكتب سولومون. كان قد تكلم مع غورو سان. كانت تلك السيدة كورية من رابطة الشونغريون من أولئك الذين عاد أبناؤهم إلى بيونغ يانغ وماتوا هناك.

لم تكن تريد بيع الأرض لليابانيين. ظن غورو سان أن السيدة تعاند، قال إنه بإمكانه شراء الملكية منها لأنها قالت له أن يشتريها منها. ثم يبيعها إلى زبون كازو بالسعر نفسه.

بعد أن أغلق سولومون الهاتف، سارع ليتصل بمكتب كازو ليطلعه على الأخبار الطيبة.

استمع موزاسو إليه بانتباه شديد، تكتف ثم ابتسم قائلاً: «عمل ممتاز أيها الجيداي. أنا دائماً أستطيع اكتشاف الفائز منذ البداية».

19

طوكيو، 1989

وحتى في حالتها تلك لم تتخل هانا عن عاداتها بالمغازلة.

قالت: «ما كان يجب عليك أن تأتي. أنا الآن في أقبح حالاتي. أردت أن أكون جميلة عندما تراني مجدداً».

أجاب سولومون: «أردت رؤيتك. تبدين جميلة يا هانا. وهذه حقيقة لن تتغير». ابتسم حابساً صدمته من تغيّر مظهرها. كانت إتسوكو قد هيأته للأمر، ومع ذلك فلقد كان من الصعب التعرّف إلى ملامحها الأصلية تحت كل الجروح تلك والشعر الخفيف. كان هيكل جسدها بارزاً من ثوب المستشفى الأزرق.

قالت هانا: «قالت أمي إنك جلبت معك حبيبتك إلى طوكيو». لم يكن صوتها قد تغيّر. كان من الصعب معرفة ما إذا كانت تغيظه أم لا.

«وأنا ظننت أنك عدت من أجلي. ستتزوجها أليس كذلك؟ من المؤكد أنني سأحاول أن أسامحك لأنني أعرف أنك أحببتني أولاً».

كانت الستائر مغلقة وضوء السقف مطفأ، وضوء خافت صادر عن المصباح الموجود بالقرب من سريرها، الغرفة في العيادة مظلمة وكأنه وقت المساء بالرغم من أن الطقس كان مشمساً في الخارج.

سألها: «متى سيبدأ تحسنك؟».

«تعال إلى هنا يا سولومون». قالت هانا رافعة ذراعها اليمنى النحيلة الشاحبة. لوحت له بها وكأنها عصا للموت. «لقد افتقدتك كثيراً. يا ليتني لم أتركك ذلك الصيف، لكنت تزوجتني. لكني كنت قد دمرتك، فهذه هي عادتي. أنا أدمر كل شيء».

جلس على الكرسي بالقرب من سريرها. كانت إتسوكو قد أخبرته أن الأدوية

لم تعد تجدي نفعاً.

قال الأطباء إنه لم يتبق لديها سوى أسابيع قليلة أو ربما شهرين على الأكثر. كانت التقرحات تملأ عنقها وكتفيها. كانت يدها اليسرى سليمة لكن اليد اليمنى كانت جافة مثل وجهها.

«لم لا تذهبين إلى أمريكا من أجل العلاج يا هانا تشان؟ فهناك العديد من المزايا المتطورة أكثر من هنا. أعلم أن الأوضاع هناك ستكون أفضل من أجل هذه الـ...».

لم يرد أن يتابع بتلك اللعبة حيث لن يسميا الأسماء بمسمياتها. فلمجرد سماع صوتها والجلوس معها دفعه لأن يتذكر كل ما كان ساحراً وخلاباً. كان خاضعاً لسحرها وحتى الآن لا يزال يشعر ببعض تلك الأحاسيس. لم يستطع تخيلها تموت، أراد أن يحملها ويطير بها إلى نيويورك. ففي أميركا كل شيء قابل للإصلاح. أما في اليابان، فليس أمام المرء سوى الصمود أمام الصعاب. ليس في اليد حيلة. كم من مرة سمع تلك الجملة؟ كرهت والدته تلك الجملة، وفجأة استوعب ثورتها ضد ثقافة التسليم بالأشياء، تلك الثقافة التي كانت ضد أمانيها ومعتقداتها.

تنهدت هانا قائلة: «آخ يا سولومون. لا أريد الذهاب إلى أميركا. لا أريد أن أعيش، أنا مستعدة للموت. هل أردت يوماً الموت بشدة يا سولومون؟ أنا أتمنى الموت منذ سنوات عديدة، لكنني جبانة كي أعترف بهذا الأمر، وجبانة لأنني لم أسعَ إلى تحقيقه أو لأسعى لتحقيقه. ربما كان بإمكانك إنقاذي. لكن لا أعتقد ذلك، حتى أنت يا سولومون الرائع، سولوموني الخاص. الجميع يتمنى الموت في فترة ما من حياتهم، أليس كذلك؟».

أجابها سولومون: «عندما غادرتِ في ذلك الربيع، أردت الموت». ثم صمت. لم يسبق له أن اعترف بذلك لأحد.

في بعض الأحيان، كان ينسى تلك الفترة من حياته، لكن وجوده معها في تلك اللحظة، أجج تلك المشاعر والأحاسيس وجعل تلك الذكريات أكثر إيلاماً.

تغيّرت ملامح هانا، وبدأت بالبكاء.

«لو لم أغادر لكنا أحببنا بعضنا كثيراً، لكنني كنت متأكدة من أنني سأسبب لك الأذى. أنا لست بشخص صالح على العكس منك تماماً. لم يكن يجدر بنا أن نكون معاً. قالت أمي إنه تم اختبارك في أميركا من أجل الضمان على الحياة، وأن أمورك جرت على ما يرام. أنا سعيدة جداً لهذا. أنت الشخص الوحيد الذي لم أرد أذيته.

أخبرتني أمي أن حبيبتك فتاة لطيفة ومتعلمة مثلك. لا أعلم ما إذا كانت جميلة. قل إنها قبيحة، وقل لي إن قلبها طيب. أعلم أنها كورية. هذا عظيم يا سولومون. إنه شيء رائع. عليك الزواج منها. على الأرجح أنه من الأفضل للمرء أن يتزوج شريكاً من نفس خلفيته الثقافية والعرقية. ربما تصبح الحياة أسهل. سأتخيل أنكما ستحظيان بثلاثة أو أربعة أطفال كوريين ببشرة وشعر كوري جميل. فشعرك جميل جداً يا سولومون. كنت أتمنى لو أنني التقيت بوالدتك. سمّ إحدى بناتك تيمناً بي، هل هذا ممكن؟ لأنك كما ترى، فكيف لي أن أحظى بأولاد؟ عدني أنك ستحب هانا الصغيرة وأنك ستفكر بي».

قال بهدوء وهو على يقين أنها لن تسمعه: «اصمتي، رجاء اصمتي».

« تعلم أنك الوحيد الذي أحببته. كان مفهوم «الحب الأول» غبياً بالنسبة إليّ إلى أن ظهرتَ. لقد كنت مع العديد من الرجال يا سولومون وكانوا مقرفين بكل الأشياء التي سمحت لهم بالقيام بها. أنا متأسفة على كل هذا. أحببتك لأنك شخص صالح».

«أنت صالحة يا هانا».

هزت رأسها، وبدت للحظة أنها تعيش بسلام.

«لقد قمت بالعديد من الأشياء السيئة مع العديد من الشباب بعد أن غادرت أمي. ولهذا السبب أتيت إلى طوكيو. كنت غاضبة جداً عندما قابلتك للمرة الأولى، لكن بعد أن تقربت منك وعاشرتك لم أعد غاضبة أو حزينة. لكن لم أستطع السيطرة على الأمر، لذا غادرت وبدأت أعمل نادلة. لم أكن أريد أن أحب أي أحد. ثم غادرت إلى أميركا وأنا كنت.. كنت-» توقفت هانا. «عندما كنت أثمل كنت أظن أنك ستبحث عني كما في الأفلام الأميركية. اعتقدت أنك ستجد مكان

عيشي وستتسلق السلم وصولاً إلى نافذتي وستحملني بعيداً. اعتدت أن أخبر الفتيات أنك ستجدني. وجميعهن رددن أنك ستأتي من أجلي».

حدّق سولومون إلى فمها وهي تتكلم. كان فمها جميلاً جداً.

«هذا مقرف أليس كذلك؟».

«ماذا؟» شعر وكأن أحداً صفعه.

«هذا». أشارت إلى الجروح والقروح على ذقنها.

«لا. لم أكن أنظر إلى هذا».

لم تصدقه، رمشت بعينيها، ثم أرجعت رأسها إلى الوراء ليلامس الوسادة.

«أريد أن أرتاح الآن يا سولومون. هل ستعود قريباً؟».

أجاب وهو ينهض عن الكرسي: «أجل، سأعود».

عندما عاد إلى مكتبه لم يستطع التوقف عن التفكير بها. لم لم تساعدها إتسوكو؟ كان شيء ما في داخله يؤلمه. وكان ذلك الألم مألوفاً. لم يعد قادراً على قراءة المستندات الموجودة أمامه. من المفروض أن يعمل على توقعات مشروع الغولف، ولكن بدا له وكأنه نسي كيف يعمل على برنامج الإكسل. ما كان ليحدث لو أنها لم تغادر في ذلك الصيف، هل كان سيتمكن من الذهاب إلى نيويورك، وهل كانا سيبقيان بعيدين عن بعضهما كل تلك المدة الطويلة؟

أرادته فيبي أن يتزوجها، وكان على دراية بهذا الأمر، لكنها لم تفتح هذا الموضوع يوماً، لأنها كانت شخصاً يسيطر كبرياؤه عليه، وأرادت أن يطلب منها ذلك. عندما سمع صوت كازو في الممر، نظر سولومون إلى الأعلى ليجد رئيسه واقفاً أمامه. لم يكن زملاء سولومون موجودين. أغلق كازو الباب خلفه، ومشى نحو الخزانة الجانبية الموجودة قرب مكتب سولومون ثم وقف في الفراغ بين الخزانة والشباك الكبير.

قال كازو: «لقد توفيت».

«ماذا؟ لكنني قابلتها للتو؟».

«من؟».

«هانا. هل والدي من أخبرك؟».

«لا أدري من هي هانا هذه، لكن ماتسودا سان، تلك العجوز، توفيت ولا يبدو الوضع جيداً. عندما اختار الزبون تلك الأرض لم يتوقع وفاة البائع بعد أيام قليلة من قراره».

قال سولومون: «ماذا؟» ثم رمش. «توفيت؟».

«أجل. باعت الأرض إلى صديق والدك، غورو سان، ثم ابتاعها زبوننا منه. زبوننا ليس في ورطة، لكن الأمر لا يبشر بالخير. هل تفهم قصدي؟» قال كازو بنبرة واحدة وهو يحدق إلى وجه سولومون. حمل كرة البيسبول الخاصة بفريق التيغرز عن المنضدة ثم رماها إلى الأعلى والتقطها.

«كيف ماتت؟».

«لا أعلم بالضبط، من الممكن أن يكون السبب أزمة قلبية أو سكتة دماغية. لا أحد يعرف السبب. لديها ابنتا أخ. لا أعرف إن كانتا ستثيران هرجاً ومرجاً أو ما الذي ستفعله الشرطة».

«من الممكن أن تكون قد توفيت لأسباب طبيعية. ألم تكن كبيرة في السن؟».

«أجل أعتقد أن الأمر صحيح، لكن زبوننا ألغى البيع مبدئياً لأنه يمكن لهذه الحادثة أن تؤثر على الطرح العام الصيف المقبل».

«أي طرح عام؟».

«لا تأبه لذلك». تنهد كازو ثم تابع. «اسمع يا رجل، عليَ أن أصرفك. أنا آسف جداً يا سولومون. آسف بحق».

«ماذا؟ ما الذي فعلته؟».

«علينا القيام بهذا. لا نملك خياراً آخر. أعتقد أن صديق والدك قد تصرف بحماس زائد بشأن عملية البيع هذه، أتوافقني؟».

«لكن ليس لديك أي دليل وأنت تتهم صديق والدي بشيء مستحيل الحدوث. من المستحيل أن يقوم غورو بـ...».

«أنا لا أتهمه بأي شيء. لكن الحقائق لا تزال تشير أن سيدة عجوزاً متوفاة لم ترد في حياتها أن تبيع أرضها. والجميع يعلم أنها لم تكن لتبيع، وتوفيت بعد لحظات من إتمام عملية البيع».

«لكن غورو دفع كثيراً من المال مقابل تلك الأرض. كان ذلك هو السعر الجاري المتعارف عليه في السوق وهو كوري. لم تمانع أن تبيع تلك الأرض إلى شخص كوري. ظننت أنه هكذا كان يجب الاحتيال على رفضها البيع. من المستحيل أن يكون قد قتل سيدة عجوزاً ولسبب كهذا. طوال حياته وهو يساعد الفقراء والمحتاجين. ما هذا الذي تقوله؟ قدم لنا غورو خدمة، لي ولوالدي...».

حمل كازو الكرة بيديه ونظر إلى البساط وقال: «لا تخبرني بالمزيد يا سولي. هل تفهمني؟ سيعلم المحققون بما حصل. من المحتمل ألا يهتموا للأمر كما توقعنا، لكن الزبون مرتاب كثيراً. أراد الزبون أن يؤسس نادياً؛ وهم لا يريدون إثارة الجدل وما إلى هنالك. هل تعلم مقدار المشاكل التي قد يسببونها في اجتماع أصحاب الأسهم؟».

«مشاكل؟ غورو ليس من الياكوزا».

أومأ كازو برأسه ورمى الكرة والتقطها مجدداً.

«للأسف شوِشت البيعة وستؤجل. إن هذا أمر مكلف بالنسبة للزبون. ويظهرنا كشركة مصرفية بمظهر سيئ. إن سمعتي...».

«لكن الزبون حصل على الأرض».

«أجل أعلم، لكن توفي شخص ما أثناء إتمام الأمر. لم أكن آمل أن يحدث شيء كهذا بالطبع». تغيرت ملامح كازو وكأنه تذوق شيئاً مرّاً.

هز سولومون رأسه. كل ما استطاع التفكير به هو المرات العديدة التي قضاها في حضرة غورو وهو يستمع إلى قصصه المضحكة عن عشيقاته الكثيرات وتشجيعاته المستمرة لمستقبل سولومون. كانت نظرة غورو صافية وواضحة عن العالم. إنه رجل عظيم وكان والده دائماً ما يقول عن غورو إنه رجل نبيل ومحارب حقيقي، يعرف معنى التضحية والقيادة الحقيقي. كان غورو وحده من أسس لعمل والدة هاروكي توتوياما في معمل الخياطة، وكان ذلك لأنه تعاطف مع الوالدة التي تربي ولديها لوحدها. لطالما قال والده إن غورو لا يتوقف عن القيام بالأعمال الخيّرة للمحتاجين وبصمت. كان من الجنون الظن بأن غورو هو المسؤول عن وفاة تلك السيدة. باعت السيدة الأرض لغورو لأنه كان معروفاً على أنه رجل

أعمال كوري صالح. والجميع كان يعلم ذلك.

«إن جماعة الموارد البشرية ينتظرون خارجاً. أنت لا تعرف كيف تتم الأمور يا سولومون. لأن هذا هو عملك الأول في المصارف، لكن عندما يتم فصلك من استثمار ما فعليك مغادرة المبنى فوراً من أجل أسباب تتعلق بالأمن الداخلي. أنا آسف جداً».

«لكن ما الذي فعلته؟».

«تأجلت عملية البيع في الوقت الحالي، ونحن لسنا بحاجة لفريق كبير. يسرني أن أوصي بك لشركات أخرى. لن أذكر هذا الأمر لأي من موظِّفيك المستقبليين».

صمت قليلاً قبل أن يجيب.

«لقد أدخلتني في الصفقة عمداً. لأنك أردتني أن أقنع السيدة الكورية في أن تبيع الأرض. كنت تعلم أن...».

وضع كازو كرة البيسبول وتوجه نحو الباب. «يا أخي، وفرت لك عملاً، وكنت محظوظاً لتحظى به».

غطى سولومون فمه بيديه.

«كنت فتى صالحاً يا سولومون. ولديك مستقبل مالي لكن ليس هنا. وإذا كنت تحاول أن تشير أن ما حدث هو بسبب التفريق، فهذا شيء يميل الكوريون لاعتقاده وهذا شيء غير صحيح وغير عادل بالنسبة إليّ. فقد تم تفضيلك حتى على السكان الأصليين. فأنا أحب العمل مع الكوريين، والجميع يعرفون هذا الأمر عني. وجميع من في هذا القسم يعتقدون أنك موظفي المفضل. لم أشأ أن أفصلك. كل ما في الأمر أنني لا أوافق على تكتيكات والدك».

«والدي؟ لم تكن له علاقة بالأمر».

قال كازو: «أجل أعلم. كان ذلك الرجل غورو هو القصة. أنا أصدقك حقاً. حظاً موفقاً يا سولومون».

فتح كازو باب المكتب وأدخل السيدتين من الموارد البشرية قبل أن يتوجه إلى اجتماعه التالي.

كانت المحاضرة من الموارد البشرية سريعة، وكانت مثل تشويشات الراديو

في رأس سولومون. طلبتا منه بطاقته وأعطاهما إياها بطريقة روبوتية. ظل تفكيره عند هانا بالرغم من أنه شعر أنه يجب أن يتصل بفيبي ليشرح لها ما حصل. كان بحاجة لاستنشاق بعض الهواء. رمى أغراضه في الصندوق لكنه ترك الكرة على الطاولة.

رافقته السيدتان إلى المصعد وعرضتا عليه أن ترسلا صندوقه إلى شقته مع أحدهم لكنه رفض. من خلال الجدار الزجاجي لغرفة الاجتماعات، رأى شلّة البوكر لكنه لم ير كازو. لاحظه جيانكارلو حاملاً صندوقه الأبيض ملصقاً إياه بصدره وابتسم له نصف ابتسامة. في الشارع، استقل سولومون سيارة أجرة وطلب من السائق أن يوصله إلى يوكوهاما. لم يعتقد أنه قادر على أن يمشي إلى محطة القطار.

20

يوكوهاما، 1989

كان مطعم إمباير كافيه، مطعم كاري قديم الطراز بالقرب من الحي الصيني، هو المكان الذي يقصده سولومون مع والده في أمسيات السبت عندما كان فتى صغيراً. لا يزال موزاسو يقصد ذلك المكان في أيام الأربعاء مع غورو وتوتوياما. ذلك المطعم يقدم خمسة أطباق من الكاري ونوعاً واحداً من الجعة بالإضافة إلى المخلل. كان الطاهي عكر المزاج بارعاً في استعمال التوابل وكانت أطباق الكاري عنده لا تُضاهى في المدينة كلها.

في وقت متأخر من المساء بعد مضي ساعات العشاء، كان المقهى شبه خالٍ ما عدا أولئك الأصدقاء الثلاثة الجالسين إلى طاولة في الزاوية بالقرب من المطبخ. كان غورو يروي إحدى قصصه المضحكة وهو يقوم بحركات مضحكة بيديه ووجهه، أما موزاسو وتوتوياما فيتناولان وجبة الكاري الحارة ويحتسيان الجعة. كانا يبتسمان ويومئان لـغورو تشجيعاً له على المتابعة بقصصه.

عندما دفع سولومون الباب، رنت الأجراس الصغيرة المعلقة فيه.

بالكاد التفتت النادلة التي كانت تنظف الطاولات وصاحت قائلة: «تفضل».

تفاجأ موزاسو لرؤية ابنه. انحنى سولومون محيياً إياهم.

سأل موزاسو: «ما هذا؟ سولومون يقطع عمله؟». تجعدت زاويتا عينيه عندما ابتسم.

قاطعهما غورو قائلاً: «هذا جيد، هذا جيد؟» كان سعيداً لرؤيته. «سمعت أنك تذهب إلى العمل حتى في أيام العطل. هذا ليس الروتين المناسب لشاب وسيم مثلك. يجب أن تكون مشغولاً طوال الوقت بمغازلة الفتيات. لو أن لي طولك وشهادتك، لكانت نصف فتيات اليابان في شباكي وأنت حزين على ما وقعن به.

لكنت قد حطمت قلوبهن بطريقة تصدم شاباً طيب القلب مثلك».

فرك غورو راحتي يديه ببعضهما.

لم ينطق توتوياما بكلمة واحدة. وكان يحدق بالنصف السفلي لوجه سولومون الذي كان ثابتاً. كانت شفتا الفتى عبارة عن خطين متعرجين فوق فمه. كان وجه تويوتاما محمراً، فكان احتساء الجعة قد أدى إلى احمرار أذنيه وأنفه ووجنتيه.

قال توتوتاما: «اجلس يا سولومون. هل أنت على ما يرام؟».

رفع حقيبته المتكئة على الكرسي الفارغ ووضعها على الأرض المفروشة.

«أنا...» حاول سولومون التكلم لكنه تلعثم.

سأل موزاسو ابنه: «هل أنت جائع؟ هل أخبرتك إتسوكو أنك قد تجدنا هنا نثرثر مثل العجائز؟».

هز رأسه نافياً.

وضع موزاسو يده على ذراع ولده. كان قد اشترى البذلة الداكنة التي كان يرتديها سولومون أمامه من متجر Brook Brothers في المرة التي زاره فيها في نيويورك. من الجميل أن يشتري لابنه بقدر ما يشاء من البذلات التي يحتاجها من متجر أمريكي فخم كهذا. فكان ذلك هو الهدف الأول من المال، أليس كذلك؟ أن يكون قادراً على أن يبتاع لابنه ما يشاء؟

عرض موزاسو على سولومون أن يتناول القليل من طبق الكاري. هز سولومون رأسه رافضاً.

عبس غورو ولوّح للنادلة: «كيويكو شان، أحضري كوباً من الشاي من فضلك».

نظر سولومون إلى الأعلى وحدق إلى رئيس عمل والده السابق: «لا أدري ماذا أقول يا غورو سان».

«بالطبع تعرف. قل ما عندك».

«قال مديري، كازو، إن السيدة صاحبة الأرض قد توفيت. هل هذا صحيح؟».

«أجل. لقد ذهبت إلى الجنازة. كانت كبيرة جداً في السن. ماتت إثر أزمة قلبية. كان لديها ابنتا أخ. فتاتان جميلتان. ذكرتاني بأمي وخالتي».

أحضرت النادلة الشاي وحمل سولومون الفنجان البني بين كفيه. كانت تلك الفناجين ذاتها التي كان المطعم يستخدمها منذ أن وعى لذلك المكان.

ربّت توتوياما بلطف على كتف الفتى وكأنه يوقظه: «من؟ من مات؟».

«تلك السيدة الكورية التي باعت الأرض إلى غورو سان. أراد زبون مديري قطعة الأرض تلك ورفضت السيدة أن تبيعها إلى شخص ياباني، لذا اشتراها غورو سان منها وباعها إلى الزبون، لكن السيدة توفيت، والآن يأبى الزبون المتابعة في الصفقة بحجة أن لا تتلطخ سمعته بسبب الحادثة عند العرض العام وتجنباً للتحقيقات».

أدار توتوياما نظره إلى موزاسو الذي كانت نظراته مشوشة.

«إذا توفيت السيدة». قال موزاسو وهو ينظر إلى غورو الذي أومأ برأسه بهدوء.

«كانت في الثالثة والتسعين من عمرها، توفيت بعد عدة أيام من بيعها قطعة الأرض تلك لي. وما علاقة هذا بأي شيء؟». رفع غورو كتفيه سائلاً.

غمز النادلة، وضرب بكعب كوب الجعة طالباً كوباً آخر. عندما أشار إلى كوبي موزاسو وتوتوياما هز الرجلان رأسيهما. غطى توتوياما فم كوبه بيده.

سأل موزاسو: «ما المبلغ الذي دفعته ثمن قطعة الأرض؟».

«سعر جيد جداً لكن ليس مبالغاً فيه. ثم بعته إلى الزبون بالسعر نفسه الذي دفعته تماماً. أرسلت إلى مدير سولومون نسخاً عن العقد. لم أربح شيئاً على الإطلاق. كانت هذه الصفقة الأولى لسولومون و...».

أومأ توتوياما وموزاسو برأسيهما. من المستحيل أن يسعى غورو وراء الربح من عمل سولومون.

«اشتراها الزبون بسعر أقل من السعر الذي كنت قد أشتريها به بنفسي». قال سولومون ذلك بهدوء، وكأن مازو كان موجوداً في الغرفة.

«حصل الزبون على قطعة أرض لم يكن ليحلم بها لأنه ياباني، وكانت السيدة قد رفضت عدة مرات أن تبيعه إياها. وعملياً حصل عليها بثمن بخس». قال غورو بنبرة انزعاج. «والآن يقول الزبون إنه لن يبني ملعب الغولف ذاك؟ هذا هراء».

«قال كازو أنه سيتم توقيف المشروع مؤقتاً لأنه لا يريد أن تلوث تلك الحادثة

العرض العام».

قال غورو: «أي حادثة وأي خبر سيئ؟ توفيت السيدة العجوز بسلام. وبالرغم من أن الأمر قد يستغرق وقتاً لإزالة الرائحة الكورية القذرة تلك. لقد سئمت من هذا».

قال توتوياما عابساً: «لو كان هناك أي شكوك لكنت سمعت بالأمر. ليس هناك أية شكاوى».

قال غورو: «اسمع، لقد تمت الصفقة، وإن لم يكونوا راغبين بإعطائك حصتك من الصفقة فلا بأس. لم أتوقع منه أن يعطيك حتى حقك على أية حال، لكن تذكر هذا، لن يستفيد منك ذلك الوغد بحياته مجدداً. سأظل أراقبه ما حييت». ثم ابتسم للشاب بهدوء.

«والآن يا سولومون، عليك أن تجلس وتتناول بعضاً من طبق الكاري وتخبرني عن تلك الفتاة الأميركية فيبي. لطالما أردت أن أذهب إلى أميركا لألتقي بالنساء الموجودات هناك». ثم أطلق صفرة شقية. تابع: «أريد حبيبة أميركية شقراء بمؤخرة كبيرة!».

ابتسم الرجال لكنهم لم يضحكوا كما كانوا يفعلون في الدقائق السابقة.

لم يبدُ الاستمتاع على وجه سولومون.

أحضرت النادلة زجاجة جعة صغيرة ثم عادت إلى المطبخ. راقبها غورو وهي تغادر.

«إنها نحيلة جداً». قال ممسداً تسريحته البومبدور بيديه البنيتين.

قال سولومون: «لقد طُردت».

«ماذا؟» قال الرجال الثلاثة سوية. «من أجل ماذا؟».

«قال كازو إن الزبون سيؤجل الصفقة ولن يحتاجوني بعد الآن. قال إذا ما حصل تحقيق بسبب الـ...» أوقف سولومون نفسه قبل أن ينطق كلمة ياكوزا لأنه شعر بالشك فجأة. من المستحيل أن يتعامل والده مع المجرمين. هل من الحكمة أن يتكلم في أمور كهذه أمام توتوياما؟ فتوتوياما محقق ياباني يتبع لشرطة يوكوهاما؛ من المستحيل أن يرافق مجرمين. فمجرد تفكيره بالأمر كان ليؤثر على

الرجال الثلاثة.

تأمل غورو وجه سولومون وبالكاد أومأ برأسه لأنه فهم صمت الفتى.

سأل توتوياما: «هل أُحرقت جثتها؟».

قال موزاسو: «على الأغلب، لكن يتم دفن قسم من الكوريين في وطنهم».

قال توتوياما مؤكداً: «هذا صحيح».

«توفيت السيدة بشكل طبيعي. قالت ابنة أخيها إن قلبها كان السبب. كانت بعمر الثالثة والتسعين. ليس لي علاقة بموتها. اسمع، لا يعتقد مديرك أنني قتلت تلك السيدة، فلو ظن ذلك، لما كان تجرأ على طردك. فما الذي قد يمنعني من قتله؟ هذا هراء درامي. لقد اتكل على معارفك ثم طردك مستخدماً أعذاراً واهية. كل ما أراده الزبون ألا تكون له صلة مع أي كوري في تلك الصفقة».

قال موزاسو: «ستحظى بوظيفة أفضل. أنا واثق من هذا».

كان الانزعاج واضحاً على غورو: «عليك ألا تعمل لصالح مصرف قذر مجدداً».

«أجل، فاختصاص سولومون الأكاديمي هو الاقتصاد. فقد درس في أميركا من أجل أن يعمل في مصرف أميركي».

قال سولومون: «إن ترافيس مصرف بريطاني».

قال موزاسو: «ربما هنا تكمن المشكلة. ربما عليك العمل لصالح مصرف أميركي. هناك العديد من مصارف الاستثمار الأميركية أليس كذلك؟».

شعر سولومون بحال مزرية، كان قد تربى على يد الرجال الثلاثة الذين هم حول الطاولة الآن، وكان يرى كم كانوا مستائين.

«لا تقلق بشأني. سأحصل على وظيفة أخرى، ولدي بعض المدخرات أيضاً. من الأفضل أن أذهب الآن». قال سولومون وهو ينهض عن الكرسي. «تركت صندوقاً في مكتبك. هل بإمكانك أن ترسله لي إلى طوكيو. إنه ليس بالشيء المهم».

أومأ موزاسو برأسه.

«لم لا أقلك إلى المنزل؟ يمكننا أن نقود وصولاً إلى طوكيو».

«لا ليس هناك من داعٍ. هكذا أسرع. على الأرجح أن فيبي تتساءل أين أنا».

عندما لم تجب فيبي على الهاتف، عاد سولومون إلى المستشفى. كانت هانا مستيقظة. كانت موسيقى البوب تصدر من المذياع. الغرفة لا تزال مظلمة لكن الموسيقى الراقصة أضفت الحياة عليها فأصبحت وكأنها نادٍ ليلي.

«عدت بهذه السرعة؟ لا بد وأنك تفقدني بحق يا سولومون».

كان قد أخبرها بكل شيء وكانت تستمع إليه من دون أن تقاطعه.

«عليك أن تستلم عمل والدك».

«الباتشينكو؟».

«أجل.. الباتشينكو. لم لا؟ كل من يقولون كلاماً سيئاً عن هذه المهنة يشعرون بالغيرة، والدك شخص نزيه، لو كان محتالاً لكان أغنى بكثير، لكنه غني على قدر جهده، وغورو شخص طيب. من المحتمل أن يكون من الياكوزا، وإن يكن؟ أنا أهتم لو أنه كان كذلك. وإذا لم يكن منهم، أنا متأكدة من أنه يعرفهم جميعاً. إنه عالم قذر يا سولومون. ليس هناك من أحد نظيف. فالعيش يجعلك مخلوقاً قذراً. لقد قابلت العديد من الأشخاص المرموقين من مصرف اليابان (BOJ) ومن مصرف اليابان الصناعي (IBJ) مِمن هم من أرقى العائلات، ومع ذلك، يحبون القيام بأشياء مختلة أثناء العلاقة. العديد منهم يقومون بأفعال سيئة في وظائفهم لكن لا يتم كشفهم. معظم الذين أقمت معهم علاقة من الممكن أن يسرقوا متى سنحت لهم الفرصة. إنهم جبناء جداً، وجبنهم هذا يبعدهم عن أي طموح حقيقي. اسمع يا سولومون لن يتغير شيء. أتفهم؟».

«ما الذي تقصدينه؟».

«إنك أبله». قالت ضاحكة. «لكنك أبلهي الخاص».

حركت مشاعره بنبرتها المثيرة للحزن. كان يفتقدها. لم يشعر سولومون بوحدة شديدة كهذه في حياته.

«لن تتغير اليابان أبداً. فهي لن تضم أي غريب إليها. وهنا يا عزيزي ستبقى دائماً أجنبياً ولن تصبح يابانياً يوماً. أليس كذلك؟ لن يغادر الزينيتشي من الكوريين، أليس كذلك؟ فأنت لست وحدك. لن تتقبل اليابان شخصاً مثل والدتي ولن تتقبل أشخاصاً مثلي مع العلم أننا يابانيتان. أنا مريضة. أصبت بهذا المرض

من شخص ياباني يملك شركة تجارية ما. لقد توفي الآن. لكن لا أحد مهتم. حتى الأطباء هنا يريدونني أن أموت. لذا اسمع يا سولومون، عليك أن تبقى هنا، ولا تعد إلى الولايات المتحدة، وعليك أن تستلم عمل والدك من بعده. كن غنياً لتتمكن من القيام بما تريد. كن جميلاً يا سولومون، لن يؤمنوا يوماً بأننا بخير. هل تفهم قصدي؟» حدقت إليه هانا ثم تابعت: «افعل ما أقوله لك».

«لا يريد والدي أن تجري الأمور هكذا؟ حتى إن غورو سان باع صالاته وانتقل إلى العمل في مجال العقارات الآن. يريدني والدي أن أعمل في مصرف أميركي للاستثمار».

«لماذا؟ لكي تصبح شخصاً مثل كازو؟ أعرف آلاف الأشخاص ممن هم مثله. وهم لا يصلحون لأن يكونوا حذاء في قدم والدك».

«هناك مصرفيون أخيار أيضاً».

«وهناك أخيار في الباتشينكو أيضاً. مثل والدك».

«لم أكن أعلم أنك تحبين والدي».

«أتعلم.. بعد أن دخلت المستشفى، بات يزورني كل أحد عندما كانت أمي تحتاج إلى راحة. في بعض الأحيان عندما كنت أتظاهر بأنني نائمة، كنت أراه يصلي من أجلي على ذلك الكرسي. أنا لا أؤمن بالرب لكنني أعتقد أن ذلك لا يهم. لم يصلِ أحد من أجلي من قبل يا سولومون».

أغمض سولومون عينيه ثم أومأ برأسه.

«تزورني جدتك سونجا وخالتك الكبرى كيونغي أيام السبت. هل كنت تعلم هذا؟ وهما تصليان من أجلي أيضاً. أنا لا أفهم طقوس المسيح وإلى ما هنالك، لكن أليس من القدسية أن يلمسك الناس عندما تكون مريضاً. تخاف الممرضات من لمسي. تمسك جدتك سونجا بيدي بينما تضع خالتك الكبرى المناشف المبللة على رأسي عندما ترتفع حرارتي. إنهما لطيفتان معي جداً بالرغم من أنني شخص سيئ...».

«أنت لست سيئة.. هذا ليس صحيحاً».

قالت بجفاف: «لقد قمت بالعديد من الأشياء السيئة. عندما عملت نادلة،

بعت المخدرات إلى فتاة انتهى بها المطاف ميتة إثر جرعة مفرطة. سرقت المال من الرجال وكذبت كثيراً يا سولومون».

لم يقل سولومون شيئاً.

«أنا أستحق هذا يا سولومون».

قال سولومون وهو يمسد جبهتها: «كلا، إن الأمر مجرد فيروس. فالجميع يمرض». ثم قبّل جبينها.

«لا بأس يا سولومون، فأنا لم أعد أقوم بتلك الشَناعات. حظيت بالوقت لكي أفكر بحياتي الغبية».

«هانا...».

«أنا أعرف يا سولومون. أصدقاء؟».

تظاهرت بأنها تنحني احتراماً وهي مستلقية، ومن ثم رفعت طرف بطانيتها وكأنها تحمل تنورتها تحية. لمحة الإغراء تلك ذكرته بحركاتها الرشيقة. أراد أن يتذكر هذا إلى الأبد.

«اذهب إلى منزلك يا سولومون».

«حسناً؟» وبعدها لم يرها في حياته.

21

طوكيو، 1989

قالت فيبي: «لم أتحمله يوماً. إنه دمث بشكل مبالغ فيه».

«أما أنا، وببلاهة مطلقة، فأحببته. لكن أنّى لك أن تكوّني عنه مثل هذا الانطباع، وأنت لم تريه سوى لدقائق معدودة، عندما التقينا به في متجر ميتسوكوتسي؟ ولمَ لمْ تذكري الأمر من قبل؟».

غرق سولومون في كرسيه، وأرجع رأسه إلى الوراء، حتى أنه بالكاد استطاع رؤية فيبي. لم يكن قد تصور أي رد فعل منها، لكنه فوجئ من مدى هدوئها بعد سماعها لذلك الخبر. كانت تبدو مسرورة نوعاً ما. جلست على المقعد الخشبي بالقرب من النافذة، وضمت ركبتيها إلى صدرها.

قال: «في الواقع كنت أحبه».

«ذاك الرجل دمرك يا سولومون».

اختطف سولومون نظرة على هيئتها الساكنة ثم عاد وأرجع رأسه.

«إنه شخص وضيع».

«أشعر بحال أفضل الآن».

«أنا في صفك».

لم تكن فيبي تعلم ما إذا كان عليها النهوض لتجلس بالقرب منه. لم ترد ترك انطباع بأنها تشعر بالشفقة عليه. لطالما قالت أختها الكبرى إن الرجال يكرهون الشفقة ويفضلون التعاطف والإعجاب.. وهذه ليست بتركيبة سهلة.

قالت فيبي وقد اعتلتها ملامح الانزعاج: «كان شخصاً مخادعاً. كان يتحدث معك وكأنك أحد مرافقيه. وكأنه رئيس أخوية ما وأنت أحد «صبيانه». هل لا يزال هذا النظام قائماً في الأساس؟ كم أكره الأخويات وهراءها».

صعق سولومون. استطاعت فيبي أن توجز كامل علاقته مع كازو من مجرد تلك المقابلة القصيرة التي لم تدم سوى دقيقتين في متجر ميتسوكوتسي. كيف فعلت ذلك؟

حضنت فيبي ركبتيها شابكة أصابعها.

«لا تحبينه لأنه ياباني».

«لا تغضب مني. لا علاقة للأمر بأنني لا أثق باليابانيين، بل لا أعلم ما إذا كنت أستطيع أن أثق بهم ثقة عمياء. من المرجح أنك ستقول إن السبب هو كثرة قراءاتي عن حرب المحيط الهادئ. لا أعلم، لا أعلم.. ربما في كلامي شيء من التعصب».

«شيء من التعصب؟. لقد عانى اليابانيون بدورهم أيضاً. هل تعني حادثة ناغازاكي لك شيئاً؟ أو هيروشيما مثلاً؟ وفي أمريكا، يتم إرسال الأمريكيين من أصل ياباني إلى مخيمات إقامة إجبارية بينما لا يحدث هذا للأمريكيين من أصل ألماني. كيف تفسرين هذا؟».

«أنا هنا منذ مدة طويلة يا سولومون.. رجاء دعنا نعد إلى الولايات المتحدة. يمكنك الحصول على عشرات الوظائف الممتازة في نيويورك، فأنت بمهاراتك وشهادتك الموظف المثالي. لن يحظى أحد مثلك بفرص العمل».

«لا أملك تأشيرة عمل في أمريكا».

قال مبتسمة: «هناك طرق أخرى للحصول على الجنسية».

كانت عائلة سولومون قد لمّحت في مناسبات عديدة عن رغبتهم أن يتزوج من فيبي وبأن عليه القيام بذلك والشخص الوحيد الذي لم يتكلم بالأمر جهراً كان هو نفسه.

لم يحرك سولومون رأسه عن الكرسي. استطاعت فيبي رؤيته محدقاً إلى السقف. نهضت عن المقعد، ومشت نحو خزانة الردهة الأمامية، وفتحت بابها لتسحب منها حقيبتين. تدحرجت عجلات الحقيبتين مصدرة صوتاً قوياً على الأرضية الخشبية، فأزاح سولومون نظره.

«ماذا تفعلين؟».

«سأعود إلى الوطن».

«لا تكوني هكذا».

«يبدو أنني خسرت حياتي عندما أتيت معك إلى هنا، ويبدو أيضاً أنك لم تستحق كل تلك التضحية».

«لم تتصرفين هكذا؟».

نهض سولومون عن الكرسي، ووقف حيث كانت جالسة منذ لحظات قليلة. جرت فيبي الحقائب خلفها إلى غرفة النوم، وأغلقت الباب بهدوء.

ما الذي يمكن له أن يقوله؟ فإنه يتهرب من الزواج بها. علم بهذا القرار منذ اللحظة التي حطت فيها طائرتهما في ناريتا.

في أيام الدراسة الجامعية، أذهلته ثقتها بنفسها ورباطة جأشها. تحول اتزانها، الذي كان من أعمدة شخصيتها عندما كانت في أميركا، إلى عزلة وتعجرف في طوكيو. كانت قد خسرت حياتها هنا، هذا صحيح، لكن الزواج لم يكن الحل. بالطبع هناك أشخاص سيئون من اليابانيين، لكن الأشخاص السيئين موجودون في كل مكان، أليس كذلك؟ منذ أن وصلا إلى هنا، إما تغيّرت شخصيتها وإما أن مشاعره تجاهها قد تغيرت. ألم يفكّر بطلب يدها للزواج؟ لكن الآن وبعد أن اقترحت فكرة زواجهما من أجل الجنسية، استدرك أنه لا يريد أن يصبح أميركياً.

من العقل والمنطق أن يقوم بذلك، لأن ذلك سيسعد والده، هل من الأفضل أن يصبح أميركياً من أن يصبح يابانياً؟ كان يعرف كوريين اكتسبوا الجنسية اليابانية، وكان من العقل والمنطق أن يحذو حذوهم، ولكنه لم يرغب بذلك في الوقت الحالي. ربما يوماً ما. كانت محقة، من الغريب أن تولد في اليابان ويكون جواز سفرك كورياً. لم يتمكن من استبعاد فكرة الجنسية اليابانية. ربما لم يكن أمراً يتفهمه كوري آخر، لكنه لم يعد يهتم لذلك الأمر.

ماذا يعني أن كازو كان سيئاً؟ فهو مجرد شخص واحد وصدف أنه ياباني. ربما هذا ما تعلمه من الدراسة في أميركا. وحتى لو كان هناك مئة شخص ياباني سيئون ربما كان هناك مقابلهم شخص جيد. رفض أن يعمم صفة السوء. كانت إتسوكو بمنزلة أم له، وحبه الأول كانت هانا، وتوتوياما كان بمثابة عم له أيضاً،

وكلهم يابانيون وكلهم أخيار. لم تكن فيبي تعرفهم بالطريقة التي يعرفهم فيها، فكيف يتوقع منها أن تتفهم الأمر؟

بطريقة أو بأخرى، كان سولومون يابانياً أيضاً. ربما لم يكن لكوري آخر أن يفهم هذا الأمر. لم تكن فيبي تستطيع أن تلم بهذا الأمر. كان الأمر أعمق من انتماء الدماء. لم يلتئم الشرخ بين فيبي وبينه وإذا كان صادقاً معها ومع نفسه كان عليه أن يدعها تعود إلى بلادها.

«فيبي.. هل يمكنني الدخول؟».

«الباب مفتوح».

كانت الحقائب المفتوحة على الأرض مليئة بالملابس المطوية. كانت الخزانة شبه فارغة. بقيت بذلات سولومون الخمسة وقمصانه البيضاء معلقة على السيخ وباقي المساحة فارغة. كانت أحذيتها الأنيقة تشغل معظم أرضية الخزانة، وهي إما جلدية سوداء أو بنية بالإضافة إلى حذاء قماشي وردي اللون، كانت قد انتعلته مرة وسبب لها التقرحات في قدميها. خلال سنتهما الجامعية الأولى، ذهبا إلى حفلة وكان عليها أن تعود حافية القدمين إلى غرفتها في المهجع من الشارع 111 إلى شارع برودواي، لأن حذاءها القماشي الوردي ذاك كان ضيقاً جداً.

«لم لا تزالين تحتفظين بهذا الحذاء؟».

«اخرس يا سولومون». بدأت فيبي بالبكاء.

«ما الذي قلته؟».

«لم أشعر يوماً بالغباء. لمَ أنا هنا؟» أخذت نفساً عميقاً.

تأملها سولومون جاهلاً كيف يهدئ من روعها. كان خائفاً منها. ربما كان دائماً يهابها_ من فرحها، من غضبها، من حزنها وحماستها_ كل مشاعرها كان مبالغاً فيها.

زادت الغرفة شبه الخالية والسرير المستأجر والمصباح من ألقها. كانت في نيويورك حيوية ورائعة. أما هنا، فتحولت فيبي إلى شخص عنيف ومربك.

قال: «أنا آسف».

«لا.. لست آسفاً».

جلس سولومون على الأرضية المفروشة متربعاً واتكأ بظهره الطويل على الحائط. كانت الجدران حديثة الطلاء لا تزال فارغة. لم يكونا قد علقا أي شيء بعد، لأن صاحب الشقة كان ليغرمهما على كل ثقب مسمار في الجدار.

قال مكرراً: «أنا آسف».

أمسكت فيبي بالحذاء الوردي ورمته في سلة المهملات الممتلئة.

«أعتقد أنني سأعمل لصالح والدي».

«الباتشينكو؟».

«أجل». هز سولومون رأسه لنفسه. كان من الغريب أن يقول ذلك بصوت عال.

«هل هو من طلب منك؟».

«لا، ولا أعتقد أنه يريدني أن أفعل ذلك».

هزت رأسها ممتعضة.

«يمكنني أن أستلم العمل عن والدي».

«أنت تمزح، أليس كذلك؟».

«لا».

من دون أن تنطق بكلمة واحدة، تابعت فيبي التوضيب. كانت تتجاهله عمداً. وهو تابع التحديق إليها. كانت جذابة أكثر من كونها جميلة الملامح وفي الوقت نفسه جميلة الملامح أكثر من كونها جميلة الهيئة. لقد أحب جذعها الطويل وعنقها الممشوق وشعرها القصير الكثيف وعينيها الذكيتين. عندما كانت تضحك على نكتة ما كانت تضحك من قلبها. لم يكن هناك شيء يخيفها وظنت أن كل شيء ممكن. هل من الممكن أن تغير رأيها؟ هل من الممكن أن يغير رأيه هو؟ لربما كان التوضيب مجرد لمسة درامية. فما الذي يعرفه عن النساء؟ لم يعرف سوى امرأتين في حياته حق المعرفة. لفّت قميصاً آخر ووضعته فوق الكومة المتراكمة.

«الباتشينكو. هذا يسهّل الأمر علي». كانت قد نطقت أخيراً. «لا يمكنني العيش هنا يا سولومون. حتى لو أردت أن تتزوجني، لن أتمكن من العيش هنا، لا أستطيع التنفس في هذا المكان».

«في الليلة الأولى التي وصلنا فيها إلى هنا، لم تكوني قادرة على قراءة التعليمات الموجودة على علبة الأسبيرين وبدأت بالبكاء. كان عليّ أن أعرف حينها».

أمسكت فيبي بقميص آخر وحدقت إليه وكأنها لا تدري ماذا ستفعل به.

«عليك أن تهجريني».

«أجل عليّ ذلك».

غادرت في الصباح. كان من عادات فيبي أن تغادر دون ترك أثر خلفها. أخذها سولومون واستقلا القطار إلى المطار. بالرغم من أن رفقتهما كانت طيبة، كانت قد تغيرت بين ليلة وضحاها حرفياً. لم يبد الغضب عليها وكانت ودودة. وبدت أقوى من ذي قبل. سمحت له بأن يحضنها مودعاً إياها واتفقا على أن لا يتكلما لوقت طويل.

قالت: «سيكون هذا أفضل». وقف سولومون حائراً أمام قرارها.

استقل سولومون القطار إلى يوكوهاما.

كان مكتب والده المتواضع مليئاً بالرفوف المعدنية وبالملفات على الخزانات الصغيرة التي تملأ الحائط طولاً، بالإضافة إلى ثلاث خزائن للأوراق، وكانت إيصالات اليوم متموضعة تحت النافذة العالية. كان موزاسو جالساً وراء ذات الطاولة الخشبية الذي يستخدمها مكتباً له منذ أكثر من ثلاثين عاماً. درس نوا لامتحانات جامعة واسيدا على تلك الطاولة، وعندما انتقل من طوكيو تركها لموزاسو.

«بابا».

«سولومون». قال موزاسو متعجباً. «هل كل شيء على ما يرام؟».

«عادت فيبي إلى ديارها».

قوله ذلك بصوت مرتفع لوالده جعل الأمر حقيقياً.

«ماذا؟ لماذا؟ هل لأنك خسرت عملك؟».

«لا. لا أستطيع الزواج بها. وقد أخبرتها أنني أفضل الاستقرار والعيش في اليابان. وأن أعمل في الباتشينكو».

«ماذا؟ الباتشينكو؟ لا لا». قال موزاسو وهو يهز رأسه رافضاً. «ستحصل على عمل مصرفي آخر. ولهذا السبب أنت ذهبت لتدرس في جامعة كولومبيا أليس كذلك؟».

وضع موزاسو يده على جبهته مرتبكاً جراء تلك الأخبار.

«إنها فتاة طيبة. ظننت أنكما ستتزوجان».

ترك موزاسو كرسيه وناول ابنه علبة مناديل ورقية.

«الباتشينكو؟ كيف؟».

«أجل. لم لا؟» نفخ سولومون من أنفه في المنديل.

«أنت لا تريد أن تفعل هذا. فأنت لا تعلم ما الذي يقوله الناس».

«لا شيء مما تقوله صحيح. إنك رجل أعمال نزيه. أعلم أنك تدفع الضرائب وتتابع رخصك و...».

«أجل أجل. لكن لن يتوقف الناس عن قول الأشياء المزعجة والسيئة مهما فعلت. بات الأمر عندي عادياً. فأنا لا أحد. ليس هناك داع لأن تقوم بهذا العمل. لم أكن ذكياً في المدرسة مثل أخي. كنت أجيد المهام المتفرقة وتصليح الأشياء. كنت أجيد كسب المال. ولقد أبقيت عملي نظيفاً وبعيداً عن الأشياء السيئة. علمني غورو سان أن الأمر لا يستحق الانخراط مع الأشخاص السيئين. لكن يا سولومون، هذا العمل ليس بسهل، أتفهمني؟ فلا يقتضي الأمر فقط على تعديل تروس بعض الآلات وطلب الجديد منها وتوظيف العمال. هناك العديد من الأشياء التي يمكن أن تسوء في هذا المجال. نعرف العديد من الأشخاص الذين أفلسوا. أتفهم؟».

«لم لا تريدني أن أقوم بهذا العمل؟».

«لقد أرسلتك إلى تلك المدارس والجامعات الأميركية لكي...» توقف موزاسو لبرهة. «لكي لا ينظر أحد إلى ابني بدونية».

«هذا لا يهم يا أبي. لا يهم كل الذي تقول». لم يكن سولومون قد رأى والده هكذا من قبل.

«لقد عملت وجنيت المال لأنني ظننت أن هذا سيجعل مني رجلاً، وأن الناس سيحترمونني بسبب ما وصلت إليه، ولأنني غني».

نظر سولومون إليه وأومأ برأسه. نادراً ما كان يخصص والده الوقت لنفسه، لكنه كان يدفع للأعراس والجنازات التي تخص موظفيه، وكان يرسل الأقساط الجامعية والمدرسية إلى أولادهم.

لكن، فجأة استعادت أسارير موزاسو نضارتها.

«يمكنك أن تغير رأيك يا سولومون. يمكنك أن تتصل بفيبي عندما تصل وأن تعتذر. كانت والدتك تشبه فيبي كثيراً. قوية ومقدامة».

«أريد العيش هنا».

«وهي لا تريد ذلك».

«هذا صحيح».

حمل سولومون دفتر حسابات والده عن الطاولة وقال: «فسر لي هذا يا أبي».

توقف موزاسو قليلاً ثم فتح الدفتر.

كان أول الشهر، وكانت سونجا قد استيقظت حزينة. كانت قد حلمت بهانسو مجدداً. مؤخراً باتت تحلم به ويظهر لها بالمظهر التي كانت تعرفه فيه عندما كانت شابة، وهو يرتدي بذلته الحريرية وينتعل الحذاء الجلدي الأبيض. كان دائماً يقول الجملة ذاتها. «أنت فتاتي، أنت فتاتي العزيزة». عندها تستيقظ سونجا خجلة من نفسها. كان يجب أن تكون قد نسيته بعد كل هذا الوقت.

بعد الفطور. ذهبت إلى المقبرة لتنظف قبر أيزاك. وكالعادة، عرضت كيونغي أن تأتي معها، لكن سونجا قالت إنه ليس هناك من داع.

لم تكن أي من السيدتين تمارسان طقوس الجيسا. وكمسيحيتين، لم يكن من المفترض أن تؤمنا بعبادة أسلافهما. لكن الأرملتين أرادتا التكلم مع زوجيهما وكبار عائلتيهما وأن تلجآ إليهم طلباً لمشورتهم. كانتا قد افتقدتا للطقوس القديمة، لذا كانت سونجا تذهب إلى المقبرة بشكل دوري. كان الأمر غريباً، لكنها كانت تشعر بالقرب من أيزاك بطريقة لم تكن تشعر بها عندما كان على قيد الحياة. وكانت مدينة له على كياسته معها. كان أقرب إليها وهو ميت مما كان وهو حي.

عندما وصل القطار من يوكوهاما إلى أوساكا، اشترت سونجا أزهار أقحوان عاجية اللون من كشك سيدة كورية. كانت تُشاهد هناك منذ سنوات. كما وصف

أيزاك الأمر، عندما تحين ساعة الموت، يكون جسدك بكامله مع الرب وما يحصل لبقاياك لا يهم. لم يكن من المنطق أن تجلب الطعام أو البخور أو الورود إلى جثة هامدة. لم يكن هناك داعٍ للانحناء طالما نحن جميعاً سواسية بعين الرب. هذا ما كان يقوله.

ومع ذلك لم تستطع سونجا كبح رغبتها بأن تحضر شيئاً جميلاً لتزين به القبر. لم يطلب كثيراً منها في حياته، وعندما تفكر فيه الآن، تتذكر زوجها كشخص يمجد الجمال الذي خلقه الرب.

كانت سعيدة لأنه لم يتم حرق جثة أيزاك. أرادت أن يكون هناك مكان ليزور ولداها والدهما فيه. غالباً ما كان موزاسو يزور القبر، وسابقاً، قبل أن يختفي نوا، كان يرافقها. هل كانا يتكلمان معه أيضاً؟ هذا ما كانت تسأله دائماً لكن لم يخطر لها يوماً أن تسألهما والآن فات الأوان.

مؤخراً، في كل مرة كانت تذهب فيها إلى المقبرة، كانت تتساءل عما قد يظنه أيزاك بشأن موت نوا. كان لأيزاك أن يتفهم معاناة نوا وكان ليعرف ماذا يقول له. زوجة نوا أحرقت جثته. لذا لم يكن هناك مكان لتزوره فيه. في بعض الأحيان، عندما تكون وحدها كانت سونجا تكلم نوا. حتى أن شيئاً بسيطاً مثل قطعة لذيذة من فطيرة القرع كان بإمكانها أن تحمل لها الأسى لأنها الآن تمتلك المال لشراء فطيرة كهذه، أما سابقاً فلم يكن بمقدورها أن تبتاع له شيئاً يحبه وهو فتى صغير. أنا آسفة يا نوا، آسفة حقاً. كان قد مر أحد عشر عاماً على موته، لكن الألم لم يزل، لكن حوافه باتت ملساء مثل زجاج البحر. لم تذهب سونجا إلى جنازة نوا. لم تكن تريد أن تعلم زوجته وأولاده بأمرها، فكانت قد سببت ما يكفي من المشاكل. لو أنها لم تزره، ربما كان على قيد الحياة الآن. لم يذهب هانسو إلى الجنازة أيضاً. لو عاش نوا لكان في الخامسة والستين.

كانت سونجا سعيدة لأن هانسو زار منامها مرة أخرى الليلة السابقة. تقابلا عند الشاطئ قرب منزلها القديم في يانغدو ليتحدثا، وكان استذكار الحلم بالنسبة إليها كمشاهدة أحداث حياة شخص آخر. كيف حصل أن أيزاك ونوا توفيا بينما هانسو بقي على قيد الحياة. ما العدل في الأمر؟ عاش هانسو في مكان ما في طوكيو

على سرير أحد المشافي محاطاً بمراقبة الممرضات وبناته. لم تعد تقابله ولم تنوِ القيام بذلك. في منامها كان حيوياً مثلما عهدته في صباها. لم تكن تفتقد هانسو ولا حتى أيزاك. ما كانت تراه في أحلامها كان صباها، وبدايات حياتها وأمانيها... وهكذا أصبحت امرأة. من دون هانسو وأيزاك ونوا لما كانت هناك رحلة الحج إلى تلك الذكريات. وراء تلك اللحظات كان هناك جمال لمّاع وبعض المجد أيضاً، حتى في حياة هذه المرأة المتزوجة. وحتى لو لم يدر أحد بالأمر فهو واقع.

كان هناك بعض السلوان: فالأشخاص الذين تحبهم دائماً ما يكونون حولك، هذا ما تعلمته سونجا. في بعض الأحيان، تكون أمام كشك بيع تذاكر القطار أو نافذة بيع الكتب، وتشعر بيد نوا الصغيرة عندما كان صبياً صغيراً، فتغمض عينيها وتفكر برائحته الفواحة وتتذكر أنه دائماً كان يحاول بذل أقصى جهده في كل شيء. في تلك اللحظات، كان أمراً جيداً أن تكون وحدها معه لكي تحضنه.

استقلت سيارة أجرة من محطة القطار إلى المقبرة، ثم مشت بين صفوف القبور وصولاً إلى قبر أيزاك المزين. لم يكن هناك أي داع لتنظيف أي شيء، لكنها تحب أن تمسح رخام القبر قبل أن تكلمه. ركعت سونجا، وبدأت بتنظيف الرخام المربع الشكل بالمنشفة التي جلبتها لهذا السبب. كان قد حُفر اسم أيزاك باللغة الكورية واليابانية. 1907_1944. كان الرخام الأبيض دافئاً بسبب أشعة الشمس.

كان رجلاً جميلاً وأنيقاً. استذكرت سونجا كيف أن الخادمات في الوطن الأم كن معجبات به. لم تكن يوكي ووكي قد رأتا شاباً وسيماً إلى هذا الحد من قبل. ورث موزاسو وجه والدته الساكن وخطوتها الواثقة وقامتها المنتصبة.

قالت: «مرحباً، موزاسو بخير. اتصل بي الأسبوع الفائت لأن سولومون خسر وظيفته في ذلك المصرف الأجنبي، والآن يريد أن يعمل مع والده. أتتخيل؟ أتساءل ماذا سيكون رأيك في الأمر». كان صمت الطرف الآخر يشجعها على المتابعة بالكلام: «أتساءل عن حالك...» توقفت لبرهة عن الكلام عندما رأت أوتشيدا سان، حارس المقبرة. كانت سونجا جالسة على الأرض بسروالها الصوفي الأسود. نظرت إلى حقيبتها القابعة على الأرض. كانت حقيبة لمصمم عالمي أهدتها إياها إتسوكو بمناسبة عيد مولدها السبعين.

توقف الحارس أمامها، وانحنى تحية، فانحنت له بدورها. ابتسمت سونجا للشاب المهذب، كان عمره بين الأربعين والخامسة والأربعين. بدا أورشيدا سان أصغر من موزاسو. كيف كانت تنظر إليه؟ كانت بشرتها مليئة بالأخاديد إثر أعوام وأعوام من العمل تحت أشعة الشمس، وكان شعرها القصير أبيض لماعاً. لم تكن تشعر بأن عمر الثالثة والسبعين كبيراً بالنسبة إليها. هل سمعها الحارس تتمتم باللغة الكورية؟ منذ أن توقفت عن العمل في محل الحلويات، تراجعت لغتها اليابانية أكثر فأكثر. لم تكن سيئة، لكنها باتت تشعر مؤخراً بالخجل عندما تكون بين أشخاص يابانيين.

وضعت سونجا كفيها على البلاط الرخامي الأبيض وكأنها تلامس أيزاك حيث هو موجود.

«أتمنى لو أنك تستطيع إخباري بما سيحل بنا. أتمنى لو أن نوا معك الآن».

كان الحارس ينظف القبور من أوراق الأشجار المبللة المتساقطة بعيداً عنها بضعة صفوف من القبور. كان ينظر إلى جهتها بين الحين والآخر، وكانت تشعر بالإحراج لكونها تتكلم مع القبر. أرادت أن تبقى لبعض الوقت، ولكي تبدو وكأنها منشغلة فتحت حقيبتها لتضع المنشفة المتسخة.. في كعب حقيبتها، وجدت مفتاح منزلها بعلاقة مفاتيح تحمل صوراً مصغرة لنوا وموزاسو في إطار مغلق.

بدأت سونجا بالبكاء. لم تستطع كبح نفسها.

«سيدة بوكو».

«أجل؟» نظرت سونجا إلى الأعلى، إلى الحارس.

«هل أقدم لك شيئاً لتشربيه؟ لدي بعض الشاي في الكوخ. ليس شاياً فاخراً لكنه دافئ».

أجابت بلغة يابانية متكسرة: «لا لا.. شكراً لك. لا بد وأنك ترى أناساً يبكون طوال الوقت».

«في الواقع لا. قليلون هم الأشخاص الذين يأتون إلى هنا. لكن عائلتك هي من الزوار المتكررين. لديك ولدان وحفيد. يزور المكان ولدك موزاسو كل شهر أو اثنين. لم أر ابنك نوا منذ إحدى عشرة سنة، لكنه اعتاد أن يأتي إلى هنا كل آخر

خميس من كل شهر. كان دقيقاً جداً لدرجة أنه بإمكانك أن تضبطي ساعتك على موعد زيارته. كيف حاله؟ كان رجلاً لطيفاً جداً».

«نوا أتى إلى هنا؟ قبل 1978؟».

«أجل».

«من العام 1963 إلى 1978؟» ذكرت الأعوام التي كان فيها بـناغانو. كررت التواريخ مجدداً آملة أن تساعدها لغتها اليابانية. أشارت سونجا إلى صورة نوا في علاقة المفاتيح. «كان يزور هذا المكان؟».

أومأ الحارس برأسه مؤكداً على الصورة، ثم نظر إلى السماء وكأنه يحاول ترتيب التواريخ في رأسه.

«أجل، أجل. أتى في تلك الأعوام وما قبل أيضاً. نصحني نوا أن أرتاد الجامعة وعرض التكفل بالأمر إن أنا أردت ذلك».

«حقاً؟».

«أجل لكنني قلت له إن رأسي عبارة عن يقطينة فارغة، وسيكون الأمر مضيعة للوقت إذا ما حاول تكفل أمري بما يخص التعليم. بالإضافة إلى أنني أحب المكان هنا. إنه مكان هادئ. وجميع من يزورونه طيبو القلب. طلب مني ألا أذكر زياراته أبداً. لكنني لم أره منذ سنين وأتساءل ما إذا كان قد انتقل إلى إنكلترا. طلب مني أن أقرأ، وجلب لي الكتب المترجمة للكاتب الإنكليزي الكبير تشارلز ديكنز».

«ابني نوا.. مات».

فتح الحارس فمه دهشة.

قالت سونجا مكررة: «ابني، ابني».

«أنا حزين جداً يا سيدة بوكو. أنا حقاً آسف». قال الحارس وملامح الأسى تعتلي وجهه. «كنت آمل أن أصادفه لأخبره أنني انتهيت من قراءة الكتب التي جلبها لي وجلبت المزيد أنا بنفسي. لقد قرأت جميع أعمال السيد ديكنز المترجمة، لكن الكتاب المفضل لديّ كان أول كتاب أعطاني إياه: كتاب ديفيد كوبرفيلد. أنا معجب بشخصية ديفيد كثيراً».

«كان نوا يحب القراءة. أكثر ما أحبه كان القراءة».

«هل قرأت للسيد ديكنز؟».

«لا أعرف كيف... لا أجيد القراءة».

«حقاً؟ إذا كنت والدة نوا فهذا يعني أنك ذكية أنت أيضاً. ربما يمكنك ارتياد المدارس الليلية للكبار. هذا ما أخبرني نوا أن أفعله».

ابتسمت سونجا للحارس الذي كان متفائلاً بإرسال سيدة كبيرة في السن إلى المدرسة. تذكرت محاولات نوا بإقناع موزاسو بالمتابعة في دراسته.

نظر الحارس إلى مدمّته، ثم انحنى واستأذن عائداً إلى مهامه.

عندما غاب عن نظرها، حفرت سونجا حفرة بيديها عند القبر، وطمرت الصورة الموجودة على علاقة المفاتيح. غطت الحفرة بالتراب والأعشاب ثم فعلت ما بوسعها لتزيل التراب عن يديها بالمنديل لكن بقي التراب تحت أظافرها. ربتت سونجا على التراب، ثم مشطت العشب فوقه بأظفارها، ثم حملت حقيبتها وغادرت... لقد كانت كيونغي تنتظرها في المنزل.

telegram @ktabpdf

تابعونا على فيسبوك

جديد الكتب والروايات

في باتشينكو ترسم مين جين لي عالماً ملحمياً بأحرف من ذهب، وتقود القارئ إلى سبر أغوار سحيقة في النفس البشرية التي تأبى الظلم والضيم. تأخذ مين جين لي بيد القارئ ليتلمسَ عبر أسطرها كفاح معاق ليحظى بحياة كريمة، وتشارك القارئ إباء فتاة منحت قلبها وجسدها لحبيب، إلَا أنها نبذته وثارت لكبريائها عندما أدركت أنه ليس لها وحدها، مع ما ترتب على قرارها ذلك من تبعات وسمت حياتها إلى الأبد. ثم لا تلبث أن تصف لنا ببراعة كفاح أجيال من الكوريين، ذكوراً وإناثاً أمام الطغيان الياباني.

شخصيات الرواية العديدة والمركبة تنقل القارئ بشكل آسر ليعيش عبر صفحات الرواية في حقبة طويلة من تاريخ كوريا واليابان.

إنها رواية حب مستحيل فرّق القدر بين المحبين، ولكنه لم يفرق بين الأفئدة. فظلت الأنثى أبيّة وظل الذكر رجلاً لا يتخلّى عن فلذة كبده... هذا الحب المستحيل احتضنه آخرون ورعوه، ولكن بالرغم من سيل الحب الجارف والطهارة والمسؤولية العاليتي المنسوب ستكون النتائج وخيمة.

مين جين لي مؤلفة رواية «طعام مجاني للأغنياء» وهي الرواية التي كانت من بين الروايات الأكثر مبيعاً على لائحة نيويورك تايمز ويو أس توداي، هي كاتبة عمود في صحيفة تشوزن ألبو: رائدة الصحف الكورية الجنوبية، كما أنها ناقدة أدبية ذائعة الصيت، يُعتبر نقدها الأدبي ومقالاتها بمثابة تحف أدبية.

تقول مين جين لي عن باتشينكو: «في العام 1989 استمعت إلى محاضرة ألقاها محاضر أميركي سبق له وأن وقف إلى جانب الكوريين في اليابان، في تلك المحاضرة تحدث عن طفل في الثالثة عشرة من العمر تعرض للتنمر من قبل زملائه اليابانيين. أنهيت دراستي الجامعية، ونلت شهادة في الحقوق، وعملت لسنتين قبل أن أنبذ المحاماة، وأتفرغ للكتابة، وصدى كلمات المحاضر يتردَد في تلافيف دماغي. في الحقيقة، لقد عملت بين العامين 1996–2003 على نسخة أولية من هذه الرواية، ولكنها لم تلبِّ متطلباتي، بعدها انتقلت إلى اليابان، وأعدت كتابة الرواية من جديد، فاستغرقت مني تسع سنوات، وطوال الوقت كنت أتساءل: لماذا كتبت هذه الرواية الملحمية؟ لأخلص إلى أنني لم أكن لأكتبها لو أنني لم أكن أميركية من أصول كورية، فأنا عندما كنت طفلة حظيت برعاية البلد الذي استضافني، بخلاف البلد الذي استضاف الطفل موضوع المحاضرة التي حضرتها عندما كنت في الجامعة، وهذا ما جعلني أكتب، لأن الكتابة تتيح لي ولكم إنتاج عالم أفضل من الواقع».

مكتبة ٣٤٠

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات.كوم
www.nwf.com

ISBN: 978-614-01-2576-6
9 786140 125766